



GENERAL
LIBRARY

المجتمع العربي



سأعدت جامعة بغداد على نشره

المجتمع العربي في شعر القرن الرابع للهجرة

(رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة بغداد ونالت مرتبة امتياز)

تأليف
عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي

مكتبة النهضة
بغداد

DS
76.4
.R38
1971

Ms
12582 F
MAY 11
1972

مقدّمة

بقلم : الدكتور فيصل السامر

رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب - جامعة بغداد

يكاد المؤرخون أن يجمعوا على أن القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) هو العصر الذي شهد قمة التطور في المؤسسات الحضارية والثقافية الإسلامية . لذلك - من هذه الزاوية - اشبع هذا القرن بحثاً ودرساً من جانب القدامى والمحدثين عرباً ومشاركة ومستشرقين ، حتى خيل للكثيرين ان البحث والدرس فيه أصبحا أمراً عسيراً على من يريد التصدي الى الابتكار والإبداع والجدّة .

غير اني أتساءل : هل صحيح ان دروب القرن الرابع ومسالكه قد أوصدت أمام الباحثين ، وان التصدي لدراسته تقود الى حلقة مفرغة لا طائل تحتها ؟ وجوابي كلا والف كلا . فثمة كثير من نواحي المائة الرابعة الهجرية ما تزال حقولاً بكرّاً لطالبي البحث الجاد ، المزودين بالموهبة ، والتميزين بالقدرة على الغوص الى ما وراء النصوص ، في محاولة للكشف عن الحقائق الموضوعية التي تفسر الظواهر الاجتماعية والفكرية والسياسية ووضعها في مكانها الصحيح من التاريخ .

صحيح أن عدداً من الدراسات الناجحة الموفقة عن القرن الرابع قد خرجت الى النور ، وأنها غطت كثيراً من جوانبه ، إلا أن الكثير من هذه الجوانب ما

زالت مطموسة وغامضة ، أو انها درست دراسة سطحية او شكلية لم تستوعب روح العصر وسماته الاساسية ، وبتعبير آخر لم تكشف عن الدوافع الفعلية التي اكسبت ذلك العصر سماته المميزة .

ومن جهة أخرى ، فإن اغلب الدراسات الجادة — ليس في القرن الرابع وحده — وانما في مجمل التاريخ الاسلامي صدرت عن المستشرقين الذين جمعوا بين المنهج العلمي السليم من جهة ، وبين النظرة الكلية الشاملة من جهة ثانية ، وبين الجرأة في قول الحقيقة من جهة ثالثة . هذا مع اعترافنا بأن المستشرقين لا يركن الى جميع احكامهم ، لأن بعض تلك الأحكام تميل مع الهوى وتصدر عن التعصب أو عدم الفهم والتفهم . وانه اذا كانت قد ظهرت بعض الدراسات الجيدة بأقلام باحثين عرب ، فهي ما زالت قليلة ونادرة وبخاصة في مجال دراسة المجتمع والاقتصاد .

لذلك كله رحبت بهذه الدراسة الجريئة التي نال بها مؤلفها الاستاذ عبد اللطيف الراوي درجة الماجستير في الأدب العربي من جامعة بغداد . واقول الحق ان المؤلف الفاضل حين دفع إلي بمسودة بحثه لتقويمه وتقديمه ، وجدت ان المرأة هي الطابع المميز لبحثه من اوله الى آخره . لقد وضع الباحث امامه وثائق بحثه ونقدها بحرارة وجرأة ، وتعمق فيما وراء دائرة اهتمامه ما سيقال عنه وفيه . انها فيما يبدو لي روح الشباب الوثابة التي لا تخشى التقرير او اللوم ، كما لا تبالي بالثناء والمديح .

وماذا كانت حصيلة هذه المرأة ؟ الحق ان كثيراً من الأحكام جاءت صائبة على أنها مرة وقاسية . فحين يشخص الباحث دوافع الشعر وخصائصه في القرن الرابع نجده مشمئزاً ، بحيث لا يفارقه الاشمئزاز من ذلك الجيش اللجب من الشعراء المادحين والماجنين والباحثين عن المنفعة وعن المجد في ارفع صورته واحطها .

ان منهج البحث سليم ، لأن المؤلف وضع نصب عينيه نظرية استطاع ان يخلص لها ، ويمحضها الوفاء . فهو ينطلق من حقيقة ان الشعراء في ذلك العصر إنما هم فئة عاشت على افضال طبقة الخاصة ذات الحول والطول والجاه والثروة والنفوذ المادي والأدبي . فمن حاله الحظ توصل بشعره إلى ساحة الملوك والأمراء والوجهاء فنفق عندهم ، ارتفع شأنه وامتلاً جيبه بالعطايا والهبات والمنح ، ومن جانبه الحظ عاش بائساً يائساً يشكو دهره ويذم زمانه . ومن هنا كانت هناك فئتان من الشعراء احدهما التحقت بالخاصة ، وأخرى ظلت ملتصقة بهوموم الطبقة العامة التي مثلت الغالبية الساحقة من مجتمع القرن الرابع الهجري .

لقد أراد المؤلف ان يدرس المجتمع من خلال الشعر ، أي انه أراد اعتبار الشعر مصدراً من مصادر دراسة التاريخ . والحق ان الوقائع التي دونها المؤرخون والاختباريون لا يمكن أن تكون وحدها مصادرنا الكاملة لدراسة تاريخ المجتمع البشري بكل فاعليته وحيويته . وهنا يأتي الشعر — والأدب بصورة عامة ليكمل وثائق المؤرخين والآثار المادية التي خلفها الماضون . ان الشعر معين مثير لا ينضب لدراسة المجتمعات ، باعتباره صوتاً ينبعث من اعماق النفس . ومهما يكن من تأثير الشعراء بمصالحهم وحاجاتهم اليومية ومطامحهم الشخصية — مما أفقد كثيراً من الشعر طابع الصدق — فإن المؤرخ الحاذق لا بد ان يعثر في شعر أي شاعر على ملامح تم عن الحقيقة .

ان النتيجة التي أراد المؤلف ان يصل إليها هي اعتبار الشعر — وهو جزء من ثقافة العصر — انعكاساً لمجتمع طبقي — أعني مجتمع القرن الرابع — انقسم فيه الناس الى طبقتين اثنتين : طبقة خاصة استأثرت بالجاه المادي والنفوذ الأدبي وهي أقلية ، وأخرى طبقة عامة كانت تسعى سعياً حثيثاً دائماً الى لقمة العيش وهي جماهير الفلاحين والصناع والجنود والعاطلين عن العمل وصغار

الباعة وأصحاب المهن . وكان الشعراء - شأن المثقفين يومذاك - فئة تعكس حقاً حدة التمايز الاجتماعي وتعبر عنه بنتائجها خير تعبير . ان شعر المديح يعكس دون أدنى شك زيفاً فكرياً واجتماعياً وهو دليل على حاجة الشاعر الى عطايا مادحه . والبرهان على ذلك انك لو أخذت منظومة مدح في أمير أو وزير أو وجيه ، ثم رجعت الى المدونات التاريخية ، فإنك لن تجد إلا صورة شديدة المخالفة للصورة البهية الزاهية التي يحاول الشاعر ان يطبعها في ذهنك .

ان ابتعاد الشاعر عن ابناء الطبقة العامة وهمومها ، وتكريس شعره لأهداف مادية شخصية بحتة هو سمة عصر - كالقرن الرابع - يجعل الثقافة عموماً في خدمة الفئة التي تمسك بمقاليد الأمور . ان ذلك العصر ربط الشاعر ربطاً محكماً بالطبقة العليا لأنها كانت مصدر رزقه ، ومن هنا ابتعد الشعر في مجمله عن أن يكون أدب الشعب وثمره كفاحه ومرآة همومه ، الا في النادر القليل الذي نجده في شعر شعراء الطبقة الثانية والثالثة من المغمورين الذين اغلقت في وجوههم ابواب القصور ، او أولئك القلائل الذين وضعوا أرواحهم وفنهم في خدمة قضية عادلة .

وبعد ، فإن هذه الدراسة محاولة جيدة وجريئة وموفقة لإعادة النظر في تقييم تراثنا الأدبي وتقويمه ، واذا كانت هناك هنات (١) ومآخذ شكلية ومنهجية ، او اخرى نتجت عن الحماسة او الاندفاع ؛ فإن ذلك كله يجب أن يغتفر لباحث صادق الدوافع سليم النوايا يحاول أن يصل الى الحقيقة ويدافع عنها .

(١) هناك ملاحظات نبهني اليها الاستاذ العاضل أخذت بها قدر امكاني فله مني جزيل الشكر والامتنان .
(المؤلف)

المقدمة

يبدأ إقليم العراق من تكريت شمالاً وينتهي عند عبادان والبصرة والبحر جنوباً ، ماراً بسامراء وبغداد وواسط ومنطقة البُطيحة والأهواز ، ويبدأ أيضاً من اعالي هيت غرباً حتى شهرزور وحلوان شرقاً ، ماراً بمدينة الأنبار ومنطقة دبالى وجلولاء وخانقين وقصر شيرين (١١) .

ومثلما أكدت كُتب الجغرافية اقليمية العراق أكدتها كتب الأدب ، فلقد قسمت الشعراء حسب اقاليمهم ، فهناك شعراء اقليم العراق وشعراء اقليم الموصل والجزيرة وشعراء اقليم الشام ومصر ، وشعراء اقليم فارس وخوازم ، وأول ما وصل اليها من الكتب التي اتبعت هذا المنهج يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وتتمسها لأبي منصور الثعالبي ، ثم دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزي ، ثم خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصبهاني .

ولقد اخترت دراسة مجتمع اقليم العراق كما عكسه الشعر في القرن الرابع للهجرة لعدة أسباب منها ، جدة الموضوع وطرافته ، والرغبة في اعطاء علاقة

(١) ينظر المسالك والممالك للاصطخري ٥٦ وما بعدها ، الاقاليم للاصطخري ايضاً ، وينظر في الكتاب نفسه الخريطة رقم ١٣ التي حدد بها الاصطخري العراق ومدنه ، ينظر كذلك أحسن التقاسيم ١١٣ ، ١١٤ ، وتقويم البلدان ٢٩١ ، ٢٩٨ وما بعدها ، مرصد الاطلاع ٢ / ٩٢٦ .

الأدب بالمجتمع تفسيراً علمياً بعيداً عن التقعرات اللفظية والافتراضات الشخصية ، آملاً أن يخدم هذا التفسير الشعر واللغة والمجتمع وأن ينزه التاريخ من الدراسات الزائفة التي أرهقت وأرهقت الكثير من المبتدئين في دراسته ، خاصة وان القرن الرابع يمثل مرحلة أدبية واقتصادية متطورة واضحة تساعد الباحث وتأخذ بيده الى النظرات الموضوعية الصائبة او القريبة من الصواب .. أما منهجي في ذلك فاختيار النصوص ذات الدلائل الاجتماعية ، وتحليلها تحليلاً علمياً موضوعياً لا يقتصر على المظهر السطحي للنص انما يغور الى اعماق الكلمات وما يمكن أن توجيه هذه الكلمات من معان اجتماعية وسياسية وفنية مبتعداً عن النص المتحيز وبخاصة المديح ، الا ما كان له دلالة اجتماعية أو حضارية مهمة .

ولقد حاولت أن أبحث عن نصوص جديدة لم يستهلكها الباحثون ، على أن هذا لا ينفي اعتمادي مثل هذه النصوص المستهلكة حينما لا أجد مناصاً من استعمالها أو أن مستعملها لم ينتبهوا للدلالة من دلائلها .

ولقد فتح عليّ في هذه الدراسة وأسهم اسهاماً فعالاً في كشف جوانب مهمة منها ، وجود كتب تاريخية وأخرى أدبية درست الحياة الاجتماعية والسياسية في العراق بهذا المقدار أو ذاك .

من هذه الكتب « الادب في ظل بني بويه » الذي كان لصاحبه استاذنا الدكتور محمود غناوي الزهيري فضل في اختيار الموضوع والارشاد الى مصادره ومنابع دراسته ،

ولا أنكر ما أخذت عن كتاب « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متر » من مصادر واشارات مهمة سهلت علي صعوبات عديدة واختصرت لي زمناً لا بأس به .

ولا بد لي هنا من الوقوف قليلاً عند مصادري ومراجعي ، فلقد عولت في أخذ النصوص الشعرية والتاريخية على المصادر القديمة واهتمت كثيراً بتلك التي ألفت في القرن الرابع أو قريباً منه ، ولكنني حين أجد نصاً يفيدني ذكر في مصدر متأخر عن القرن أو مرجع حديث أثبتته وأحاول ان أجد له مصدراً أقدم فإن لم أجده أشرت الى الكتاب الذي أخذته منه .

إن دراستنا هذه عملية نفاذ خلال النصوص الشعرية ووراءها لاستخلاص نتائج ودلالات اجتماعية لم ينتبه لها الكثير من المؤرخين والباحثين ، أو أنهم لم يوفوها حقها من التدقيق والتحليل ، ولقد قسمتها - بعد التمهيد في حياة العصر - ثمانية فصول :

الفصل الاول - الشاعر في المجتمع من خلال ما يعكسه الشعر ، ولقد أوضحت في هذا الفصل علاقة الشاعر بالحاكم والناس والشعراء .

الفصل الثاني - الخلفاء والأمراء من خلال شعرهم وقد اتخذت الراضي انموذجاً لمجتمع الخلفاء وآل بويه انموذجاً للأمراء .

الفصل الثالث - الوزراء ورجال الدولة الآخرون ، وفيه بينت علاقات هذه الفئة الحاكمة وحياتها من الشعر الذي جرى على لسان افرادها .

الفصل الرابع - التبذل والمجون ، وقد استخلصت حصيلة مما قاله الشعراء الذين عرفوا باللفظ الفاحش ، والشعر الماجن ، ولم أنس أن أخذ نماذج من مساهمات معظم مقالة الشعر في هذا الميدان .

الفصل الخامس - تكلمت فيه على مجتمع اهل الكلدانية من خلال ما كشف عنه شعر بعض أصحابها ونظمهم .

الفصل السادس - أهل التصوف ونزعاتهم وطبائعهم وأفكارهم ، وقد

حاولت جهدي أن أذكر نصوصاً شعرية صوفية تفسر كل ما لهم وما عليهم .

الفصل السابع - خصص لفئة مهمة من فئات مجتمع العراق ، هي فئة الساخطين والمتمردين الذين ارتسمت علامتهم رفضهم لحياة الذل والجوع في صفحات شعرهم بشكل واضح جلي .

الفصل الثامن - كلام مجمل على مظاهر اجتماعية وحضارية شائعة اشترك فيها معظم فئات المجتمع وطبقاته وظلت تشير في احيان كثيرة الى تمايز طبقي بيس .

انني اذ أقدم كتابي هذا أرى من الواجب علي أن لا أحمل احداً اوزاره ، ولا أشركه بمسؤولية ما أعلنت فيه من آراء فذلك يقع عليّ وحدي ، واذا كان هناك ما أحمله لاستاذي المشرف الدكتور علي جواد الطاهر وأحملة اليه فهو شكري له واكباري لجهوده التي بذلها معي ، فلقد كبح جماح لغتي وشطحاتي اللفظية والفكرية ، وصرف الساعات الطوال في قراءة الفصول ومراجعتها بحضوري ، وما سمعت منه بعد كل جهوده الا لغة الموجه الحريص ، ولفظ الاخ الكبير الناصح ، فله مرة أخرى ولكل الذين وضعوا ايديهم بيدي لأتم بحبي هذا خالص إجلالي وتقديري .

عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي

نيسان ١٩٧١

التمهيد

١ - الحالة السياسية :

مر العراق خلال القرن الرابع بعصرين سياسيين متباينين تقريبا : عصر تحكم الجنود المرتزقة وهو الذي نصطلح على تسميته بعصر نفوذ الاثراك ، ويليه بعد ذلك العصر البويهي الذي يكاد يكون وحده متميزاً عن العصر الذي سبقه من حيث البنية الحاكمة .

عصر ما قبل البويهيين ٢٩٥ - ٣٣٤

يبدأ هذا العصر منذ تولي المقتدر (جعفر بن المعتضد) (١) عام ٢٩٥ الخلافة حتى دخول معز الدولة البويهي (احمد بن بويه) (٢) بغداد عام ٣٣٤ تولى الخلافة خلال هذا الدور خمسة خلفاء كان المقتدر أهمهم واطولهم مدة فلقد جيء به الى كرسي الخلافة صبيبا غرا لم يتجاوز الثالثة عشرة بتدبير من الوزير العباسي بن الحسن (٣) ، واستمر عهده حتى عام ٣٢٠ هـ . وكان العراق خلال ذلك يمر بأحلك عهد سياسي عرفه منذ انتقال عاصمة الخلافة اليه .

-
- (١) ينظر في خلافة المقتدر وترجمته تاريخ الطبري ١٣ / ٢٨٠ ، مروج الذهب ٣٠٢ ،
البيهية ٣٢٦ ، تجارب الامم ٣ / ١ ، مختصر التاريخ ١٧٢ ، الفخري ٢٦٠ ، النبراس ٩٠ ،
مآثر الأنافة ١ / ٦ / ٢ ، العصور العباسية المتأخرة ١٨ .
(٢) ت ٣٩٦ هـ ترجمته في وفيات الأعيان ١ / ١٥٧ .
(٣) قتل سنة ٢٩٦ هـ .

لقد تحكّم في البلاد الجوّاري والغلمان وتجراً الكثير من الطامعين فتقدموا لنيل مناصب رفيعة في الدولة ، وساطتهم في ذلك الرشوة والتدليل . وحين استشعر بعض رجال الدولة ما آلت إليه دولتهم من ضعف قاموا بمحركة مفاجئة عزلوا فيها المقتدر ووضعوا محله عبد الله بن المعتز ، فحدثت بذلك فتنة ذهب ابن المعتز ومن سايره ضحيتها (١) ، وعادت بعد ذلك دولة النساء والخدم متمثلة بالمقتدر وحاشيته ، وعاد مع هذه الدولة الهزيلة وسياستها الاستغلال والمجاعة والاضطراب ، وتدخلت ام المقتدر (شغب) وقهرمانتها وخدمها في أمور الدولة وسياستها تدخلاً سافراً ، فلقد اجلست ام المقتدر هذه قهرمانتها (ثمل) للقضاء (٢) واطلقت يد قهرمانتها الاخرى ام موسى (٣) في شؤون الوزارة والادارة ، وتأخذ الرشاوي من هذا الطامع او ذاك ، ولقد تغيرت الوزارة بفعل هذه السياسة المبنية على الغش والرشوة اربع عشرة مرة خلال فترة حكم المقتدر كان لام موسى (٤) ت ٣١٠ هـ نصيب وافر في خلق مثل هذه التغيرات الخطيرة كما كان لنصر الخادم ولؤنس ولام المقتدر نصيب كبير (٥) في ذلك أيضاً .

وفي خلافة المقتدر الضعيف تفاقم أمر القرامطة وقويت شوكتهم فاحتلوا الكوفة وهددوا بغداد أكثر من مرة وتصاغرت أمام بأسهم وعزيمتهم عاصمة

(١) تجارب الامم ٥ / ١ وما بعدها ، الكامل ١ / ٨ وكتب التاريخ الاخرى حوادث

. ٢٩٥

(٢) المنتظم ٦ / ١٤٨ .

(٣) المنتظم ٦ / ١٣٨ ، ينظر الكامل ٨ / ٦٢ ، ٦٤ .

(٤) ينظر النجوم الزاهرة ٣ / ١٥١ حوادث سنة ٣٠٤ حينما ثقل على علي بن عيسى امر الوزارة وضجر من سوء أدب الحاشية ، وينظر المنتظم ٦ / ١٣٨ وكيف كان تأثير ام موسى في عزل علي بن عيسى والقبض عليه .

(٥) المنتظم ٦ / ١٨٨ وينظر تاريخ التمدن الاسلامي ٤ / ١٨٧ .

الخلافة وحكامها (١) ، فسقطت هيبة الخليفة وتجراً الجند أخيراً على شتم
المقتدر (٢) .

وحين اشتدت سطوة الجوارى والغلمان وازداد استخذاء المقتدر ووصلت
الدولة حضيض الضعة والاختلال ، دفع هذا الهوان القواد الى خلع المقتدر عام
٣١٧ هـ ومبايعة اخيه محمد بن المعتضد الذي لقب بالقاهر ، لكن الامر لم يستمر
اكثر من يومين ، فلقد خلع القاهر واعيد المقتدر بضعفه وانغماره باللهو (٣) .

واذ عاد المقتدر الى خلافته لم تهدأ الامور ، ولم تستقر الخلافة فسرعان ما
تمرد مؤنس الخادم على خليفته ، وحاول المقتدر ان يتمرد على ضعفه وشهوته
فخرج لقتال مؤنس لابساً البردة ، لكن القتل كان اسرع من تدييره ، فلقد
قطع رأسه وسلبت ثيابه وترك عاريا مكشوف العورة الى ان مر به رجل من
الأكرة فستر عورته بحشيش (٤) ثم حفر له ودفن في موضعه .

بعد مقتل المقتدر عام ٣٢٠ اعيد القاهر الى الخلافة (٥) والامور مرتبكة
والسطوة لمؤنس ومن احاط به من قتلة المقتدر امثال علي بن بليق وابيه ، ولم
يكن القاهر ضعيفا مثل اخيه كما لم يكن سياسيا مثل ابيه ، لذلك تصرف بعنف

(١) ينظر في تحركات القرامطة ايام المقتدر تجارب الامم ١ / ١٤٥ ، ١٧٢ - ١٨٠ وغيره
من كتب التاريخ حوادث السنوات ٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، وينظر في المؤلفات
الحديثة بندلي جوزي ١٧٤ وما بعدها ، العصور العباسية المتأخرة للدوري ٢٥ ، القرامطة لعارف
تامر دار الكتاب العربي ومكتبة النهضة بغداد .

(٢) تجارب الامم ١ / ١٨٢ ، النبراس ١٠٧ .

(٣) المنتظم ٦ / ٢٢١ ، وما بعدها وكتب التاريخ حوادث سنة ٣١٧ .

(٤) مروج الذهب ٤ / ٣٠٦ ، تجارب الامم ١ / ٢٣٧ ، المنتظم ٦ / ٢٤٣ ، شذرات

الذهب ٢ / ٢٨٤ وتنظر كتب التاريخ الاخرى حوادث سنة ٣٢٠ هـ .

(٥) ينظر في خلافة القاهر ، مروج الذهب ٤ / ٣١٣ ، التنبيه والاشراف ٣٣٦ ، تجارب

الامم ١ / ٢٤١ ، المنتظم ٦ / ٢٤١ ، النبراس ١١٣ ، دول الاسلام ١ / ١٤٢ .

وتطرف وغباء فقتل مؤنسا و بليقا (١) وابنه وشدد في مطاردة علي بن مقله ،
فهابه الناس و خشوا صولته (٢) و اثر عنفه وقتله لقواده في نفوس حاشيته
فخافوا على أنفسهم ثم دبروا بتأثير من علي بن مقله ومؤيديه مؤامرة (٣)
خلعوه فيها و سملوا عينيه ، وكان القاهر اول خليفة يسمل في الاسلام (٤) .

بعد خلع القاهر جيء بمحمد بن جعفر المقتدر ، و بويع بالخلافة ولقب
بالراضي ، ولم يكن الراضي احسن من ابيه سياسة وادارة ، فقد كان ضعيفا
امام شهواته و امام سطوة رجال دولته ، و تحكّمهم ، لذلك كان زمنه مضطربا
تعاضم فيه أمر الطامعين و استفحل طغيان الجنود المرتزقة الذين كانوا ينتقلون
من قائد الى آخر حسب قوة القائد و مقدار عطائه .

وفي وزارة علي بن مقله للراضي كثر الاضطراب ، فتعاضم امر عبد الله
البريدي في البصرة و الاهواز (٥) ، و اشتدت شوكة الحنابلة ، « فصاروا
يكبسون دور القواد و العامة (٦) و يفعلون افاعيل فيها الكثير من التطرف
« و الفوضى » حتى أرهجوا بغداد و آذوا غيرهم من أصحاب المذاهب
الآخري (٧) .

وشغب الجنند علي ابن مقله فاضطر الى الهرب (٨) ثم قبض عليه وولي

(١) في الكامل بليق ٨ / ٢٦٠ وفي تجارب الامم ١ / ٢٦١ ، و المنتظم ٦ / ٢٤٩ بليق .

(٢) مروج الذهب ٤ / ٣١٣ ، الكامل ٨ / ٢٦١ ، مختصر التاريخ ٦ / ١ .

(٣) الكامل ٨ / ٢٧٩ .

(٤) تاريخ التمدن الاسلامي ١ / ١٢٨ ، آدم متر ٢ / ١٢٩ .

(٥) ينظر في خلافة الراضي و اخباره ، اخبار الراضي للصولي و مروج الذهب ٤ / ٣٣٢ ،

مختصر التاريخ ١٧٩ ، و كتب التاريخ حوادث سنة ٣٢٢ هـ .

(٦) الكامل ٨ / ٣٠٦ .

(٧) نفسه ٣٠٨ .

(٨) الكامل ٨ / ٣٠٨ .

الوزارة عبد الرحمن بن عيسى (١) فعجز عن تدبير الامور بعد ان « قطع ابن رائق حمل واسط والبصرة وقطع البريدي حمل الاهواز وكان ابن بويه قد تغلب على فارس (٢) » .

بعد عجز عبد الرحمن بن عيسى عن تدبير الوزارة وليها ابو جعفر محمد بن القاسم الكرخي لكن وزارة أبي جعفر لم تدم أكثر من ثلاثة أشهر ونصف فقد التاقت عليه الاوضاع فاستوزر محله ابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ، « فكان في الوزارة كابي جعفر في وقوف الحال وقلة المال (٣) » .

استعان الراضي على هذا التدهور السياسي باحد قادة الجنود المرتزقة ، هو محمد ابن رائق (٤) الذي جاء عام ٣٢٤ الى بغداد وامسك الامور بيد قوية فلقبه الراضي بأمر الأمرء ، وقد ابطلت في عهده (العسكري) الدواوين والوزارة وصار هو وكاتبه (ينظران في الامور جميعها) .

لم يطل أمر ابن رائق كثيرا فقد تغلب عليه عام ٣٢٦ احد اتباعه من القواد وهو بجكم التركي (٥) فلم يكن للراضي بد من تقليد امرء الامراء لبجكم ، فتسلط هذا القائد التركي وتجر وسلب الاموال وتصرف تصرفا مطلقا في شؤون الناس والدولة دون ان يكون للراضي ادنى رأي او مشورة .

واذ مات الراضي عام ٣٢٩ هـ تقلد أمور الخلافة ، رجل ضعيف هزيل

(١) نفسه ٣١٢ / ٨ .

(٢) تجارب الأمم ١ / ٥١٣ ، والكامل ٨ / ٣١٤ .

(٣) ينظر الفخري ٢٨١ وكتب التاريخ ضمن سنوات خلافة الراضي .

(٤) تجارب الامم ١ / ٥٣٣ ، الكامل ٨ / ٣٢٢ .

(٥) تنظر اخبار ابن رائق وبجكم في تجارب الامم ١ / ٣٥١ وما بعدها .

الرأي ذلك هو ابراهيم بن المتندر الذي لقب بالمتقي (١) ولم يكن له اي سلطان ازاء جبروت بحكم وكاتبه احمد بن علي الكوفي .

في عهد المتقي قتل بحكم ونهب رجال الخليفة داره (٢) واستولى البريدي على بغداد (٣) وقلد امرة الامراء ايضا ، لكن الناس اخرجته بالقوة لسوء سيرته كتقلدها كورتكين الديلمي حيث انزل جنده دور الناس فاجتمعت العامة (وتظلموا من الديلم ونزولهم في دورهم ، فلم ينكر ذلك فمنعت العامة الخطيب من الصلاة واقتلوا هم والديلم ، فقتل من الفريقين جماعة) (٤) . وفي هذه الاثناء عاد ابن رائق من الشام وطرد كورتكين ثم جاء البريدي عام ٣٣٠ هـ فاستولى على بغداد ونهبها فهرب المتقي مع ابن رائق الى موصل الحمدانيين وهناك قتل ابن رائق على يد أبناء حمدان (٥) .

عاد المتقي الى بغداد بصحبة ناصر الدولة الحمداني الذي طرد البريدي وقام ببعض الاصلاحات المالية والادارية ، ولكن حين رجع الحمداني الى الموصل ثار الديلم ونهبوا داره وانتصر توزون على سيف الدولة برغم مساعدات المتقي لسيف الدولة هذا (٦) .

وحين استولى توزون والاتراك على بغداد وانتهت سلطة الحمدانيين خلع المتقي مضطرا على توزون ومنحه لقب امير الامراء (٧) ، لكن المتقي عاد

-
- (١) ينظر في خلافة المتقي مروج الذهب ٢ / ٣٤٧ ، تجارب الامم ٢ / ٢ ، الفخري ٢٨٤ النبراس ١١٩ تاريخ ابي الفدا ٣ / ١١٠ ، شذرات الذهب ٢ / ٢١٨ .
(٢) تجارب الامم ٢ / ٩ ، الكامل ٨ / ٣٧١ .
(٣) الكامل ٨ / ٣٧٢ .
(٤) نفسه ٨ / ٣٧٤ .
(٥) الكامل ٨ / ٣٧٥ وما بعدها ، شذرات الذهب ٢ / ٣٢٥ .
(٦) مروج الذهب ٤ / ٣٤٢ ، الكامل ٨ / ٣٨٣ وما بعدها .
(٧) الكامل ٨ / ٤١٨ .

فهرب بنفسه وأهله إلى الموصل (١) وأقام مدة عاد بعدها إلى بغداد ولم تفد معه نصائح ناصر الدولة ، فغدر به توزون وسمله وعزله (٢) وولى الخلافة بعده عبد الله بن المكتفي الذي لقب بالمستكفي (٣) ولم يكن لهذا الخليفة الجديد أمر ولا نهي فالامر بيد توزون الى ان مات هذا القائد التركي عام ٣٣٤ هـ (٤) فتسلم الامور ابن شيرزاد حتى دخول معز الدولة البويهى بغداد في السنة نفسها حيث منح لقب امير الأمراء وبدأ بدخوله عهد جديد هو العهد البويهى .

العصر البويهى :

يبدأ هذا العصر بدخول معز الدولة البويهى بغداد سنة ٣٣٤ ونقف فيه عند وفاة بهاء الدولة بن عضد الدولة سنة ٤٠٣ هـ ، ويتميز بأنه ذو وجه سياسي واحد ، فالبويهيون هم أصحاب الامور ، وما التبدلات السياسية في هذا العصر إلا تغيير لوجوه بويهية بأخرى من الاسرة نفسها ، ولا يعني هذا وجود تشابه كلي في سياسة الافراد البويهيين الذين حكموا العراق ، فالفروق بين هذا الملك البويهى وذلك واضحة . والعراق ومجتمعه يتحملان ويلات هذا التمايز في الحكم ، فلقد مرّ خلال عهد البويهيين أيام عصيبة كثرت فيها النعرات الطائفية والفتن الطاحنة ، واتبع البويهيون سياسة خرقاء في إدارة البلاد وجباية الضرائب .

فمعز الدولة البويهى - وهو الذي يدعى الشيعة - لم يعزل الخليفة

(١) تجارب الامم ٢ / ٤٧ وما بعدها ، الكامل ٨ / ٤٠٦ .

(٢) تجارب الامم ٢ / ٦٩ ، الكامل ٨ / ٤١٨ .

(٣) ينظر في خلافة المستكفي : تجارب الامم ٢ / ١٠٩ ، الكامل ٨ / ٤٢٠ ، تاريخ ابي

القدادى ٣ / ١١٨ ، الفخري ٢٨٧ .

(٤) الكامل ٨ / ٤٤٨ .

السني فقد ابقاه ليدلّ عليه ويذلّه ، ويتصرف دونه في الامور (١) وقد اهان المستكفي وأذله وخلعه وسمله وولى محله الفضل بن المقتدر الذي لقب بالمطيع (٢) ، فكانت معاملته له أسوأ معاملة ، فغدا المطيع خانعا « لا أمر له ولا نهي ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر (٣) فقد « تسلم معز الدولة العراق بأسره ، ولم يبق بيد الخليفة شيء البتة الا ما اقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجاته (٤) » .

ولم تنحصر اساعات معز الدولة في الخليفة وحده ، فقد استهان بأرواح الناس وأموالهم فنهب ضياع السلطان واملاك الناس وأقطعها لقواد جنده (٥) وأصحابه وبدأت بذلك مرحلة حادة من مراحل الاقطاع يمكن ان نسميه الاقطاع العسكري .

وحين أحس بتذمر الناس ألهاهم بالركض والمصارعة والسباحة (٦) فشغلهم اياما كثيرة بهذه الالعاب وجعل يقدم من يبرز في ميادينها ويحيزه ، واستطاع بذلك ان يصرف سخطهم عليه وعلى جنده الذين أنزلهم دور الناس وجعل ذلك رسماً .

(١) ينظر في محاولة معز الدولة عزل الخليفة العباسي وتولية علوي محله : الكامل ٤٥٢ / ٨ . وكما يقول فيصل السامر لم يكن تشابه المذهب أو اختلافه هو الذي يتحكم في علاقات هذه الفترة انما كانت المصالح السياسية هي التي تلعب الدور الاساسي بدليل العلاقات العدائية بين الحمدانيين والفاطميين وبين البويهيين والحمدانيين الخ .

(٢) ينظر في خلافة المطيع : مروج الذهب ٣٧٢ / ٤ ، تجارب الامم ٧٨ / ٢ ، الكامل ٨ / ٤٥١ ، الفخري ص ٢٨٩ تاريخ ابي الفدا ١١٨ / ٣ .

(٣) مروج الذهب ٣٧٢ / ٤

(٤) الكامل ٤٥٢ / ٨ .

(٥) الكامل ٤٥٦ / ٨ . وينظر حضارة الاسلام ص ٢٧٤ والدولة الحمدانية ص ٣٤ .

(٦) المنتظم ٣٤١ / ٦ ، الكامل ٥٧٥ / ٨ .

وحين مات معز الدولة (١) وخلفه ابنه عز الدولة بختيار تدنت الامور اذ ترك الامير الجليل شؤن الدولة وانغمس في الصيد والاكل والشرب واللهو وتحريش الكلاب والديكة والمساخر والمغنين ، وبث الفتن بين الديلم والاتراك وبين الشيعة والسنة فاضطربت عليه الامور (٢) وتجراً عليه جنوده من الديلمية والاتراك حتى استعان بعمه ركن الدولة (الذي كان في فارس) فأعانه بابنه عضد الدولة الذي طمع بملكه فحاول عزله لكن اباه منعه فامتنع ، وحين مات ابوه عاد الى بغداد عام ٣٦٧ هـ واحتلها وقتل بختيار (٣) وامسك بالامور امسك عسكري حاذق ، فاستقرت السياسة وانتعش العمران والاقتصاد وامتد حكمه من بحر الخزر الى كرمان وعمان وبث في هذه البلدان الجواسيس (٤) ولقب نفسه « بشاهنشاه » أي ملك الملوك وهو أول من فعل ذلك في الاسلام (٥) ولم يدم ذلك طويلاً فقد مات عضد الدولة عام ٣٧٣ فعدت الخلافات تأخذ بخناق ابناء بويه ، فقد تولى الامور بعد عضد الدولة ابنه صمصام الدولة (٦) .

وكان بينه وبين اخيه شرف الدولة حرب انتصر فيها الثاني وسمّل الاول (٧) سنة ٣٧٦ هـ ، وفي عهد شرف الدولة كثرت الفتن بين الديلم

(١) تجارب الامم ٢ / ٢٣٤ وما بعدها ، الكامل ٨ / ٥٧٦ .

(٢) تجارب الامم ٢ / ٣٤ وما بعدها ، الكامل ٨ / ٥٧٦ .

(٣) الكامل ٨ / ٦٨٩ وما بعدها .

(٤) المنتظم ٧ / ١١٤ .

(٥) نفسه ٧ / ١١٣ .

(٦) الكامل ٩ / ٢٢ . وترجمة صمصام الدولة في المنتظم ٧ / ٢٠٤ .

(٧) الكامل ٩ / ٢٣ ، ٤٨ ، ٦١ ، تاريخ ابي الفدا ٤ / ١٥ شذرات الذهب ٣ / ٥٨٦ .

والترك (١) لكن فضله كان في منع السعيات والوشايات التي كانت تأخذ برقاب الناس .

توفي شرف الدولة سنة ٣٧٩ هـ فجاء بعده أخوه بهاء الدولة الذي كثرت على عهده الفتن العنصرية والطائفية (٢) واشتدت خلافاته مع أهله واقربائه ، وفي سنة ٣٨١ هـ احتاج بهاء الدولة الى المال فبادر الى خلع الطائع الذي كان قد ولي الخلافة بعد تنازل أبيه (المطيع) ، وكانت طريقة الخلع مهينة وغير انسانية (٣) .

جيء بالقادر بالله احمد بن اسحق بن المعتدر ففوض اموره لبهاء الدولة وانزوى في دار الخلافة يعبد ربه .

وفي هذه السنوات حتى نهاية القرن استبد الجند بشكل لم يسبق له مثيل وقوي أمر العيارين ، وكثر انتهاب الناس بعضهم لبعض وتفاقت الفتن المختلفة (٤) . ففي عام ٣٩٢ هـ نهب العوام بيعة للنصارى (٥) وفي شهر رمضان من السنة نفسها «عظمت الفتنة في بغداد وكثرت العملات وانتشر الدعمار (٦)» وفي سنة ٣٩٨ هـ وقعت الفتن بين أهل الكرخ والفقهاء استحالت الى قتال بين السنة والشيعه (٧) ، وهكذا توالى سنون هذا القرن حالكة مفزعة ، أصابت الناس في أرواحها وأرزاقها ولم تترك واحداً دون ان تنال منه .

(١) الكامل ٤٩ / ٩ .

(٢) الكامل ٦٣ / ٩ ، تاريخ ابي الفدا ١٦ / ٤ .

(٣) المنتظم ١٥٦ / ٧ ، الكامل ٧٩ / ٩ ، شذرات الذهب ٩٧ / ٣ .

(٤) الكامل ١٨٦ / ٩ .

(٥) المنتظم ٢١٩ / ٧ .

(٦) المنتظم ٢١٩ / ٧ ، الكامل ١٧١ / ٩ .

(٧) المنتظم ٢٣٧ / ٧ ، الكامل ٢٠٨ / ٩ ، شذرات الذهب ١٤٩ / ٣ .

٢ - الحالة الاقتصادية :

لم تكن الحياة الاقتصادية في هذا القرن الا امتدادا وتطوراً طبيعياً للسياسة الاقتصادية ذات الطابع الاقطاعي الطبقي الذي نشأت عليه الدولة العباسية ، وكان لا بد لهذا التطور الاستغلالي من ان يبلغ مرحلة تؤثر تأثيراً فعالاً وسيئاً في سير الحياتين السياسية والاجتماعية .

لقد تميز القرن الرابع بشراسة الطبقة المستغلة حيث أخذت تتبع مختلف الاساليب وتتوسل بطرق شتى لابتزاز أموال الطبقة المعدمة المستغلة التي زاد عددها ، وبدأت تدافع عن نفسها ووجودها بطرق كثيرة ، ومبتكرة منها ما هو مقبول ومنها ما هو شاذ وغريب .

كانت موارد الدولة وموارد رجالها تفد من عدة وجوه ، منها ما هو مشروع كالزكاة والخراج والحزبية والموارث وغيرها من الموارد الاسلامية المعروفة ، ومنها ما هو مستحدث بعيد عن الشرع الاسلامي كالضرائب المفروضة على الدور والامتعة والملابس والملح والخمرة ، والضرائب التي تعنّ في ذهن الوالي أو الحاكم او الزيادات على الضرائب الاسلامية التي يستحدثها الجباة حسب أهوائهم .

وتؤلف المصادر مورداً آخر للابتزاز ، فان ضاق الامر بالخليفة صادر الوزير ، وان ضاقت يد الوزير صادر تاجراً أو اقطاعياً أو وزيراً سابقاً ولو كان من أصدقائه .

وفي العهد البويهي كان الملك البويهي اذا أعسر صادر الخليفة أو الوزير ولم يبرح في ذلك ذمة ولا عهداً كما حدث مع الوزير المهلبي (١) والخليفة الطائع (٢) مثلاً .

(١) صدره بعد موته معز الدولة البويهي ، ينظر الكامل ٥٤٧ / ٨ .

(٢) صدره بهاء الدولة البويهي ، المنتظم ١٥٦ / ٧ .

من هذا المنطلق الاقتصادي الاستغلالي كانت تمنع سياسة الدولة المرتبكة ، التي يسودها سوء الظن وتمتلىء بأساليب الوقيعة والدس وتحيين الفرص ، فقد كان كل واحد من المتنفذين والأثرياء يستطيع أن يبلغ مطمحه السياسي اذا بذل المال الذي يفني بحاجات الخليفة أو الامير أو حاشيتهما .

سمع ابن الجصاص أن الوزير ابن الفرات يريد مصادرته ، فهدد بأنه سيبدل للمقتدر الملايين من الدنانير لازاحته ونكبته ان هو تعرض لامواله أو لتجارته وحياته ، فما كان من ابن الفرات إلا أن تراجع معترفاً أن المقتدر ضعيف أمام المال لا يفرق بين كفاية ابن الفرات وبين أحسن كتابه « مع المال الحاضر (١) » .

وهناك أمثلة كثيرة تدل على أهمية المال وفاعليته في السياسة منها وصول الخاقاني وحامد بن العباس وابن الفرات نفسه الى الوزارة ، والرشاوى المقدمة لمعز الدولة ومنح معز الدولة الاقطاع للجند وقادته ، وتولي القضاء عن طريق الضمان ، وغير ذلك من الامور التي تبرهن على ان الوصول الى المنصب كان يقوم أساسا بتأثير المال وبريقه .

هذا ما كان من تأثير المال في الطبقة الحاكمة (المستغلة) ، أما تأثيره في الطبقة المحكومة المستغلة ، فكان شيئاً يعجز الانسان عن تصوره ، وسنستعرض بعض الاحداث السياسية التي كان لويلات الاستغلال والمجاعات يد طولى في دفع الناس الى عملها معبرين بذلك عن سخطهم وتذمرهم على قاتليهم « مدفوعين بغريزة حب البقاء (٢) التي تختزن عند كل كائن حي » .

وإذا كنا نعرف ان الحياة السياسية مرتبطة كلياً بالحياة الاقتصادية ، فان

(١) ينظر الخبر كاملاً في الوزراء ص ١٢٥ ، الحمقى والمغفلين ٨٨ .

(٢) الادب في ظل بني بويه ٥١ .

اندفاع الناس الى الثورة وانضمامهم الى الحركات العنيفة التي قامت ضد الدولة العباسية ، كان حافزه الاول هو الاقتصاد المتدهور والحالة البائسة للطبقة العامة التي لم « تقبل ظروفها التعسة بهدوء ، بل حاولت ان تثبت كيانها وتحسن أحوالها بكل وسيلة سلمية أو ثورية (١) » .

فلقد حاول بعض أفرادها ان يغير وضعه الاقتصادي بعنف وثورية فانضم الى حركة الترامطة أو ثورة الزنج ، بينما حاول ذلك آخرون بطرق سلمية تعاونية فكونوا « الجمعيات والنقابات (٢) » .

وحين يتحدث الدكتور طه حسين عن ثورات بابك والزنج والقرامطة يؤكد الحالة الاقتصادية يقول « ولعل أخص ما تمتاز به هذه الثورات الثلاث انها كانت تقصد الى تغيير الحياة الاقتصادية بحيث يُغير توزيع الثروة بين الناس ويُحقق شيء من العدل والمساواة بين الأفراد والجماعات (٣) » .

وكانت تقوم الى جانب هذه الثورات المنظمة حركات شعبية متمردة ضد المظالم الاقتصادية ، (ففي سنة ٣٠٦ حين شغب الجند على ابن الفرات الوزير لأنه أحرر أرزاقهم (٤) سقطت وزارته وتولاها حامد بن العباس فضمن خراج العراق وأصفهان وخوزستان واحتكر حبوبها ومنع حملها الى بغداد بالاتفاق مع المقتدر فثارت عليه العامة ومنعت صلاة الجمعة وكان من نتيجة

(١) تاريخ العراق الاقتصادي للدوري ٨٠ وهذه شهادة على عدم شعبية هذه الحركات .

(٢) نفسه .

(٣) مع المتنبي ٣٠ ويضيف الدكتور طه حسين « وانها كانت تقصد كذلك تقوية الشخصية الفردية وتحريرها من القيود والاضلال التي فرضها عليها النظام الديني والسياسي والاجتماعي » وهذه شهادة أخرى تبرئ هذه الثورات من الاتهامات السلطوية وتؤكد انها ناتج خطل السياسة الاقتصادية للدولة العباسية .

(٤) الكامل ٨ / ١١٣ .

ذلك سقوطه وانتهاء وزارته ايضا (١) .

وفي سنة ٣١٥ ثار العيارون ونهبوا الاموال (٢) ، وفي سنة ٣٢٣ ضج الناس من غلاء الاسعار وصار الخبز أربعة ارطال بدرهم ، وشكا بنو هاشم الضر وسودوا وجوههم ومنعوا الامام من الصلاة يوم الجمعة وتكرر مثل هذا العمل منهم في السنة نفسها (٣) .

وفي سنة ٣٢٤ « شغب العامة لغلاء السعر في مسجد الرصافة ، ودخل الجند في طلبهم فصعدوا الى السطوح ورموا الفرسان بالحجارة حتى هربوا » ، وحين استمرت الحرب بين الجند والعامة أمر الوزير باجراء « اصلاحات جزئية » طلبا للرفق بهم (٤) .

وفي سنة ٣٢٩ « كثر الضجيج من تعنت أصحاب لؤلؤ للناس ووضع الحبايات عليهم واغرامهم فعزل عن الشرطة ، ووليها غيره (٥) .
وفي العام نفسه اشتد الغلاء وأكل الناس الحشيش وكثر الموت فمنعت العامة الامام من الصلاة وتظلمت من الديلم ونزولهم في دورهم وتعليهم عليهم في معاملاتهم ، وكسرت المنبرين وشعثت المسجد ومنعتهم الديلم من ذلك فقتل من الديلم جماعة (٦) .

وفي خلافة المتقي اشتد الغلاء حتى بلغ كثر الخنطة مائتين وعشرة دنانير ، فخرج الحرير من قصر الرصافة ينادين الجوع .. الجوع (٧) ، وقام رجل « في

(١) نفسه ١١٣ / ٨ .

(٢) نفسه ١٢٦ / ٨ .

(٣) اخبار الرازي ٦١ ، ٦٦ ، ٧٠ .

(٤) نفسه ٧١ .

(٥) اخبار الرازي ٧١ ، ولؤلؤ هو صاحب الشرطة .

(٦) المنتظم ٣١٨ / ٦ .

(٧) الأناقة ٢٩٢ / ١ .

الجامع والامام يخطب فلما دعا للمتقي قال له العامي : كذبت ما هو بالمتقي فأخذ وحمل الى دار السلطان (١) .

ووقعت أيام البويهيين - على الرغم من قسوة الحكام - « تمردات حادة بين العامة كان دافعها الاول سوء الحالة الاقتصادية ، ففي سنة ٣٥٨ اشتد الغلاء بالعراق واضطرب الناس (٢) » وفي سنة ٣٦٣ قلّت الاموال عند بختيار واضطرب أمر جنده - الاتراك والديلم - « فكثرت ادلائهم عليه واطراحهم بجانبه وشغبهم عليه » واضطر لذلك الى ايقاع فتنة بين الاتراك والديلم في الاهواز اشتدت وعمت بغداد والعراق كله (٣) .

وحدثت مثل هذه « الاضطرابات والفتن » في عهد صمصام الدولة وشرف الدولة وبهاء الدولة اولاد عضد الدولة البويهي بعد ان ارهقوا الناس بالضرائب الغريبة والرسومات الكثيرة والمجاعات المستفحلة (٤) .

يتضح لنا - من خلال هذه الامامة التاريخية - ان فساد الحياة السياسية ليس سببه فساد الطريقة المتبعة في انتخاب الخليفة (٥) ، انما سببه - وهذا ما أثبتته واقع الامور - فساد النظام الاقتصادي وسوء توزيعه ، وما تبع ذلك من نشوء طبقات جديدة مستغلة لا تعرف مذهبها أو قوما الا مذهب الاستغلال وقومية الثراء ، ولذلك نستطيع استعادة ما قاله الدكتور طه حسين من ان

(١) المنتظم ٦ / ٣٢٦ . ونلاحظ كيف كانت تستغل الجوامع وخطبائها من اجل الدعاية للخليفة وبطانته ولكن النتيجة تأتي في الغالب عكس ما يريدون اذ سرعان ما تتخذ المساجد اماكن للتحريض على التمرد والثورة .

(٢) الكامل ٨ / ٦٠١ .

(٣) نفسه ٨ / ٦٣٤ .

(٤) ينظر الكامل ٩ / ٢٢ وما بعدها .

(٥) كما يرى ذلك د. عبد الرزاق محي الدين في كتابه ادب المرتضى ص ١٢ ط ١ مطبعة

المعارف ، بغداد ١٩٥٧ .

« فساد السياسة الاسلامية قد استتبع من غير شك فساد الاقتصاد الاسلامي (١) »

٣- المجتمع :

كان من نتائج سوء توزيع الضرائب والاستغلال الذي رافق عمليات جبايتها ، ونتيجة للنظام الاقتصادي المرتبك الذي سارت عليه الدولة العباسية نشوء طبقتين اجتماعيتين متميزتين ، هما الطبقة الحاكمة المترفة المستغلة ، والطبقة المحكومة المستغلة ، « ولا يعدل ترف الاولى من حيث التطرف والتناهي غير بؤس الطبقات الدنيا وفقرها المدقع (٢) » والطبقة المترفة تعيش ظنمية تبتز ترفها وغناها من عرق أبناء الطبقة المعدمة « المسحوقة » .

وليس بين هاتين الطبقتين طبقة ثالثة لها خصائصها المستقلة المتميزة فالطبقة الوسطى التي اعتاد أغلب الباحثين درجتها ضمن التقسيمات الطبقيّة للمجتمع العراقي خلال القرن الرابع تكاد تكون معدومة لانها مضطرة الى الارتباط باحدى هاتين الطبقتين ، فاما ان تتعامل مع الطبقة الحاكمة المتسلطة وتبيع نفسها لها وبذلك تُصبح جزءا منها أو تتعرض للسلب والإفقار لانها لا تملك ما تحمي به وجودها وبهذا تكون ملتحمة مع الطبقة المستغلة .

وقد رأينا ان نسمي هاتين الطبقتين بما تعارف عليه المؤرخون القداماء والمحدثون ، فنطلق على الطبقة الاولى « طبقة الخاصة » وعلى الثانية « طبقة العامة » .

واذا كان هذا التقسيم هو الذي يمكنه ان يلف معظم فئات المجتمع آنذاك (٣) فان هناك انحرافات اجتماعية تتولد بسبب قساوة الحياة الاقتصادية ،

(١) مع المتنبي ٢٦ .

(٢) بروكلمان ٨٢ / ٢ .

(٣) ينظر الادب في ظل بني بويه (الحالة الاجتماعية ٣٦ - ٥٥) .

فتبرز لذلك فئات شاذة غريبة لا ترتبط عضويًا بأي من الطبقتين الرئيسيتين وان ارتبطت لفظياً بطبقة العامة .

هذه الفئات هي الافراز الطبيعي للصراع الطبقي آنذاك ، فهي فئات ضعيفة منهاره اتخذت اساليب الذلة والعزلة والدجل طريقاً للعيش .

تشمل هذه الفئات المكدين وبعض رجال الصوفية و دراويشها وكل المشعوذين الذين اتخذوا من السحر وما شابه من ضروب الشعوذة اسلوباً للوصول الى حياة مادية أفضل .. وهذه الفئات هي « طبقات غير اساسية في المجتمعات » لانها لا ترتبط مباشرة بأسلوب الانتاج السائد .

تضم « طبقة الخاصة » اشخاصاً من المستغلين تبدأ بالخليفة أو الملك البويهي وتنتهي بأبسط جندي تركي او ديلمى .

وكان الخليفة قبل البويهيين قمة هذه الطبقة يليه الوزير أو أمير الامراء ثم بقية رجال الدولة وقادة الجند .

وإذا كان الخليفة يمثل السلطة « الثيوقراطية » الاقطاعية ، فان بقية رجال الدولة يمثلون السلطة العسكرية والارستقراطية .

وتضم هذه الطبقة ايضاً كلَّ المنتفعين والمرتبطين بالسلطة ممن يحتمل ان يكونوا أصحاب سلطة او ثراء مثل التجار (١) والاقطاعيين والشعراء والادباء والعلماء ورجال الدين والخدم والعبيد الذين استهوتهم السلطة وحاولوا ان يصلوا الى مكان متقدم يعرضون به عن ذلهم واسترقاقهم .

(١) أما بعد قيام البويهيين فقد أصبح الملك البويهي هو القمة بعد ان ذهب هيبة الخليفة وانتهت تأثيراته الروحية ، وصار واحداً من افراد حاشية الملك البويهي لا قيمة سياسية له ، وقد نرى الخليفة في تلك المرحلة يصبح تقديمياً اذا ما قيس بالحكام الفعليين .

ويمكن ان نلاحظ على هذه الطبقة سمة ندرة التجار (١) ، فان وجد فيها
تجار فهم من كبار الصرافين ورجال الذهب والجواهر ، وهؤلاء معرضون
للمصادرة والتشرد والفقير ان سلموا من القتل أو التعذيب ، ويظل ما حصل
لابن الجصاص الجوهري من المصادرة (٢) رمزا لرفض طبقة الخاصة للتجار ،
فمادة هذه الطبقة هم الاقطاعيون على الغالب ، فالخليفة والملك البويهي والوزير
وقادة الجند وحاشية الخليفة اقطاعيون من الدرجة الاولى ، وهم ينظرون الى
التاجر بالمنظار الاقطاعي الايراني الذي يرى في التاجر عنصراً غير ذي قيمة .

وبالرغم من ان الاقطاع يخلق المعوقات الكثيرة امام نمو التجارة
وازدهارها (٣) فقد ظلت العامة لا تغض من شأن التجارة والصناعة بل هي
تشجع التجارة « لان وقف التجارة فيه هلاك الامة (٤) » .

لقد كانت النظرة العليا الى التجار سيئة ، وكان التاجر في مفهوم طبقة
الخاصة « عامياً (٥) » يستحق ان يعدّ ساذجا مغفلا (٦) . على ان هذه النظرة

(١) هناك تجار بلغت أمواهم الملايين مثل ابن الجصاص وغيره ، حتى لقد بلغ الأمر بابن
الجصاص وابراهيم بن احمد المدائني حين حدثت بينهما ملاحه ومعاندة أن تراهننا بمئة الف دينار .
تنظر القصة في المنتظم ١٢٢ / ٦ ، وينظر في ممتلكات ابن الجصاص من الجواهر التي لا تقدر
بشئ . مروج الذهب ٤ / ٢٣٤ .

(٢) تنظر قصة مصادرة الحسين بن عبد الله الجصاص في الفرج بعد الشدة ١ / ١١٩ .

(٣) « سيفال » لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ ٢٩ - ٣٣ ، وللتأكد من استفحال
القطاع وسيطرته ينظر ما كتبه الماوردي هذا الشأن في الاحكام السلطانية ١٩٠ وما بعدها .

(٤) ينظر في نظرة الخاصة والأدباء والعامة الى التجار (حضارة الاسلام) لجردينام ص ٢٧٤
(٥) قال بحكم التركي عن ابن مقاتل وهو احد افراد حاشية ابن رائق « وعلمت أنه تاجر
عامي صغير النفس وان الدراهم ليعظم في نفوس امثاله » .

(٦) اخبار الحمقى والمغفلين ما خصص عن حمق ابن الجصاص ٨٣ - ٩٤ ، وسبب هذه
النظرة المتحاملة لم يهتم أحد بأدب التجار وعد أديبا عاميا ، ويمكننا بعد ذلك ان نعد التجار بالقياس
الى رجعية الاقطاعيين وثيورقراطية الخليفة المغرقة في الجمود فئة تقدمية حاولت خلق اطار متغير =

لا يمكن أن تنفي ارتباط أغلب التجار مصيرياً بطبقة « الخاصة المستغلة (١) » .
 أما طبقة « العامة » فتتكون من صغار التجار « وارباب الصنائع والمهين (٢) »
 والزراع والفلاحين والكادحين في المدن (٣) الذين كانوا خليطاً من مختلف
 الشعوب والالوان والعقائد جاعوا للعمل والبحث عن الرزق (٤) .
 وينتمي الى هذه الطبقة أيضاً كل من لم يرتبط بالسلطة ولم يحم منها ، كما

= لبنية المجتمع آنذاك فجوهت بقسوة وعنف بالرغم من انها كانت اذكى من الفئات الاخرى وأوسع
 فكراً بسبب اطلاع افرادها وكثرة اسفارهم .
 وينظر التمثيل والمحاضرة وكيف وضع الثعالبي التجار مع السوق ص ١٩٦ وما بعدها :
 والملاحظ ان نظرة الأدباء والكتاب الى التجار نابعة من نظرة سادتهم الحكام (ينظر حضارة
 الإسلام ٢٧٤) .

(١) هناك تقسيمات للمجتمع كثيرة قديمة وحديثة ، منها تقسيم الوليد الاموي فقد كتب الى
 صاحب الساحل : اجعل الحائك والاسكاني في مرتبة ، والحجام والبيطار في مرتبة والمعلم
 والحصي في مرتبة ، والنخاس والشيطان في مرتبة (المحاضرات ٢ / ٥٥٩ ، ومنها تقسيم الفضل
 بن يحيى احد رجال الحاشية العباسية فقد قال : « الناس أربع طبقات ، ملوك قدمهم الاستحقاق
 ووزراء فضلتهم الفطنة والرأي وعلية انهمهم اليسار وأوساط الحقهم بهم التأدب والناس بعدهم
 زبد جفاه ، وسيل غشاء ، لكع ولكاع وربطة اتضاع هم احدهم طعامه ونومه . (مختصر كتاب
 البلدان ، آدم متر ١ / ٢٦٢) اما المأمون فقال : السوقيون سفلى ، والصناع أنذال ، والتجار
 بخلاء ، والكتاب ملوك على الناس . المحاضرات ٢ / ٥٥٩ .

وللاستاذ أحمد امين تقسيمات فيها الكثير من الصواب كما فيها الكثير من الارباك والسطحية ،
 ظهر الاسلام ١ / ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٢ / ٢ .
 واجود التقسيمات هو تقسيم الدكتور غناوي الزهيري الذي اهتمنا به ، ويقاربه تقسيم عبد
 النافع طليعات في كتابه (اهل الكدية ابطال المقامات في الادب العربي ص ٤٥) والدكتور فيصل
 السامر تقسيم علمي جيد لطبقات المجتمع اطلعت عليه بعد فترة من اكمال هذا البحث ومناقشته .
 ينظر الحمداية ص ٣٠ .

(٢) نشوء الاصناف والحرف في العراق ، الدوري . مجلة كلية الآداب ع ١ ص ١٩٥٩ .
 ص ١٥٦ .

(٣) ينظر الادب في ظل بني بويه ٤٠٥ .

(٤) نشوء الاصناف .

يرتبط بها كثير من الهاشميين الذين يعترضون بنسبهم لكنهم من حيث المبدأ والواقع الاقتصادي جزء من هذه الطبقة (١) ، فهم مثلها يتعرضون للمجاعة والاستغلال ولم يكن ينفع أغلبهم ربع الدينار الذي وضعته السلطة جارية شهرية وثمنا لهذا النسب « الشريف » (٢) .

هناك فئة من العامة تمرتد على واقعها الذليل وبدأت تتبع اسلوبا حادا في كسب قوتها اليومي هذه الفئة هي فئة العيارين والشطار التي صار اعضاؤها أشبه بالمرتقة ، وقد استُغِل العيارون واستغَلّوا ، ففي سنة ٣١٥ كانت لهم هيمنة وجولة في بغداد (٣) وفي سنة ٣٢٦ تحرك بعض عياري المخرم في امر السعر (٤) ، وفي عام ٣٣٠ استعان ابن رائق بالعيارين على البريدي ، وفتح العيارون السجون (٥) . وعظم أمرهم زمن الخليفة القادر فصارت لهم قيادة تنظم شؤونهم وكان على رأس هذه القيادة العيار المعروف بـ (عزيز) الذي أصبح مع من التحق به يثير الرعب في أشد النفوس (٦) .

وفي سنة ٣٩٢ صارت لهم هبة وسطوة وارهجوا بغداد بأفعالهم كثيراً وصار فيهم هاشميون (٧) .

ولا يمكن لباحث الا هاب في دراسة العيارين لندرة أخبارهم ولأن هذا القليل الذي وصل الينا لا يبين وجهة نظرهم هم ، وانما يبين وجهة نظر المؤرخين الذين رأوا فيهم سراقا وقتلة وفساقا ، ويفهم من روح هذه الاخبار

(١) ظهر الاسلام ١٧ / ٢ .

(٢) آدم متر ٢٦٤ / ١ .

(٣) ينظر الكامل ١٢٦ / ٨ .

(٤) اخبار الراضي ١٠٤ .

(٥) نفسه ٢٢٣ .

(٦) ينظر المنتظم ٦٤ / ٧ .

(٧) العبر ٥١ / ٣ .

أن كلمة « عيار » كانت سبة (١) « على أن هناك من الباحثين من يرى أنهم كانوا يمثلون حركة تقدمية فعالة في طبقات الشعب الدنيا » (٢) « وهم على أي حال مظهر اجتماعي ذو أساس اقتصادي يلبس أحياناً لبوساً دينياً » (٣) « وكان من الطبيعي والبدهي أن تتأثر الفتوة بالحالة الاجتماعية في القرن الرابع فقد تفاقمت العراق وخصوصاً بغداد العصبية المذهبية ... وامتزجت الفتوة بالعبارة والشطارة والفتن المذهبية الدموية » (٤) .

وإذا كانت حركات العيارين أو الشطار (٥) تفتقد للكثير من التنظيم السياسي والاقتصادي فقد كانت حركة القرامطة وثوراتهم ودولتهم تتبع نظاماً اقتصادياً حاذقاً يمتلك أسساً اشتراكية واضحة .

وتلتقي الحركة القرامطية مع حركة العيارين في عملية الرفض العنيف للتناقض الطبقي الذي يسود مجتمع العراق ، لكن رفض القرامطة كان خالياً إلى حد ما من الطابع الفوضوي غير الهادف الذي كانت عليه حركات العيارين ، فلقد انتهج القرامطة منذ اللحظات الأولى لدعوتهم سبلاً سياسية واقتصادية قويمية .

وكان أول أمرهم دعوة دينية ذات بناء اقتصادي متفرعة من الاسماعيلية ، لكنها تطورت فصارت أكثر تنظيماً من الاسماعيلية وأوسع أفقاً فكرياً ،

(١) الشعر العربي ١ / ٥٧ .

(٢) الحركات التقدمية في العراق ٦٢ .

(٣) الشعر العربي ١ / ٥٧ .

(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي . مجلد ٥ ، س ١٩٥٨ ، ص ٥٥ مقال الدكتور المرحوم

مصطفى جواد .

(٥) ينظر ما كتبه الدكتور عبد العزيز الدوري عن العيارين ، مجلة كلية الآداب ١ / ١٥٧ ،

والعصور العباسية المتأخرة ٢٨٢ وما بعدها . وينظر مقال الدكتور حسين أمين ، « العيارون

ونشاطهم الشعبي في بغداد » التراث الشعبي ع ٢ س ١ ، ت ١ ، ١٩٦٧ ص ٤ .

واجتماعياً وقد وصلت قمة فاعليتها حينما أسست دولة ذات كيان معترف به في « هجر البحرين » حتى لقد أحنّت لها خلافة بغداد هامتها أكثر من مرة ودفعت لها الجزية وفعل مثل ذلك الكثير من حكام الاقاليم الاسلامية (١) وكان لدولة القرامطة نائب في بغداد يرعى شؤون اتباعها (٢) ، وقد اثبتت لنا كتب التاريخ أن القرامطة كانوا يتبعون نظام حكم جماعي تتمثل فيه « المركزية الديمقراطية » وهو ما كان يسمى عندهم بالشورى (٣) ، وينهج هذا الحكم الجماعي سياسة اقتصادية ذات بناء اشتراكي ، فالاعمال مؤممة تسيطر عليها الدولة أو الحركة (قبل نشوء الدولة) وقد طبّق القرامطة في سواد العراق « اشتراكية تامة يعطى فيها لكل فرد حسب حاجته بينما يكون مركزه الاجتماعي مناسباً مع خدماته (٤) » .

ولا نريد أن نسهب في الكلام على موضوع درسه الباحثون وحلوله (٥) ، لكننا نؤكد ان القرامطة أثروا في مسيرة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في العراق لانهم كانوا ثورة اجتماعية ، والثورة الاجتماعية تعدّ دائماً « أعلى

-
- (١) ينظر ما فعله معهم علي بن عيسى عام ٣٠٣ ، المنتظم ٦ / ٣١ . وينظر ما كتبوه الى معز الدولة عام ٣٣٦ ، المنتظم ٦ / ٣٥٦ .
- (٢) ينظر المنتظم ٦ / ١٩٥ ويبدو أنهم اصبحوا كثيرين في بغداد ، فقد وقعت بينهم وبين الاتراك عام ٣٣٠ حرب ، المنتظم ٦ / ٣٢٦ .
- (٣) ينظر من تاريخ الحركات الفكرية ، القرامطة .
- (٤) دراسات في العصور العباسية المتأخرة ٢٦ .
- (٥) كتب عن القرامطة كل المؤرخين القدامى كالتطري والمسعودي ومسكويه وابن الخوزي وابن الاثير وغيرهم . تنظر هذه الكتب حوادث السنوات ٢٨٩ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣١٧ . كذلك كتب عن القرامطة مؤرخون محدثون منهم من هو موضوعي علمي ومنهم غير ذلك ومن الذين كتبوا موضوعية لويس برنارد في اصول الاسماعيلية ، وعبد العزيز الدوري في دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، وبندي جوزي في كتابه (من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام) ١٥٩ . ينظر في القرامطة كتاب القرامطة لابن الخوزي ط ٢ بيروت ١٩٦٨ وكتاب القرامطة لعارف تامر ، وكتاب قرامطة العراق لمحمد عليان .

أشكال الصراع الطبقي « فغيرت لذلك ثوراتهم وتحركاتهم في نواحي عديدة من أرض العراق بنية التركيبات الطبقيّة والسياسية ، وقد فعلت فعلها أيضا في نفوس العامة الذين كانوا مادة القرمطية وجعلتهم يرفضون باستمرار وبأشكال حادة مختلفة أوضاعهم الاجتماعيّة والإقتصاديّة المزريّة .

كان من نتيجة وجود هذا المجتمع العراقي المُحمّل بأنواع التناقضات السياسيّة والاقتصاديّة نشوء عادات وأوضاع شاذة قد تعم جميع المجتمع أو تختص بفئة معينة منه .

فالأضطراب السياسي كان عامّا اما مصدره فكان من الطبقة الخاصة ، فالتنازع والتنافس بين افراد السلطة الحاكمة على تسلم الزعامة والقيادة صار يأخذ شكلا دمويا عنيفا ، وأصبحت الدولة متقاسمة بين أيد عديدة غير أمينة ، ولقد شاعت بين الناس أمثال وحكم تدلل على فساد الاوضاع وتدهورها فقالوا : « من كثرة الملاحين غرقت السفينة (١) » .

وفي مثل هذا الجو الخرب انتشرت الرشوة بأشكال وصور مختلفة ، من ذلك أن أولاد الوزير الخاقاني تحكّموا عليه ، فكل يسعى لمن يرتشي منه ، وكان يولي في الايام القليلة عدة من العمال ، حتى انه ولى بالكوفة في مدة عشرين يوما سبعة من العمال (٢) .

وفعل أغلب القضاة في مجال اختصاصهم فعل الوزراء والامراء (٣) ، فضرب الناس الامثال في الرشوة وقالوا : « الرشوة تعمي عين الحكيم (٤) » و« الرشوة رشاء الحاجة » و« البذل بالمؤونات (٤) » .

(١) خاص الخاص ١٧ .

(٢) الكامل ٨ / ٦٤ .

(٣) ينظر التحف والهدايا للخالدين ١١٩ ، الوزراء للصابي ٢٨٢ .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٤٦٨ .

ومثل هذه الامثال شاعت اخرى تدلل على فواح اجتماعية وسياسية كبيرة ، فلكثرة الويلات قالوا : « لا تعلم اليتيم البكاء » ولتفشي الانانية قالوا : « كل يجر النار الى قرصه » ونتيجة لاستمرار الظلم قالوا : « فرّ من القطر وقع تحت الميزاب » و« خرج من البئر الى الحب » و« فم يسبح ويد تذبّح » ، ولأن المداجنة شائعة عامة قالوا : « خير الغناء ما شاكل الزمان » وهكذا (١) .

واذا كانت العامة تتأثر بالحياة السياسية والاجتماعية السائدة رأيناها تصدق الاراجيف ، والاختلافات التي حيكت حول القرامطة ، وفوضويتهم وقسوتهم والحادهم وكانت تصدق الخرافات والاساطير ، ففي سنة ٣٠٤ ضاقت العامة من حيوان يسمونه الزبب قالوا انهم يرونه على سطوحهم وأنه يأكل الاطفال وربما عضّ يد الرجل أو ثدي المرأة فقطعهما وهرب بهما فكأن الناس يتحارسون ويتزاعقون ، ويضربون بالطشوت ، والصواني ، وغيرها ليفزعوه فارجت بغداد لذلك (٢) .

وليست العامة وحدها بهذه العقلية الصغيرة فقادة الطبقة المسيطرة كانوا بعقلية سمجة ساذجة ، وكان المقتدر وهو خليفة المسلمين همه متعه ولداته لا يتردد على لسانه إلاّ أمثال قوله : « من اللذات أربع ، حلق اللحي الطويلة العريضة ، وشفع الاقنية اللحمية ، وشم الارواح الثقيلة البغيضة والنظر الى الوجوه الصبيحة المليحة (٣) » .

واذا أردنا أن نستكمل الصورة لمجمل القرن استرجعنا قول أبي حيان

(١) خاص الخاص ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٢) الكامل ١٠٥ / ٨ .

(٣) خاص الخاص ٥١ .

التوحيد (١) : « وقد بلينا بهذا الدهر الخالي من الديانين الذي يصلحون أنفسهم ويصلحون غيرهم ، الخاوي من الكرام الذين يتسمعون في أحوالهم ويوسعون على غيرهم » وبعد ان يعدد اخلاق السابقين وتنافسهم على صنع المحامد يقول : « فذهب هذا كله وتاه أهله وأصبح الدين وقد أخلق لبوسه ، وأوحش مأنوسه ، واقتلع مغروسه وصار المنكر معروفا والمعروف منكرا ، وعاد كل شيء الى كدره وخائره وفاسده وضائره ، وحصل الامر على ان يقال : فلان خفيف الروح ، فلان حسن الوجه .. حلو الشمائل .. حسن اللعب بالورد ، جيد في الاستخراج .. الى غير ذلك مما يأنف العالم من تكثيره والكاتب من تشطيره .. وهذه كنيات عن الظلم والتجديف ، والحساسة والجهل ، وقلة الدين وحب الفساد » .

بعد كل هذا الكلام لا يبقى لنا الا القول : إن أبا حيان خير شاهد على انهيار قيم عصره وتحللها وتدهور العلاقات الاجتماعية والاعراف الدينية والقبلية التي كان يرتكز عليها المجتمع الاسلامي بعمامة والمجتمع العراقي بخاصة (٢) .

الحالة الثقافية :

ان ازدهار الثقافة ونموها يرافق في كل الاحوال الاستقرار السياسي والاقتصادي وحيث أن القرن الرابع كان مضطربا في سياسته وادارته (٣) ... فقد كان مضطربا في بنية ثقافته أيضا .

(١) الامتاع والمؤانسة ١ / ١٦ .

(٢) كتب الدكتور فيصل السامر فصلا اسماه « روح العصر » ضمن كتابه القيم « الدولة الحمدانية في الموصل وحلب » استعرض فيه مجمل الحياة الاجتماعية في القرن الرابع بصورة علمية دقيقة وقد اطلعت عليه بعد مناقشة الرسالة وكان سروري كبيرا حين وجدت منهجي في البحث يتقارب كثيرا مع منهج الدكتور الفاضل .

(٣) الوصف في العراق ٢٨٨ .

لقد كانت بداية هذا القرن مجدية حضارياً فرجال الدولة بعيدون عن عالم الثقافة لأنهم غرباء عن لغتها أولاً ولانشغالهم بخلق ظروف سياسية تلائم مطامعهم ووضعهم الشاذ ..

ومثلما تجمدت المذاهب والاجتهادات الاسلامية تجمدت العلوم والفنون والآداب . « ولم يكن أدب غير الأدب القديم ولا لغة غير الالفاظ القديمة حتى كأن العالم الاسلامي كله أجدب بالعلم (١) » ، وبارت تجارة الشعر وانغمس الشعراء بالقديم وولع رجال الدولة بالمسامرات والقصص الخيالية مثل « عجائب البحر وحديث سندباد والسنور والفأر (٢) » ، ولم يسلم الادباء والشعراء أو العلماء من الاهانات التي بلغت حدّ التعذيب والقتل كما جرى للحلاج وابن عطاء من بعده (٣) .

وبلغ الجهل ببعض الناس أن منعوا دفن محمد بن جرير الطبري سنة ٣١٠ هـ فاضطر الى دفنه في الليل (٤) وهو من هو في الفقه والتفسير والتأريخ ، وسلب أبو بكر الصولي ونهبت أمواله من قبل الديالم في رمضان سنة ٣٢٩ مع ان منزلته الأدبية كانت مشهورة وصلته بالخليفة معروفة . وطعن علي ابي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد بعلمه وهو احفظ أهل زمانه وأذكاهم (٥) وحرّم ابو نصر يوسف بن عمر بن محمد الأزدي بعد وفاة الراضي من تولي القضاء مع انه

(١) ظهر الاسلام ٧ / ٢ .

(٢) اخبار الراضي : ٦ وهذا يدلنا على أن قصص الف ليلة كانت موجودة زمن الراضي .

(٣) تجارب الامم والمنظم وكتب التاريخ الاخرى حوادث السنوات ٢٠١ ، ٣٠٩ ، ٣١١ .

(٤) المنظم ٦ / ١٧٠ .

(٥) اخبار الراضي ٢١٠ والصولي هو محمد بن يحيى ت ٣٣٥ أو ٣٣٦ ترجمته في الفهرست

١٥٠ ، نزهة الالباء ١٨٨ . وتاريخ بغداد ٣ / ٤٢٧ والوفيات ٣ / ٤٧٧ .

كان معروفا بالتزاهة والعلم والفقہ (١) ، كل ذلك لأن الوصول الى المراكز المتقدمة في الدولة ودور الحكام يتطلب الملق والادعاء والخنوع ولا أهمية للعمق الفكري والقيمة العلمية أو الأدبية .

ولا يعني هذا أن الادباء والشعراء حرموا نهائيا من الرعاية والعناية ، فابن الفرات الوزير كان يخصص كل سنة من سني وزارته عشرين ألف درهم رسما لهم سوى ما يصلهم به متفرقا عند مديحهم اياه (٢) .

وكان للراضي عناية خاصة بالشعر والشعراء كانت مجالسه الأدبية مقاربة لمجالس الوزير المهلبي فيما بعد .

وهناك بعد ذلك التفاتات نحو الشعراء والادباء من هذا الخليفة أو ذاك الوزير لكنها ليست دائمة ولا تستحق ان تسمى رعاية أو اهتماما .

هذا ما حدث قبل مجيء البويهيين ، اما زمن البويهيين فقد ارتفعت قيمة الاديب على حساب كرامته ، وصار ارتفاعه وعدمه مرتبطا ارتباطا فعليا بمصلحة الحاكم ، وقد تعرض الكثير من أدباء العصر البويهي للاهانة فالوزير المهلبي تعرض للضرب في حياته (٣) وتعرض للمصادرة بعد مماته (٤) ، وتعرض الصابي (٥) وكذلك والد الشريف الرضي (٦) للاعتقال والعزل على يد عضد الدولة الذي كان - كما يقال - يرعى الادب والعلم ويحتضن الشعراء والادباء .

(١) نزهة الالباء ١٩٠ .

(٢) ينظر آدم متر ١٦٣ / ١ .

(٣) نشوار المحاضرة ٧١ / ١ .

(٤) معجم الادباء ١٨ / ٩ .

(٥) معجم الادباء ١٨ / ٩ ، زهر الآداب ٣٩١ / ١ .

(٦) الكامل ٧١٠ / ٨ .

أما أبو حيان التوحيدي فقد كان نصيبه التشريد والضياع واهانات الصاحب ابن عباد ووصل به الامر الى سكب ماء وجهه بعبارات تذلل واستجداء للوزير ابن سعدان (١) كي يكسب قوت يومه ، ولم ينفعه علمه أو أدبه عند الناس أو الحكام .

ومع كل هذا لا بد من القول إن الحياة الثقافية قد انتعشت بشكل بارز عندما استقرت امور الدولة في يد البويهيين ويبدو ذلك جيدا زمن عضد الدولة .

ويرى الدكتور مصطفى جواد (٢) أن سبب الازدهار السريع للعلوم بعد أن دخلت الخلافة في حماية البويهيين يعود الى « توفر الحرية الدينية والحرية الفكرية والحرية العلمية ، وكانت هذه الحريات قبلهم مزومة مكتومة ، وقد عوقب عليها قبلهم بالموت كما جرى على الحسين بن منصور الخلاج » ، وهذا الرأي يبقى غير نافذ الى اعماق العوامل الحقيقية التي دعت الى ازدهار العلم والادب والتي نستطيع ان نقول بأنها سياسية واقتصادية بالدرجة الاولى .

فبعض الاستقرار السياسي الذي أعقب تولي آل بويه مقادير الامور ، ومحاولة هؤلاء الحكام الجدد كسب مشاعر أهل العراق بتقريبهم الشعراء والادباء والعلماء وتظاهرهم بالحرص على اللغة وادعائهم التأدب والشاعرية والمعرفة أدى الى انتعاش الحركة الفكرية والادبية ، نضيف الى ذلك كون آل بويه اتخذوا « من الادب وسيلة يستعينون بها على تهدئة الخواطر المضطربة والنفوس القلقة ويستخدمونها في اقامة الهيبة وبث الدعوة وتثبيت السلطان (٣) » عن طريق المراسلات التي كان يدبج متونها وزراؤهم وكتابهم أمثال ابي

(١) الامتاع ٧ / ٣ وما بعدها ، وينظر في استجدائه كتاب ابي حيان : ٣٦ ، ٤٢ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي س ١٩٥٦ مج ٢٤ / ٥٠٢ . مقال الدكتور مصطفى جواد .

(٣) الادب في ظل بني بويه ١٢٢ .

اسحق الصابي (١) وعبد العزيز بن يوسف (٢) وابن عباد (٣) وغيرهم .
 نستطيع بعد هذا، القول : ان تقريب آل بويه للادباء والشعراء لم يكن من
 أجل علمهم أو أدبهم فقط « فلو لم يكن لقدرة هؤلاء البلاغية جدوى للملوك
 وأثر حسن في حياتهم وحياة ممالكهم لما رأيناهم يتسابقون الى احتضان الادباء
 الاكفاء فيسلمونهم ممالكهم (٤) » ، ولو كان الادب والشعر واللغة سبيلاً الى
 السلطة لرأينا المنتسبي وابن فارس اللغوي ت ٣٦٩ ، وأبا علي الفارسي المتوفى
 ٣٧٧ ، والجوهري صاحب الصحاح وأبا حيان التوحيدي وغيرهم ممن كانوا
 أعظم علما وأسمى أدبا من وزراء آل بويه أصحاب سلطة ومسيّرني أمور
 دولة .

لقد كان آل بويه يستغلون الأدب والانسان معا من أجل سيادة كلمتهم
 واستقرار أمور دولتهم ، وان برز منهم من يهتم بالأدب ويتظاهر بأنه يقرب
 أصحابه حبا بالترود من مناهله ، فلا يعدو أن يكون هذا اهتماما سطحيا يشبه
 الى حد بعيد الاهتمام بالملبس والمأكل والمشرب ومجالس الانس والطرب ،
 لأن الادب غدا مظهرا من مظاهر الترف الحضاري .

وإذا تساءلنا بعد ذلك كيف تجمع مثل هذا السيل الجارف من الادباء
 والشعراء ورجال العلم ؟ جاءنا الجواب واضحا صريحا وهو ان الادب وليد
 البيئة وخلق ظروف الحياة سياسية كانت أو اقتصادية ، وهو ليس ابن يومه
 اذ يحمل جنينا في رحم المجتمع ويولد وبه كل الصفات الوراثية التي طبعتها
 مراحل تطور هذا المجتمع وتقدمه .

(١) ابراهيم بن هلال الصابي ت ٣٨٤ ترجمته في معجم الادباء ٢ / ٢٠ ، اخبار الحكماء
 ٧٥ ، معاهد التنصيص ٢ / ٦١ ، وفيات الأعيان ١ / ٣٤ .

(٢) الفهرست ١٣٤ .

(٣) صاحب اسماعيل بن عباد العباسي ت ٣٨٥ ترجمته في الفهرست ١٣٥ معاهد التنصيص

٤ / ١١١ معجم الادباء ٦ / ١٨٦ وما بعدها ، وفيات الاعيان ١ / ٢٠٦ .

(٤) الادب في ظل بني بويه ١٢٤ .

ولهذا فأدباء وشعراء وعلماء هذا العصر حصيلة تلاحم الثقافة العربية مع الثقافات الاجنبية التي بدأت تغزو أسواق العلم في بغداد وغيرها أوائل القرن الثاني للهجرة من خلال الترجمة والتجارة وقد تطورت هذه الثقافة الممتزجة وتنامت في القرن الثالث للهجرة ثم فضجت وأنت أكلها في قرنا الرابع هذا .

وبما أن هذه الثقافة - وكل ثقافة في الدنيا - متأثرة بشكل مباشر بالحياة السياسية والاقتصادية وتقلباتها وتراكماتها فقد لوثت بما كانت متلوثة به هذه الحياة من اضطراب وزيف انتهى بالادب عموما والشعر خصوصا الى أن صار حرفقة يتاجر بها جماعة من البشر ، يزورون حقيقة وجودهم الانساني - على الأغلب - بأساليب متنوعة من التصاغر والشذوذ ، وصار من يقف بوجه تيارهم يعدّ غريبا ويكون مصيره الجوع والتشرد .

وقد أحس الكثير من الأدباء والشعراء بهذه الغربة وهذه الوضاعة فصوروا ذلك في أشعارهم وكتاباتهم ، وسنيين في كلام آت منزلة الشاعر من خلال الشعر الذي تجمع لدينا فأعطانا القيمة الحقيقية لحضارة القرن الرابع التي يتحدث عنها بعض المؤرخين والكتّاب ويملاً فمه فخرا وحماسة معتقداً أنها حضارة اسلامية ، وقد فاتته كونها حضارة مبنية على الاستغلال والجوع والحرمان .

ولما كان استعراض الحركة الفكرية في هذا القرن لا بد منه فقد رأينا أن نوجز .. فنقتصر الحديث عند ذكر قسم من رجال كل جانب من جوانب هذه الحركة ومجمل آرائه ، ومذاهبه .

وأول ما نأتي على ذكره هو التفسير ، ونعني به تفسير آي القرآن الذي تطور في هذا القرن وتشعب ، وصار لكل مذهب ديني تفسير يختص به أهل

ذلك المذهب ويتأثرون بآرائه .

ولعل محمد بن جرير الطبري قد اوصل التفسير الى مرحلة جديدة ومنهج الطبري في التفسير أن يجمع في كل آية التفسير بالمأثور ، وفي الغالب يفضل أحد الاقوال (١) .

وإذا كان الطبري قد بلغ الذروة في التفسير بالمأثور فهناك من اتخذ التفسير بالرأي اسلوبا كما فصل الشريف المرتضى في أماليه (٢) حيث اتبع فيه طريقة المعتزلة « اذ كان هو نفسه شيعيا معتزليا (٣) » .

أما الحديث فقد دونت في هذا العصر كتب كثيرة منه مثل صحيح البخاري ومسلم ومسنده أحمد بن حنبل (٤) .

وقد ظهرت في هذا القرن مزية حفظ الاحاديث الكثيرة ، وكان هناك من يروي الاحاديث وينقلها (٥) .

ولم يكن المحدثون مبرئين من التلاعب في الاحاديث فهناك من أخذ يضع الاحاديث ويبتكرها ليدافع عن مذهب أو ليثبت رأيا ، ومع هذا كانت للمحدثين سلطة كبرى فمن « خرج على لنهجهم قيد شعرة ، شغب عليه ، ورمي بالزندقة (٦) » .

وكان لعلم الكلام صولة وجولة ، وكان للمعتزلة الفضل الاكبر في تطور هذا العلم ، والحقيقة أنه علامة تدلل على سلامة التطور الفكري للمجتمع ، ولكنه في القرن الرابع لم يبق على ما كان عليه في القرنين الثاني والثالث من فاعلية

(١) ظهر الاسلام ٣٨ / ٢ ، وترجمة الطبري في تاريخ بغداد ١٦٢ / ٢ .

(٢) تنظر أمالي المرتضى ط عيسى البابي محمد ابو الفضل ابراهيم ١٩٥٤ .

(٣) ظهر الاسلام ٤٠ / ٢ .

(٤) نفسه ٤٦ / ٢ .

(٥) ينظر ظهر الاسلام ٤٧ / ٢ .

(٦) نفسه ٤٩ / ٢ .

وحركة . على أن عملية الانتماء الى المعتزلة ظلت ذات بريق سطحي خلاّب يؤكد هذا ادعاء الصحاح بن عباد الاعترال وولعه بالجدل (١) .

أما التصوّف فقد أخذ مظهرًا متميزًا في هذا العصر ، وقد حدّ مقتل الخلاج والتمثيل به ، من جرأة بعض المتصوفة .

وكان أبرز متصوفة هذا العصر الخلاج ، وابن عطاء والشبلي والطوسي صاحب كتاب اللمع في التصوف ، وابو طالب المكي صاحب كتاب قوت القلوب والسلمي صاحب الكتب الصوفية المتعددة منها كتاب طبقات الصوفية ، ولا حاجة بنا الآن الى استعراض آراء المتصوفة لاننا سنفصل ذلك في موضع آخر من هذا البحث .

أما اللغة وعلومها وآدابها فقد كانت ذات حركة كبيرة ، فقد ألف ابن دريد معجمه اللغوي الذي سماه « جمهرة اللغة (٢) » وألف الجوهري معجمه الذي دعاه « الصحاح (٣) » ووضع ابن فارس (٤) كتابا لغويا « نحا فيه نحوا جليدا » وأطلق عليه اسم « مقاييس اللغة » ، وألف الثعالبي كتابه المعروف « فقه اللغة » ، الذي جمع فيه الالفاظ المتقاربة في موضع واحد .

لقد كانت حركة تأليف الكتب اللغوية والنحوية في هذا العصر ذات أهمية بالغة فالعامية بدأت تنتشر انتشارا واسعا ، وصارت جزءا من كلام الناس ، كما بدأت تغزو الشعر والادب .

-
- (١) ينظر الصداقة والصديق ٧ ونزهة الالباء ٢٢٤ ، الكشكول ١ / ٢٤٤ .
 - (٢) تنظر جمهرة اللغة ط ١ حيدر آباد ، ابو بكر محمد ابن دريد ت ٣٢١ هـ ترجمته في نزهة الالباء ١٧٥ سنة ١٣٤٤ اعادت طبعه بالافست مكتبة المثنى بغداد .
 - (٣) ينظر الصحاح ط دار الكتاب العربي بمصر ، ١٩٥١ ، والجوهري هو أبو نصر اسماعيل ابن حماد ت ٣٩٠ ترجمته اليتيمة ٤ / ٣٧٣ ، بغية الوعاة ١٩٥ ، نزهة الالباء ٢٣٦ ، انباء الرواة ١ / ١٩٤ ، معجم الادباء ٦ / ١٥١ ، النجوم الزاهرة ٤ / ٢٠٧ .
 - (٤) ترجمته في الاعلام ١ / ١٨٤ .

وفي النحو والصرف برزت أسماء لامعة كان لها تأثير فعال في الحدّ من
ميوعة اللغة العربية الفصحى ، ومن أهم رجالات هذا القرن، الزجاج (١)
الذي تتلمذ عليه أبو علي الفارسي (٢) استاذ ابي جني (٣) صاحب المذاهب
الصرفية والنحوية .

وهناك نحويون ظهوروا في هذا القرن فتأثروا بعلم الكلام المعتزلي وروح
المنطق اليوناني فخلطوا النحو بالمنطق والفلسفة ومن هؤلاء النحويين الرّماني أبو
الحسن علي بن عيسى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ (٤) .

أما البلاغة فقد بدأت تبحث بصور وأشكال مختلفة ، كان أغلبها يبحث
في أسباب اعجاز القرآن (٥) ، وحين وصلت الى ابي هلال العسكري (٦)
جعلها أحق العلوم بالتعلم « اذ بدونها لا تفهم أسباب إعجاز القرآن (٧) » ،
وكانت علوم البلاغة تسمى علم البيان .

أما في النقد فقد ظهرت كتب ومؤلفات عديدة منها كتب الصولي التي
أهمها « أخبار ابي تمام (٨) » وأخبار البحري (٩) والاوراق (١٠) ، وفي الاول
منهج نقدي واضح يمكن ان يعتمد في كتابه دراسة عن نقد الصولي .. وغير

(١) هو ابو اسحق ابراهيم الزجاج ت ٣١٠ ترجمته في نزهة الألباء ١٦٧ ، أنباء الرواة
١٥٩ / ١ ، تاريخ بغداد ٦ / ٨٩ .

(٢) الحسن بن احمد ت ٣٧٧ ترجمته في نزهة الألباء ٢١٦ .

(٣) ينظر كتاب ابن جني النحوي للدكتور فاضل السامرائي .

(٤) ترجمته في نزهة الألباء ٢١٧ .

(٥) ينظر كتاب البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف ط ٢ دار المعارف بمصر ٢٩ ، ١٠٢ ،

(٦) في كتاب الصناعيتين ط عيسى البابي الحلبي تح علي الجاوي وابو الفضل ابراهيم .

(٧) ظهر الاسلام ٢ / ١٢٤ .

(٨) ط المطبعة الهاشمية ، القاهرة ١٩٥٨ .

(٩) مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق .

(١٠) كتاب الاوراق في عدة اجزاء ظهر منه ثلاثة أجزاء هي : اخبار الراضي والمتقي واشعار

اولاد الخلفاء واخبار الشعراء .

كتب الصولي كان كتاب الموازنة للآمدي (١) ، وكتاب الابانة عن سرقات المتنبّي (٢) والرسالة الحاتمية (٣) وكتب الثعالبي التي جمع فيها مختارات شعرية وأشار إلى نواح جمالية عديدة في هذا الشعر .

وإذا تخطينا الفلسفة التي كان من أئمتها الفارابي وابو سليمان المنطقي وابو حيان التوحيدي ، ومسكويه واخوان الصفا وجثنا الى النثر والشعر توضحت لنا معالم واسعة لهما متمثلة بلغة النثر العالية التي نجدها عند ابي اسحق الصبائي وابي بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان الهمداني وابي حيان التوحيدي (٤) وابي منصور للثعالبي ، وغيرهم .

لقد أغنى هؤلاء اللغة العربية بأساليبهم العالية والفاظهم المبتكرة واننا لواجدون بذورا جيدة للقصة في مقامات الهمداني ، ونموذجاً واضحاً للروح الوجودية والعمق الفكري في لغة ابي حيان التوحيدي وفلسفته (٥) .

وإذا كان من الواجب أن نذكر الشعر والشعراء رأينا أن نثبت شيئاً عن لغة الشعر فنقول : أنها كانت ، مواكبة لحركة العصر متأثرة بتطوراته وما استجد فيه وما دخل عليه من سمات أجنبية ، ذات مظاهر سطحية ، على أن هذه اللغة أفادتنا كثيراً في استكمال دراسة المجتمع من خلال الشعر وجعلتنا نظرق أبواب دراسة تحليلية جديدة .

(١) ط مطبعة صبيح ، القاهرة

(٢) طبعة دار المعارف في مصر ١٩٦١ .

(٣) الرسالة الحاتمية كتابان لابي علي محمد بن الحسن الحاتمي الاول مناظرة بينه وبين المتنبّي حين جاء الى بغداد والكتاب ملحق بالابانة عن سرقات المتنبّي . والثاني له أيضا يتضمن الحكم والتي اقتبسها المتنبّي عن ارسطاطاليس .

(٤) مما كتب عن ابي حيان وأدبه كتاب الدكتور عبد الرزاق محي الدين (ابو حيان التوحيدي سيرته - آثاره) وكتاب الدكتور إحسان عباس (ابو حيان التوحيدي) ، وينظر في ترجمته الاعلام ٥ / ١٤٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ١ / ٣٣٣ .

(٥) ينظر مقدمة كتاب الاشارات الالهية لأبي حيان التوحيدي التي كتبها محقق الكتاب الدكتور عبد الرحمن بدوي ، ونلاحظ فلسفة الوجودية في كتابه ثلاث رسائل وبخاصة رسالته في الحياة .

هذه اللغة السطحية السهلة نجدها عند الخبزارزي والمفجع البصري وابن ليكك وابن سكرة وابن الحجاج وغيرهم .

ومثلما نجد هذه اللغة الاجتماعية الشعرية ، نجد لغة عالية ترسم خطى الشعراء الاقدمين ، وتتقرب بقالبهم ، لكنها متأثرة بروح العصر وما دخل عليه من سعة أفق وامكانية تصوير . مثل هذه اللغة نجدها عند المتنبي والشريف الرضي والصابي والشريف المرتضى ومهيار الديلمي وغيرهم .

اخيراً نستطيع أن نؤكد أن الحياة الثقافية كانت متحركة منتجة لكن حركتها وانتاجها يرتبطان بحركة المجتمع السياسية والاقتصادية ، ويصوران مسيره ونمائه (١) .

(١) يرى الدكتور فيصل السامر في ملاحظاته على كتابي وهو رأي صائب ان من أسباب ازدهار الادب استقلال الدولات وثقافتها وحرص أمرائها على احاطة انفسهم بالاقلام والألسن للدعاية ، يضاف الى ذلك الترف المادي نتيجة تدفق الثروة النقدية وتركزها بيد الخاصة وتدفق ذوي المواهب عليهم لنيل الجزاء .

الفصل الأول

الشاعر في المجتمع

يتميز الشاعر عن بقية الناس بعلاقاته المتشعبة في مجتمعه ، ومن علاقاته التي تستحق التوضيح والدراسة وتبرز أهميته في المجتمع علاقته بالحاكم ، والناس ، وقرانه الشعراء .

الشاعر والحاكم :

لم يكن لأكثر الشعراء ارتباط عضوي مع طبقة معينة من طبقات المجتمع (١) فارتباطه متعلق بمصلحته التي تعمي عنده الرؤية الواضحة فلا يجعله يفرق - في اغلب الاحيان - بين حاكم جائر وآخر عدل ، فالحاكم عدل ما دام كريما في الهبة ، فان شحت يده وقصرت عن العطاء ، فهو لا يستحق من الشاعر ذكراً ان سلم من الهجاء والقدح .

أما الحاكم فانه يرى في الشاعر لعبة صغيرة تسد فراغه أو يبغاء يردد اقوالا حفظها تنتفخ لها أوداج الحاكم أبهة وفخرا ، أو آلة يستعملها عند الحاجة وينتقي منها الاجود ، والاجود عنده هو من عمل لمصلحته ، ورفع اسمه ، واشاد بمفاخره ، وثبت له أركان سلطته .

(١) لأن المثقفين ورجال الدين وبعض الفئات الطارئة ليسوا من طبقات المجتمع الاساس ، التي لها علاقة بوسائل الانتاج .

وقد أحسن بعض الشعراء بالحال المزرية التي آلت إليه منزلته فعبّر عن
ألمه بقول أبي المكارم المطهر البصري (١) :

رأيتُ الشعراءَ للساداتِ عزّاً ومنقبةً وصيتاً وارتفاعاً
وللشعراءِ هوناً وانخفاضاً ومجلبةً لذلٍ واتضاعاً

وكيف لا يحدث مثل هذا الاتضاع وأكوام الشعراء - ان جاز التعبير -
تقف مكدسة على أبواب الملوك والأمراء والوزراء وبقية رجال الدولة ، تنتظر
دورها لتلقي الكلمات التي لفتتها لتستجلي بها رزقا ، فقد يقف الشاعر ببؤس
أياما أو أشهراً ينتظر انفتاح باب القصر - باب الفرج - ليملاً فمه بالالفاظ
التي كدّ في تليقها الليالي وأرهق نفسه وفكره ، وقد تبلغ به الحال ما بلغت
بالسلامي حين قال (٢) :

أفلا أجازُ وليّ ثلاثة أشهرٍ لا تعلمون بما أقيمُ تجمُّلي
قد بيعتُ حتى بعثُ طرفاً قائماً تحتَ القيدور على ثلاثة أرجل
ورَهنتُ حتى قد رَهنتُ منامي ومُناشدي ومذكّري ومعلّي
فرايتُ حالة حاسديك كحالي ورأيتُ منزل حاسديّ كمنزلي

انها دعوة استجداء صريحة تدفعنا لثناء كرامة السلامي التي فقدها حين
غدا يطوي عرض البسيطة جاعلاً « قصارى المطايا أن يلوح لها القصر » مبشراً
آماله بلقاء « ملك هو الوري » مؤملاً عطاياه وجوائزها (٣) .

واذ يفتح الحاكم أذنيه لسمع الكلمات تزدهر حياة الشاعر ويبدأ الرزق
يرفده من كل جانب ثم يصبح لساناً آلياً ، يمدح ، يرثي ، يفخر بنسب الحاكم
ومنزلته ... الخ ، فالصدق هنا مسألة ثانوية اذ المهم والاهم أن يسمع الناس ما
يقول الشاعر عن الحاكم . والمناسبات خير ما يطلق السن الشعراء للمدح
والتقرب .

(١) تمة اليتيمة ١ / ١٨ .

(٢) يتيمة الدهر ٢ / ٤٣٧ .

(٣) نفسه ٢ / ٤٠٢ .

فاذا جاء العيد وجب على الصابي أن يقف مهنتاً به قائلاً (١) :

يا سيداً أضحي الزمانُ بأنسيه منه ربيعاً
أيامُ دهرِكَ لم تزل للناسِ أعياداً جميعاً
حتى لأوشكَ بينها عيدُ الحقيقةِ أن يضيّعاً

وحين يعود أمير أو وزير من سفر أو حج أو غزو تزهو الدنيا ويبتهج
الكون خلال الكلمات التي يقولها الشاعر .

هذا الشريف الرضي ، على منزلته ، يقدم أحد الحكام فما يستطيع إلا
أن يأتي مهنتاً بهذا القدوم فيقول (٢) :

قدِم السرور بقدامة لك بشرت
قد كان هذا الدهرُ يلحظُ جانبي
عن طَرْفِ ليثٍ ساغبٍ ظمآنٍ
فالآن حين قدِمَتَ عدُنَ صروفه
بِرمقَتني بلوحت الغزلانِ

ويدلل هذا الكلام على أهمية رعاية الحاكم للشاعر في تكوين منزلته
الاجتماعية وموقعه بين الناس بمختلف فئاتهم .

وجود الشاعر اذا يحققه وجود ممدوحه ، وهذا ما يدفعنا الى التساؤل عن
أهمية المديح للممدوح وللشاعر معا ، كما يدفعنا للتساؤل ايضاً عن المسببات
الرئيسية في هذا المديح وعن أهمية المادة في تدفق عباراته والفاظه ، وللممدوح
وعطاياه ومنزلته اثر كبير في شهرة الشاعر وانتشار شعره مهما كانت قدراته
الفنية وعطاياه الابداعية .. يقول صريع الدلاء موضحاً ذلك في احدى اماديه
لفخر الملك (٣) :

كم أديب تراه اعرفَ مني بعلوم الاشعار والآداب
لو تعاطى بنعله قحفَ رأسي كان قحفي يقوم بالإعراب

(١) نفسه ٢ / ٢٧٩ ، نهاية الأرب ٥ / ١٧٦ .

(٢) الديوان ٢ / ٥٠٨ ، نهاية الأرب ٥ / ١٣٦ .

(٣) الديوان ورقة ٧٩ أ .

يتحاشون كالكلاب من الاف لاس بين الورى بلا أذئاب

ويجود المليك صرت أنا القصا رُ لا بالآداب والانساب

قد يكون المال أهم هذه الأسباب لكنه ليس كلها ، فملازمة الشاعر الدائمة للحاكم تولد نوعا من الالفة قد تتحول الى صداقة وحب عميقين يبقيان مع الشاعر حتى بعد أن ينكب الحاكم بالعزل أو القتل ، وهذا ما حدث لابن الأنباري مع ابن بقرمة الوزير حين قتل الاخير بيد عضد الدولة فرثاه ابن الأنباري وبكاه بتصيدة رائعة الوفاء تمنى عضد الدولة لو أنه كان محل المقتول لينال شرف كلماتها التي تقول (١) :

علوٌ في الحياة وفي المماتِ لحقٌ أنت إحدى المعجزاتِ
كأن الناسَ حولك حين قاموا وفودٌ نذاك أيام الصّلاتِ
كأنك قائمٌ فيهم خطيباً وكلُّهم قيامٌ للصّلاةِ
مددتْ يدَيْكِ نحوهم احتفالا كمدَّهما إليهم بالهباتِ
ولما ضاقَ بطنُ الأرضِ عن أن يضمَّ علاكَ من بعدِ المماتِ
أصاروا الجوّ قَبْرَكَ واستنابوا عن الأكفانِ ثوبَ السّافياتِ
لعظْمِكِ في النفوسِ تَبَيّتْ تُرعى بِحِرّاسِ وحفّاظِ ثِقَاتِ

وهكذا تستمر القصيدة في سفح مشاعر الحزن الصادقة والتي تدلل على

(١) اليتيمة ٣٧٤ / ٢ ، الوافي ١ / ١٠١ وترجمته الوزير محمد بن محمد بقرمة المقتول سنة ٤٦٧ في الوافي بالوفيات ١ / ١٠٠ ، نكت الهميان ٢٧١ . ولابن الحجاج أكثر من قصيدة مديح في ابن بقرمة نجد فيها الكثير من الفاظ التعظيم والتأليه ، وهي على ما فيها من دجل تسجل منزلة ابن بقرمة الكبير ينظر مثلا ديوان ابن الحجاج من رقم ٤٤٢ م ورقة ٢ وورقة ١٢ وورقة ١٦ . (٥) اما ترجمة أبي بكر الأنباري محمد بن عمر فنجدها في اليتيمة ٣٧٤ / ٢ وتراجع اخباره في نكت الهميان ٢٧٢ ، شذرات الذهب ٣ / ٦٣ . وقد خلط محي الدين عبد الحميد بينه وبين ابن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٧ .

عمق وفاء فاق ما روى عن وفاء البحري للمتوكل بعد قتله (١) وسبق به وفاء الشريف الرضي للخليفة الطائع بعد عزله ووفاته (٢). ولنا في رثاء ابن سكرة للوزير المهلب (٣) بعد وفاته ومصادرة أمواله ، ورثاء مهبيار (٤) الديلمي للصاحب أبي القاسم بن عبد الرحيم بعد مقتله محبوساً في هيت أمثلة أخرى تدلل على صدق ما ذهبنا إليه .

ومع كل هذا تظل العلاقة المادية طاغية على كل عمل شعري يصل بين الشاعر والحاكم . حتى الرثاء لا يعدو ان يكون وصفاً لمحاسن الميت من حيث هو كريم ، باذل للمال ، حافظ الشاعر من العوز والجوع .

وابن سكرة يوضح في صدق هذه الحقيقة حين يقول في الوزير المهلب (٥) :

أيامَ كنتُ من المهالبِ في	ربعٍ أغنَّ ومرتعٍ خصبٍ
فبِمنَ أعوذُ اليومَ من كَمَدٍ	لا أستقلُّ به من الكسبِ
طلّقتُ لذاتيَّ الثلاثَ فما	بيني وبين اللهو من سببِ
فعلى السرورِ وكلِّ فائدةٍ	بعدَ الوزيرِ سلامٌ محتسبِ
أو حين يقول :	

مضى ملكٌ عمَّ البريةَ جوده	رؤوفٌ، وإن راعَ الأسودَ، شفيقٌ
سكّرتُ بنعمائه وجودَ وزيره	فقالَتُ ليّ الأيامُ : سوفَ تُفنيقُ

واذ نشم من هذا الرثاء بعض الوفاء يجعلنا نتغاضى عن الروح المادية التي تملؤه ، لا يمكننا بأية حال من الاحوال أن نستشعر شيئاً من الاحترام للعلاقة الذليلة التي يصورها لنا ابن الحجاج حين يمدح ابا الفرج محمد بن العباس بن

(١) ينظر ديوان البحري وقصيدته التي قالها في المتوكل بعد مقتله والتي جاء فيها :

تغير حسن الجعفري وأنه وقوض بادي الجعفري وحاضره
٥٤ / ١ ط دار صادر ، دار بيروت .

(٢) الديوان ٢ / ١٩٤ ، ١٩٧ مثلاً .

(٣) اليتيمة ٣ / ٢٤ .

(٤) الديوان ١ / ٤١٨ وترجمة الصاحب ابن عبد الرحيم في الوافي بالوفيات ٣ / ٨ .

(٥) اليتيمة ٣ / ٢٥ .

فسأنجس الوزير بقوله (١) :

يا وزيرا بنوره طلعت أنجمُ العِدي
صحن خدّي لأرض نعلِك يا سيدي الفيدا
بك قامت سوقُ النوالِ وقد أصبَحَت سُدي
وسمِعنا فيها النداءَ على الجودِ والنادي

وكذلك لا يمكننا الا أن نغض الطرف حياء من هذا التصاغر الذي نجد
صريع الدلاء مغموراً فيه ، فحين يجفوه فخر الملك لا يجد غير كلمات تقطر
وضاعة وانهاراً فيقول (٢) :

شمت الحاسدون بي بعد عزّي وبكى لي من رحمة احبائي
أنا كالكلب ليتني كنت كلباً انا مثل السنور بين الكلاب
كان جاهي ما بينكم في الثريا فأنا اليوم في الثرى والستراب

• • •

من أنا الكلب؟ من كذقي وشعري وصريع الدلاء في الالقباب

• • •

لي سبق لا في الحروب ولكن في حضور الطعام قبل الذباب
كما أننا نعجب للشريف الرضي المفاخر بعلوبته ونسبه وهو يتنازل عن مقامه
فيقول لآل بويه (٣) :

نرى منعكم جودا ومطلقكم جُداً وإذلاً لكم عِزاً وإمراركم شَهدا
خُذُوا بزمامي قد رجعتُ اليكم رجوعَ نزيلٍ لا يرى منكم بُداً

(١) تكلمة الطبري ١ / ٢٠١ « وابو الفرج بن فسانحس تقلد مع ابي الفضل الشيرازي
الامور بعد وفاة الوزير المهلبى ولكن من غير تسمية لاحدهما بوزارة » ، ينظر الكامل ٨ /

٥٤٧ .

(٢) الديوان مخ ورقة ٧٧ ب ، ٧٨ أ .

(٣) الديوان ١ / ٤٠١ .

أريد ذهاباً عنكم فيردني اليكم تجاريب الرجال ولا حمداً
وتظهر هنا علامات للصراع النفسي عند الشريف الرضي وخاصة في
البيت الأخير كما يظهر تكلفه المديح في جفاف كلماته وارتباكها في أداء المعنى
الذي يريد .

ويبدو الشاعر صغيراً محمياً مستظلاً بقبلي الحاكم حين يضحك كلماته
ويبالغ بالمديح فيتضائل وجوده بينما يبني على حساب كرامته مجداً كاذباً
— في أغلب الأحيان — لممدوحه ، يقول السلامي مادحاً سابور —
أردشير (١) :

اليوم طبقَ أفقَ الدولة النورُ	وأوضحتْ فلقَ الملُكِ التبشيرُ
فكلَّ عينٍ إليك اليومَ طامحةٌ	وكل قلبٍ بما خوّلتْ مسرورُ
أقبلتْ في خيلعِ السلطانِ زينها	ذيلٌ على أنجمِ الجوزاءِ مجرورُ
ورحتْ فوق جوادٍ كالعتابِ جرى	والجودُ في سرجهِ والمجدُ والخيرُ

وقد يكون سابور كريماً ، وقد يكون كرمه مفرطاً ، عميماً ، أو محدوداً
خاصاً بفلان من الشعراء وعلان من الأدباء ، وقد يكون حاكماً يعطي ليمدح (٢) ،
أو يمدح فيعطي ، أو لا يكون شيئاً من هذا ، ولكن السلامي ثبت لسابور
كرماً ، وخلد له ذكراً .

وان كان السلامي اقتصر في مديحه على الكرم وحب الناس للممدوح
فابن نبأته السعدي جعل لعصده الدولة متاماً فوق البشر بل فوق الانبياء والملائكة

(١) اليتيمة ١٢٩ / ٣ وترجمة سابور اردشيرت ٤١٦ في الوفيات ٩٩ / ٢ .

(٢) من الحكام الذي اعطوا ليمدحوا فخر الملك ابو غالب محمد بن علي من أهل واسط وزرهباء
الدولة وقتلة سلطان الدولة سنة ٤٠٧ ، ينظر المنتظم وفيات هذه السنة .. وقد اختص صريع
الهرلاء بفخر الملك هذا وكاد يقصر ديوانه على مديحه وتعظيمه ، ويبدو أنه كان مثل آل بويه ميالاً
الى شعر السخف والتحاقق ولصريع اشارات عديدة لذلك ينظر الديوان الأوراق ٧٩ أ ، ٨١ ب ،
٨٢ أ ، ٨٥ أ ، ٨٧ ب ، ٩٠ ب ، ٩١ أ ، ٩٢ أ وغيرها .

حين قال (١) :

يا عَضُدَ الدولة لا واحدٌ بعدك غيرُ الصَّمَدِ الواحدِ
تركت أخبارَ قرونٍ خَلَوْا حوادثاً بادت مع البائسِ
في كل يومٍ غارةٌ تنطوي على لذيذِ المغنمِ الباردِ
وقد عرض في قصيدته هذه ببختيار ووصفه بقلة العقل وفساد الرأي

حين قال (٢) :

لم يدر من في (أمل) أنه بين خطاه شركُ الصائدِ
يفرح بالصحة في جسمه وسَمَمُهُ في رأيه الفاسدِ
ولا ينسى ابن نُبّاتة في مديح آخر أن يؤله عضد الدولة ويصفه بالجبروت
والعظمة حين يقول (٣) :

يا عَضُدَ الدولة الذي قمعت دولته الدهرَ وهَوَّ جَبَّارُ
وليس ابن نباتة وحده الذي يؤله ممدوحه ، فالحاتمي البغدادي يحذو
حذوه ، حينما يمدح سابور بن أردشِير ، ويُعدّ مدح ابن نُبّاتة لعضد
الدولة متواضعا امام هذا الزخم من كلمات التعظيم التي يصغر ازاءها كل
شيء ، فلا يجوز ان تقال في عصر يؤمن أهله بلدين الوحدانية السماوي .

يقول الحاتمي (٤) :

(١) مختارات البارودي ١٧٨ / ٢ . من الاشعار التي تعظم عضد الدولة وتؤخه قول ابن الحجاج :

« وانتظرتني لي دين عند قارون الزمان

عند مولاي ولي النعمم القرم الهجان

عند حي غير ميت عند باق غير فان

عند من يطلع مثل الشمس في كل مكان

القطعة ٤٤٢ ، ٢ ورقة ٦٤

(٢) نفسه .

(٣) اليتيمة ٣٩١ / ٢ .

(٤) نفسه ١٣٢ / ٣ .

أَوْفَى عَلَى كُلِّ الْبَشَرِ سَابورُ مَجْدًا وَأَثَرُ
وإنما العَصْبُ الذَّكْر أَعَارَهُ مَا لَمْ يُعَرَّ
رَأْيًا كَمَحْتومِ الْقَدَرِ فأنصاع كالنَّجمِ انكَدَرِ
يُحْمَدُ إنْ ذُمَّ المَطَرُ تَهفُو الرِواسِي إنْ زَفَرِ
فِي كَفِّهِ نَفْعٌ وَضَرُ وَلِحْظُهُ خَيْرٌ وَشَرُ
وَالدَّهْرُ طَبَّوعٌ مَا أَمَرَ يَجْرِي بِمَا سَاءَ وَسَرُ

• • •

عُمِّرْتَ مَا شَاءَ الوَطْرُ فَأَنْتَ لِلْمَلِكِ وَزَرُ
دُونِكَ عِذْرَاءُ الْفَقْرِ تُتْلَى كَمَا تُتْلَى السُّورُ
ولا يدري الانسان ماذا يقول بعد هذا السيل من كلمات الدجل والتملق،
التي تأبى النفس تصديقتها لانها المنطق المتحيز بعينه .

واذا كان المديح يوضح جزءا كبيرا من علاقات الشاعر بالحاكم ، واذا
كانت هذه العلاقة ذات مشاعر سالبة تنبع من جانب واحد هو الجانب الضعيف
فان هناك علاقة موجبة تفصح عن مشاعر ودّ متبادل بين شاعر وحاكم كما
يبدو ذلك في علاقة الخبزارزي الشاعر مع ابن يزداد الذي كان يتقلد البصرة
وكانت الهدايا متبادلة بينهما باستمرار ، لكن الشعر الذي قاله الخبزارزي
مرافقا لهذه الهدايا ظل يرسم صورة لصدقة غير متكافئة ... قال الخبزارزي
في مناسبات اهداء :

أَهْدَيْتُ مَا لَوْ أَنَّ أَضْعَافَهُ مُطَّرَحٌ عِنْدَكَ مَا بَانَ (١)
هَذَا امْتِحَانٌ لَكَ إِنْ تَرَضَّضَهُ بَانَ لَنَا أَنْكَ تَرَضَّضَانَا (٢)

• • •

فَأَعْطَيْتَهَا تَحْكِي أَيَادِيكَ فِي الْوَرَى بِيَاضًا وَإِنْ كَانَتْ أَيَادِيكَ أَنْصَعَا (٣)

(١) التحف والهدايا للخالد بن ٢٣ .

(٢) نفسه ٦٧ .

(٣) التحف والهدايا ١٩ - ٢٢ .

وقد نرسم صورة واضحة لعلاقة الشاعر بالحاكم اذا استعدنا المحاوره التي جرت بين الجرجاني وبين الحاتمي نقلها لنا ابو حيان في كتابه «أخلاق الوزيرين» (١) فقال :

« ولقد رأيت الجرجاني ، وكان في عداد الوزراء وجملة الرؤساء — وانما قتله ابن بقمية لأنه نعم بالوزارة — يقول للحاتمي ابي علي (٢) وهو من ادهياء الناس :

— انما تحرم لانك تشتم .

فقال الحاتمي : وانما اشم لأنني أحرم .

فاعاد الجرجاني قوله

فاعاد الحاتمي جوابه

فقال : ثم لماذا ؟

فقال الحاتمي : دع اللست قائمة ، وان شئت عملناها على الواضحة (٣) .

قال : قل .

قال الحاتمي : يتقطع هذا ألا يسمعون مدائحهم ، ولا يكثرثوا بمراتبهم ، وان يعرفوا لنا بمزية الادب وفضل العلم وشرف الحكمة ، كما خذينا (٤) لهم بعضمة الولاية ، وفضل العمل وبسط اليد ، وعرض الجاه ، والاستبداد بالتنعم والطاق والرواق ، والامر والنهي ، والحجاب والبواب وان يكتبوا على ابواب دورهم وقصورهم :

يا بني الرجاء ، ابعدوا عنا ، ويا أصحاب الامل اقطعوا اطماعكم عن خيرنا وميرنا وأحمرنا وأصفرنا ، ووفروا علينا أموالنا فلسنا نرتاح لنترك

(١) محمد بن احمد البغدادي الكاتب ت ٣٦٣ ترجمته واخباره مع الوزير ابن بقمية في تجارب الامم ٢ / ٣١٠ - ٣٢٣ ، والامتناع وانوانسة ٣ / ٣١٧ ، المقابسات ٨١ .

(٢) ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر البغدادي ت ٣٨٨ ترجمته واخباره في الامتناع ٣ / ١٢٦ ، المنتظم ٧ / ١٠٥ ، بغية الوعاة ٣٥ ، الأعلام ٦ / ٣١٢ .

(٣) يعني دع الأمر كما هو والا دعنا نتكلم بصراحة ..

(٤) خضعنا وأقرنا .

في رسالة تحببونها ، ولا لنظمتكم في قصيدة تتخبرونها ، ولا نعتد بملازمتكم لمجالسنا ، وترددكم على أبوابنا ، وصبركم على ذل حجابنا ولا نهش لمحككم وقرىضكم ، ولا لثنائكم وتقرىضكم ، ومن فعل ما زجرناه ثم ندم فلا يلومن الا نفسه ، ولا يقلعن الا ضرسه ، ولا يخمشن الا وجهه ، ولا يشقن الا ثوبه ، وان من طمع في موائدنا يجب ان يصبر على اوابدنا ومن رغب في فوائدنا نشب في مكابدنا ، فأما اذا استخدمونا في مجالسهم بوصف محاسنهم ، وستر مساويهم ، والاحتجاج عنهم ، والكذب لهم ، وان نكون السنة نفاحة عنهم فليشبووا على العمل ، فان في توفية العمال أجورهم قوام الدنيا ، وحياة الاحياء والموتى ، فان قصرنا بعد ذلك في اعادة الشكر وابدائه وتنميق الثناء وافشائه ، فانهم من منعنا في حل ، ومن الاساءة اليها في سعة .

واذ ينتهي الحاتمي يوافقه الجرجاني ويصادق على كلامه أبو حيان ونستنتج نحن أن علاقة الاديب والشاعر مع الحكام علاقة مادية فعلى مقدار العطاء يأتي المديح أو الرثاء أو الدجل .

وقد نجد أنفسنا أمام سؤال مهم هو أين يذهب الشعراء والادباء بما يتقبضونه ، وما يقبضونه كما قد تواترت الاخبار في المصادر غير قليل ؟ ان الشعراء والادباء شأنهم شأن بنية المنتفعين والمتطلعين الى حياة مترفة ، يحاولون أن يجدوا لأنفسهم متنفسا يفرغون فيه أزماتهم ومشكلاتهم الخاصة أو يتتلون فراغا خانقاً أو يقلدون سيديا بطرا ، لذلك فهم يبددون الاموال التي يحصلون عليها باللهو والمجون وشراء الجوارى والغلمان ، أو بتوزيعها أحيانا على الخدم ليحصلوا على قليل من التقدير يكون في المستقبل وساطة جيدة للوصول السريع والولوج الى دار سيد هؤلاء الخدم .

وإذا كانت العلاقة المادية بين الحاكم والشاعر هي السائدة فان ذلك لا يمنع وجود علاقات أخرى تنفي عن مطلق الشعراء البيغاوية والتبعية فكما نرى بعض الشعراء يمدح ويفخم ويتمسح على الاعتاب نرى بعضا آخر يوجه النصيح

ويحس لنفسه ببعض الكرامة والاهمية ، وهذا ابن نباتة الذي رأيناه مع عضد الدولة دون وجود يهود ثانية متراجعا يحس ببعض قيمته فيوجه النصح الى شرف الدولة ابي الفوارس ويقول (١) :

أَسِرُّ إِلَيْكَ مَقَالَ النَّصِيحِ وَلَسْتَ إِلَى النَّصْحِ بِالْمُفْتَقِرِ
عَلَيْكَ إِذَا ضَاغَتِكَ الرِّجَالُ بِضَرْبِ الرَّؤُوسِ وَطَعْنِ الشُّعْرِ
وَلَا تَحْتَسِرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدِيهِ قِصْرٌ
وَيَنْفَعُ فِي الرَّوْعِ كَيْدُ الْجَبَانِ كَمَا لَا يَبْضُرُ الشُّجَاعُ الْحَذْرُ
شُبِّ الرَّغْبِ بِالرَّهْبِ وَامْزَجْ لَهُمْ كَمَا يَفْعَلُ الدَّهْرُ حُلُوًّا بِمَرِّ (٢)

ومع ما في هذا الشعر من استعداد فهو قد يدل على تلمل الشاعر وخروجه من دائرة التذلل والمسايرة الى عالم يشعر الانسان بنفسه واستقلاله .
ويزداد هذا التلمل ، ويصبح النصح تحريض حاكم قوي على آخر فيه رعونة وقلة تدبير يحس بهما ابو الحسن محمد بن غسان فيقول لعضد الدولة محرضاً لياه على ابن عمه عز الدولة بختيار (٣) :

يَسُوسُ الْمَمَالِكَ رَأْيُ الْمَلِكِ وَيَحْفَظُهَا السَّيِّدُ الْمُحْتَنِكِ
فِيَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ أَنْهَضْ لَهَا فَتَبَدَّدْ ضِيَعَتَ بَيْنَ شَشٍ وَيَسْكَ (٤)

وإذا كان هذا التحريض والتعريض فيه تفخيم وتعظيم الى شخصية أخرى فان النصح يغدو ايجابيا جدا ، فيبين غضبا مزوجا بأحرف الشاعر الموجهة الى الحاكم وهذا ما نلاحظه عند ابن زريق الكوفي حين قال (٥) :

(١) اليتيمة ٣٩٥ / ٢ وترجمة شرف الدولة بن عضد الدولة في المنتظم ١٤٨ / ٧ وتظنر أخباره في الكامل ٢٣ / ٩ وما بعدها .
(٢) في الكتاب شب الرعب بالرهب ، ولا يستقيم المعنى مع ما ذكر . والامر لا يعدو تصحيحاً لم ينتبه اليه المحقق .

(٣) تنمة اليتيمة ٩١ / ١ ، تاريخ الحكماء ٤٠٢ ، شعراء النصرانية ٩ ، ق ٢٥٣ / ٣ .
(٤) إشارة الى ولع بختيار بالتردد وتركه أمور الدولة .
(٥) نشوار المحاضرة ٢١٦ / ١ ، اليتيمة ٣٧٨ / ٢ .

إنا لتبينا حجاباً منكَ أرمضنا فلا يَكُنْ ذُلُّنا فيه لك الغرضاً
 فاسمعْ مقالِي ولا تعجل عليَّ فما أبغبي بنصْحِكْ لا مالا ولا عَرْضاً
 في هذه الدار ، في هذا المكان ، على هذي الوسادةِ كان العزُّ فانقرضاً

هذا الحجاب الذي أغضب ابن زريق فجعل كلماته تتدفق سلسلة جميلة
 ممزوجة بطعم الغضب الهاديء الناصح الواعي ، جعل شاعراً آخر هو ثابت
 ابن هارون يمجج غضباً ويقول بعزة نفس ملحوظة (١) :

سأهجرُ كلَّ بابٍ رُدِّدوني إذا ما ازورَّ أو خشيَّ الحجابُ
 ويتحول الهجر والغضب الى كلمات ممزوجة بالحقمد على الظلم والتسوية
 الموجهة ضد الشاعر وحده ، أو ضده وضد مجتمعه ، وتتميز استتلايته مرحلة
 أخرى فيقف شاعر مثل بشر بن هارون يشتم التواضي أبا رقاعة ويمسك
 مقابحه (٢) ، ثم يتناول الى مقام الوزير سابور بن اردشير الذي رأينا كيف
 ألته له هاجياً (٣) :

سابورُ ويحكك ما أخسك ما أخصك بالعيوبِ
 واكدَّ وجهك بالشناعة للعيون وللقلوبِ
 وجهٌ قبيحٌ في التبسم كيف يحسنُ في القلوبِ

ان هذا الشعر يدل على ان روحاً متمردة بدأت تغزو وجود الشاعر وتخلق
 منه انساناً آخر . ولا يفوتنا هنا ان نذكر شاعراً ذا شخصية متميزة بطابعها
 المستقل ، الناقد ، الذكي ، العنيف احياناً كثيرة . هذا الشاعر وان لم يكن
 عراقياً أصلاً فانه يؤلف أنموذجا للشاعر الذي وقف بصمود واع امام مآسي
 عصره وعاف لذات الدنيا كي تبقى رؤيته للاحداث نزيهة ناصعة ولهذا جاء
 شعره معبراً عما يحسه من مظالم وتهرىء اجتماعي :

(١) شعراء النصرانية ٩ ق ٣ / ٢٦٠ .

(٢) نفسه ٣٩١ .

(٣) نفسه ٢٦٣ .

ما أجهل الأمم الذين عرفتهم ولعلّ سالفهم أضلّ وأتبرّ
يدعون في جمعاتهم بسفاهة لأميرهم فيكادُ يبكي المنبرُ (١)
ولعلنا أدركنا أن هذا الشاعر هو أبو العلاء المعري الذي عاش زمنه بتفاعل
حي ولذا نراه يقول :

يا سلوك البلاد فزتم بنسي العُمر والجور شأنكم في النساء
يرتجي الناس أن يقومَ إمامٌ ناطقٌ في الكنيّة الخرساء
كذب الظنُّ لا إمام سوى العقل مُشيراً في صبحه والمساء
إنما هذه المذاهبُ أسباب لجذب الدنيا إلى الرؤساء
غرضُ القوم متعةٌ لا يرقون لدمع السماء والخساء
كالذي قام يجمعُ الزنج بالبصرة والقرمطيُّ في الاحساء (٢)

لقد كان أبو العلاء - ابن لنكك البصري أيضا - مثلا لا نكاد نجد له نظيرا ، وان وجدنا شعراء وقفوا مواقف متحمسة بوجه هذه المسألة الاجتماعية ، أو ذاك الحاكم الجائر فمردّ ذلك - في الأغلب - انى كون الشاعر عنصرا مثقفا (متعلما في الاقل) يجابه الحقائق بمقدار ما تمليه عليه مصالحه ويفرضه عليه واقعه الاجتماعي .

فبطولة بعض الشعراء ، التي يصورها لنا شعرهم ، بطولة ساذجة « اعتبارية لم تأت عن وعي وتصميم ، وهي تقاس بمقدار ارتباطها بالمصالح الفردية للشاعر وبمقدار ضعف الحاكم واحترامه للأدب ، وتبجيل الحاكم للادب والشعر لم يكن نزيها في ذلك العصر ، فهو ان لم يستغلهم لصالحه فانه في الاقل يفاخر بهم غيره من الحكام الراغبين بوجودهم ضمن حضانتهم .

وإذا كنا في استعراض علاقة الشاعر بالحاكم فلا بد ان نذكر هنا علاقة فريدة حصلت بين الاثنين يمثلها الشاعر ابن الحجاج بصورة جليلة ، فيها تزال

(١) زجر النابح ٢٧٤ ، الزوميات ١ / ٣١٤ ، وينظر في مواقفه الناقدة اشعاره في مواضع اخرى كثيرة .

(٢) الزجر ١٦ ، ١٧ ، الزوميات ١ / ٥٥ .

الاستار بين الحاكم والشاعر ويكلم الشاعر صاحبه وكأنه يكلم شخصاً
اعتيادياً متخذاً أسلوب الصفعنة والوضاعة طريقاً لاضحاح الحاكم وقد
ارجأت الكلام على هذه العلاقة في فصل قادم على ان اورد هنا مثالا واحدا قاله
ابن الحجاج وقد اتخذ دعوة أيام بختيار ودعا اليها اقواما شتى من رجال
الدولة (١) :

قل للأمير المرتجى	من جاءني فقَد نجا
من أبي فدقته	في عصصي قد بلجا
يسبح في بحر خرا	إذا جرى تموجا
من لم يجيء فدقته	في است الذي استدعي فجا

ومع وجود هذه العلاقات المختلفة فان العلاقة التي تبقى بارزة وطاغية هي
علاقة ضعيف بقوي ، ويبقى الشعراء البطانة التي تردد رغبات الحكام وتملأ
نفوسهم فخرا وأبهة بكلمات ضخمة مكرورة ، تملأ حيزاً من حياتهم المشبعة
بأوقات الفراغ أو تنفذ شيئاً من طمأنينهم وساطتهم ، ولا أجد في الختام خيراً
من أبيات لابن الحجاج ارسلها الى ابي الفتح ابن العميد بعد أن ترك النبيذ حزناً
على بختيار وكان ابن بقية قد شربها تمثل بوضوح علاقة الشاعر بالحاكم أو
الحاكم بالشاعر .. يقول ابن الحجاج (٢) :

حتمّي على الاستاذ قد وجبا فإليه قد أصبحت منتسباً
مولاي ترك الشرب ينكره من كان في بغداد محتسباً (٣)

(١) البيمة ٣ / ٤٤ .

(٢) البيمة ٣ / ٧٢ وأظن أن هذه القصيدة كانت في نكبة بختيار الأولى على يد عضد
الدولة ، لأن ابن بقية في نكبة بختيار الثانية قتل قبل بختيار ، تنظر كتب التاريخ حوادث
٣٦٤ ، ٣٦٧ .

(٣) يقصد نفسه لأنه كان محتسب بغداد. والمحتسب موظف مركزه يوازي مركز أمين العاصمة
الآن . ينظر كتاب معالم القرية في احكام الحسبة تأليف ابن الأخوة تح روين بيوي ١٣٧ . وينظر
في مكانة المحتسب حضارة الاسلام ص ٢٧٧ .

ان كان من غَمّ الامير فليمّ وزيره (١) بالأمس قد شربا
 إنّ الملوك إذا همّ اقتتلوا أصبحت فيهم كلب مَن غلبا
 فلذلك أشكر غير مكترثٍ وألف مع خيشومي الذنبا
 انها كلمات واضحة صريحة تبين كيف كان ينتقل الشاعر من حاكم الى
 آخر مثل أي فرد مرتزق أو مكدّ جوال .

٢ - الشاعر والناس :

قلنا : ان الغالب على علاقة الشاعر بالآخرين هي الدوافع المصلحية ، ولما
 كان أكثر الشعراء يعتمد في رزقه ومعاشه على الحاكم لذلك كانت نظرهم
 الى الناس من الزاوية التي ينظر بها ربيب النعمة ، فهناك مثلا شعور بالتعالي على
 الناس عند الحاكم ينتقل مصلحيا الى الشاعر (جريدة الحاكم الرسمية) فيبرز
 واضحا جليا في شعره ، فالشريف الرضي يرى - متواضعا - أن بهاء الدولة
 يساوي في قيمته الناس مجتمعين لذلك يقول (٢) :

مِن بَنِي سَاسَانَ أَقْنَى ضُرِبَتْ حُجْرُ الْمَلِكِ عَلَيْهِ وَالسَّيِّدُ
 مَا رَأَيْنَا كَأَبِيهِ نَاجِلًا وَلَدَ النَّاسِ جَمِيعًا بَوْلِدَ (٣)

والشاعر نفسه يرى آل بويه وهم من ابعلوا أباه ونكلوا به - كل الناس
 ولا ناس في عينه غيرهم (٤) :

آل بويه ما نرى الناس غيركم ولا نشككي للخلقِ أولاكم فقدا
 ان الشاعر هنا يعبر - دون أن يشعر - عن ازدراء الحاكم للناس ، وتعاليه
 عليهم .

(١) يقصد وزيره .

(٢) الديوان ١ / ٢٧٥ .

(٣) وشبهه بهذا التعظيم قول ابن نباتة يمدح صمصام الدولة سنة ٣٧٢ هـ :

فما ولدت كوالدك الليالي ولا الأيام سهواً واعتمادا

مختادات البارودي ٢ / ١٨١ .

(٤) نفسه ١ / ٤٠١ .

واذ يقف شاعر معين لبيد الناس دون أن يحدد فئة معينة انما يخرج منهم
الحاكم ، خاصة اذا عرفنا أن علاقة متينة تربط بين هذا الشاعر والحاكم فاذ
يقول الشريف الرضي (١) :

أبى الناسُ إلا ذميمةَ النفاق إذا جربوا ، أو قبيحَ الكذبِ
كلابٌ تبصصُ خوفَ الهوان وتنبحُ بينَ يدي من غلبِ
أو يقول (٢) :

فما طيلابك إنساناً تُصاحبه كلُّ الأنام كما لا تشتهي هملاً
انما يخرج الحكام من قصده ، فالحاكم في نظر الشاعر المرتبط بالدولة -
مثل الشريف الرضي - يعدّ في مرتبة أعلى من مرتبة الانام الذين يقول فيهم
القاضي أبو نصر عبد الله المالكي (٣) :

كل الأنام كلابٌ هرّوا بكلّ طريق
فإن ظفرت بحجر فاحفظه فهو سلوقي

وقد يكون هذا الشعر في لحظات حقد ، أو لحظات تدلل ، وقد يكون
نقدا اجتماعيا مرا ، لكننا نسمعه ثانية من المعريّ التزيه ، فنكاد نصدقه ،
ونكاد نؤمن بانتفاء العاقل الاريب في مجتمع هذا القرن :

يا ليت آدمَ كانَ طلقَ أمهم أو كانَ حرّمها عليه ظهارُ
ولدتهم في غير طهرٍ عاركا فلذلك تفقد فيهم الأظهار
ولدي سرّ ليسَ يمكنَ ذكره يخفي على البصراء وهو نهار
أما الهدى فوجدته ما بيننا سرّاً ولكن الضلالَ جهار (٤)

واذا كان أبو العلاء متأخرا أو كان شاميا ، فقبله بعشرات السنين عاش
عالم لغة وأدب ، شاعر خبير البشر قرنا من الزمان ذلك هو ابن دريد الذي

(١) نفسه / ١ / ١٣٠ .

(٢) الديوان / ٢ / ١٨٢ .

(٣) الدمية / ١ / ٢٩٥ .

(٤) الزجر / ٩١ ، اللزوميات / ١ / ٤٦٥ .

وما الناس الا جاحدٌ ومعاندٌ وذو حسدٍ قد بان فيه التخاذلُ
 فلا تتركُنْ حتماً نخيفةً قائلٌ فإنّ الذي تخشى وتحدّرُ حاصلُ
 ان النظرة المتشائمة التي نراها في هذه القصيدة وفي غيرها من القصائد
 والمقطعات وليدة عوامل نفسية وبيئية متراكمة في دواخله أساسها تدهور بناء
 المجتمع ، والمجتمع المنفك اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا يجعل انسانه
 (وشاعره) منفصلين عن القيم والأعراف الخيرة ويلصقهما (اضطرابا)
 بقيم تفرضها ظروف العيش القاسية .

ان مجتمعا متدهورا اقتصاديا ، مرتبكا سياسيا ، منحلا اخلاقيا لا يمكن
 أن يعيش فيه شاعر ملتزم - حتى بالمفهوم الساذج للالتزام - موفور الكرامة
 والرزق ، وان شئت الظروف ، فانما يعيش فقيرا ، مفردا ، منبوذا يأتيه
 الموت عن طريق مجاعة ، أو سعاية .

ولست حال السلامي بالغريبة حين يقول (١) :

لبستُ العُدْمَ حتى صار ذَيْلي يضيقُ تقلي فيهِ كزيقي
 وكادحتُ المطالب بعد ضر ودارأت المعيشة بعد ضيقِ
 فقدت أوقدت صندوقي ثيابي وصبّ الماء في حبّ الدقيقِ
 فهل في الناس يا ليلناس حرُّ يبسيّضُ وجهه ممتحن مضيقِ ؟
 أريد أنحي إذا ما ثلّ عرشي وصرت الى المعيشة في مضيقِ
 فاما حين يصلحُ بعضُ حالي فإنّ الناس كلُّهم صديقي

ان حالا مثل حال السلامي تدل على غربة الشاعر في مجتمعه وهي ترينا
 ان حد ما الشاعر الذليل حين يخلو الى نفسه ويراجع اوضاعه كيف يتعذب
 ويصارع ذاته ونواذيره .. وتتساءل اذا كان وضع السلامي المقرب من آل
 بويه المدلل من الوزراء ورجال الدولة بهذا الشكل فكيف حال الشاعر الذي
 يكبو جواده في سيره الى دور الحكام ومواطن الرغد والرزق ؟

(١) اليتيمة ٢ / ٤٢٧ .

ومع السلبية الشديدة التي نلاحظها في أغلب ما قاله الشعراء نجد أحياناً احساساً شاعرياً يتألم لمأساة المجتمع ويؤمن بقدرة الانسان على اثبات وجوده . يقول المعري وهو يرى في الانسان الفقير الثورة والتمرد والقدرة على مجابهة مآسي الحياة (١) :

لا يصبرنَ فقيرٌ تحتَ فاقتهِ إن السباريتَ جابتها السباريتُ (٢)
 ناسٌ إذا نسكوا عدواً ملائكةً وإن طَغَوْا فهمُ جينٌ عفاريت

وفضلاً عن علاقات الشاعر السلبية والايجابية مع الناس فهو - احياناً - مسجل جيد لما يدور في مجتمعه من مآسٍ اجتماعية ومبازل (٣) ، كما ان اشعاره الاجتماعية تؤكد بوضوح طبقية المجتمع ، والقسمة غير العادلة في الرزق والمناصب وما صاحب كل ذلك من استغلال افقد الانسان كثيراً من مقوماته البشرية وجعل الشاعر يقول (٤) :

أصبحتُ من سيفل الأنام إذ بعثُ عِرْضي بالطعامِ
 أصبحتُ صفعانا لثييمٍ النفس من قومٍ لثامِ

• • •

نفسى تحنُّ الى الهلام الموتُ من دونِ الهلامِ
 من لحمِ جيدي راضعٍ رخصِ المفاصلِ والعظامِ
 هذا لأولادِ الحظايا والبغايا والحرامِ

ان المشاعر الصادقة والمعاناة الحقيقية للانسان البائس في هذه القطعة الشعرية وفي مقاطع وقصائد أخرى سنأتي عليها في فصول آتية تدلنا على أن الشعراء

(١) الزجر ٣٧ ، اللزوميات ١ / ١٥٣ .

(٢) السباريت الأولى : القفار ، والثانية : الصعاليك أو الفقراء .

(٣) ينظر مثلا اشعار ابن الحجاج التي سيأتي ذكرها في فصول قادمة وكذلك اشعار ابن لنكك والمفجع وغيرها .

(٤) الامتاع ٢ / ٥٠ ، وينظر قول الوزير المهلبى (الاموت يباع فأشتره .. الابيات)
 اليتيمة ٢ / ٢٢٥ .

ليسوا عناصر خاملة بمجموعهم ، فهناك شعراء أحسوا (١) بتفاهة وجودهم وبالهاوية التي يتردى فيها مجتمعهم فحاولوا ، ولكن اصواتهم كانت أخفت من أن تظهر وسط الصراخ المسعور لاستغلال الانسان لانيه الانسان .

٣ - الشاعر وأقرانه الشعراء :

في مجتمع مثل مجتمع القرن الرابع يعدّ الشعر مهنة تحترف لا بد ان يتبع الشعراء فيها أساليب أهل الحرفة الواحدة في عرض بضائعهم ، فالجسد والتباغض والهدس والهجاء أساليب شائعة رافقت عروض الشعر التجارية هذه .. واذ كان لا بد لشّري هذه البضاعة الشعرية من المفاضلة بين شاعر وشاعر وبين شعر وشعر ، كسدت بضاعة شعراء وراجت بضاعة آخرين ، وأصيب الكاسدة بضاعتهم بأزمات نفسية أدت الى الخقد على المنافسين الذين رفعتهم بضاعتهم الى مناصب متقدمة أو وضعت في أكفهم جوائز وخلع يسيل لها لعاب الشاعر التاجر .

اتبع بعض الشعراء أحسن الطرق وأحفظها للاستهانة بقيمة شاعر منافس وإبعاده عن طريق الرزق التي يرودها الشعراء ، فكان السري الرّفاء مثلا يلدس على الخالديين الاخوين ويتهمهما بالسطو على قصائده وقصائده غيره ويستعدي عليهما الوزير المهلي وغيره من الحكام والوجهاء مظهرا اياهما دجالين معتدين مبرزا نفسه الى جانب ذلك مظلوما مهضوم الحقوق .

قال السري يخاطب (أبا الخطاب المفضل بن ثابت الصابي) (٢) وهو صديق الخالديين (٣) :

بكرتُ عليكَ مغيرةُ الأعرابِ فاحفظُ ثيابكَ يا أبا الخطابِ
وردّ العراقَ ربيعةُ بنُ مُكَدَّم وعتيبةُ بنُ الحارثِ بنِ شَهَابِ

- (١) مثل ابن لنكك البصري في العراق ، وابو العلاء المعري في الشام والعراق ايضا .
(٢) في اليتيمة ، تحقيق محي الدين الضبي ، ومثلا أثبتنا جاء في ط الصاوي وفي الصداقة والصديق ٨٨ ، وفي زهر الآداب ١ / ٥٤٧ .
(٣) الديوان : - ٤١ .

أفعدنا شكّ بأنهما هما في الفتك لا في صحة الأنساب

لهما من الحظّ الصوارمُ والقنا ومن الطروسِ نقيسةُ الأسلابِ
شدّنا على الآدابِ أقبحَ غارةٍ جرحتْ قلوبَ محاسنِ الآدابِ

وقال يخاطب المهلبى ويتظلم اليه منهنّما ويدّعي أنّهما سرقا شعره (١)
هل للغنين عذرٌ في اغتصابهما حلياً يبوؤ بأوفى اللعنِ غاصبُهُ
قل للوزير تحرّجٌ إنه سألَبُ غشماً تعدّى على المسلوبِ سالبُهُ
وكيف تسحبُ وشياً قد تداوله قومٌ سواك فقد رثت مساحبُهُ

وإذا عرفنا أن السري كان ينسخ شعر كُشاجم ويدس في نسخه « أحسن
شعر الخالدين ليزيد في حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ، ويغلى سعره ،
ويشنع بذلك على الخالدين ، ويغض منهنّما ، ويظهر مضداق قوله في
سرقتهما (٢) ادركنا نوعية الاسلوب الذي اتبعه للحظ من قيمة شاعرين
كانت لهما منزلة شعرية محترمة آنذاك عند حكام بغداد والموصل ، وان دل
عمل السري على شيء فأنما يدل على مقدار حرفية الشاعر ومتاجرته بأدبه
وشعره وأخلاقه (٣) .

وحين ينتقل الشعراء من أساليب التحريض والدرس بعضهم على بعض الى
أساليب المراسقة بالأشعار الهجائية يتردون في هاوية الالفاظ (العامية) المبتدلة
ويحاولون إيجاد العيوب أو ابراز المقابح أو اختلاق الصفات المشينة .. فاذا اراد
محمد بن احمد بن عبد الله القطان المعروف بالمنوّتي أن يعرض بأيّ بكر الصولي
وصمه بالبخل ، وقال (٤) :

(١) الديوان : - ٥٤ .

(٢) البيّمة ٢ / ١١٨ .

(٣) ولا يقف السري عند الدس على الخالدين وهجائهما ، فهو ينهش كل من يقف بجانبها

أو يؤيدها كما فعل مع ابن العصب الملحي تنظر البيّمة ٢ / ١٥٠ - ١٥٨ .

(٤) الممدون ٧٧ .

غَضَبُ الصَّوْلِيِّ لَمَّا
 ثُمَّ عِنْدَ الْمَضْغِ مِنْهُ
 قَالَ لِلضَّيْفِ تَرَفَّقْ
 وَاعْتَمِمْ سَكْرِي فَقَالَ :
 كَسَّرَ الضَّيْفُ وَسَمًّا
 كَادَ أَنْ يَتَلَفَ غَمًّا
 شَمُّ رِيحِ الْخَبْرِ شَمًّا
 الضَّيْفُ بَلْ أَكَلَا وَذَمًّا

وان أراد ابن الحجاج أن يستهين بالمتنبي لم يجد - وهذه طريقتة
 المعروفة - خيرا من كلمات السخف والمقاذر قالها يصب فيه هجاءه
 ويقول (١) :

يَا دِيمَةَ اللَّهِ صُبِّيَّ
 وَأَنْتِ يَا رِيحَ بَطْنِي
 وَيَا قَمَاهُ تَدَانِ
 وَأَنْ صَفَعْتُكَ أَلْفَا
 عَلَى قَمَاهُ الْمُتَنَّبِيِّ
 عَلَى عِذَارِيهِ هَبِي
 وَأَقْعِدْ قَرِيبَا بَجْنِي
 فَلَا تَقُولَنَّ حَسْبِي

وتشيع هجائية ابن الحجاج السطحية للمتني ، وتشيع له سطحية أخرى
 في زميله في السخف والمبازل اللغزية ابن سكرة الهاشمي ويردد الناس قول
 ابن الحجاج (٢) :

سَلْحَةٌ بَعْدَ قَرَقَرَةٍ
 بَاتَ اللَّيْلَ كَلْتَهُ
 ثُمَّ رَامَتْ تَخْلُصًا
 ثُمَّ سَارَتْ كَأَسْهَمٍ
 فَأَصَابَتْ بُوْتِيَّةً
 مِنْ سَلْحِ الْمُرُورَةِ
 جَوْفَ بَطْنِي مُخَمَّرَةٍ
 فَاعْتَدَتْ ذَاتَ طَرَطَرَةٍ
 عَنْ قَيْسِي مَوْتَرَةٍ
 جَوْفَ ذَنْنِ ابْنِ سُكْرَةِ

(١) محاضرات الأدباء ٢ / ٧٠ . وينظر مع اختلاف في بعض الالفاظ لتلغيف المزاج في ورقة
 ١٠ ، ١١ ولابن الحجاج قصيدة هجاء في ابن سكره مطلعها :

نافستي في السباب
 يا شاعراً في مجيئي
 وفي ركوب الدواب
 صفعته وذهابي

ينظر قطعة من شعر ابن الحجاج (نخ) رقم ٤٣٥ / م

(٢) اليتيمة ٢ / ٤٢ .

وما جرى بين ابن الحجاج وابن سكرة، جرى بينهما وبين شعراء آخرين أيضاً ، فكما لم يسلم الكثير من رجال الدولة من رذاذ كلماتهما لم يسلم زملاؤهما الشعراء من هذا الرذاذ أيضاً . هذا هو ابن سكرة يمسك بتلابيب شاعر مسكين ولا يجد ما يرميه بوجهه غير قوله (١) :

كل العجائب قد سمعت وما أرى أني سمعت لشاعر قرنان
 قرن يحك به السماء وقبله ذنب يرور الحوت في الأزمان
 وإذا تحدث أحدثت لهواته فترى الانوف تلوذ بالاردان
 وترى أخادعه تعط كأرنب عكفت عليه مناسر العقبان

ان هذه الكلمات ليست وليدة ساعتها أو يومها ، لأن فيها مرارة الحقد ورائحة الكراهية وان شبيت باللهجة « الكاريكاتورية » الناقدة ، وقد أجد مسوغاً للقول ان للحكام في هذه الاشعار متعة ونادرة يستظر فونها لذلك فهم ان لم يكونوا يخرضون الشعراء فيما بينهم (٢) فهم في تقريرهم لبعضهم ونفورهم من بعض آخر ، يسهمون اسهاماً كبيراً في خلق مثل هذه الاجواء المشحونة بالمهاترات اللفظية التي تنز بالحسد والغيرة ، وقصيدة العصفري في السلاهي شاهدة على هذا الحسد وهذه الغيرة . يقول العصفري (٣) :

رأيتُ في الجامع حوآقة في وسطها شيخٌ له شانُ

(١) نفسه ١٧/٣ .

(٢) يؤكد ذلك ما ذكره الصولي عن الراضي وكيف كان « يغري بعضهم ببعض » ويصل بعض الشعراء ولا يصل بعضاً آخر ، وينقل وشاياتهم ببعضهم . ينظر اخبار الراضي ص ١١٦ .
 ويتأكد لنا تحريض الحكام للشعراء في قول ابن الحجاج حين هجا ابن سكرة :

حتى بنسى صاحبكم ومورد البني وبني
 مدعيان ان الامير كان قد أغراء بي

مخ ٤٣٥/م ورقة ١٨ .

(٣) تنمة البيتية ١ / ٨٥ والعصفري كما يبدو هو الذي يقول فيه صريح الدلاء :

ايها العصفري ذقنك في اسبي ابدأ سرمداً مع الاوقات
 الديوان مخ ١٧ .

عليه طرطور ودرآءة
قلت: من هذا العظيم الذي
أجاءه جبريل عن ربه
فقبل: هذا شاعرٌ مفلقٌ
قلت: أمرؤ القيس؟ فقالوا: صه
قالوا: ولا حسان هذا، إذا
قالوا: السلامي فقلت اطبقي
الشعر لا يسوى ولا أهله
وإنما الشاعر مستتره
إمنا مجيدٌ فهو مسترقفاً.

لها ذبول وجربان (١)
كأنه في التيه سلطان؟
أم عنده وحي وتبيان؟
له أماديح وديوان
قلت: هذا الشيخ حسان
قلت: فذو الرمة غيلان؟
ذا محلبان الضرع لبسان
هذا فلم ذا الشيخ غضبان؟
تلهو به النفس وبستان
أو بارد الشعر فصفعان

ويظل هذا الشعر بصورة « الكاريكاتيرية » وأسلوبه الهازيء يدل على
علاقات سيئة كما يدل على علامات اجتماعية أهمها قيمة الشاعر والشعر وأهمية
بضاعة الشاعر على منزلته ورزقه .

وإذا أردنا الاستزادة من هذه الصور حصلنا عليها من هجاء ابن لنكك
لكثير من أقرانه ومعاصريه من الشعراء (٢) .

ان هذه المراسقات والاساءات لا تعني جدبا كليا في علاقات الشعراء
بعضهم مع بعض ، فالعواطف الانسانية لم تقتلها أنانية السري أو بذاعة ابن
الحجاج وابن سكرة وابن لنكك ، أو مطامع الشعراء التجار . فقد أينعت
هذه العواطف الانسانية وأثمرت علاقات صداقة وعجبة بين شعراء عديدين
حتى غدا بعضها مضرب المثل في الوفاء والاخلاص .

واذ تبادل الشعراء عواطفهم نظما فوصل الينا الذي وصل رأينا فيه
موضوعات كثيرة طريفة أو حزينة ، فان أراد ابن لنكك أن يمزح مع

(١) جربان الثوب : الحرقه العريضة التي فوق القب وهي التي تستر القفا ، والجربان لفظ

فارسي معرب ..

(٢) تنظر اليتيمة ٢ / ٣٥٤ .

الخيزارزي ويبين له أذى مهنته (خبز الرز) كتب له (١) :

لنصر في فزادي فرطُ حبٍ ينيفُ به على كلِّ الصحابِ
أتيناهُ فَبَخَرْنَا بِخُورَا من السقفِ المدخنِ بالتهابِ
فتمتُّ مبادراً وحسبتُ نصراً يريدُ بذاك طردِي أو ذهابِي
فقالَ : متى أراكَ أبا حسينِ ؟ فقلتُ له : إذا أتسختُ ثيابِي
ولا يكاد الخيزارزي يسمع هذا الشعر حتى يستظرفه ويستملحه فيبادر
بالاجابة ويقول (٢) :

منجت أبا الحسين صميمَ ودِّي فداعيتي بألفاظِ عذابِ
أتى وثيابه كالشيبِ لوناً فعُدنَ له كريهانِ الشبابِ
فإن يكن التقرزُ منه فخراً فلَمَّ يكن «الوصيُّ» أبا ترابِ
ومثلما يُستملح ما دار بين ابن لنكك والخيزارزي يُستملح
ويُستلطف ما دار بين ابن سكرة والعصب الملحي وما في مبادلتها الشعرية
من تعريض مستطاب بكنية الاول ولقب الثاني .

كتب ابن سكرة الى العصب الملحي (٣) :

يا صديقاً أفادنيه زمانٌ فيه ضنّ بالأصدقاء وشحٌ
بين شخصي وبين شخصك بعدُ غير أن الخيالَ بالوصلِ سمحُ
إنما باعدَ النَّالفُ منّا أنتي سكرٌ وأنكَ ملحُ

فأجابه المالحى (٤) :

هل يقول الاخوانُ يوماً لخلٍ شابَ منه محضَ المودة قدحُ
بيننا سكرٌ فلا تُفسدنه أو يقولون : بيننا ويكَ ملحُ

(١) اليتيمة ٢ / ٣٣٦ .

(٢) نفسه ٢ / ٣٦٦ .

(٣) اليتيمة ٣ / ١٢٥ .

(٤) الوفيات ٤ / ٤٠ ، الوافي بالوفيات ٣ / ٣٠٩ .

وإذا كثرت المداعبات ، وطال أمد المزاح ، حدث بعض البرود ،
وقد يتبعه الهجر . والعتاب بين الشعراء الاحباب طريق طيب لتلاحم النفوس ،
وازالة ما يعلق فيها من صداً وجفاء ، وهكذا يبادر الخبز أرزي ابن لنكك
بالعتاب على الهجر ويقول له (١) :

لِمَ لا ترى لصدائقي تصديقا فينا ، وَلَمْ تَدْعُ الصديقَ صديقا
ذو العقلِ لا يرضى بوسمِ صداقةٍ حتى يرى لحقوقِها تحققةً
فلمن يرجي الحق أن يدعى أخا وعلى الرفيق بأن يكون رفيقا
ان غاب غاب محافظا أو حلَّ كما ن مداعبا أو قال كان صدوقا
ويكاد من علق الهوى بفؤاده مما تعكر أن يرى زنديقا
وهكذا ينهي العتاب القطيعة ، ويبدأ الاصدقاء الشعراء حياتهم من جديد ،
يملؤونها هزلا ، وسخفا ، ونقدا اجتماعيا لادعا .

وتأخذ علاقات الشعراء بينهم روحا أخرى اذا كانت بين شاعر مجرد من
الصفة الرسمية وشاعر له طابع « رسمي » ، ومنزلة متقدمة في الدولة ، فنحن
نرى بجلاء قيمة هذه المنزلة في خلق علاقات طيبة بين الشاعر والشاعر الموظف ،
فقد يتخذ بعض الشعراء من هذه العلاقة جسرا يعبرون عليه الى دور الملوك
ومجالس السلطان ، فأبو اسحق الصابي كاتب الملك البويهى وجليس الوزراء
وقريتهم يتقرب اليه الشعراء ويعظمونه ويستجدونه ، فرى السري الرفاء يمد
له يديه طالبا حصته حتى من البخور (٢) :

يا أبا اسحق زادَ الله في حُسنِ حُبورك
وغدا شانيك ذا همٍ طويلٍ بسسرورك

• • •

أشرق الدهر وما إشرافه الا بنورك

(١) مروج الذهب ٤ / ٣٥٢ .

(٢) الديوان ١٢٩ .

وأرى الأيسامُ لا تبخلُ الا بنظيرِك

• • •

حسبنا من جودك الغمر ومن فيض بحورك
قد أتانا منه ما راد على شكرِ شكورك
بين صفر من دنائرك أو صفر خمورك
فاشفع العرف بعرف ترتضيه من بخورك

وحين يصلهم بما يستطيعه يطمعون بأكثر من جوده المادي فيودون لو أنه
أوصلهم الى دور سادته آل بويه ، فاذا فعل وقدم أحدهم ثم نال الخطوة
حسده بقية الشعراء وقالوا على لسان السري يعاتبونه لأنه لم يقدمهم قبله (١) :
كم منطقي كسحيق المسك ظاهره لم يُقْضَ عند أبي اسحقٍ واجبه
كانت مدائحنا غراً مججلةً تنني عليه فقد اضحت تعاتبه
ورغبة كلما جاءت معرضة بجاهه أعرضت عنها رغائبه
الشعر وشي برود ، أنت ساحبه فهماً ، ودر عقود أنت ثاقبه
فلم منعت عن الإحسان محسنه ما نال من جاهك المبدول خاطبه
لأصبرن على إخلال عرفك بي حتى يثوب إلى المعهود ثابته

واذا شممنا في هذه الأبيات رائحة المصلحة الذاتية تعط من جوانب
كلماتها فاننا نجد كلمات العتاب التي يرسلها معظم الشعراء الى الشعراء
الموظفين تأخذ شكلاً اعتذارياً ، قد يحمل الذلة والمسكنة . ولكن هذا لا ينفي
وحد شعراء يتمرّدون على هذه العلاقة اذا رأوا من المقابل اعراضاً يمس
كرامتهم ، فالملفجّع البصري تربطه علاقات ودّ وصدقة بالقاضي التنوخي
(الشاعر ايضاً) تسمح له أن يتبسط معه في القول الى حدود المداعبة ،
فحين يدخل الملفجّع على التنوخي ويراه يقرأ « معاني الشعر » على العبيسي
يقول (٢) :

(١) الديوان ٢٩ .

(٢) المحمدون ٣٥ . وأبو قبيس اسم جبل مشرف على مكة ، وكذلك اسم حصن مقابل
شيزر . ينظر معجم البلدان ١ / ٨٠ .

قد قَدِمَ العُجْبُ على الرويسِ
وطاولَ البقلَ فروعَ الميسِ
وادعت الرومَ أباً في قيسِ
اذ قرأ القاضي حليفُ الكيسِ
وشارف الوهدُ أبا قبيسِ
وهبت العنزُ لقرع التيسِ
واختلط الناس اختلاطاً الحيسِ
معاني الشعر على العيسِ

ولكن المذبح البصري الذي يتعامل مع القاضي التنوخي بهذه الروح ،
يمتدح التنوخي مرة فيقابله بجفاء ، واذ ذاك يحس بصدمة ، ويصاب بأزمة
نفسية تكاد تذهب بصداقته وعلاقته بالتنوخي أو هي تذهب بهما ويحل محلها
الندم ، فيقول (١) :

لو أعرض الناس كلهم فأبوا
كان ودادٌ فزالَ وانصرما
وقد صحبنا في عصرنا أمما
فما هلكنا هزألا ولا ساختِ
في الله من كل هالك خلف لا
حرّ ظننا به الجميلَ فما
فكان ماذا ؟ ما كل مُعْتَمِدٍ
غَلِطْتُ والناس يغلطون وهل
شَلَّتْ يدي لم جلست عن تَفَهِّ
يا ليتني قبلها خرست فلم
لم يُنْقِصُوا رزقي الذي قُسمَا
وكان عهدٌ فبان وانهدما
وقد فقدنا من قبلهم أمما
أرض ، ولم تقطرِ السماء دَمًا (٢)
يرهب الدهر من به اعتصما
حقوقَ ظننا ولا رعى الذمما
عليه ، يرعى الوفاء والكرما
تعرف خلقا من غلطة سلما
أكتب شجوى وأمتطي القلما
أعمل لسانا ولا فتحت فما

واذا كانت بعض هذه العلاقات تجارية ارتزاقية تؤثر فيها عوامل عديدة
فتميل بها تارة نحو اليمين وأخرى نحو اليسار فهناك علاقات أخرى فيها وفاء
ونكران ذات ، وفيها نقاوة وصفاء مشاعر ، هذه العلاقات تبدو على احسن
وجوهها بين الشعراء الذين يمتلك جميعهم صفة رسمية .

(١) نفسه .

(٢) البيت مكسور ، ولا أدري كيف فات الامر على المحقق ، ويستقيم الوزن اذا قلنا :

هزلا بدل هزالا .

ويبدو ان ما وطد هذه العلاقات كون هؤلاء الشعراء غير محتاجين مادياً
 اولاً ، ولأن أياً منهم لم يكن يطمع بمنزلة الآخر الرسمية لأنه قانع بمنصبه
 الذي يحتله ، نضيف الى كل هذا سلامة الطوية ، والصدق في التعامل مع
 النفس ومع الآخرين فتنزهت بعد ذلك علاقات هؤلاء الشعراء عن الروح
 المادية « أو النفعية » . ومن خير الشواهد على ذلك ما كان من مشاعر ودّ وفيّة
 متبادلة بين أبي اسحق الصابي وبين الشريف الرضي أو بينهما وبين غيرهما من
 الشعراء الآخرين .

كتب أبو اسحق الى الشريف الرضي وقد بلغ به العمر حد العجز
 يقول (١) :

إذا ما تعدت بي وسارت محقمةً لها أرجلٌ يسعى بها رجلان
 وما كنت من فرسانها غير أنها وقت لي لما خانت القدمان

• • •

أبا حسن قطع أحشاء حاسد وأنت سماء في الذؤابة صاعد
 وذاك حضيض في القرارة عاني وأقيلك الردى إنّي تنبهت عن كرى
 وطواها على البغضاء وانشأن وسهوا على طول المدى اعثوراني
 وتصل هذه الأبيات الشريف الرضي فيستشعر المودة ويعيشها بكل نقاوتها
 ثم يجيب قائلاً (٢) :

ظمائي إلى من لو أراد سقائي وديني على من لو يشاء قضائي
 ولو كان عنادي مُعسراً لعذرتي ولكنه وهو الملى لوانسي

• • •

أكرر في الاخوان عينا صحيحةً على أعين مرضى من الشنآن
 فلولا أبو اسحق قل تشبّي بخلٍ وضربي عندّه بجران
 هو اللافتي عن ذا الزمان وأهله بشيمةٍ لا وانٍ ولا متواني

(١) اليتيمة ٢ / ٣٠٠ .

(٢) الديوان ٢ / ٥٣٩ ، اليتيمة ٢ / ٣٠٣ ، رسائل الصابي ٤٥ .

إخاء تساوى فيه ودّاً وألفةً رضيع صفاء لا رضيع لبان
تمازج قلبانا تمازج اخوة وكلّ طلوبي غاية اخوان
وربّ قريبٍ بالعداوة ساخطٌ وربّ بعيدٍ بالمودة دانسي

• • •

ولو أن لي يوماً على الدهر إمرةً وكانت لي العدو على الحدّثان
خلعت على عطفك برداً شبيبي جوادا بعمرى واقتبال زمانى
وبعد أن نقرأ هذه المشاعر الوفية التي تنساب بصدق من فم الشريف ،
تُدرك عمق علاقتهما ، ومقدار تواضع كل منهما للآخر ، واحترام واحدهما
لصاحبه. وتبدو سمات الوقار عليهما من خلال كلماتهما المشبعة بروح الادب
المبتغاة من أجود البضائع اللفظية .

وإذا أشاد كل منهما باخلاص الآخر وجودة صداقته فما ادعيا ذلك ،
ولا دجلا ، ولقد مر بنا وفاء الشريف الرضي للطائع بعد خلعه على ما في هذا
الوفاء من مخاطر على حياته ومنصبه وسيؤكد هذا الوفاء في كثير من المناسبات
واستمرارية تذكّره والحنين الى أيام صداقته ، وقصيدة الرثاء التي قالها فيه بعد
وفاته خير شاهد على هذا الوفاء .

قال الشريف الرضي في رثاء الصابي عند وفاته (١) :

أعلمت من حملوا على الاعوادِ رأيت كيف خبا ضياء النادي
جبل هوى لو خرّ في البحر اغتدى من وقعه متتابع الإزباد
ما كنت أعلم قبل حطّك في الثرى ان الثرى يعلو على الاطوادِ

• • •

هذا أبو اسحق يُغلقُ رهْنُهُ هل ذائد أو مانع أو فادي ؟
أعزز عليّ بأن أراك وقد خلّت من جانبيك مجالسُ العوادِ
أعزز عليّ بأن يفارق ناظري لمعانُ ذاك الكوكب الوقادِ

(١) الدبوان ١ / ٣٨١ ، اليتيمة ٢ / ٣٠٧ ، ينظر في الادب العباسي ٤٤٠ .

وتمر الأيام ولا ينسى الشريف الرضي صداقته للصابي ، وحين يجوز
بقبره وهو بالحنينة من أرض كرخايا يقول (١) :

أيعلم قبر بالحنينة أننا اقمنا به نعي الندى والمعالي
مررنا به فاستشرفتنا رسومه كما استشرف الروض الأطباء الجوازي
وما لاح ذلك التراب حتى تحلّبت من الدمع أو شال ملأنا المآقيا

هذه بعض دلائل عمق صداقة الشريف الرضي ونبيل مشاعره ووفائه .
أما وفاء الصابي لاصدقائه فقد أكدته أقوال الشريف الرضي في وصف اخلاص
الصابي وجودة اخوته ويؤكدده عبد العزيز بن يوسف في قوله (٢) :

وقيت أبا إسحق من حافظ عهدا وراع لمن يُمّني بفرقة ودًا
و منفرد بالمكرمات تألفت عليه المعالي فاستقل بها مجدا
بلوت أخلاء الزمان ، وكلهم سواك أبا إسحق ، إنك والندی
وابعدهم في كل مكرمة مدى لأنظهم في جيد مآثرة عقدا
تلاقت بنا الآداب في خير منسب عليه تساقينا على ظمأ بردا

وإذا عرفنا ان عبد العزيز بن يوسف كان بمنزلة الوزير في بلاد عضد
الدولة ، وإذا عرفنا ان الصابي ان عاتب عبد العزيز على هجر وانقطاع
قال له (٣) :

صديق لكم يشكو اليكم جفاكم وفي قلبه داء من الشوق قاتل
تناسيتموه وهو للعهد ذاكسر وللغيب مأمون وللحيل واصل
يقول لكم والوجد بين ضلوعه مقيم وقد حمت عليه البلابل (٤)

(١) الديوان ٢ / ٥٧٩ ، رسائل الصابي ٤٥ ، وينظر في صدق رثايات الشريف الرضي
(في الأدب العباسي ٤٣٧ وما بعدها) .

(٢) اليتيمة ٢ / ٣٢٢ .

(٣) نفسه ٢ / ٢٩١ .

(٤) البلابل : جمع بلبال وهو شدة الحلم .

أكابرنا عطفنا علينا فأننا بنا ظمًا برح وأنتم مناهل
إذا عرفنا هذا أدركنا أن للصابي صفات تدعو الى الاحترام والتقدير وأن
رفاقه يجلّونه حباً به وبصفاته هذه ، وليس طمعاً بمال أو مركز ، ويمنحهم
بالمقابل مشاعر مثل مشاعرهم أو تفوق عليها .

ويطول بنا الكلام إذا أوردنا كل الاشعار الاخوانية الصادقة المتبادلة بين
شعراء موظفين ولكننا نختصر القول ونشير الى مساجلات أبي عبد الرحمن بن
الفضل الشيرازي مع الصاحب بن عباد والقاضي التنوخي ، وهذا الاخير مع
الورير المهلبي ومساجلات الصابي مع الشريف الكثيرة (١) .

وقد يكون مناسباً ان نختتم هذا الكلام بذكر قسم من رثاء الشريف الرضي
لابن الحجاج محتسب بغداد والشاعر الماجن اللفظ (٢) :

نعوه على ضنّ قلبي به فله ماذا نعى الناعيان

بكيتك للشرد السائرات تعبّثُ ألفاظها بالمعاني

وما كنت أحسبُ ان المنونَ تنفّلُ مَصَارِبَ ذاك اللسانِ

فان شاء كان حيرانَ الجِمامِ وان شاء كان جِمامَ الحيرانِ
يهابُ الشُّجاعُ غداميره على البعد منه مهّابَ الجبانِ (٣)

(١) ينظر اليتيمة ٢/ ٣٠٧ ، ٣٢٦ ، ٣٤١ ، وينظر ما تبادلته عبد العزيز بن يوسف
الصاحب والصابي ، اليتيمة ٢/ ٣١٧ .

(٢) الديوان ٢/ ٤٤١ ، معجم الأدباء ٩/ ٢٢٩ . ولابن الحجاج ابيات ومقطعات في
الشريف الرضي منها ستة ابيات لطيفة جاء فيها :

أيا من مجده المجد الأثيل
ابوك ابو أمتنا علي
جعلت لك الفداء فكل ود
ديوان ابن الحجاج مخ ٤٤٢ / م ورقة ا .
وداء حسوده الداء الدخيل
وامك ام سادتنا البتول
سوى ودي يعيل ويستحيل
(٣) غداميره : طول لسانه .

وتعنوا الملوك له خيفةً اذا راعَ قبلَ اللظى بالدُخان

• • •

ليبك الزمانُ طويلاً عليك فقد كنتَ خفةَ روح الزمان
انها علاقات نبيلة تدلل على ان الخير لم يُزل من النفوس وأن تجارة الشعر
لم تُفسد كل الشعراء .

القيمة الفنية :

لا جدال في أن أعلى الكلم فنيا ما كان نابعا عن صدق في المشاعر ،
واخلاص في التعامل مع اللفظ ، وادراك واع لحقيقة الوجود .

والشاعر الذي يتفاعل مع الحياة ويتعامل مع مكوناتها بتناقض بين لا بد
وأن يأتي كلامه متفاوت البنية الفنية والقيمة الاجتماعية .

فنجده ينحشر في قالب من الالفاظ المصطنعة والكلمات الجامدة حين
يتكلف المديح أو الوصف أو الاغراض الاخرى المعروفة في الشعر العربي ،
لكنه يرتفع وقد يخلق في أجواء من الفن الرفيع حينما يخلص لفنه ويصدق مع
نفسه ومع الآخرين .

ويمكننا ان نسحب هذا القول على الشعر الذي يبين لنا علاقات الشاعر
بمجتمعه ، فنحن نرى غلوا وتكلفا وصنعة جامدة في اقوال اغلب الشعراء
تذهب برونق شعرهم فتحيله نظما بلا أية رعشة فنية أو عاطفية .

ومع هذا نجد أيضا الشعر الذي نفتش عنه ، فهناك قصائد أو أبيات تكاد
تكون أنموذجا من حيث صدقها وامتلاؤها بالعواطف النبيلة ، كما في قصيدة
الثناء التي قالها الانباري في ابن بقية الوزير أو الابيات التي قالها ابن زريق
لأحد الحكام .

لقد كان الشعر العربي مبنياً في فنه على ما تبعته كلماته في النفوس من هزة
ونشوة ودفء لذلك فليس من الشعر ما خلا من العواطف والصدق .

الخلاصة :

الشاعر عنصر فعال في المجتمع وهو يرتبط بأواصر متينة وعلاقات مرسومة سابقاً .

فهو - في الاغلب - مع الحاكم ينزهه ويعظمه ويرضي نزعاته وغروره ومطامحه ، يغضب لغضبه ويفرح لمسرته ، وقد يعادي من يقف ضده ، ولذلك كانت له في نفوس الناس هيبة مستمدة من هيبة الحاكم اضافة الى أن الناس كانوا يرون في الشاعر عنصراً موهوباً جديراً بالتقدير .

وقد أصبح وضع الشاعر في القرن الرابع قلقاً نظراً لما جابه الحياة السياسية من اضطراب رهيب جعل كراسي الحكام تهتز تحتهم باستمرار . وقد انعكس هذا الوضع على نفس الشعراء فبات لا يدري أين يتجه وفي دار أي حاكم يلتجئ .

على أنه سرعان ما تكيف لهذا الوضع الذي استمر طويلاً فأصبح الشاعر مرتزقاً. منتهز فرص ، يتعد على باب من ينتصر من الحكام المتصارعين وقد مثل ذلك خير تمثيل ابن الحجاج في قوله :

ان الملوك اذا هم اقتتلوا أصبحت فيهم كلب من غلبا
وإذا كان الشعر حرفة يرتزق منها الشاعر ، حصل بين الشعراء منازعات وتنافس ، وكان الذي كان من الهجاء المقذع والذس الرخيص .

ولكننا وجدنا مع ذلك علاقات نبيلة حصلت بين هذا الشاعر أو ذاك ، فبلغت من السمو محلاً مرتفعاً كما كان بين الشريف الرضي وابي اسحق الصابي مثلاً .

لقد ظلت علاقة الشاعر في مجتمعه مثل أي علاقة انسانية أخرى تتباين بمقدار أخلاق الشاعر وعمق تفكيره ومقدار مصالحة الذاتية .

الخلفاء والامراء

الخلفاء :

ليس مستغربا ان يقول الخلفاء شعرا لما يلقونه من وسائل التربية التي تشجع الشعر والادب ، ولما يرونه من مكانة للشعر عند الخاصة والعامة . وكان الخليفة يقول الشعر اما قتلا للفراغ ، أو تنفيسا عن هموم ذاتية ، أو هموم تسببها سيطرة الأجنبي على مقاليد الامور في البلد ، أو رغبة في الظهور بمظهر العالم الشاعر .

وقد كثر بين خلفاء القرن الثالث للهجرة قالة الشعر وورد في كتب الادب والتاريخ شعر للمتوكل والمعتمد والمهتدي والمعتمد (١) . وكان شعرهم يرسم صورا من حياتهم ومطامحهم ، وهو يحدل بين طياته علامات بيّنة لانهميار الدولة العباسية ، لذلك فهو ينفع دارسي التاريخ لما فيه من دلالات سياسية واجتماعية مكثفة وصادقة (٢) .

(١) ينظر الطبري : تاريخ الرسل والملوك ط مكتبة خياط ، المسعودي : مروج الذهب ط محي الدين عبد الحميد ، السيوطي تاريخ الخلفاء تح محي الدين عبد الحميد أيضا ، وغيرها من كتب التاريخ .

(٢) قال المهتدي قبل أن يصبح خليفة :

اما والذي اعلى السماء بقدره وما زال قدما فوق عرش قد استوى
لئن تم لي التدبير فيما اريدده لتفتقدن الترك طرا فلا ترى
وقد تم للمهتدي تدبير الدولة لكنه انتهى على يد الاتراك دون أن تتأثر مسيرتهم في البطش والتككيل بأبناء أسرته وقومه . (ينظر معجم الشعراء ٤٠١) .

وإذا اجتزنا الى القرن الرابع لم نر الذي رأيناه لدى خلفاء القرن الثالث ،
فاذا استثنينا الخليفة العباسي الراضي من ثمانية الخلفاء الذين ولوا خلال القرن
الرابع لم نجد شيئاً يذكر من الشعر لهؤلاء الخلفاء سوى ابيات قليلة نسبت للقاهر
والمتقي والمستكفي . فمما نسب الى القاهر بعد سماه قوله (١) :

صرت و ابراهيم شيخخي عمي لا بد للشيخين من مصدر
ما دام « توزون » له إمسة مطاعة فالميل في المجهر

ومما ينسب الى المتقي بعد أن كحل قوله (٢) :

كحلونا وما شكونا إليهم من الرمد
ثم عاثوا بنا ونحن أسود وهم نقد (٣)
كيف يغتر من أقمنا وفي دستنا قعد

وفيها نبيين سلطان القادة الاتراك ، وضعف الخليفة العباسي أمام جبروت
توزون وغير توزون ، وخوفه الدائم من التعرض للتكحيل والعمى وهي حال
تبعث على العطف والرثاء وأحيانا الاشمزاز من هذا الجبن والاذلال .

وإذا تساءلنا : لم انفرد الراضي شاعرا في هذا القرن ؟ أمكن أن نجد
الجواب في اهتمام الصولي (اسناذ الراضي) بتأديبه اضافة الى ميل الراضي
للادب وذكائه ومواهبه ، وقد أكد هذا الصولي حين قال (٤) : « وقد يعلم
الله تعالى أن الراضي في حالة إمارته وأخاه هارون لما أمر نصر الحاجب ان
يتقدم اليّ بخدمتهما وأن يجعل علي نوبة لهما يومين في كل اسبوع ، ففعل

(١) التنبية والاشراف ٢٧٨ وكتب التاريخ الاخرى حوادث ٣٢٠ - ٣٢٢ . و ابراهيم
هو المتقي .

(٢) نكت الهميان ٨٨ ، وينظر مختصر التاريخ ١٨٤ ، ١٨٧ في بيتين نسبا للمتقي وآخرين
للمستكفي .

(٣) نقد : جنس من الغنم صغير الارجل .

(٤) أخبار الراضي ٢٤ .

ذلك ، دخلت اليهما فرأيتهما ذكيين فطين عاقلين ، الا انهما خاليان من العلوم ، فعاتبت ابن غالب مؤدبهما على ذلك ، وكان الراضي أذكاهما وأحرصهما على الادب ، فحجبت العلم اليهما ، واشترت لهما من كتب الفقه والشعر واللغة والاعخبار قطعة حسنة ، فتنافسوا في ذلك وعمل كل واحد منهما خزانة لكتبه وقرأ علي الأخبار والاشعار .

وكان الصولي يلاقي عننا ومضايقات من أم المقتدر وخدمها فحين توصف بحاسن تأديبه لأولاد المقتدر أمام احدى قهرمانات « شغب » ترسل له هذه القهرمانه خبرا تقول فيه (١) : « ان هذه المحاسن من هذا الرجل عند السيدة ومن يخدمها مساويء فقل له عنى هذا : ما نريد أن يكون أولادنا أدباء ولا علماء ، وهذا أبوهم (٢) قد رأينا كل ما نحب فيه وليس بعالم ، فاعمل على ذلك » .

ان هذه الروح المتمردة على الادب هي انعكاس طبيعي للاوضاع السياسية المضطربة التي تؤثر بدورها في عملية اختيار المربي ومن ثم تؤثر في تربية الامراء - خلفاء المستقبل - التي تحكم كما رأينا في سيرها أناس غرباء عن اصول التربية التي كان يتلقاها الامراء كما هم غرباء عن لغة هذه التربية اضافة الى وجود دافع قوي يدفعهم الى زرع بذور التربية الفاسدة في نفوس خلفاء المستقبل ليظلوا تحت هيمنتهم ، وتظل امور الدولة ملك تصرفهم .

وحيث نعرف كل هذا ندرك سبب قلة الخلفاء الشعراء ، كما ندرك أن شيئا ما لعب دوره في ايجاد مرب متمكن استطاع تنمية مواهب الراضي الشعرية وصقلها فجعل منه شاعرا وسطا قام الصولي نفسه بجمع مختارات من شعره أودعها الجزء الخاص بأخبار الراضي والمتقي من كتاب الاوراق (٣) ، وقد

(١) أخبار الراضي ٢٦ والسيدة هي أم المقتدر .

(٢) تعني المقتدر .

(٣) أخبار الراضي ١٥٤ - ١٨٢ .

وقعت في ثمان وعشرين صفحة ، عدا ما جاء في ثنايا الاخبار والاستطرادات .
 اذا نظرنا الى شعر الراضي الذي نقله لنا الصولي وغيره من المؤرخين
 وجامعي الادب وجدناه في الغالب يهتم بالغزل الغلmani ومجالس الخمر واللهو
 كما يتناول الفخر والشكوى والرثاء ، وهو على العموم صورة لمجتمع خلفاء
 القرن الرابع . يعوضنا كثيرا عن خرس الخلفاء الآخرين في قول الشعر الذي
 يمكن ان نستشف منه حياتهم وطبيعة مجتمعهم .

نلاحظ في شعر الراضي مقطوعات كان قد نظمها أيام كان أميراً تدل
 بعضها على معاملة الخليفة لابنائه . فالمتندر يغضب على الراضي أو يجفوه فيتألم
 مثل أي انسان آخر يجب أباه لذلك يقول معتذراً (١) :

هلاّ ردّدت على العدو الكاشح وقلت في من الصديق الناصح
 الآن حين ملأت قلبي رغبة أعقبته ظلما بيأس قاصح

• • •

أبعدت ظنّي بعد ما قرّبته ولسوف تذكر في فسادي صالح
 ما للإمام تنكرت أخلاقه من قول هاج في مكان مدائي
 في كل يوم أرتجي إنصاف من يجري الى ظلمي بقول الكاشح
 جَمْرِي إذا ما شئت طاف خامد واذا تشاء فكالشهاب اللائح

وإذا لم يكن لهذه القطعة الشعرية قيمة فنية تذكر فهي مهمة في تصوير
 العلاقات بين الخليفة وابنائه ، تبين كيف يسمع فيهم أقوال الوشاة والمتملقين ،
 مما يؤكد إهمال هذا الخليفة لشؤون ابنائه وعدم معرفته أمور حياتهم دقائقها
 وكبائرها .

ومن أيام إمارته ينقل لنا الصولي اهتمام الراضي بالادب واحترامه
 لاصحابه . فقد اعتل الصولي وتأخر عن خدمة الراضي والنوبة كانت عليه
 فكتب الراضي رقعة الى الصولي جاء فيها (٢) :

(١) نفسه ١٦٥ .

(٢) أخبار الراضي ٦٠ .

يا عليلاً جعل الساعة إذ غاب شهورا
ولقد كان به الدهر إذا جاء قصيرا
لعلوم لا أرى الدهر له فيه نظيرا
صرف الله الأذى عنك ولقائك سرورا

وكان الشاعر الأمير مرتبطا بحياة التبذل واللهو ، ففي أيام حبسه زمن
خلافة عمه (القاھر) لا يتذكر إلا أيام لذته وأنسه فيقول (١) :

فقدتُ الهوى وَعَدَمْتُ الودودا وأبلى الحديدان منِّي الحديدا
وقد كنتُ دهرا أَطْبِيعُ الهوى وأجري مع اللهو شأوا بعيدا
فَحَرَمْتُ كَأْسِي على لَدَّتِي وَأزمتُ كُلَّ وصالِ صُدُودا

ومثلما نلاحظ ارتباطه باللهو الذي يلازمه دأيلة حياته نرى ملقه وجبته
حينما أرسل له القاھر برؤوس مؤنس وبلق وابنه متوعدا اياه بمصيرهم نفسه
فارتعب وخاف وكتب اليه يستعطفه (٢) :

بَقِيَّتْ أميرَ المؤمنين على الدَّهْرِ برغم الاعادي نافذ النهي والامر
شفيت غليلا كان لولاك قاتلا وخففت همًّا ضاق عن حملة صدري
وقمت بحق الله في قتل معشر سَعَوْا في البلادِ بالفسادِ والكُفْرِ
فَعِشْتُ لدين الله تجبُّرُ وهنَّه وَبُلَّغْتَ أَقصى ما هَوَيْتَ من العمر

وربما تشفى الراضي من الذي جرى على قتله أبيه لكن علائم الخوف
تظل واضحة بارزة على كلمات هذه المقطوعة .

وعلى ذكر أبيه المقتدر فقد أورد المؤرخون ثلاثة أبيات حسنة يرثيه
الراضي بها فيقول (٣) :

ولو أن حياً كان قبراً لمَيَّتْ لصيرت أحشائي لأعظمه قبراً
ولو أن عُمُرِي كان طوع مشيئتي وساعدني المقاديرُ قاسمته العُمرا

(١) نفسه ١٦٦ .

(٢) نفسه ٥٠ .

(٣) تكملة الطبري ١١٨ ، البداية والنهاية ١١ / ١٩٧ .

بنفسي ثرى ضاجعت في تربيهِ البلي لقدمت منك الغيث والليث والبدر
 والتاريخ لا يؤيد الراضي فيما أسبغ على أبيه من شجاعة لانه كان معروفا
 بالضعف والانغماس في الملذات وترك امور البلاد تصرفها النساء .

ويذكر لنا الصولي أيضا مقطوعتين يرثي الراضي بهما أباه ، لا تحرجان
 في معناهما كثيرا عن الأبيات التي ذكرناها (١) :

وإذا أصبح الراضي خليفة لم يكن أحسن حالا من أبيه في ضعفه وخنوعه
 واستسلامه للاجنبي ، ولقد بلغ ضعفه حد التصاغر أمام سلطان أمير الأمراء
 (بيجكم) فقد رفع اليه آيات الحمد والثناء أكثر من مرة مادحا إياه بكلمات
 يأنف صاحب كرامة أن يقولها لند له لا لتابع من اتباع دولته . فحينما ينتصر
 بيجكم على ابن رائق ويملك واسط يكتب له قائلا (٢) :

يا عمدة السلطان	وليث هذا الزمان
ومشترى الحمد مني	بأوفر الأثمان
فككت أسرى من	كف طارق الحدّثان
فصرتُ أسبق جريا	وقد ملكت عناني
فأنت حربُ عدوي	وسلم من والانبي
والسيفُ مثل لساني	إذا تعايا لساني
تسرفني كل وقت	في غيبة وعيمان
فشكرك الدهر لا كارم	أن شكر غيرك شاني

ان كل بيت من هذه الأبيات ينطق بالذلة والخنوع ويدل قطعاً على ان
 الراضي لم يكن يمتلك حتى زمام نفسه ، لذا فانه ينزلق في مهاوي الجبن كل
 فرصة ، حتى عند هجائه ابن رائق المهزوم يكشف لنا عن كثير من نقاط

(١) أخبار الراضي ١٦٧ ، ١٧٧ .

(٢) نفسه ٥٥ .

ضعفه مع أنه حاول أن يتسترَ عليها ببعض الكلمات البائسة حينما قال : (١)
أَيْطَلُّبُ كَيْدِي مِنْ يَهونَ كَيْادُهُ فَيوقِدُ ناراً مِثْلَ نارِ الحُبَّاحِبِ
لقد رام صعباً لم يَرْمُهُ شَبِيهُهُ وراض شَمُوساً لا يذُلُّ لراكِبِ
صَغُرَتْ عَنِ الأَمْرِ الذي رَمَتْ فِعْلَهُ فطالعتني بالضعنِ من كلِّ جانبِ
وأظهرت لي حباً يَطِيفُ به قَلِي كعَلْبِ بَرَقٍ في عِراضِ سحائبِ
اتعقِدُ لي كَيْدَ النِّساءِ بمرصَدِ ولاني فتيُّ السنِّ شيخُ التجاربِ
الا ربما عزت على الحازم الذي تراها بكفيته فريسة طالبِ
تُكشِفُ لِي الأيامُ منكَ معائباً وقد جريَتْ لاشكَّ أخزى المعائبِ
فأصبحتَ مقهوراً وعادتكَ نكبةٌ تشككي اليك الشوق شكوى الحبابِ

ولست أدري أين كانت رجولة الراضي حينما كان الامر لابن رائق
يستبد بكل شيء ويعيث بكل شيء أمام سمع الراضي وبصره ، وهو لا حول
له ولا طول ، فلو لم ينقذه بحكم من تسلط ابن رائق لظل خانعاً له مستسلماً
لسلطانه ، ولربما رفع له آيات الحمد كما رفعها لبحكم .

ان هذه القطعة مع بعدها عن الحقيقة تبين لنا علاقات سياسية عديدة ،
كإظهار الود الكاذب للخليفة واستغلال النساء لعمل المكائد ، ونكبات رجال
الدولة ، ومواقف الخليفة السلبية من كل هذه الامور على معرفته بها .

وكما يبدو ضعف الراضي أمام قادة الجيوش الاجنبية الذين يحكمون
البلاد يبدو ايضا في ذاته ، وفي شعوره بالخطيئة وفي نظرتة اليائسة الى الحياة
حين يقول (٢) :

كل صفو الى كَدَرٍ كلُّ أمنٍ الى حذرٍ

(١) اخبار الراضي ١٥٧ . والحجاب : النار الضعيفة .

(٢) نفسه ١٨٥ ، المحمدون ١٨٤ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٢٧١ تاريخ ابي الفدا ٣ /

١١٠ ، مختصر التاريخ ١٧٩ ، البداية والنهاية ١١ / ١٩٧ ، وقد اختلفت هذه المصادر في

بعض الفاظ هذا النص .

أين من كان قبلنا ؟ درس الشخص والاثرة

• • •

رب انسي ذخرت عندك أرجوك مدخر
لأنتي مؤمن بما بين الوحي في السور
واعترافي بترك نفعي وإثاري الضرر
رب فاغفر لي الخطيئة يا خير من غفر

ولا بد أن تكون ذنوب الراضي كثيرة . وأنه يعرفها فيطلب المغفرة من ربه . وكيف لا يطلب المغفرة من انصرف الى الملاذ وكاد يطير المثل بضعفه أمام شهواته . وقد فضح شعر الراضي هذه الحياة اللاهبة المليئة بالخطايا ، اميرا وخليفة .

قال يتذكر مجالس أنسه ويصف ما يجري له فيها (١) :

طربت الى «عمى» وعاودني ذكرى
فكم فتكة لي في ذرى عرصاتها
طرقت بها الخمار والنجم طالع
فأنكحني خمراً رَضِيَتْ نِكَاحِهَا
وقلت لساقينا أدر لي خمرة
فقام خلوب الدلَّ يجلو سُلَافَةَ
له مقلة تَسْبِي العَمُولِ وفتنة
عليمٌ بوحى الطرف حتى كأنما
فحطَّ على حُكْمِي رحالَ إجابة

وقسم شوال بقدمته فكري
أروح على سكر وأغدو على سكر
طلوع سينان قاصد ثغرة النحر
وأغليت بالسوم المبالغ والمهر
تُنِيلُ المنى وافجر بطلعها فنجري
تُسَبِّهُ في كاساتها ذائب التبر
تُسَمِّطُنِي من حيث أدري ولا أدري
يخاطبهُ فكري بما ضمّه صدرى
وسار بما أهواه طوعاً إلى أمرى

وإذا كان الراضي يظهر نفسه ماجنا شهوانيا ، فإنما يثبت فساد الجو الذي يعيش فيه ويبين كيف كانت حالة مجتمع خليفته يعيش الفساد كله .. ويصف الراضي نفسه داعية الى حياة اللهو والفسق مسوغا ذلك بان الحياة غير مجدية ،

(١) أخبار الراضي ١٧٢ . ووردت غمى في معجم البلدان . وهي بلدة قريبة من بغداد ، وفيها يقول صريع الدلاء : وبغى جعلت عقلي على الغم ... » ، الديوان ٧٦ أ .

لأنها فانية آفلة . ولا يتراجع عن رأيه هذا حتى أيام اشتداد علته ، حيث يقول (١) :

ولما رأيتُ الدهرَ يخطُبُ خطبةً وأيامه تَعَدُو عليَّ بنوباتٍ
عَصَيْتُ زماناً قد تجاسرَ صَرَفُهُ واتبعت يومَ الهم يومَ لذاذاتٍ
وأيقنتُ أني مهجةٌ مستعارةٌ تُرَدُّ إلى ملكِ المعيرِ بغُصَّاتٍ
فيا ليتني أمضيتُ ما كنتُ عازماً عليه ليشفي داءَ صدرِي ولوعاتي

وتلوح لنا مظاهر الهروب من الواقع المؤلم في هذه القصيدة وفي قوله (واتبعت يوم الهم يوم لذاذات) .

ان الراضي ينظر الى الحياة من زاوية واحدة فتبدو له وكأنها جلسة من جلسات الخمرية يقوم عليها ولدان منعمون ولهذا فانه يدعو في حماسة الى الاعتراف من هذا النعيم - في تصوره - ناسيا ، أو متناسيا أن الحياة ليست باللهو وأن الانغمار في الملذات هو هروب شائن من وجه الحياة ومتاعبها ، فالعيش يكون مشوها اذا كان مثلما يريد الراضي في قوله (٢) :

العيشُ راحٌ يعاطيها براحتِه مُنَعَمٌ يقتضي عيشاً بلحظتِه
كأنما لونُها من لونِ وجنتِه وطعمُ ريقنِها من طعمِ ريقنِه
إن أمكن الدهرُ من عيشٍ بشهوتهِ فانعم بغفلتِه من قبلِ فِطنتِه

ان الراضي يرى مما لا يراه المعتدلون ، فهو يتطرف في دعواته الى الأخذ باللهو ، وقد تكون دعواته هذه ذات طابع شخصي لكنها تظل رمزا لمجون الخليفة وانزاهمه وتقصيره في واجباته ، خاصة اذا سمعناه يقول (٣) :

بادر بلهوكَ ليلةً بدريسةً واقصد بما تهوى برغمِ الحُسُدِ
ومرِ الغريرِ يُدِيرُ بِكِرِّ سُلَافَةِ لا تسمعنَ لعاذلٍ ومفتنِدِ

(١) نفسه ١٦٤ .

(٢) اخبار الراضي ١٦٤ .

(٣) نفسه ١٦٦ .

يهتر في سود الثياب كأنه
 ما زلتُ أسحره بلحظ خاتل
 بدراً تجلّي من غمامٍ أسود
 وأسومه الإنجازَ قبلَ الموعدِ
 حتى توردَ خده بمدامة
 كالمسك ذاتِ توقدٍ وتوردِ
 وتبيّن الانعامُ في الحاظه
 مُتقربَ الألفاظِ بعد تبعدِ
 يا ليلة كانت لدهري غرّة
 طالعت عليّ نجومها بالأسعدِ

ومهما يكن فان هذه الاقوال تدل على صدق في اللهجة ، وهي حتى لو كانت خيالاً لا تليق — بأمر المؤمنين — الراضي بالله الذي من واجبه أن يظهر — ولو زورا — أمام الناس بمظهر لائق فيه بعض الوقار وقليل من الحشمة . لكن الراضي ينسى أنه خليفة وأن شعره سيذيع ، ويتناقل الناس مبادل صاحبه وتصرفاته الخاصة المهينة ، ولهذا يكثر من وصف أنسه وملاهيته ، فيقول
 مثلاً (١) :

داو الخمار بخمره وصل الصبوح بفجره
 واطرب لفظر زائر أهلا به وبزوره
 يا ليلة « بالقفص » (٢) جادك العذول بعذره
 لما رأى رشاً يُذيبُ العقلَ ذائبُ تبره
 متمرداً في سكره متمابلاً في خطره
 كالبدر الا أنه بدر لسائر شهره
 فشربت خمرة كأسه ورشفت خمرة ثغره
 وزادني في طربي منعم داني الرضا مني ناء بالغضب
 يدير راحا لمعت في كأسه وألبست من مزجه تاج ذهب

ومثلما هو سائد في الأسر المتسلطة المترفة آنذاك من الخلاعة ونزع الاحتشام ، كان الراضي يرمي في مسراته احتشامه جانباً فيؤثر لذته وشهوته

(١) نفسه ١٧٣ .

(٢) القفص : بلدة قرب بغداد .

على رأيه (١) وبدون أية غيرة على سمعته يقول واصفا جلسة من جلسات أنسه وطربه ومجونه (٢) :

وقهوة	يرامى	شعاعها	بلهيب
جعلتها	حظ نفسي	عشما لها	ونصبي
بيوم سعد	مصفتي	من الزمان	المشوب
فستني	تذكارا	لطاعة	المحجوب
واعص الرقيب	فإنني	أحل قتل	الرقيب
أبى شباني	إلا	عصبة	لمشيبي
ما سود النسك	مني	الا بياض	ذذوي

وما بنا من حاجة الى وضع أصابعنا على مواقع عصيان الراضي للرقيب وللرب أيضا ، ما دام « بياض ذنوبه » يذهب بسواد نسكه وما دام يرى أن هذا العصيان حلال إذا كان في اللهو والشراب الذي يديره ظبي يعرف مكانه ضعف الراضي ، وعبوبه فيخلق جوا أنسا ، مخمورا يجعل الراضي يقول (٣)

وعقار ذوب شمس	جمعت حسنا وطيبا
سلبت عقلي ختلا	وسرت في ديبيا
قد سقانيها غزال	عالم مني عيوبيا
حقق الريبة لحظ	منه خلاني مريبيا
وترى الغصن لعطفه	إذا اهتز نسيبا

هذه الأبيات ليست الا شيئا يسيرا من مظاهر الخلاعة عند الراضي وهو لا ينكر هذه المظاهر انما يصبها قوالب شعرية وكأنه ينفس بها عن همومه أو يعوض بها عن نقص كبير فيه .

(١) اخبار الراضي ١٥٨ .

(٢) نفسه ٤٣ . قام بحكم للصولي عن الراضي بعد وفاته « كان شديد الجبن يؤثر لذته وشهوته على رأيه » ويعلق الصولي على ذلك بقوله : « فمجبت والله من عقل بحكم ، جاء والله بعيبه اللذين ما كان فيه غيرها » .

(٣) اخبار الراضي ١٦١ .

(٤) نفسه ١٦٢ .

وإذا كان عصره عصر شراب وغللمان فليس من حقه أن يكون أنموذجا ردينا لعصره لأن منزلته الدينية والاجتماعية يجب أن تحول دون سقوطه في هوة الانحرافات الزمنية ، لكن ما حدث حدث ، فالراضي ينهار أمام غلام « ناظر عن دعج محكم في المهج » يدير كأسا فرجت هم الفتى بالفرج (١) يتخذ منه بؤرة يفرغ فيها همومه لينفرد معه يؤانسه ويسقيه و .. و .. ويقول بعد كل هذا (٢) :

يا ربّ ليلٍ قد دنا مزاره يسترني ومؤنسي إزاروهُ
ساقٍ مليحُ القدّ كد (٣) جاره سراجهُ ووجههُ منارهُ
يشهد لي ببذله زنتاره تاه بخد ظهر احمراره
ماس من الحمره جلتاره أي كثيب قد حوى إزاره
وأي غصن ضمنت أزراره طوع الكؤوس ، غره عذاره

ويمكن بعد ذلك أن نتصور مدى ضعف الراضي أمام ملذاته وأمام غلمانه إذا عرفنا أن جسمه كان يصفر إذا ما تأمل محبوبه الذي يحمر خجلا « حتى كأن الذي بوجنتيه » (٤) قد انتقل من دم الراضي الواله ، أو نتصور هذا الضعف حينما نسمعه يقول (٥) :

ضللت في حبكم فحسبي حتى متى اتبع الضلالا
إذا سمعنا ورأينا كل ذلك ثم إذا سمعناه يقول أيضاً (٦) :

بين الصّراة وكرخايا (٧) تمرده والعيش من نكبات الدهر معصوم

(١) اخبار الراضي ١٦٥ .

(٢) مروج الذهب ٤ / ٣٢٣ .

(٣) وتروى كز

(٤) المنتظم ٦ / ٢٦٧ .

(٥) نفسه ٦ / ٢٦٨ .

(٦) اخبار الراضي ١٨١ .

(٧) الصراة نهر في بغداد ينظر الاقاليم ٤٨ . وكرخايا نهر ببغداد يمر ببراثة . ينظر مراد

الاطلاع ٣ / ١١٥٥ .

والغضب دين وشرب الراح مفترض والهلك مستعمل والصون مثلوم
أدركنا أي رجل غريب عن الخلافة والمسؤولية يحكم دولة مترامية
الاطراف ، ثم أدركنا لم تهرأت أركان هذه الدولة ، ورثينا بعد ذلك للمجتمع
المسكين الذي يحكمه خليفة ضعيف مثل الراضي المسرف في شهواته ولذائده
(حتى أيام علقته) ، المسرف في أموال دولته وابنيته « يهدم القصور ويصيرها
بساتين » (١) وينفق ما يجده في بيت ماله أو بيت مال المسلمين مسوغا كل
ذلك بقوله (٢) :

لا تكثرن لومي على الإسراف ربح المحامد متجر الأشراف
أجري كأبائي المكارم سابقا وأشيد ما قد أسست أسلافي
اني من القوم الذين أكفهم معتادة الاخلاف والاتلاف
ومن الطبيعي جدا أن يعتاد الراضي وأسلافه أو أخلافه اتلاف مال لم
يجهد به غير الصناع والفلاحين وسواهم من العامة المرهقين بالضرائب وسياط
الولة والحياة .

ان مجتمع الخلفاء وان أصابه الوهن والتفسيخ لم يخل من نبضات إيجابية
سجلها لنا التاريخ : فقد ذكر أن الراضي كان يتألم لما يراه من ضعف سطوته ،
وتخاذل هيئته أمام سيادة يحكم ، وابن رائق (٣) .
وذكر أن المطيع رفض أن يسمح للقاضي ابن أبي الشوارب بزيارته لأنه
ضمن القضاء (٤) وكان يظهر لبختيار استياء من تسلطه وانفراده في السلطة (٥)
كما ذكر أن الخليفة القادر كان متعبدا « في أيامه تراجع وقار الدولة العباسية
ونما رونقها » (٦) .

(١) المنتظم ٦ / ٢٦٧ .

(٢) أخبار الراضي ٥٤ ، المنتظم ٦ / ٢٧٦ ، البداية والنهاية ١١ / ١٩٧ .

(٣) ينظر مروج الذهب ٤ / ٣٣٧ .

(٤) ينظر التبراس ١٢٤ .

(٥) الكامل ٨ / ٦١٨ .

(٦) الفخري ١٩١ .

القيمة الفنية :

يكاد شعر الراضي من حيث كثرته يوازي ما قاله بعض شعراء عصره ، وقد حظي باهتمام المؤرخين ورددوا في شاعريته الكثير من الاوصاف فقال المسعودي (١) : « إنه كان اديبا شاعرا ظريفا وله اشعار حسان في معان مختلفة وان لم يكن ضاهى بها ابن المعتز فما نقص عنه » .

وقال ابن الجوزي (٢) : إنه « كان ... اديبا شاعرا حسن البيان والفصاحة »
وقال ابن تغري بردى (٣) : « إنه كان شاعرا محبا للعلماء وهو آخر خليفة له شعر مدون » .

وإذا عبرنا هذه الأقوال وغيرها ورأينا شعره بعين فاحصة تبين لنا الراضي شاعرا من الدرجة الوسطى ، ففي بعض قصائده ، أو أبيات من قصائده ومقطعاته ترسم رقة الشاعر وعذوبة الفاظه وطراوتها وخاصة ما نظمه في الغزل والحمرة ، وفي مقياس النقد آنذاك كان الراضي بارعا مثلا في قوله (٤) :

قالوا : الرحيل !! فأنشبت أظفارها في خدها وقد اعتلقتن خضابا
فاخضرَّت تحت بنانها فكأنها غرست بأرض بنفسج عنابا
ففي البيت الأخير تشبيه - وان كان في مفهومنا ساذجا - إلا أنه جيد وجميل في مفهوم أهل عصره .

وإذا كان هناك نبضات شعرية عند الراضي تخوله أن يكون في عداد الشعراء ، فليس معنى هذا أنه شاعر متمكن فهو كما يبدو كان يقع في أغلاط بدليل قول الصولي (٥) « كان رضي الله عنه جمع شعره وأملاه عليّ فكتبته بحضرة المجلساء في يوم وليلة ، لا أقوم عنه إلا الى الصلاة فوصلني على ذلك ، ونسخ المجلساء هذه النسخة وهي عندهم . فنظرت فيها فاذا فيها أشياء فقلت

(١) مروج الذهب / ٤ / ٣٢٣ .

(٢) المنتظم / ٦ / ٢٦٦ .

(٣) النجوم / ٣ / ٢٧١ .

(٤) نهاية الأرب / ٢ / ٩٥ .

(٥) اخبار الراضي / ١٥٤ .

من حيث لا يسمعي أحد : يا سيدي هذا شعر يبقى على الأبد وقد بقيت فيه حروف تحتاج الى أن نغيرها ، فقد غير ابن المعتز شعره مرات وان أمرتني نسخته نسخة أخرى وعرضته على سيدنا ويأمر أمره . فقال : افعل وأنا أصلك للنسخ وغيره (١) ، فعملت نسخة كتبها ، وعرضتها عليه ، فسر بها وقال تأخذ نسخ أصحابنا منهم وتقرر النسخة على هذا .

وهذا دليل واضح على مساعدة الصولي للراضي في تقويم شعره وتصحيح اغلاطه ، وهناك دليل آخر على هذا هو تغيير الصولي لببيت من احدى قصائد الراضي وقبول الراضي بهذا التغيير (٢) .

ومع هذا فقد كان الراضي ذواقا للادب والشعر يؤكد ذلك لنا نقده لشعر ينسب الى المعتمد جاء فيه (٣) :

من قال اني اعشقت لو صوروا الحب لكان رجلا أحمر
ادور السطوح فلا أراه كأنني سنور أو أبلق
تمنيت من شوقي اليه أن أطلع عليه فأكون لقلق
هوى الناس مجتمع عندي وهواهم عليهم مفرق
فقد كتب تحت هذه الابيات :

لم يقل ذا الشعر الا جاهل بالشعر أحمر
أو مصاب ذو جنون ضائع الفكرة أبلق
والراضي بعد هذا فيه روح استاذه ومربيه ابى بكر الصولي وهو وان كان اقصر منه نفسا فانه أكثر عفوية وأسلس لفظا ، ويثبت ما ذكرنا من تأثيره باستاذه قول الراضي نفسه (٤) :

« الصولي علمني الشعر وأنا أتبع الفاظه وأنحو مذهبه » .

(١) تلاحظ كلمة غيره .

(٢) ينظر اخبار الراضي ٥٢ .

(٣) الديارات ٦٧ .

(٤) اخبار الراضي ٤٦ .

الخلاصة :

يمثل شعر الراضي حياة معظم خلفاء ذلك القرن وهو يبرز لنا المأساة الاجتماعية السائدة آنذاك ويبين بوضوح حياة البذخ والدعارة التي كان يحياها السادة على حساب عرق الناس ودمائهم التي كانت تبذل في سبيل أن ينال الخليفة وحاشيته المتعة والانس ، وكان هذا الشعر ايضا شاهدا نزيها يحكي صورا حية للحياة السياسية المضطربة التي أذلت الخلفاء وأنهت سلطاتهم ، وقد انعكس وضعهم المزري هذا على روح الشعر فجاء كما رأينا ضعيفا ذليلا خنوعا .

وقد يكون معروفا أن الخلفاء في القرن الرابع ضعفاء وأن لا سلطان لهم ولكن الذي دلنا عليه شعر الراضي شيء أكثر من هذا ، ذلك هو انغماس الخليفة في حياة الترف واللهو وما يصاحبها من سكر وغلمان وفجور ، ولم يحدث أن رأينا خليفة عباسياً صرح بانغماسه في مثل هذه الميادين على هذه الصراحة والجرأة كما فعل الراضي .

وقد يكون في هذا ما يدل على استهانة الخليفة بما تحاط به الخلافة من أهبة هيبة وغير ذلك .

كما يمكن أن يدل على أن الناس لم يعودوا يستشارون لمثل هذه الأشياء التي يفترض أنها خارجة عن اطار الحشمة والعرف الديني أو الاجتماعي حتى كأنهم أمر معروف عن الخلفاء وحاشيتهم .

لقد أوضح شعر الراضي قضايا اجتماعية خطيرة ومع هذا لم ينتبه المؤرخون القدماء الى نواح عديدة مما سجله هذا الشعر وبخاصة فسق الخلفاء ودعارتهم ، واذا كان المؤرخون القدماء (١) يهابون تسجيل مثل هذه الامور

(١) ينظر مثلا مروج الذهب ٤ / ٣٢٣ ، والمنظوم ٦ / ٢٦٥ ، وتاريخ الخلفاء ٣٩٠ وغير ذلك من كتب التاريخ القديمة ، ومحاضرات في تاريخ الامم الاسلامية (الحضري ٣٦٠ ط ١٠ مطبعة الاستقامة ، مصر) .

فلا ندري لماذا لم يلاحظها ويهتم بها المؤرخون المحدثون (١) على علمية بعضهم ونظراته التاريخية الجيدة ؟

وأظن أن سبب إهمالهم هذه الامور عدم تفحصهم بدقة اشعار هؤلاء الخلفاء لكي يستنبطوا منها حياتهم ويدرسوها في ضوء هذا التسجيل الذاتي ، الذي يعد خير ذخيرة للمؤرخ ودارسي المجتمع ، وكأني بهؤلاء المؤرخين يستهينون بالشعر مصدرنا للتاريخ .

الامراء :

منذ أن استبد الغلمان الاتراك زمن المعتصم وأمور الخلفاء في تضاؤل وأمور هؤلاء الغلمان في ارتفاع ، ولقد نالت الخلافة على يدهم الهوان والذل ، فقد قتلوا المتوكل والمعتز والمهتدي والمقتدر وسلموا القاهر والمتقي وعزلوهما ، وسلبوا ارادة الرازي (٢) بعد ان خلقوا منصب امرة الامراء (٣) وولوه لابن رائق ويجكهم من بعده ثم توزون وغيرهم .

ولم يكن حظ الخلافة أحسن في عهد البويهيين الغزاة الجدد ، فقد جعلوا من امرة الامراء سلطة ملكية وراثية محصورة في آل بويه . لقد انتهى على ايديهم المستكفي وسلبت ارادة المطيع وخلع ، كما خلع ايضا ابنه الطائع وأهين وتفرد بهاء الدولة دون القادر بالسلطة (٤).

(١) ينظر تاريخ الاسلام السياسي ٣ / ٢٩ (حسن ابراهيم حسن ط ٦ مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٩٦٤)، دراسات في العصور العباسية المتأخرة للدوري ٣٢٣ . ومحاضرات في تاريخ الامم الاسلامية للحضري ط ١٠ مصر (مطبعة الاستقامة ص ٣٦٠) .

(٢) ينظر مروج الذهب ٤ / ١١٠ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ٣٠٥ ، وغيره من كتب التاريخ حوادث السنوات : ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٣٢٠ .

(٣) ينظر في الامارة (وخاصة امارة الاستيلاء) وشروطها ، الاحكام السلطانية : ٣٩ وما بعدها .

(٤) ينظر الكامل وغيره من كتب التاريخ حوادث السنوات : ٣٣٤ ، ٣٦٣ ، ٣٨١ .

ولم يكن للخلفاء خلال هذين العهدين من نصيب غير مباركة المنتصر من هؤلاء الأمراء واسبغ الألقاب أو يبعها في سوق الذلة والجن مما حدا بالخوارزمي أن يقول في هؤلاء الخلفاء (١) :

ما لي رأيت بني العباس قد فتحوا من الكُنى ومن الألقاب أبوأبا
ولقبوا رجلا لو عاش أولهم ما كان يرضى به للحش أبوأبا
قلّ الدارهم في كفي خليفتنا هذا ، فأنفق في الأقسام ألقابا

وإذا كان هؤلاء الامراء «يخترثون على مقام الخلافة» فانهم لم يتورعوا عن ارتكاب أبشع الجرائم ضد الناس ، وقد حدث هذا بالفعل فقد عبث الامراء وجنودهم بمقدرات الناس (٢)، في مختلف الظروف السياسية المتقلبة ، فانتهكوا حرمتها (٣) . وسلبوا أموالهم ولم يكن عند الناس من مقابل للحفاظ على حياتهم غير الرشاوي والتذلل والاستعطاف بواسطة الدين الذي لم تعد له تلك السطوة أو الهيمنة على عواطف هؤلاء الخند الاجلاف .

ومع هذا فقد اهتم بعض أمراء الاتراك - قبل العهد البويهي - بالادباء والعلماء ، وكانوا ينطلقون في اهتمامهم البسيط هذا من نزعتهم المتعالية على الناس ، ومن حب سيطرتهم على كل شيء حتى النواحي الانسانية التي يحس بها قسم من الناس فيصوغونها شعرا أو نثرا يؤيد ذلك ما جاء على لسان بجمك حين قال للصولي (٤) : «أنا انسان وان كنت لا أحسن العلوم والآداب ، أحب

(١) اليتيمة ١ / ١٥٠ - ١٥٣ .

(٢) اخبار الرازي حوادث سنة ٣٢٧ هـ ، عبث أصحاب بجمك .

(٣) تنظر قصة الخياط والقائد التركي الذي انتهك عرض امرأة في (تشوار المحاضرة ١ /

١٥٠ - ١٥٣) .

وملخص هذه القصة أن قائدا تركيا حاول أن ينتهك عرض امرأة فاراد الخياط وجماعة معه أن يمنعه فضرب القائد هذا الخياط وشج رأسه ، فقام الخياط وصعد المئذنة وأذن ، فانتبه الخليفة والقواد فجاءوا الى الخياط وأخذوه الى الخليفة فقص عليه هذه الحادثة فكبس الخند دار القائد التركي وأخرجوا المرأة منه ، وأمر الخليفة الخياط أن يؤذن كلما أحس بمظلمة ..

(٤) أخبار الرازي ١٩٥ .

ألا يكون في الارض أديب ولا عالم ولا رأس في صناعة الا كان في جنبتي ،
وتحت اصطناعي وبين يدي لا يفارقي . » .

وقد تكون هذه المشاعر المتساطة تعويضا عن نقص نشأ عليه هؤلاء الامراء
سببه استرقاق العرب لهم أو لآبائهم فلذلك يحاولون أن يظهرُوا أنفسهم بمظهر
العلماء أو بمظهر الراعي للعلماء والادباء لكي يمنوا عليهم وعلى الناس الذين
يحترمون العلم والأدب ويبرهنوا بعد ذلك أنهم قادرون على أن يسبقوا العرب
حتى في لغتهم وآدابها وعلومها .

وقد زاد بنو بويه على الاهتمام بالشعر محاولتهم نظمه وقد يكون سبب
ولع آل بويه بالشعر قرب ايران - وطنهم الاصيلي - من أرض العرب ،
وسبق دخول الاسلام مناطقتهم ، إضافة اني أنهم حاولوا أن يبرزوا أنفسهم
عظماء في الحرب والأدب والعلم .. وقد يكون أهم الاسباب مرونة آل بويه
وانفتاحهم على المجتمع الجديد الذي حكموه بعكس الاترك الذين انغلقوا
على انفسهم ولغتهم والتزموا جانبا واحدا من الحياة هو الجانب العسكري
المتسلط (١) .

وقد خلف لنا آل بويه نماذج من نظمهم فتمكنا من استخلاص كثير
من النواحي الاجتماعية وغيرها وقد جعلنا من هذا النظم منطلقا لتصوير
حياة الامراء بمجموعهم ، فهو يعكس صورا من حياتهم واهتماماتهم
وتطلعاتهم .

فاذا انغمس هؤلاء الامراء في حياة اللهو والبذخ برز ذلك في شعرهم
واضحاً جليا (٢) . فقد كانت مجالس الشراب والأنس عادة سائدة في قصور

(١) ينظر في ابتعاد الاترك عن الاندماج بغيرهم ، حضارة الاسلام ص ٢١٥ وما بعدها .
(٢) يصور الاستاذ الدكتور جميل سعيد اقبال الامراء على الترف واللهو مصاحبا للحياة
المضطربة ، وليس الامر كذلك لأن اللهو يحصل بحصول الفراغ والفراغ معناه وجود الهدوء لا
الاضطراب الذي يأخذ من وقت الامراء الكثير لازائه ومحاربة مسببه . (ينظر الوصف في شعر
العراق ٢٨٣) .

الامراء البويهيين ولذا نرى عز الدولة (بختيار) يقول (١) :

إشرب على قطر السماء القاطر في صحن دجلة واعص زجر الزاجر
مشمولةً أبدى المزاج بكأسها دراً نثيراً بين نظم جواهر
من كفّ أعيد يستبيك إذا مشى بدلال معشوق ونخوة شاطر
ويبدو أن آل بويه مغرمون بشرب الخمر مع سقوط المطر (وقد يكون
صوت سقوط القطرات المائية مؤثراً في نفوسهم المشبعة بروح السنف
والقساوة ...).

وكان من الممكن أن نعتبر هذه الظاهرة نزوة طارئة لو أن (بختيار)
انفرد بها لكن عضد الدولة جاء ليؤكد هذه الرغبة ويزيدها شيئاً من التعالي
والشعور بالعظمة في قوله (٢) :

ليس شربُ الراح الآ في المطر وغناء من جوار في السحر
غانيات مبرزات للنهسى ناغيات في تضاعيف الوتر
مبرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن (٣) ركنها ملك الاملاك غلاب القدر

وإذا كان عضد الدولة في هذه الأبيات يقدم سورة للهو المحتشم - نوعاً
ما - فان عز الدولة (بختيار) يرسم لنا صورة مبتدلة للامير اللاهي الذي
ينسى منزلته ومسؤولياته وينغمس في موبقاته الكثيرة ... يقول بختيار (٤) :

(١) اليتيمة ٢ / ٢١٩ ، الدمية ١ / ٢٦٤ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٢١٨ ، الوفيات ٣ / ٢١٨ ، الكامل ٩ / ٢٠ ، البداية والنهاية ١١ /
٣٠٠ ، يتساءل الدكتور السامر فيها إذا كانت لبيتهم الاصلية الممطرة وحينئذ إليهما علاقة في
هذا الشعر .

(٣) لا يستقيم الوزن الا باشباع حركة النون .

(٤) اليتيمة ٢ / ٢١٩ .

فيا حبذا روضتا نرجس تحيي الندامي بريحائها
 شربنا عليها كأحداقنا عقارا بكأس كأجفائها
 ومسنا من السكر ما بيننا نجرّ ريطاً كفضبانها
 والصورة هنا جليلة : ملك بأهته وعظمته وقوته الجسمية (١) الحارقة تذهب
 الراح بعقله فيميس سكرها وابتدالا .

ويختلط الغزل الغلmani بالحمرة في شعر الامراء فيظهر لنا مقدار ولهمم
 بالغلman وحبهم لمعاشرتهم وقد مر قول بختيار يستحسن الحمرة : « من كف
 أغيد يستيبك ... البيت » . وليست قصة بختيار هذا وانهاره أمام أسر عضد
 الدولة لعلامه بغريبة على هؤلاء الامراء (٢) .

وتاج الدولة بن عضد الدولة لا يختلف عن ابن عم أبيه بختيار في حبه
 للغلman السقاة - خاصة - وهو يجاهر بما يفعله معهم مجاهرة لا تدع مجالا
 للشك في شدوذه وغلmanيته وقد لا يتصورها تاج الدولة لانه حين يقول (٣) :

سقاني سحرا خمرة وقد لاحت لي النثرة
 غزال فاتن الطرف مليح الوجه والطوره
 انا ملك وقد ملكت روجي صاحب الوفرة (٤)
 وقد زرفن (٥) صدغيه على أبي من الزهره
 اذا حاول ان يجهل أو تبدو له نقره
 أعان الشيخ ابليس عليه فأتى مكره

(١) المعروف عن بختيار قوته الجسدية الحارقة التي تؤهله لأن يصرع اكبر الثيران .
 (٢) وملخص القصة أن عضد الدولة أسر لبختيار عام ٣٦٦ غلاما كان يحبه بجنون ، فانهار
 بختيار وكتب الى عضد الدولة يتنازل له عن كل ما يملك في سبيل أن يسترد غلامه فسمقت هيبته في
 أعين جنده وأعين الناس .

(٣) البيهمة ٢ / ٢٢٢ ، الدمية / ١ / ٢٦٦ .

(٤) الوفرة : مجتمع الشعر في مقدمة الرأس ، تلاحظ عملية التفنن في تجميع الشعر .

(٥) زرفن : أي تفنن في عقص شعره .

ينطلق من اعتيادية هذا الشذوذ وصيرورته عملية لا تُخجل حين يُجَاهَر بها ، قَالَ بويه مولعون بها ولهاً بيئاً وهم بذلك يجارون تيار العصر الذي جرفهم في سيره مثلما جرف غيرهم من الحكام أو غير الحكام .
وفي قول تاج الدولة نلاحظ عند الغلمان عملية التفتن في الشعر :

(وقد زَرَفْنَ صُدغِيه ... البيت)

ونلاحظ هذه العملية ايضاً في قول ابي العباس بن فيروز بن ركن الدولة وهو يتغزل (١) :

أدر الكأس علينا	أيها الساقى لنطربُ
من شَمول مثل شمس	في فم الندمان تغرُبُ
فحككت حين تجلّت	قمرا يلثم كوكب
ورد خديه جنّبي	لكن الناطورَ عقرب (٢)
فاذا ما لدغت فالرقيق	درياق مجرب

وإذا تركنا ارتباك هذه الأبيات وضحالتها الفنية واهتمنا بنواحيها الاجتماعية تبين لنا ما في تفتن هؤلاء الغلمان بشعورهم من اغراء لسادتهم السكارى ، كما تبين لنا مقدار مهنية هؤلاء الغلمان ودعارتهم .
وفي الوصف الذي قاله امراء آل بويه نجد الالفاظ (الشمينة) - ان جاز القول - منتشرة في ثنايا اشعارهم وهي تبين عن نفسيات قائلها وأحوالهم الاقتصادية ونظراتهم المترفة حتى الى الامور الصغيرة .
فالامراء المخنوقون بالترف والنعيم وأنواع الطيب والحلى والمتع الجسدية وغيرها لا يمكن أن يصفوا أكلة مثل (البسَهطَه) (٣) الا بمفهومهم الخاص ونظراتهم الاميرية .

(١) البتيمة ٢ / ٢٢٣ .

(٢) تلاحظ عملية عقص الشعر على شكل ذيل عقرب .

(٣) البهطه : لحم سمين وتوابل وأرز وزعفران وسكر الطبخ : ٣١ ، ويسميتها صاحب الطبخ « المهلبية » ايضاً ، وقد قال عنها محقق البتيمة محي الدين عبد الحميد خطأ « أنها الارز باللبن » ويبدو أنه نقلها من البتيمة ط الصاوي ١٩٣٤ .

وإذا أراد عضد الدولة أن يصفها وعجز - كما يقول الثعالبي - عن وصفها بعض الشعراء قال (١) :

بَهَطَةٌ تعجز عن وصفها يا مدعي الأوصاف بالزور
كأنها في الجلام مجلوة لآليء في ماء كافور
فالجلام ، والآليء ، وماء الكافور لا يمكن أن تتبادر إلى ذهن إنسان أو شاعر بعيد عن معاشتها والتنعيم بها .

ومثل ذلك نلاحظه في وصف عضد الدولة الخبري (٢) الذي يقول فيه (٣) :

يا طيب رائحة من نفحة الخبري إذا تمزق جلباب الدياجير
كأنما رُشّ بالماورد أو عبت فيه دواخنُ ندى عند تبخير
كأن أوراقه في القد أجنحة صفرٌ ، وحمراً ، وبيض من دنائير
ان هذه الكلمات مستأغة في مفهوم رجل يملك دولة ويعيش في جنان خلقتها سواعد المعدمين ، وهو بعد ذلك عضد دولة وتاج ملة لكنها لن تكون مستأغة لو لا كها شعراء مثل ابن لنكك أو الخبز أرزي أو الأحنف العكبري ، لأنها بعيدة عن حياتهم ، ولو أنهم شاهدوا جوا مترفا عند شخص منعم وحاولوا أن يدخلوا مثل هذه الألفاظ في أشعارهم نبت بها السننهم وكبا جواد شعرهم فجاء هذا الشعر كاذبا متكلفاً .

وإذا عدنا إلى تتبع روح الثعالبي التي لحظناها عند عضد الدولة (من فاق البشر ، وغلاب القدر) نجدها أيضاً عنده حينما أرسل إليه أبو تغلب بن حمدان يعتذر عن مساعدته لخبثيار ويطلب منه الأمان فأنشد يقول (٤) :

(١) اليتيمة ١٧ / ٢ ويبدو لي أن عضد الدولة لم يرتجل هذين البيتين كما يصور لنا ذلك صاحب اليتيمة ، فقد يكون عمل على احضار البهطه ليتمحن الشاعر الذي ذكره الثعالبي وعرف مسبقاً أنه سيعجز لذلك وضع البيتين سلفاً وحين عجز الشاعر قالها عضد الدولة ليظهر للناس أنه شاعر قادر على الارتجال ولا أظنه كذلك .

(٢) الخبري نوع من النبات .

(٣) اليتيمة ٢ / ٢١٨ .

(٤) الكامل ٩ / ٢٠ .

أفاقَ حين وطئت ضيق خناقه يبغي الأمان وكان يبغي صارما
فلأركبن عزيمةً عضديــــة تاجية تدع الأنوف رواغما
أو نجدها في قوله (١) :

قتلت صنديد الرجال فلم أدع عدوا ولم أهمل على جيشه خلقا
وأخليت دور الملك من بعد عزهم فشردتهم غرباً وبردتهم شرقا
وقد يكون في واقع حياة عضد الدولة ما يستند قوله هذا فلقد كان شديدا
في حكمه محنكاً في سياسته .

ومثلما كان آل بويه يتوارثون الامارة أو الملك كانوا يتوارثون مظاهر
التعالي والعجرفة ، فقد استمر تعالي عضد الدولة في عقبه وبرز عند ابنه تاج
الدولة رغم ما لحقه من نكبات على يد أخيه ابي الفوارس .
ونجد عند تاج الدولة ميزة الفخر بآبائه وذويه وهو ما لم نجده عند عضد
الدولة التي كانت « الأنا » هي الغالبة على فخره .

فاذا أراد تاج الدولة أن يقول فخرا أشرك معه أباه وذويه وأنشد (٢):
أنا ابن تاج الملة المنصور تــــاج الدولة المرحو ذو المناقب
اسماؤنا في وجه كل درهم وفوق كل منبر لحاطب
واذا كان الفخر هم تاج الدولة في هذين البيتين فانه قد أرخ — من حيث
لا يدري — لظاهرتين سياسيتين خطيرتين هما ضرب دراهم عليها صور آل
بويه ، وذكرهم على المنابر أثناء الخطب ، ولم يكن شيء منهما للامراء قبل
القرن الرابع أو في أوامه (٣) .

(١) تاريخ الاسلام العباسي ٤٨ / ٣ .

(٢) البيهقي ٢٢١ / ٢ .

(٣) ذكر احد الخطباء مع الخليفة الراضي اسم ابن ياقوت فغضب الراضي وطرده الخطيب
وفي زمن الراضي ايضا ضربت دراهم عليها من جهة : اما العز فاعلم ، للاмир المعظم ، سيد
الناس بحكم ، وهي مكتوبة حول صورة بحكم وهو شاك في سلاحه وفي الجهة الاخرى الصورة
بعينها وهو جالس كالمفكر المطرق ، المروج ٤ / ٣٣٧ .

ومن مظاهر التفاخر والثقة العالية بالنفس عند تاج الدولة قوله (١) :
 أنا التاج المرصع في جبين الممالك سالك سبل الصلاح
 كتائبنا يلوح النصر فيها برايات تطرق بالنجاح
 تكاد ممالك الآفاق شرقا تسير اليّ من كل النواحي
 ولم تكن كل مظاهر التفاخر هذه دليل قوة عند تاج الدولة بقدر ما هي
 دليل على وجود نزعة فردية عند الحاكم البويهي بصورة عامة .

ان حياة اللهو التي كان آل بويه يحيونها مقتصرة على مجالس الشرب
 والتمتع بالغلّمان ، فقد كانوا يخلقون لهم أجواء أخرى تزيل من حياتهم
 الرتابة والملل وتجدد حيويتهم ، وقد كان الطرد من مقومات حياة تاج الدولة
 البويهي سجل لنا ذلك في طردية جاء فيها (٢) :

صرنا مع الصباح بالفهود مردفة فوق متون القود
 قد وطئت توطئة المهود بالقمطف (٣) والجلال واللبود
 فهي كقوم فوقها قعود قد ألبست وشيا على الجلود

• • •

وقطعت حبائل المسود تفوت لحظ الناظر الحديد
 ركضا الى اقتناص كل رود فكم بها من هالك شهيد

• • •

جدنا بها والجود بالموجود فكثرت ولائم الجنود
 وشبت النيران بالوقود

وهنا نعرف - اضافة الى معرفتنا بولع تاج الدولة بالطرد وما يحصل فيه
 من متع ونزهة ، أن الفهود كانت موجودة في منطقة الأهواز وان الحيوانات

(١) اليتيمة ٢ / ٢٢١ .

(٢) نفسه ٢ / ٢٢١ .

(٣) القطف جمع قطفة (والقطفة دثار مخمل) وقيل : كساء له خمل اللسان ٨ / ٢٨٦ .

التي تستعمل لحمها كانت تجال بالقطيفة واللبود ويشدّ عليها الأصيد بحبال من الليف (المسود) .

ولم تكن حياة آل بويه المنعمة خالية من المنغصات والمشاحنات والاضطرابات ، فقد قتل بختيار على يد ابن عمه عضد الدولة ، وحصل صراع حاد خطير بين ابناء عضد الدولة بعد وفاته ادى الى سجن بعض وقتل بعض آخر (١) . وقد ظهر التذمر من اطماع ابناء عضد الدولة وانباء عمومته بعضهم على بعض في شعر تاج الدولة الذي يقول فيه (٢) :

أفكرُ في بني أبي	وفعل بعض اخوتي
تقنع بالاهواز لسي	وواسط والبصرة
ان لم تزر بغداد بي	عمّا قليل كبتّي (٣)
وعسكر عرمم	يملك كل بلدة
حشوا الجبال والفلا	مواكب من غلمتي

ولم تزر بغداد حملته الحربية وعسكره العرمم فقد نكبه أخوه أبو الفوارس وحبسه وجعله يخنع لليأس والتواكل ، فأنهارت كلمات شموخه وجبروته وقال حينئذ (٤) :

حتى متى نكبات الدهر تفصدي	لا استريح من الاحزان والفكر
إذا أقول مضى ما كنت أحذره	من الزمان رماني الدهر بالغير
فحسبي الله في كل الامر ، فقد	بدلتُ بعد صفاء العيش بالكدر

وهكذا نرى أن أطماع المستغلين لا تتغير في كل العصور والاماكن فالمستغل لا يعرف أخاه - بل هو يقاتله - ان وقف في طريق أطماعه وهذا ما

(١) ينظر على سبيل المثال العبر ١ / ٣ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٢٠ .

(٣) الكبة الحملة في الحرب .

(٤) اليتيمة ٢ / ٢٢٢ .

رأيناه عند بعض الخائفاء والامراء وسنراء عند بعض الوزراء وغيرهم من عتاة ذلك العصر الموبوء .

القيمة الفنية :

شعر آل بويه قليل ، وهو على قلته لا يعدوان يكون كلمات مرصوفة في قوالب شعرية ممتة ، ولن نغرننا كلمات الدجل التي وصفها صاحب بن عباد بها شعر عضد الدولة حين قال (١) : « لاغرو اذا فاض بحر العلم على لسان الشعر أن ينتج ما لا عين وقعت على مثله ولا أذن سمعت بشبهه » .

ان هذا الاطراء ينافي الذوق النقدي السليم وقد أورده الثعالبي على لسان أحد خدم آل بويه الذين يهيمهم أن يحافظوا على مراكزهم في الدولة ولو على حساب الحقيقة . اما الثعالبي نفسه ، فاذا ذكر عضد الدولة وشعره قال (٢) : « كان على ما مكن له من الارض ... يتفرغ ، للادب ويتشاغل بالكتب ويؤثر بمجالسة الادباء على منادمة الامراء ويقول شعرا كثيراً » .

ولنلاحظ « ويقول شعراً كثيراً » فالثعالبي لم يجرؤ أن يفخّم شعر عضد الدولة أو يعطيه صفة شعرية معينة وقد نشمّ من قوله السالف وجهة نظر معناها : ان الشعر الذي يأتي به عضد الدولة السياسي ، الاداري هو فضل منه لأنه لم يكن يمتلك الوقت ولم يكن رجل شعر انما كان رجلاً محبباً له مشجعاً لأهله .

وحين يصل الثعالبي الى تاج الدولة بن عضد الدولة يصفه بأنه أشعر آل بويه (٣) لكنه لا يعطيه صفة الشاعر التامة ، فشعره من شعر آل بويه الساسة ، يكتبونه حسب أوقات فراغهم ويمنون به على الناس يوهمونهم بشاعريتهم أو يجبرونهم — بما يمتلكون من سطوة ومال — على أن يقولوا بهذه الشاعرية الموهومة ويصفقوا لأصحابها دجلاً وخوفاً .

(١) نفسه ٢ / ٢١٧ .

(٢) نفسه ٢ / ٢١٦ .

(٣) البيهقي ٢ / ٢٢٠ .

خاتمة :

قد يكون عسيراً على المؤرخين القدامى أن يشبثوا ما كان عليه الأمراء وبخاصة آل بويه الاقوياء من شذوذ وانحراف ، وما جبلت عليه نفوسهم من طبائع غريبة .

وقد عوضنا شعر آل بويه أنفسهم عما أهمله المؤرخون— عن قصد— فأظهر لنا آل بويه على حقيقتهم ، متعجرفين ، قساة ، قتلة ، أنانيين ، شاذين في خلقهم حكموا العراق اغتصاباً فساموا أهله الذلة ، وأذاقوهم مرارة الجوع ، وبثوا بينهم الاحقاد والفتن ، والبدع ، ليلهوهم عن مظالمهم ، فيصفوا لهم جو النهب والانغمار في المذات .

الفصل الثالث

الوزراء

كان الوزير (١) في الدولة العباسية المدبر الأول للأمور السياسية والادارية لا تعلق على كلمته إلا كلمة الخليفة وقد ظلت سلطته التدييرية (٢) هذه بالرغم مما طرأ على الوزارة من اضطراب رافق التدهور العام لسياسة الدولة .

لقد صارت الوزارة أيام المقتدر لعبة بيد نساء دار الخلافة وخدمها ، تحجز لمن ينفذ متطلبات هؤلاء المتسلطين الشرهين ، وصار الوزير نكثرة ما عزل وعيين من الوزراء موضع تنذر الناس والشعراء .

فحين يعزل ابن الفرات ويعين محله حامد بن العباس يقول ابن

بسام (٣) :

يا ابن الفرات تعزّ

لما عزّلت حصلنا

وقد صار أمرك آية

على وزير بدايه

واذا لم يستطع حامد هذا تدبير أمور الدولة وألهاه عنها جسعه وشهراته دبرها عنه علي بن عيسى مع احتفاظه بصفة الوزير وفي ذلك قال الشاعر (٤) :

(١) تنظر شروط الوزارة في الاحكام السلطانية ٢٢ وما بعدها .

(٢) ينظر بروكلمان تاريخ الشعوب الاسلامية ١٠ .

(٣) تكملة الطبري ٢٠ .

(٤) التثميل والمحاضرة ١٤٥ .

أعجب من كل ما تراه أن وزيرين في بلاد
هذا بلا وزير وذا وزير بلا سواد

ومع كل هذا الاضطراب ظل الوزير في عهد الاتراك وزيراً للخليفة
(وان « لم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور (١) في عهد ابن رائق الذي
بدأ سنة ٣٢٤ هـ » ومن تولي امرة الامراء بعده (٢) .

فلم يكن الوزير يقطع بشيء دون مشورة الخليفة ورأيه .
أما في العهد البويهي فقد بطلت وزارة الخليفة ولم يعد له وزير يعتمده في
تدبير أمور دولته « إنما يكون له كاتب على إقطاعه » (٣) .

وحين احتل معز الدولة البويهي بغداد عام ٣٣٤ صارت الوزارة له ،
يستوزر لنفسه من يريد وأول من كتب لمعز الدولة وقام مقام الوزراء أبو
الحسن علي بن محمد بن مقلة ، وأول من وزر لمعز الدولة أبو جعفر الصيمري
الذي خلفه بعد ذلك الوزير المهلب .

حين أصبح الوزير تابعاً للملك البويهي نشأت بينهما علاقة جديدة فقد
معها الوزير كيانه الاداري الواسع الذي كان عليه قبل البويهيين وامرة
الأمراء ، وأصبحت الأوامر تصل إليه من هذا الحاكم الجديد فيطيعها ذليلاً
وقد يلقى اهانات مرة (٤) .

ظهرت هذه العلاقة في الشعر الذي كان يرفعه الوزراء أو من جرى
مجراهم الى مقام الملك البويهي فحين يقدم عبد العزيز بن يوسف تهنئة الى عضد
الدولة يقول له بخنوع (٥) :

(١) الكامل ٨ / ٣٢٣ .

(٢) البداية والنهاية ١١ / ١٢ .

(٣) نفسه ٨ / ٤٥٢ .

(٤) الكامل ٨ / ٤٥٢ .

(٥) تنظر إهانة الوزير المهلب في تشوار المحاضرة ١ / ٧١ ، مجلة سومر ج ٢ س ١٩٥٤

ص ١٩٧ .

يفدى مقامك فيه الخلق قاطبة ونحن نفديك بالأرواح والمقل
وحين ينظر عبد العزيز بن يوسف عضد الدولة يراه بمنظار يستصغر فيه
نفسه والآخرين فيبدو « كأن الناس زور ما خلاه » (١) أو كأن الدنيا لم تخلق
إلا له (٢) .

ألا يا أمير المشرقين ومن به تفاخرت الدنيا وكان له الفخر
ولم تُخلق الدنيا لغيرك فانتظر فهذا هو الفأل المحقق لا الزجر
ومع أن هذه العلاقة لا تشرف الوزير كثيراً إلا أن منزلته عند الناس لم
تكن بالقليلة ، وبخاصة إذا كان شاعراً أو أديباً ، لأن اختيار أهل الأدب
والشعر للوزارة أو الكتابة منح الشاعر أو الأديب سمة جديدة فيها شيء من
الاحترام ، كما منح الوزارة صفة التفتح الذهني وسعة الأفق .

لقد وجدنا في القرن الرابع وزراء كثيرين ينظمون الشعر ، فابن القرات
له شعر وعلي بن عيسى له أبيات شعر وأبو علي بن مقلة شاعر . وفي العهد البويهى
أصبح تقلد الشعراء للوزارة شيئاً مألوفاً ، فالمهلبى شاعر قبل ان يكون وزيراً
وعبد العزيز بن يوسف ، وعبد الرحمن بن الفضل الشيرازي ، وعلي بن القاسم
القاشاني (٤) شعراء كان يحسب لهم المؤرخون حساباً شعرياً مثلما يسجلون
مسائلهم الادارية .

ولقد كان شعر الوزراء بيتياً ، فهم يقولون الشعر في المناسبات الخاصة
أو تزجية لفراغ قاتل ، أو أرضاء لأمير ، أو تنفيساً عن هم أو ابرازاً لتزوة
طارئة .. ونظمهم يبين صوراً من حياتهم السياسية والاجتماعية والثقافية ، وإذا

(١) البيتمة ٢ / ٣٢٣ .

(٢) نفسه ٣٢٤ .

(٣) نفسه ٣٢٥ .

(٤) ومثل هؤلاء كان صاحب بن عباد وابن العميد في فارس . وهذه سمة العصر فقد كان
أغلب الوزراء يختارون من الكتاب والكتابة كانت طريقاً الى الوزارة ولما كان الكتاب هم مثقفو
العصر فقد كان عليهم ان يلموا باطراف الصناعات الكلامية ومنها الشعر (ملاحظة د. السامر) .

تسلسلنا تاريخياً في عرض شعر الوزراء وجدنا شطراً كبيراً من حياة كل وزير ملتصقاً بمفردات الفاظه .

فابن الفرات علي بن محمد (ق ٣١٢) حين يضيق به العمل في المصادرات والدسائس والتدابير الادارية يجلس للشرب فتغنيه (بدعة) ثم ينتشي فينظم (١) :

إذا بدعةٌ جودت عودها تذلل في ضربها كل صعب
تُغني فتجني ثمار القلوب وتُهدي سرورا الى كل قلب
ولم يكن غريباً على ابن الفرات أن يمتدح مغنية بعد أن حصل على الوزارة وهو مقيّد بمئة القهرمانات والحواري والخدم .

وزير يصل الى الوزارة سالكاً مثل هذا الطريق يحاول ألا يضيع أوقاته سدى ، فهو ينعم بلذة اللهو مثلما ينعم بخيرات الوزارة ومواردها ، فاذا رأى أنه كد نفسه وأرهقها في العمل تبسّط في الأنس وعقد مجالس الشراب وأنشد (٢) :

خليلي قد أمست حيرانَ موجعا وقد بان شرحٌ للشباب فودعا
ولا بد أن أعطي اللذّاذة حقّها وان شاب رأسي في الهوى وتصلعا
ذا كنت للأعمال غير مضيع فما حق نفسي أن أكون مُضيعاً

ويثبت التاريخ أنه كان حريصاً على الوزارة محاولاً اللحاق بدستها بأية وسيلة من الوسائل ، ويثبت هو أنه كان لاهياً لا يضيع من عمره دقائق ولو معدودة دون أن يجلس للهو يواصل صاحبات الهوى والعشق ويقول (٣) :

معدّتي هل لي إلى الوصل حيلةٌ وهل لي إلى استعطاف قلبك من وجه
فلا خير في الدنيا وأنت بخيلة ولا خير في وصل يكون على كره

(١) الوزراء ٢١٥ .

(٢) نفسه ٨٦ .

(٣) الوزراء ١٦٠ .

ان روح اللهب والتصابي التي نراها عند ابن الفرات نفتقددها عند الوزير علي بن عيسى الجراح (ت ٣٣٤) فقد ارتفعت نفسه عن أساليب الوزراء الآخرين في الدس الرخيص والمؤامرات والسرقا والمظالم لأنه كان يرى « أن ظلم الأتباع مضاف الى المتبوع (١) » لا محالة ولهذا استعفى أو رفض الوزارة أكثر من مرة (٢) .

وهو إذا قبل الوزارة أو أجبر عليها ورأى الناس يلتئمون حوله متملة بين مقدّمين ضروب الولاء والطاعة اشمازت نفسه وقال (٣) :

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها فكيفما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخوا الدنيا فإن وثبت يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا
وإذا أعفي من الوزارة بدسيسة من تجارها لم يفث ذلك في عضده وجابه
شماتة الأعداء والنكبات بقلب مؤمن صابر ولسان يقول (٤) :

ومن يك عني سائلا لشماتة لما نابني أو شامتا غير سائل
فقله أبرزت مني الخطوب ابن حرة صبورا على أهوال تلك الزلازل
إذا سر لم يبسطر وليس لنكبة إذا نزلت بالخاشع المتضائل
ومع كل هذه الكبرياء والمشاغر الصلبة انهار علي بن عيسى حينما نكبه
ابن الفرات فقبل يده ورأس ابنه المحسن (٥) . لكنه مع ذلك يظل الوزير
الذكي المترفع عن الدنيا بالنسبة لذلك العصر في الاقل .

وإذا انتقلنا الى الوزير ابن مقلة محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٢٨)
وجدنا كبرياء من نوع آخر . كبرياء ممزوجة بروح الجرأة والمغامرة والتحدي
والتصميم ، فحين أراده بعض أصحابه أن يلقي بعد نكبته الفضل ابن الفرات

(١) الاعجاز والايجاز ١٠٦ ، وينظر في حسن اخلاقه بالنجوم الزاهرة ٣ / ٢٨٨ .

(٢) ينظر الوزراء ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٤٠ .

(٣) المنتظم ٦ / ٢٠٥ .

(٤) نفسه ٦ / ٣٥٢ ، معجم الادباء ١٤ / ٧٠ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٨٩ .

(٥) الوزراء ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

وزير الراضي قال (١) :

وقائلة قد أضعت الصواب بترك هذا الوزير الحديد
فقلت لها لا عدك السرور ولا كان قولك إلا سيدنا
أمثلي تطاوعه نفسه على أن يرى خاضعاً مستريداً

ولا نريد أن نثبت ان كان صادقاً في تعفنه أو مدعياً ، فعصره المملوء
بالدجل واهدار ماء الوجه وبذل القيم العرفية من أجل المنصب يجد له العذر
ان كان مدعياً ، ويمنحه البطولة ان كان صادقاً ، والصدق يمكن له أن يرجح ..
وحين يحاول جهده أن يحافظ على منزلة الخلافة من تسلط ابن رائق يتأمر
عليه الراضي بجنبه السياسي ويخونه حيث أراد له ابن مقلة المنعة ، فتقطع يده
ويحبس ويصور لنا هذه المؤامرة بقوله (٢) :

ما سئمت الحياة لكن توثقت بأيمانهم فبانتي يميني
بعث ديني لهم بدنياي حتى حرموني دنياهم بعد ديني
فلقد حطت ما استطعت بجهددي حفظ ارواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش يا حياتي بانتي يميني فبيسيني

وتشير هذه القطعة بشكل ملحوظ الى خيانة الراضي وفساد تدبيره كما
تبين لنا جرأة ابن مقلة أمام قسوة ابن رائق وتجبره هو وجنده .

وقد نمت هذه الشجاعة والجرأة المطامح الكامنة في نفس ابن مقلة فكان
يتوسل بمختلف السبل من أجل أن ينال بعضاً من مطامحه ، ولأن أقصى أمنياته
نبيل الوزارة والبقاء فيها ، اتبع كثيراً من الأساليب حتى ارتقى من كاتب

(١) الفخري ٢٨٢ ، الوفيات ٤ / ٢٠٠ .

(٢) المنتظم ٦ / ٣١١ ، الفخري ٢٧٢ مع اختلاف في الابيات ، وكان سبب قطع يد
ابن مقلة هو تحريضه الراضي على ابن رائق وضمائه الوزارة . وبعد أن يوافق الراضي بجن
ويطلع ابن رائق على مراسلات ابن مقلة فتقطع يد ابن مقلة جزاء وفائه للراضي .

صغير إلى وزير ذي شأن وهو يصور لنا طاماحه هذا بقوله (١) :
 وإذا رأيت فتىً بأعلى رتبة في شامخٍ من عزّة المترفعِ
 قالت لي النفس العروفُ بفضلهما ما كان أولاني بهذا الموضعِ
 لقد كان واثقاً من نفسه متطلعاً إلى أعلى يمزج هذه الثقة وهذا التطلع
 بمغامرة دفعت به إلى الوزارة والموت .

ومع ما نجده عند ابن مقلة من صلابة ومغامرة نجد عنده أيضاً الصدق
 والوفاء ، فقد وعد بأن يقوم باصلاحات ان تولى الوزارة ففعل وأطلق
 المحبوسين حين تولاها بداية خلافة الرازي (٢) ، وكان يحاول ان يبتعد عن
 اسلوب المصادرات وهتك أسراض الناس مردداً « أنا في وزارتي أقدم على
 العظام كلها الا على اثنتين : إزالة النعم وهتك الحرم (٣) .

وإذا أراد أن يدلل على وفائه وحسن صداقته وإخلاصه قال (٤) .
 لست ذا ذلة إذا عضّني الدهرُ ولا شامخاً إذا واتاني
 أنا ناراً في مرتقى نفّس الحاسدِ ماءً جارٍ مع الاخوانِ
 ولا تغير صلابة ابن مقلة ومطامحه من صفته الانسانية ومشاعرة الابوية
 فحين يمرض ابنه يكتب له (٥) :

لقّاك ربك صحة وسلامةً ووقاك ربي طارقَ الأدواء

(١) ذكرها الثعالبي اليتيمة (١١٩ / ٣) على أنها لأبي الحسن بن مقلة ونقلها عنه ابن
 خلكان على أنها لأبي علي محمد بن مقلة ، والعجيب أن محقق الكتابين محي الدين عبد الحميد لا يعلق
 على هذا الوهم بشيء انما يرجعنا في ترجمة ابي الحسن بن مقلة إلى ابن خلكان في ترجمته لأبي علي
 بن مقلة ، ولست ادري كيف فات الامر على المحقق فأبو الحسن هذا هو ابن أبي علي محمد ونجد
 له ذكراً في معجم الادباء ٩ / ٢٨ - ٣٤ ضمن ترجمة عمه ابي عبد الله الحسن بن مقلة ويقول عنه
 ياقوت إنه مات بالفالج والسكتة سنة ٣٤٦ ومولده « ٣٠٥ هـ » ، ص ٣٠ ولم يذكر له شعراً ..

(٢) ينظر الكامل وكتب التاريخ الاخرى حوادث سنة ٣٢٢ .

(٣) مطالع البدور ٢ / ١١٤ .

(٤) اليتيمة ٢ / ١١٨ منسوبة إلى أبي الحسن ، الفخري ٢٧٢ ، الوفيات ٤ / ٢٠١ .

(٥) الفخري ٢٧١ .

ذُكِرَتْ شَكَاتِكَ لِيْ وَكَأْسِي فِي يَدِي فَمَرْجَتْهُا دَمْعِي مَكَانَ الْمَاءِ
ومثلما اظهر لنا ابن مقلة نفسه شجاعاً وفيماً بيّن لنا أيضاً أنه « حدّي »
في علاقته ، صريح في تعامله ، فقد كان يقول « إذا أحببتُ تهالكت واذا
أبغضتُ أهلكت ، وإذا رَضِيتُ آثرت وإذا أُغضِبتُ أثرت (١) » وكان
يقول أمام الشعراء والمغنين « يعجبني من يقول الشعر تأدباً لا تكسباً ، ويتعاطى
الغناء تطرباً لا تطلباً (٢) » . وصراحته هذه هي التي جعلته يقول لابن عبد الله
يحيى الكاتب (٣) ، وقيل كاتب (٤) ابن الفرات عاتباً عليه انقطاعه لائماً اياه
على نسيانه (٥) :

تُرَى حُرْمَتُ كِتَابِ الْأَخْلَاءِ بَيْنَنَا ابْنُ لِيٍّ أُمُّ الْقِرطَاسُ أَصْبَحَ غَالِيَا؟
فَمَا كَانَ لَوْ سَاءَ لَتَنَا كَيْفَ حَالُنَا وَقَدْ دَاهَمْتَنَا نَكْبَةُ هِيَ مَا هِيََا؟
صَدِيقُكَ مِنْ رَاعَاكَ فِي كُلِّ شِدَّةٍ وَكُلُّ تَرَاهٍ فِي الرِّخَاءِ مُرَاعِيَا
فَهَيْكَ عَدُوٌّ لَا صَدِيقِي فَرَبَّمَا تَكَادِ الْإِعَادِي يَرْحَمُونَ الْأَعَادِيَا
اننا نعجب لصراحة ابن مقلة في هذه الأبيات الصادقة ، فهي ترسم له
شخصية رجل متفائل متطلع ذكي ، اذا نكبته الايام لم يلن لتساوتها وان شذ
زمنه لم يعجب لشذوذه لأنه أكبر منه وأذكي ، يستطيع أن يسايره من أجل
ن يحفظ لنفسه طموحها وتطلعاتها ولهذا يقول (٦) :

جَرَّبَنِي الدَّهْرُ عَلَى صَرْفِهِ فَلَمْ أُحِرْ عِنْدَ التَّصَارِيفِ

(١) الاعجاز والايجاز ١٠٩ ، مطالع البدور ١١٣ / ٢ .

(٢) الاعجاز ١٠٦ ، الوفيات ٢٠٢ / ٢ .

(٣) الفخري ٢٧١ .

(٤) الفرج بعد الشدة ١ / ٧٢ واحمد بن اسماعيل زنجي ، وفي النجوم الزاهرة ٣ / ٣٢٨

محمد بن اسماعيل زنجي .

(٥) الفخري ٢٧١ ، الفرج ١ / ٧٢ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٢٦٨ وقد تختلف هذه المصادر

في بعض أجزاء القطعة ولكن هذا الاختلاف لا يحل بالمعنى ولهذا لم نشر اليه هنا ولن نشر الى امثاله
من الاختلافات الا اذا أغلقت بجزء كبير من المعنى .

(٦) الفخري ٢٧١ .

أَلِفْتُ يَوْمِيهِ وَيَا رَبِّمَا يُولَفُ شَيْءٌ غَيْرُ مَأْلُوفٍ
 انه يدلنا على أن عصره عصر لا يلائم المنطق الصائب للحياة ومع ذلك فقد
 صبر على حادثاته ومصائبه لأنه يدرك أن « الصبر من فعل الألباء (١) » وان
 « كل الحادثات اذا تناهت فموصول بها الفرج القريب » (٢) . ومع كل هذا
 فقد غدر الزمن بمطامح ابن مقلة وشجاعته وصبره فكان ضحية من ضحاياها
 الكثيرة ولكنه ضحية ثمينة على أية حال .

وليس كلامنا على ابن مقلة تنزيها أو تبرئة له من الانغمار باللهو والترف
 على حساب مجاعة الآخرين . فقد كان يمتلك بستانا فيه كل أنواع الطيور
 والحيوانات وقد منح من بشره بأن طائراً بحرياً وقع على طائر بري مائة
 دينار (٣) .

وكان ابن مقلة مثل بقية الوزراء يجلس للشراب والغناء في مجالس عامرة
 بكل أسباب اللهو ، فنراه يقول مثلاً (٤) :

لا يكن الكأس يوم الغيث في كفك لبث
 أو ما تعلم أن الغيث ساق مستحث
 واذا ينتقل من الشراب الى الحب يبدو لنا انساناً رقيقاً ذليلاً لحبيبه
 يقول فيه (٥) :

أدلّ فيا حبتدا من مُدِلّ
 اذا ما تعزّزّ قابلتُسه
 ومن ظالم لدمي مستحلّ
 بذلّ وذلك جهْد المقلّ
 أو يقول له (٤) :

(١) المنتظم ٦ / ٣١١ .

(٢) الفرج ٢ / ٤٥٢ .

(٣) المنتظم ٦ / ٣١٠ .

(٤) من غاب عنه المطرب ٢٤٤ .

(٥) اليتيمة ٣ / ١١٩ لقد تجرأنا ونسبنا ما ذكره الثعالبي من شعر ابي الحسن ابن مقلة الى

أبيه ابي علي بن مقلة ذلك لأننا لم نجد من يذكر لأبي الحسن شعرا .

أنت يا ذا الخال في الوجنةِ مما بي خالي

• • •

أنا في الناسِ امامي وفي حبك غالي

وابن مقلة في غزله ومجونه يجاري عصره الذي امتلاً بمثل هذه الأفعال
وصار من يستنكرها شاذاً وخاصة ان كان في موضع ابن مقلة من الطبقة
الحاكمة المستغلة .

وإذا انتقلنا إلى الوجوه الوزارية في العصر البيهقي استوقفنا قبل كل شيء
« شعر المهلبى الوزير (١) » . والمهلبى هو أبو محمد الحسن بن هارون الذي يقول
فيه السري الرفاء (٢) :

أحوالُ مجدك في العلوِّ سَوَاءُ يومِ أغرُّ وشيمةِ غرَاءِ
أصبحتُ أعلى الناسِ قمةَ سؤددِ والناسُ بعدك كلُّهم أَلْفَاءِ
وزر لمعز الدولة أحمد بن بويه سنة ٣٣٩ هـ وتوفي سنة ٣٥١ أو (٣٥٢)
« وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحاً في البلاد على طريق الفقير والتصوف (٣) »
وكانت حالته ضعيفة فضجر منها مرة وقال (٤) :

ألا موتٌ يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خَيْرَ فيه
ألا موتٌ لذيذُ الطعم يأتي بخلصني من العيشِ الكَرِبِ
إذا أبصرتُ قبراً من بعيدِ ودَدْتُ لَو أني مما يليه
ألا رحيمَ المهيمِنُ نفسَ حرٍّ تصدَّقَ بالوفاةِ على أخيه

وهذا المتشائم الذي يفتش مرة عن الموت ليرتاح من فاقته وحرمانه ويسكن
مرة أخرى « في حجرة تجلّ عن الوصفِ ويعمى البصيرُ فيها نهاراً (٥) »

(١) اليتيمة ٢ / ٢٢٤ .

(٢) الديوان ٩ .

(٣) زهر الآداب ١ / ١٣٩ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٢٢٤ ، زهر الآداب ١ / ١٣٩ .

(٥) معجم الادباء ٩ / ١٣٥ .

حين ينال الوزارة ، وتفتتح أبواب الدنيا أمام مطامحه ورغباته ينسى همومه السابقة ، وينسى قساوة أيام الفاقة ، ويبريء زمنه مما فعله به فيقول (١) :

رَقَّ الزمانُ لفاقتي ورثي لطول تحـرقـي
وأنا لـي ما أرتـجي وأجار مما أتـقي
فلأصـفـحـنَّ عما أتـا هـُ من الذنـوب السـبـقـي
حتـى جنـايـتـه بما فعـل المشـيب بمـفـرتـي

وهذه القطعة تُثبت فقره قبل توليه الوزارة كما تثبت طموحه اليها والبيت الأخير يؤكد نيله لها في كبره .

وحين يستقبل الحياة المنعمة وفي غمرة من نشوانه و« اريحته » يتمنى لو أنه عاصر زمان عمه « أبي عيينه المهلبى » أيام كان يتشبه بصاحبه له اسمها « دنيا » ليتمكن منها ومن أرضها :

ويا فوزَ نفسي لو بَلَغْتَ زمانَه
فمكنتُه من أهلِ « دُنْيا » وأرضها
وبغيته « دنياً » وفي يديّ الدنيا
ففازَ بما يهوى وفوق الذي يهوى (٢)

وإذا كان ما يهواه أبو عيينه هو حبيبه « دنيا » فالذي قصده ابن أخيه « يفوق الذي يهوى » تلك الحياة اللاهية التي يحياها ويغوص في ترفها وصخبها فينسى أثناءها كل علاقاته ومثله ومن المحتمل أنه ينسى عمه وحبيبه عمه .. أليس هو القائل ؟ (٣) :

إذا تكاملَ لي ما قد ظنـفـرتُ به
وقهوة لو تراها خلـت رقتـها
من طيب مسمـعـة أو صوت رنـانِ (٤)
ديني ، ومن حاجز إن شئتُ أغـنـاني
بغـي الخـصي ، وعصيان ابن حمـدان

(١) اليتيمة ٢ / ٢٢٥ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٢٧ .

(٣) معجم الادباء ٩ / ١٤٢ .

(٤) في المعجم (وصوت رنان) .

وفضلا عما تظهره هذه الأبيات من رقة دين المهلبي ووهن علاقته بالخليفة وتنكّمه لروابطه وأعرافه توضح ما أصبح عليه خليفة المسلمين من منزلة وضيعة جعلت خصيان داره يجترئون عليه ويتناولون على مركزه ، كما جعلت ولاية الأمصار يستقلون في ديارهم ولا يحسبون له حساباً .

والمهلبي الذي لا يجد غضاضة في الاعلان عن رقة دينه ، لا يجد بأساً في المجاهرة بلهوه مع جاريتة « تَجَنِّي » فيقول (١) :

رُبَّ لَيْلٍ لَبَسْتُ فِيهِ التَّصَانِي وَخَلَعْتُ الْعِدَارَ وَالْعِذْلَ عَنِّي
فِي مَحَلٍّ يَحْلَهُ لَذَّةُ الْعَيْشِ وَيُجَنِّي سُرُورَهُ مِنْ « تَجَنِّي »
و« تجني » التي ولع بها المهلبي وخلع عذاره في مجلس تحله هي التي يقول فيها أيضاً (٢) :

مَرَّتْ فَلَمْ تَنْ طَرْفَهَا تَيْهَاءُ يَحْسُدُهَا الْغَصْنُ فِي تَشَنِّيْهَا
تلك « تجني » التي جننت بها اعاذني الله من تجنيها وهي بعد ذلك للمهلبي « ذاك الصديق والرفيق » والعروس التي زفت اليه فأهدى اليها رقيقاً مكان المهور والخبيبة التي « ترعى الهوى وتواظب (٣) » وهي .. وهي .. لكنها لا تملأ عليه كل فراغه الجنسي فهو لا يقاوم اغراء تيار العصر في « الفسق الغلmani » ففراه ضعيفاً واهناً يخرّ أمام سيادة الغلام ويقول له (٤) :

يا هلالا يبلو فيزدادُ شَوْقِي وهزاراً يرنو فيزدادُ عَشْقِي
زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ رَقَّتْ مِلْكِي كَذَبَ النَّاسُ أَنَّ مَالِكُ رِقِّي
ان هذا الولع الغلmani عند المهلبي يجعله عند فراق الغلام الذي يحبه « يبكي

(١) اليتيمة ٢ / ٢٣٧ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٣٧ .

(٣) اليتيمة ٢ / ٢٣٧ .

(٤) نفسه ٢ / ٢٣٩ .

عليه طول الطريق (١) « فيبدو لنا وكأنه مراقب منحرف لا يؤثر في انحرافه ظهور لحية غلام أو كبر سنه بل هما يجددان حبه ويولعانه أكثر وهذا ما يدفعه الى أن يقول (٢) :

يا شادناً جَدَدَ حُبِّي لَه من بعد حب ، سالف (٣) ساجي
بلحيةٍ قد أوصلت جُمَّة مثل اتصال الطوق بالتاج

وينحرف بغزله الى درك أوطأ فيقول (٤) :

أتاني في قميص اللاذ (٥) يمشي عدوُّ لي يلقبُ بالحبيبِ
فقلت له : فدَيَّتْكَ كيف هذا بلا واشٍ أتيتَ ولا رقيبٍ ؟
فقال : الشمسُ أهدت لي قميصاً رقيقَ الجسم من شفق الغروب
فشوي والمدام ، ولون خدي قريب من قريب ، من قريب

ونلاحظ هنا مع المعنى الداعر الذي تضمنه هذا الشعر عادة استعمال الغلمان للثياب الشفافة ذات الالوان المغربية الصارخة .

لقد سجل لنا شعر المهلبي قضايا اجتماعية عديدة منها حادثة تدلل على ما حمله الغلمان من مراكز مرموقة في الجيش ، حتى صار لهم تأثير كبير في سير الحوادث .. فقد أرسل معز الدولة غلامه التركي الأمرد « تكين الجامدار » على رأس سرية لمحاربة بعض الولاة الخارجين وكان الوزير المهلبي يراه من أهل الهوى لا من أهل الحرب لذلك قال فيه (٦) :

(١) نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) السالف : أعلى العنق ، اللسان ١٥٩ / ٥ .

(٤) معجم الادباء ١٥١ / ٩ .

(٥) اللاذ : ثياب حرير تنسج في الصين واحده لاذة ، اللسان ٥٠٨ / ٣ .

(٦) اليتيمة ٢ / ٢٢٦ ، الوفيات ٣٩٢ / ١ .

ظَبِّيُ الماء في وجناته ويرِفُ (١) عـودُهُ
ويكادُ من شبه العذارى فيه أن تبدو نهودُهُ
ناطوا بمعمَدَ خَصْرِهِ سيفاً ومنطقةً تؤوده
جعلوه قائدَ عسكرٍ ضاعَ الرعيْلُ ومن يقوده

وتدلنا هذه الأبيات الجيدة في فنها على العقلية الضحلة التي كانت تحكم
العراق وعلى الانحراف المزري الذي وصل اليه حكام المجتمع العراقي في القرن
الرابع .

ومن المظاهر المترفة التي كانت في حياة الوزراء والكتاب وظهرت في
شعر المهلبي استعمالهم للمصايف وتبريدها وفرشها بفرش يجلب الظل والبرودة
ويدل على هذا قوله للصابي (٢) :

برد مصيفك وافرشه بميثرَة (٣) فإنني لمقام الخل أرتحلُ

ولا تبدو مظاهر الترف في استعمالهم المادية فقط فهي تظهر في شعرهم
الوصفي الممتليء بعبارات والفاظ نفث فيها قائلوها روح الطبقة المترفة فجاءت
مشبعة بالإشارات المادية الميتة كما في قول المهلبي (٤) :

الورد بين مضمخ ومضرج والزهرُ بين مكلّس ومتوج
فكأن يومك في غلالة فضة والنبتُ من ذهبٍ على فيروزج

(١) في اليتيمة ويرق وفي الوفيات ويرف والعجيب أن الكتاين بتحقيق محي الدين عبد
الحميد ، والاعجب من ذلك تعليق المحقق في الوفيات وقوله « في أ ، ب ويعني مخطوطتين ،
ويرق عوده بالقاف وما أخاله الا محرفا عما أثبتنا » والمعروف بعد ذلك أن الوفيات حققت قبل
اليتيمة فكيف أبقى (ويرق) في اليتيمة وهو لا يخاله « الا محرفا !!؟

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٤٠ .

(٣) الميثرَة : ثوب تجلب به الثياب ويملوها .

(٤) اليتيمة ٢ / ٢٣٨ .

أو في قوله (١) :

يوم كأنَّ سماءه مثلُ الحصانِ الابْرشِ
فكأنَّ زهرةَ روضه فُرِشَتْ بأحسنِ مفرشِ
فسمائه دكنُ الخروزِ وأرضه خضرُ الوشي

ولا نحتاج الى افراد الكلمات المترفة المكونة لهاتين المقطوعتين فهي واضحة وتشير الى ما وصل اليه المهلبى وطبقته من النعيم الذي انتقل الى اللغة فصبغها بصبغته .

ولم تكن حياة المهلبى كلها مستغرقة باللهو والابتذال فهناك لحظات يخلو فيها الى نفسه يفكر بجياته فيزهد بالدنيا ويحاول جاهداً تصوير نفسه انساناً مؤمناً لم يترك حق الله وواجباته لذلك يقول (٢) :

أَوْ فَيَّ كَلَا وَقِيَّ قَسَطَ تَأَلَّهْ وَقَسَطَ هَوَى لَا يَسْتَمِرُّ لِمَحْرَمِ
وَلَذَّةِ وَجْدِي مِنْ لَذَاذَةِ مَطْرَبِي أَسْرًا إِلَى نَفْسِي وَأَعَذِبَ فِي فَمِي
ومع محاولته الجاهدة هذه، يظل المهلبى متعلقاً بأذيال الهوى وعالم اللذائة .
ويتضائل هذا التمسك ، ونكاد نتصوره زاهداً حينما نقرأ قوله :

هَبَّ البعثَ لَمْ يَأْتِنَا نُدْرُهُ وَجَاحِمَةُ النَّارِ لَمْ تُضْرَمِ
أليس بكافٍ لى فكرة حياء المسىء من المنعم ؟

أو قوله :

يَا مَنْ يُسَرَّرَ بِلَذَّةِ الدُّنْيَا وَيَطُنُّهَا خُلِقَتْ لِمَا يَهْوَى
لَا تَكْذُوبَنَّ فَإِنَّهَا خُلِقَتْ لِنَيْالِ زَاهِدُهَا بِهَا الْآخَرَى

(١) اليتيمة ٢ / ٢٣٨ ، من غاب عنه المطرب ٢٦٤ . وقد زاد الثعالبي في من غاب عن المطرب قبل البيت الاخير بيتين لطيفين هما :

والشمس تظهر مـــــــرة
شبهت حمرة وجهها
وتغيب كالمستوحش
بخمار عين المنتشي

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٤١ .

ويبرز المهلبي ايجابيا في اهتماماته العلمية والأدبية فيقول :
يا عارفاً بالداء مُطرح السؤالِ عن الدواء
العلمُ عندي كالغذاء فهل تعيشُ بلا غذاء ؟

ويبدو أن هذه المشاعر الدينية والعلمية كانت تراوده حينما يخلو الى نفسه في لحظات تأمل بعد « الاعمال الرسمية » وما يصاحبها من تعب واهانة أو بعد جلسات لهو صاحبة تحزّ في نفسه فيحاول ان يكفر عنها بزهد أو ايجابية مؤقتة تزول بانحسار التأمل .

وما كان المهلبي وحده يقول الشعر بين وزراء آل بويه ومن يجري مجزاهم من الكتاب ، فهناك آخرون ممن كانوا بمتزلة الوزير نظموا الشعر في أغراض مختلفة ورسم لنا شعرهم صوراً مهمة من حياة الوزراء ومجتمعهم .
فعبداً العزيز بن يوسف اذا وصف السكر الذي بشيراز صورَ الوضع المشين الذي كانت عليه حالتهم وبيّن لنا كيف كانوا يحيون حياة لاهية مملوءة بالسكر والعريضة .. يقول (١) :

شربنا ذهباً يجري بشاطيء فضة تجري
وما زلنا على السكر نداوي السكر بالسكر
درينا كيف أصبَحنا وأمسينا وما نلري

وأبو القاسم علي بن القاسم القاشاني يبين لنا في شعره علاقات انسانية متحركة تتمثل في الوفاء للصديق والصبر على مكارهه وهذا يدل على أن حياة هؤلاء الحكام لم تكن خالية من العواطف الاجتماعية الجيدة .. يقول (٢) :

ولاني وإن قصرتُ عن غير بغضة لراعٍ لأسباب المودة حافظُ
وما زال يدعوني إلى الصدم ما أرى وآبى فتشيني اليك الحفاظُ
وأنتظرُ العقبى وأغضبي عن القدى الأبينُ طوراً في الهوى وأغالظُ

(١) اليتيمة ٢ / ٣٢٥ ، والسكر حجارة نرصف في النهر على شكل سد ، ومثل هذا السكر موجود الآن في اعالي الفرات .
(٢) نفسه ٣٣٥ .

واستمطرُ الاقبالُ بالود منكمُ وأصبرُ حتى أوجعتني المغايظُ
وجرّبت ما يسلى المحبَ عن الهوى واقصرتُ والتجريبُ للمرءِ واعظُ

وفي شعر أبي أحمد عبد الرحمن الشيرازي نجد بعض العادات والاستعمالات
والعلامات الاجتماعية بارزةً قوله وهو يصف سحابة ممطرة (١) :

خرجتُ من عندكمُ فأدرکتني سحابةٌ ذاتُ منظرٍ صلّف
غمامةٌ كالعمامةِ اثلقتُ فوقَ رؤوسِ المشاةِ في السدّف
تنالها كفٌ من يزاولها تقولُ للمرءِ ويكّ لا تقفِ
يختطفُ الأرضُ وقعَ صبيها مثلَ اختطافِ المخالبِ العُقّفِ
فوقعه والكساءُ يدفعه وقعُ سهامِ الأتراكِ في الهدفِ
كأنما كلُّ قطرةٍ وقعت عليه درّ بداحينِ الصدفِ
لو أن ما ذاب منه يجمّد لم يصلح لغير العقود والشف (٢)

فيها من الرعد كالسدباب (٣) والصنج (٤) إذا ما ضربن في شرف
وفي هذه الأبيات نلاحظ العمامة اللامعة ، وجودة الأتراك في أصابتهم
للهداف بالسهام ، واستعمال الدر في العقود والأقراط ، وضرب الدباب
والصنج أيام احتفالات الكبار أو تشريفهم بمنزلة متقدمة في الدولة .

القيمة الفنية :

لم يكن غالب شعر الوزراء متفاعلاً مع العواطف الصادقة التي تجيش في
صدر الانسان أو الشاعر ، لذلك جاء نظماً ميتافيه كثير من الجناس والتشبيهات

(١) نفسه ٣٢٨ .

(٢) الشنف : ما علق في الأذن ... وقيل القرط اللسان ٩ / ١٨٣ .

(٣) الدباب : القليل والدباب صوت كأنه دب ... دب وهي حكاية الصوت ، اللسان

١ / ٣٧٢ .

(٤) الصنج : هو الذي يكون في الدفوف ونحوه ... والصنج الذي تعرفه العرب هو الذي يتخذ

من صفر يضرب احدهما بالآخر .. اللسان ٢ / ٣١٦ .

المادية السمجحة مما يدل على جمود قائله في دائرة محدودة من الحياة الباذخة ذات الوجه غير الانساني .

ان هذا الشعر لا يعدو أن يكون غزلا مكشوفاً داعراً بفتاة أو غلام أو وصفا ماديا مترفا لمجالس الخمرة والتهتك ، أو شرحا تقريريا لحالة اجتماعية أو سياسية خانقة ، أو وصفا عاما محشواً بعبارات لا روح فيها ولا حيوية .

ان شعر الوزراء (وهو في الاكثر مقطعات قصيرة) تدفقات آنية ، أو تخيلات كاذبة بعيدة عن الالهام الشعري ، معدومة الحركة ، فاقدة للانفعالات على أن هذا لا ينفي وجود نبضات شعرية عند بعض الوزراء فقد كان الوزير « المهلبي شاعراً في مرتبة أرقى من مرتبة الطبقة الوسطى (١) » نجد عنده ومضات للشاعر وانفعالاته الصادقة ، ولربما بردت هذه الانفعالات وقلّ توهجها بعد أن غزاها الترف الحضاري ، واللفظي ، ولكنها لم تفقد نهائياً سمة الشعر واحساساته الرفيعة بعض الاحيان ولنا من الأبيات التي قالها في غلام معز الدولة « ظبي يرق .. الأبيات » خير شاهد على ما يمتلكه من نبض شاعري رقيق .

خاتمة :

نخلص من كل ما ذكرنا الى أن شعر الوزراء دليل واضح على اضطراب العصر ، وسيادة استغلال الانسان للانسان ، فالشعر المترف قيل في مناسبات صنعت أدواتها وما كلفها ومشاربها من جوع الناس البسطاء وعرقهم ودمائهم .

وقد نسي الوزير المهلبي خلال هذه المناسبات مأساته القديمة وفقره الذي دفعه الى تمني الموت فقد انتهت عند تسلمه الوزارة مرحلة كفاحه الاناني وبدأ مرحلة جديدة من الحياة المنتشية بالبذخ والفراغ واللهو ومجالس الفجور الماجنة .

(١) الحضارة الإسلامية لمرزوق / ١ / ٤٧٣ .

لقد اتضح أن الوزارة المرتبكة المهزوزة زمن الاتراك قد استقرت في العهد البويهي واتخذت طابعاً جديداً منعماً مطمئناً يدلنا على ذلك غلبة اللهو والترف اللذين يصاحبان الاستقرار دائماً ، كما اتضح لنا أن الوزير استسلم كما استسلم الخليفة الى سلطة الملك البويهي وتحكمه ، وصار عنصراً ادارياً ثانوياً في الدولة وفي حياته أوقات فراغ كثيرة آثر أن يملأها اضافة للهو بالشعر البارد المتحلل .

رجال الدولة :

نقصد برجل الدولة من أتت منزلته بعد منزلة الوزير والى أصغر موظف من موظفي الدولة .

ولقد أفردت لهم كلاماً خاصاً مع أن ذكرهم يأتي في اماكن متعددة من بحثنا ، ذلك لأنهم يمثلون جزءاً مهماً من الطبقة الحاكمة المستغلة .

ولقد كان بعضهم في الثلث الأول من القرن الرابع يلعب دوراً بارزاً في تسيير أمور البلد . ولا يمكن أن ننسى ما فعله مؤنس الخادم أو مفلح الأسود ، أو نصر القشوري وغيرهم من حاشية الخليفة في التناول على مقام الوزير أو الخليفة أحياناً ، ولا يعني هذا التسلط استقرار أوضاع هؤلاء ، فقد كانت التغيرات السياسية المفاجئة تسحق بعضهم كما حصل لمؤنس وبليق وابنه أو لابن رائق ولبجكم بعده (١) .

وقد ساعد في اضطراب أحوالهم تطلعاتهم الى مناصب أعلى من مناصبهم مما يدفعهم الى التوسل بمختلف الوسائل ومنها التآمر على من هم أعلى منهم منصباً فيؤدي ذلك الى ايذائهم وكل هذا ليزال الخلافة ، وتدهور أمور الوزارة .

وقد اختلف أمر رجال الدولة في العهد البويهي ، فصاروا يتمتعون بنوع من الاستقرار ذلك لأن الملك البويهي أمسك بزمام القيادة العليا وحدد من

(١) وينظر ما فعله المحسن بن أبي الحسن بن الفرات مع علي بن عيسى وما جرى بين المحسن ونصر القشوري من حديث الوزراء ٣٢٣ .

مطامح هؤلاء « الموظفين » ، وحدد لكل منهم مجال عمله ، ومع كل هذا الاستمرار ظلّ الموظفون يعانون في الزمن البويهي خوفاً من قسوة الملك البويهي وغضبه .

ان كل علاقاتهم وأوضاعهم هذه تتفاعل في أغلب الأحيان مع مشاعرهم التي ينفثونها شعراً ، فترسم على هذا الشعر معالم كثيرة اجتماعية وسياسية ونفسية ..

فاذا عددنا أبا بكر الصولي - مرابي الراضي ومرابي أخيه - موظفاً في الدولة العباسية استطعنا أن نستنبط من شعره الذي رفعه الى سادته كثيراً من مظاهر علاقاته معهم .

فهو يسجل لنا ما عاناه وهو يقوم على رعاية الراضي وتوجيهه ابان امارته ويبين لنا من خلال ما ذكره وجود أعداء حاقدين على الراضي ، يتمنون زواله عن طريقهم . وبهذا يحيطون من يراعه بجو مشبع بالرهبة والخوف يدفع الصولي الى أن يقول (١) :

عَلِمَ اللهُ مَا الَّذِي كُنْتُ أَلْتَمَى	فِيكُمْ مِنْ تَأَلَّمَ	وَامْتَعَاضِ
لَمْ أَذُقْ مِنْهُ رَكِيبُ رَاحِلَةَ الـ	خَوْفٍ إِلَى الْآنَ لَذَّةَ الْإِغْمَاضِ	
لَا أَطِيقُ الدَّفَاعَ عَنْكَ وَلَا	أَمْلِكُ غَيْرَ الْهَمُومِ وَالْإِرْتِمَاضِ	
زَارْتَنِي أَسْوَدُ حَقْدٍ عَلَيْكُمْ	لَمْ تُغَيِّبْ بَغَابَةَ وَغِيَاضِ	

واذا كان الصولي قد لاقى مثل هذه المتاعب من أجل خدمته (التزينة) للراضي فلا ندري لماذا كان يغري الراضي أيام امارته بالمتع ، والاخذ بها مما لا يمكن أن يتفق مع وضعه التربوي . فاذا أقبل النيروز نسي الصولي نفسه ونسي منزلته ، ومهنته ، وعاودته طبائع التديم ، فحث (تلميذه) الذي يريه على الشراب والأنس وقال (٢) :

بارك الله للأمير أبي العباس خير الملوك في النيروز

(١) اختيار الراضي ١٤ . والارتماض : الحزن .

(٢) نفسه ٣٢ .

فاقتبيلُ جدّةَ الزمانِ بعامِ بارزٍ باللّجينِ والابريـرِ
واقضِ حقَ النيرِوزِ فيه بكأسِ مزعجِ سَمِيها بكأسِ وكوزِ
بالزبيديّةِ المشهّرةِ الحسنِ وحوزِ اللذاذةِ الماحوزِ (١)

• • •

ويقنع الصولي تلميذه فيمشي في دروب اللّهُو ، ويرتسم لنا صدقِ حدسِ
من آهمِ الصولي بالاساعةِ في تعليمِ الراضي وتهيّبه ، واذا تركنا الصولي وأمسكنا
ببعضِ أبياتِ من الشعرِ قالها رجلُ دولة طمّاحِ الى نيلِ الوزارةِ توضّحِ لنا من
خلالِ هذهِ الأبياتِ مدى ما وصلِ الولاية من طمعِ في منصبِ الوزيرِ ، فلقد
سعى محمد بن أحمد بن أبي البغلِ لنيلِ الوزارةِ وبذلِ من ماله للحاشيةِ الكثيرِ ،
واذا خاب مسعاه وذهبتِ أمواله هدرأ قال (٢) :

ولي همّةٌ تعلو السماكين رفعةً وتسمو إلى الأمرِ الذي هو أشرفُ
وجدّي عثورٌ كلما رمتُ نهضةً تقاعدَ بي يغتالني ليس ينصفُ
وتزداد حسرته ، ويزداد ألمه ، حينما تنتهي آماله في الوصولِ الى الوزارةِ
بالخيبة . فيجلس منفرداً ، يجتر أحلامه الي تنداعى صوراً سرايبية يقول
فيها (٣) :

أملُ كان كضوءِ الشمسِ في بُعدِ المكانِ
فإذا صار على قربِ بلمسِ وعيانِ
استردته يدُ الدهرِ فعُدنا بالأُماني

وندرك أن ابن أبي البغل لم يكن يرى في الوزارة صيداً سهلاً المنال ،
ولكنها وقد هزلت مكانتها ، وصارت سلعة ، اقربت من ناظره وغدا يراها
أملاً جميلاً سهلاً التحقيق ، يشجعه في الطموح اليه ليؤتة سمسرة الوزارة
(السلعة) وتهاويهم أمام المال .

(١) الماحوز : ضرب من الرياحين اللسان ٤٠٨ / ٥ .

(٢) الوزراء ٢٩٧ وتنظر أيضاً قصة خبيته .

(٣) الوزراء ٢٩٧ .

ويوم نال الوزارة حامد بن العباس صغرت الدنيا بعين ابن أبي البغل ،
خاصة أنه لاقى من حامد الحبس والاهانة والتعذيب ولم يفرج عنه الا بعد
وساطة ام موسى القهرمانه .

ويكتب علي بن عيسى الى ابن أبي البغل يبيّن له سروره للافراج عنه
فيجيبه ابن أبي البغل قائلاً (١) :

الصَّعُو يَصْفَرُ آمَنًا وَمِنْ آجَلِهِ	حُبْسُ الْهَزَارِ لِأَنَّهُ يَتَرَنَّمُ
لَوْ كُنْتُ أَجْقَلَ مَا عَلِمْتُ لِسِرِّي	جَهْلِي ، كَمَا قَدْ سَاعَنِي مَا أَعْلَمُ
لَمْ أَسْتَفِدْ أَدْبِي لِدَوْلَةِ ظَالِمِي	لَكِنَّهُ يَجْنِي عَلَيَّ وَيُظْلِمُ
ذَنْبِي إِلَيْهِ ، عَلَى رَكَاكَةِ فَهْمِهِ ،	أَنْتِي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ

وهكذا تتضح لنا جوانب من شخصية حامد فيها ركافة فهمه ، وقلة
تدبيره ، وجشعه ، وهذا ما أدى فيما بعد الى انهيار وزارته وغضب العامة
وثورتها عليه .

ويمتليء العصر البويهي بالوجوه الشعرية الي تعتلي مناصب في الدولة ،
وتقدم للملك البويهي ضروب الطاعة شعرا وذلة وامثال أوامر .

فالصباي اذا امتدح عضد الدولة أظهر له ولاء يعج بالدعاء والتمنيات ،
ويهتبل ، أو يصطنع المناسبات لكي يرفع له مثل هذه الآيات فاذا صام عضد
الدولة قال فيه (٢) :

يَا مَا جَدًّا يَدُهُ بِالْجُودِ مَفْطَرَةٌ	وَفَوْهُ مِنْ كُلِّ هُجْرٍ صَائِمٌ أَبْدَا
أَسْعَدَ بِصَوْمِكَ إِذْ قَضَيْتَ وَاجِبَهُ	نُسْكَأً وَوَفَيْتَهُ مِنْ شَهْرِهِ الْعَدْدَا
وَفُزَّ بِعَمْرِكَ مَمْدُودًا وَمَلِكُكَ مَوْطُودًا ،	وَنَلَّ مِنْهُمَا الْحَدَّ الَّذِي بَعْدَا
حَتَّى تَرَى كُرَّةَ الْأَرْضِ الْبَسِيطَةَ فِي	يَمْنَاكَ مَمْلُوعَةً أَرْجَاؤَهَا رَشْدَا
وَحَوْلَتِكَ الْفَلْسَكُ الدَّوَارُ مَتَبَعًا	أَوْ طَارَ نَفْسِكَ لَا يَأْلُوكَ مَجْتَهَدَا

(١) الوزراء ٣٨٢ ، والصعو : طير صغير يكثر في البراري .

(٢) / اليتيمة ٢ / ٢٧٧ .

وندرک من هذه الأبيات أن الصابي مؤمن بكرة الارض ودوران
الفلك ولا أظنه يجرؤ على قول هذه الحقيقة العلمية لو لم تكن فكرتها سائدة
ومعروفة .

وفي مديح الصابي لعضد الدولة نستطلع ما آلت إليه حاله في نكبته من
ذلة وخنوع فإذا أراد أن يستعطفه كتب إليه متذلاً خانعاً (١) :

وحبسك لي جاه عريضٌ ورفعةٌ وقيدك في ساقِيّ تاجٍ لمفرقي
وما موثقٌ لم تطرحه بموثقٍ ولا مُطلقٌ لم تصطنعه بمطلقٍ
خلا أن أعواماً كملن ثلاثةً تعرقت البُتيا أشدَّ تعرقتِ
وقد ظميت عيني التي أنت نورها إلى نظرةٍ من وجهك المتألقِ
فيا فرحتي ان ألقته قبل ميتي ويا حسرتي إن مت من قبل نلتني
ونعرف أن الصابي بقي ثلاث سنين ، ونعرف أنه تصاغر كثيراً وتملق
كثيراً خلال السنين الثلاث هذه ، ولا نجد سبيلاً لشوق الصابي إلى وجه عضد
الدولة غير الملق والخوف .

وإذا أطلق سراحه وساعت حاله استنجد بالصاحب بن عباد سالكاً أسلوب
العصر في الاستعفاف فقال (٢) :

لما وضعتُ صحتي في بطنِ كفِّ رسولِها قبلتُها لتمسُّها
حتى ترى في وجهك الـ ميمون غايةً سولِها يُمناكَ عندَ وصولِها
ونلاحظ في مديح الشريف الرضي للطائع انحسار التعصب الطائفي أمام
المنصب ، فهو ينسى ما فعله العباسيون بأبائه وأبنائهم العلويين من أفعال موجهة
فاجرة ويقول مخاطباً الطائع (٣) :

(١) معجم الادباء ٢ / ٤٦ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٧٦ .

(٣) الديوان ٢ / ٣٤١ ، اليتيمة ٣ / ١٣٨ .

لله ثم لك المحلل الأعظم
واليك ينتسب العلاء الأقدم
ولك التراث من النبي محمد
والبيت والحجر العظيم وزمزم
تمضي الملوك وأنت طود ثابت
ينجاب عنك متوج ومعمم
لله أي مقام دين قمته
والأمر من دون القضية مبهم
فكأنما كنت النبي مناجزا
بالقول أو بلسانه تتكلم

ويقرب من ذلك ما قاله القادر بالله (١) :

شرف الخلافة يا بني العباس
اليوم جدده أبو العباس
هذا الذي رفعت يدها بناءها العالي ،
وذاك موطن الأساس
لقد كانت علاقة الشريف بالطائع متينة مبنية على حب ووفاء تؤكدهما
قصيدته الحزينة التي قالها بعد أن خلع الطائع وأهين وجاء فيها (٢) :

لواعج الشوق تخطيهم وتصميني
واللوم في الحب ينهامم ويغريني
من بعد ما كان رب الملك مبتسماً
إلي أذنيه في النجوى ويدنيني
أمسيت أرحم من قد كنت أعبطه
لقد تقارب بين العز والهون

* * *

هيهات أغترُّ بالسلطان ثانية
قد ضلّ ولاج أبواب السلاطين
وإذا كان من يعرف وفاء الشريف لمن يصاحبه يعذر له أماديحه للطائع
فلسنا نجد ما يبرر ولوجه أبواب السلاطين ثانية ليمتدح القادر أو بهاء الدولة .
وإذا كان المديح قد استغرق الكثير من شعر رجال الدولة فلا يدل ذلك
على نسيانهم الدنيا وما حولهم منها ، فلقد شهدوا اضطراب الحياة الاجتماعية ،
وانهيار قيمها ودموها ، كما ذموا الدهر الذي احتواها رامزين بذلك الى من
عاش في هذا الدهر من حكام ومحكومين فالقاضي ابن معروف يفقد ثقته
بالناس ، فيحذر من الاصدقاء قبل الأعداء ويطلقها حكمة يقول فيها (٣) :

(١) الديوان ١ / ٥٤٦ ، اليتيمة ٣ / ١٤٢ .

(٢) الديوان ٢ / ٤٤٤ ، اليتيمة ٣ / ١٤١ .

(٣) اليتيمة ٣ / ١١٤ ، المحاضرات ٣ / ٢١ منسوبة الى علي بن عيسى . وترجمة ابن

معروف ابو محمد عبد الله بن احمد في اليتيمة ٣ / ١١٢ .

إحذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة
ولم تكن هذه الحكمة وليدة انفعالات ذاتية إنما هي وليدة ظروف
اجتماعية قاسية خلقت في طبائع الناس انحرافاً وميئناً .

وسجل لنا القاضي محمد بن عبد الرحمن بن قُرَيْبَةَ انقلاب الوجه
الحقيقي للحياة ، وانحرافها عن خطها القويم حين قال (١) :

يا خالقَ الليلِ والنهارِ صَبْرًا على الذُّلِّ والصغارِ
كم من جوادٍ بلا حمارٍ ومن حمارٍ على حمارٍ
وهكذا يتكشف لنا على لسان هذا القاضي زماً منحوساً ، لا يغير فيه
مجيء حاكم أو ذهاب آخر . فالبنية العامة له منهارة ، لأنه ممتليء « بالوصولية » ،
والزيف ، وهو في مسيرته الشوهاء يسحق كل من يحاول الوقوف في وجهه
أو يروم تغيير خط سيره .

ولقد مسّ الزمن بضره حتى اولئك الذين صفقوا لبعض جوانب زيفه
أو انغمسوا في « حفلات » انسه ولهوه .

فالصابي الذي ساير البويهيين ومالأهم ، وغنى لسطوتهم ، وكان له حظ
في دولتهم ، يفقد - اذ ينكب - ثقته بالدولة والناس فيقول (٢) :

أيا ربّ كلّ الناسِ أولادُ علّةٍ أما تغلظُ الدنيا لنا بصديقٍ ؟
وجوهٍ بيها من مُضْمَرِ الغلّ شاهدٌ ذواتُ أديمٍ في النفاقِ صفيقٍ
وكأننا لا نعرّ بالحقيقة عند الصابي وأمثاله إلاّ اذا ازدادت الحياة قسوة
عليهم وظلماً لهم ، ولهذا نرى الصابي اذا أصيب بمكروه ، شطّ به غضبه
ونسى جبروت الحكام وما لاقاه من سجن وحرمان على أيديهم وقال بألم (٣) :

(١) المنتظم ٧ / ٩١ ، وترجمة محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريمة ت ٣٦٧ هـ في ،
وفيات الأعيان ٤ / ١٧ .

(٢) المحاضرات ٣ / ٢٠ .

(٣) اليتيمة ٢ / ٢٨٦ .

ألا هلّ لأهل الدولة النذلة التي ثوى داؤها فينا وأعيى دواؤها
لتد كبت الدنيا على أم وجهيها فنحن لها أرض وأنتم سماؤها
فلا تفرحوا بالخط منها ، فإنه قليل على هذا المحال بقاؤها

وبهذا يسجل لنا الصابي الوجه الصحيح للحكم البويهي ، وبلغني بكلماته
هذه كل أقوال الذلة والدجل التي رفعها الى عضد الدولة أو غيره من
رجال الحكم .

ولم يكن الصابي منفرداً في النكبة ، واقعاً وحده بين أنياب الدهر
المسمومة ، فالمحسن ابن القاضي التنوخي مثله تنوشه يد الدهر ، وتنال
منه فيقول (١) :

أما للدهر من حكمٍ رضي يدالُ به الشريفُ من الدني
ويستعلى الرؤوس من الذنابي وينتصف الذكي من الغبي

وحين لا يجد ما يتمناه لا يركن لليأس والقنوط فبالرغم من قبض السلطة
على ضيعة من ضياعه وصرفه عن قضاء الأهواز يكابر ويقول (٢) :

لئن أشمت الأعداء صرّفي ورحلتي فما صرفوا فضلي وما انصرف المجد
مُتّامٌ وتِرحال ، وقبضٌ وبسطةٌ كذا عادة الدنيا وإخلاقها النكدُ

ولأنه يعرف أن القبض والبسطة ، والمقام والترحال مسائل عامة لا
يختص بفرد ، ولا تقف ثابتة بباب إنسان ، تسري على غيره مثلما سرت عليه ،
لأنه يعرف هذا يقول (٣) :

قل لمن أودى به الترحُّ كلّ همٍ بعده فرحُ
لا تنضيق ذرعاً بنازلة وارمها بالصبرِ تنفسُ
غالط الأحداث مُجتهداً كل ما قد حلّ منترح

(١) الفرج بعد الشدة ٢ / ٤٥٤ .

(٢) الفرج بعد الشدة ٢ / ٤٥٤ ، اليتيمة ٢ / ٣٤٧ ، وينظر سبب عزله والقبض عليه عام

٣٧١ ، في الكامل ٩ / ١٥ .

(٣) الفرج ٢ / ٤٦٨ .

وأزح بالراح طارقيها فجلأء الكربة القدح
وقد نجد مع التفاؤل نوعاً من الهروب ، أو نجد الهروب نفسه متمثلاً
بدعوته للانغمار في الشراب ، ورؤيته القاصرة لحلول المشكلات التي تواجه
الانسان .

ولا نعجب اذا سمعنا بقاض مسلم يدعو الى اللهو والشراب ، فقد كان
القضاء الى حد ما كالوزارة تختنق بالرشاوي والمظالم والمعاصي .
وإذا كان المحسن قد قال ما قاله فله في أبيه ودعوته الصريحة الى المجون
والشراب أسوة وقدوة .

فقد كان القاضي التبوخي ينسى منزلته الدينية ومركزه الاجتماعي ويقول
مجاهراً بدعوته للشرب (١) :

إسقي الراح في شباب النهارِ وانفِ همِّي بالخنديسِ العُقارِ
ولا يتوانى هذا « القاضي » أن يزوقها ويروقها ويشهيهها لسامعيه حينما
يصفها ويقول (٢) :

وراح من الشمس مخلوقةٌ بدت لك في قدح من نهارِ

إذا ما تأملتَها وهي فيه تأملتَ نوراً مُحاطاً بنارِ

كأنَّ المديرَ لها باليمينِ إذا مالَ للسقي أو باليسارِ
تدرِّعُ ثوباً من الياسمينِ له فردٌ كُـمَّ من الجُلنارِ
وينجرف القاضي مع التيار ، فيغوص في مستنقع الرذيلة ، يستخرج منه
ألفاظه الداعرة الماجنة ، فبعد هذا الوصف « اللذيذ » (في مفهوم صاحبه)
للخمرة وساقبها يذهب الى الكشف عن موبقاته فيربنا نفسه سكبيراً ماجناً لا

(١) الأعجاز والإيجاز ٢٥٠ .

(٢) الأعجاز ٢٥٠ ، اليتيمة ٢ / ٣٣٩ .

يحتشم في مجالس أنسه ، وكيف يحتشم من عاشر الوزير المهلبي ، وعربد مثلما
عربد ، وكيف يحتشم بعد ذلك من يقول (١) :

باتَ يَسْتَقِينِي وَيَشْرِبُ ذَهَباً لِلْهَمِّ مَذْهَبٌ
شادنٌ يَحْمَلُ مَاءً فِيهِ نَارٌ تَتَلْهَبُ

لو أدرناها على مية ت لكان الميت يطرب
ليت شعري أسرواً أم مُداماً بت أشرب
صباً في الكاسات منها كالشهاب المتصوّب
فرايتُ الراحَ إِشْرَقاً ورأيتُ الهمَّ مغرب
غصنٌ فوقَ كَثيبٍ ونهارٌ تحتَ غيْهب
لك منه مطربٌ يرضيك إن شئت ومضرب
جنةٌ عذبتُ فيها بتجنن وتجنّب
هل رأيتم أحداً قبلي بالجنة عذب

وحين تعبق رائحة الغلمان من هذه القصيدة ، لا يتسرّ أو ينفي عن نفسه
مثل هذه التهمة الفاحشة ، بل يكشف عن ذاته ، رجلاً شاذاً ، منحرفاً نحو
أسوأ هوة وقع فيها المجتمع آنذاك .. فإذا لامه بعضهم على عشق غلام أمرد
جسيم ، قال متأففا مؤنبا (٢) :

قالوا : عشقت عظيم الجسم ، قلت لهم :
من أين استرُ وجدي وهو منتهك
الشمس أعظم جرم حازه الفلك
ما للمتيم في فتك الهوى درك
أو قال مسوغاً لنفسه هذا العشق ، الذي سار فيه مواكبا تيار العصر (٢) :
أعشقتُ لا عشقتُ أخبأ نحول
سوى أني أخوالخلق الظريف
إذا لمسته كفتي لم تلامس
سوى جلدٍ على عظمٍ نحيف

(١) اليتيمة ٢ / ٣٣٨ .

(٢) نفسه ٣٤٥ .

ان القاضي التنوخي وأضرابه كانوا يعلنون صراحة عن مجونهم وفسقهم ولا يرون في ذلك جناحا ولا عيبا ، فالعصر عصر لهُو، ومن لا يعتمده منهم ويعترف من مبادلته يندم ! فالصابي على تمسكه بدينه ، وأعرافه ، وعلى تزمته لا يثبت أمام مغريات هذا العصر ، الذي يدعي الثبات امام صراعه النفسي ولهفته الى المجون كما يظهر في قوله (١) :

حَمَتْنِي لَدَتِّي رَتْبُ المعالي وَضَنِّي بِالْمَرْوَةِ وَالْوَقَارِ
 ودينٌ ضاق فيه مجالُ فَتَكِي لُخُوفِ عَتُوبَةٍ وَحَدَارِ نَارِ
 فوا شوقاً إلى خَلَعِ العِذار وَفَعَلِي مَا أُرِيدُ بِلَا اعْتِذارِ
 ويا هُفِي على حل الإزار صرِعاً بين سُكْرِ أو خُمَارِ

ولكن الصابي المرتج في هذه الأبيات المشدود بين مثله وشهوته سرعان ما ينهار أمام اغراء الحمرة والغلمان فيفضح نفسه في قوله (٢) :

فاسقنيها خمرة تأسو من الهم الجراحا

• • •

يا غلامي ما أرى فيها ولا فيك جناحا
 ويظل الصابي أسمى من أقرانه رجال الدولة حتى بعد انهياراته الجنسية لأنه لم ينجرف كثيراً مع الغلمان (٣) ، فقد اتجه اتجاهها جنسيا طبيعياً لذلك يقول (٤) :

(١) اليتيمة ٢ / ٢٤٣ .

(٢) نفسه ٢٥٨ .

(٣) هذا لا يعني أنه ابتعد عنهم فهناك ما يشبه ميله اليهم كقوله :

طيب عيشي في عناقك ووفاتي في فراقك

او غير ذلك من الاقوال لكنه مع هذا يطنى غزله بالمرأة وحبها لها على غلانيته . تراجع اليتيمة

٢ / ٢٥٧ وما بعده .

(٤) كتابات الثعالبي ٢٦ . والأحراج : الفروج .

لحاجة المرء في الأدبار إدبار والمائلون إلى الأحـراح أحرارُ
 كم من نظيف ظريف بات ممتطياً ظهر الغلام فأضحى وهو عطارُ
 انه يعبر عن نزعة تبدو غريبة ازاء ما كان متعارفا عليه بين رجال الدولة
 وصدورها من ميل جارف نحو الغلمان .

لقد كان الصابي مولعا - مقابل نفوره من الغلمان - بالمرأة يصرح بذلك
 دون استعمال ضمير المذكر كما يفعل غيره من الشعراء فتراه يقول واصفا
 لهوه مع احداهن (١) :

أقولُ وقد جردتها من ثيابها وعانقتها كالبدري في ليلة التّمّ
 ابن آلمتُ صدري لشدة ضمّهما لقد جبرت قلبي وإن أو هنت عظمي
 أو (٢) :

جردتها اعتنقنا كلُّ لكلٍ وشياحُ
 بات وكل مصون لي في حماها مباحُ
 واذا كان الصابي مترفا عن الشذوذ الغلماي فهو لم يكن كذلك مع
 النساء لقد أخذه تيار الفجور في سيره ولم تحمه منه رتبه ولا مروعته ولا دينه ،
 فوصفه الذي رأيناه لا يدل إلا على رجل منغمر باللذات مدمين عليها وعلى
 عكسه كان القاضي ابن معروف حين يتغزل ويقول (٣) :

فلما تصرّ منا وشطت بنا النوى رَضِيَتْ بِطيفٍ منك يأتي مُسلّما

(١) اليتيمة ٢ / ٢٥٩ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٥٨ ، كتابات الثعالبي ١٢ . ويبدو أن الصابي معرم بالعري فتراه يقول
 « وقد جردتها » ، « جردتها واعتنقنا » أو يقول « يا من بدت عريانة » « فرأيت كل الحسن
 فيها » أو « وأنت أحسن ما نلقاك عريانا » . وقد تكون هذه الأقوال دليلا على نزعة شاذة في
 نفس الصابي .

(٣) اليتيمة ٣ / ١١٣ .

أو حين يقول (١) :

لو كنت تدري ما الذي صنَّع الهوى والشوقُ في الجسدِ التحيلِ البالي
لهجرتَ هجري واجتنبتَ تجنبي ووصلتَ من بعدِ الصدودِ وصالي
انه يسمو في لفظه مدلاً على نظافة مشاعره وعلوها فقد كان بإمكانه أن
يستعمل لغة العصر أو لغة رفاقه رجال الدولة ، فيصف لهوه ومجونه ، أو
ينحط الى درك الأوصاف المادية المبتذلة فيستعملها لغة لشعره وغزله ، ولكنه
ترفع فاستعمل لغة مؤدبة توحى بصدق المشاعر ونبلها ، قال مرة يصف علو
همته في الحب (٢) :

وما سرَّ قلبي منذُ شطَّت بك النوى نعيمٌ ، ولا كأسٌ ، ولا متصرفٌ
وما ذقتُ طعمَ الماءِ الآءِ وجدتهُ سوى ذلك الماءِ الذي كنتُ أعرفُ
ولم اشهدِ اللذاتِ الآءِ تكلفاً وأي نعيمٍ يقتضيه التكلُّفُ
ونجد مثل الفاظ الحب والغزل والشوق النبيلة التي استعملها ابن معروف
عند الشريف الرضي ، فقد تعفف هذا الشاعر عن موبقات عصره ، فلم
ينحرف أو ينحرف ، ولم يشارك أهل ذلك العصر فجورهم ، ولم يجارهم
حتى في اللغة التي استعملها في شعره الغزلي أو الوصفي ، فاذا أراد أن يصف
أو يتخيل ليله هو ارتفع بنفسه ولغته وقال (٣) :

يا ليلةً كَرُمَ الزما نٌ بها لو أن الليلَ باقي
كان اتفاقاً بيننا جارٍ على غير اتفاقٍ
فاستروح المشتاق في زفراتِ همٍ واشتياقٍ
واقنص للحقِّبِ المواضي بل تسلفَ للبواقي
حتى إذا نسَمَت ريباً ح الصبح تؤذن بالفرقِ
ببرد السوارُ بها فأحمتُ القلادةَ بالعِناقِ

(١) نفسه ٣ / ١١٢ .

(٢) نفسه .

(٣) الديوان ٢ / ٧٧ ، اليتيمة ٣ / ١٥٤ .

وقد يجاري الشريف الرضي مألوف عصره في استعارة ضمير المذكر عند الغزل فيقول (١) :

حبيبي ما أزرى بحبك في الحشى ولا غضّ عندي منك أنك أعجمُ
بنفسي من يستدرجُ اللفظ عجمة كما يَمْضغُ الظبي الأراكَ ويبغم
حتى إذا صدقنا أنها غزل بغلام أعجمي كما يقول الثعالي ، فهو غزل عفيف
نقي فيه سلاسة ورقة .

إن ما قاله ابن معروف والشريف الرضي وغيرهما من شعر أخلاقي صادق دليل شجاعة وأخلاق سامية في زمن عزّت فيه الأخلاق الحسنة ، والصفات النبيلة ، وسادت فيه المفاحش والمقارذ والمجون .

القيمة الفنية :

لا يختلف شعر رجال الدولة الاجتماعي كثيراً عن شعر الوزراء أو الامراء فهو « متطعات » أو قصائد قيلت في مناسبات معينة مفروضة ، ولهذا فهو في الاضرب شعر مصنوع لا مطبوع ، لكننا مع ذلك نجد في أشعار رجال الدولة الذاتية كثيراً من الانفعالات الصادقة والومضات الفنية الخيطة بخاصة اذا كان قائل الشعر صادقاً بعيداً عن المؤثرات السياسية .

ففي شعر الصابي والشريف الرضي ، وابن معروف نجد معالم الشاعر بارزة في أغلب ما قالوه من شعر ، وبخاصة ذلك الذي يحكي مشاعرهم الشخصية وانفعالاتهم « الرومانسية » الرقيقة .

اننا نجد - بعد ذلك - في شعر رجال الدولة الاجتماعي ذخيرة لغوية تفيد دارسي فقه اللغة ، ففيه الفاظ وعبارات يمكن للباحث أن يلمها ويفتش عن منشئها فيغنى الدراسات اللغوية والتراثية ببحث ملذ جديد .

(١) نفسه ، اليتيمة ٣ / ١٥٥ .

الخلاصة :

شعر رجال الدولة - كغيره - صورة تبرز فيها معالم حياتهم فهو يحكي علاقاتهم بأسيادهم وما جرت به هذه العلاقات عليهم من حزن أو مسرة ، كما يحكي نزعاتهم الفردية وتطلعاتهم الأنازية ويصف بشكل أو بآخر ما كانت عليه حياتهم من مظاهر باذخة مترفة ، وما صاحب هذه المظاهر من انحرافات أخلاقية جرت معها أغلب رجال الدولة ، لم يسلم منها الا من كان يمتلك نفساً شجاعة أبية استطاعت بقوتها أن تحميه من هذا الاتون الفاجر المستعر .

ان شعر رجال الدولة يفيد دراسي التاريخ والاجتماع كما يفيد دراسي اللغة وفقهها ، ففيه معالم اجتماعية لا يمكن أن نجد مثل صدقها في أي خبر تاريخي لأن مصدرها شعر ذاتي يعبر تعبيرات اجتماعية واضحة المعالم إلى حد كبير ..



الفصل الرابع

المتبذلون والمجان

المجون قديم قدم المجتمعات البشرية يرافق تغيراتها وتطوراتها مدأ وجزراً ، والمجتمع العربي الجاهلي عاش فترات استفحل أمر المجون فيها بشكل خطير ، وقد أبطل الاسلام العادات الفاحشة التي كانت موجودة في الجاهلية (١) ووضع أعرافاً جديدة والتزامات تحترم كيان الانسان وكرامته ، كما أنه فرض على المسلمين عملاً متواصلًا في الفتوحات والفروض الدينية مما استغرق أوقات الناس وكاد أن يقضي على فراغهم ، وهذا ما سهل ضمور المجون والفسق أو اختفاهما .

وحين بردت الالتزامات الدينية ، وانتهت الفتوحات ، أصبح المسلمون الفاحجون يتمتعون بالكثير من أوقات الفراغ ، يضاف إليها وفرة وسائل اللهو من مال ، وغلمان وجوار وخدم ، وقصور عامرة وتسلط . ولهذا بدأت بذور التبذل تنمو من جديد عند هذا الحاكم أو ذلك ، أو عند غير الحكام من تجار ، وأصحاب أراضي . وزاد من ظهور هذه البذور ونموها اتساع رقعة المملكة الاسلامية والامركزية التي يتمتع بها بعض الحكام .

(١) يراجع في عادات العرب في الجاهلية ، ونظراتهم تجاه المرأة والزواج والفجور ، بلوغ الارب للالموسي ٢ / ٣ - ٨ ، ٥٢ ، ٥٥ ط ٣ شرح وتصحيح الاثري ، مطابع دار الكتاب العربي - مصر .

ولا ننكر ما للشعوب المتحضرة (الفارسية والبيزنطية) التي اختلطت بها العرب من أثر في خلق مثل هذه الأجواء التي كانت تعتبرها هذه الشعوب من مقومات حياتها (١) .

وحين خلقت هذه الاجواء الباذخة ، كان لابد من وصفها بقول نثري أو شعري والحكام مولعون بالوصف والشعر ، والناس المحكومون لم يكن لديهم من اعتراض على هذا البذخ الذي يحصل غير الكلام على هذه المجالس

(١) يتساءل الدكتور احمد الحوفي في كتابه « تيارات ثقافية بين الفرس والعرب » وفي حديثه عن الأدب العباسي المكشوف في ص ٢٠٢ فيقول : « فهل كان نتيجة محتومة لتطور المجتمع في نظم ووسائل ترفه وراثته الواسع ؟ أو كان نتيجة خلط الفرس بالعرب وكثرة الموالي والاملاء ، وما نقله الفرس من ضروب اللهو والفساد .
ويجيب الدكتور الحوفي :

« الحق كان نتيجة محتومة للأمرين معا ، ذلك أن تطور الحياة وتنوع الترف وكثرة المال ليست السبب الوحيد في كثرة المجون والخلاعة ، والادب المكشوف ، لأن المجتمع في الاقاليم الاخرى كالشام ومصر وشمالى افريقيا والأندلس قد تطورت حياته لكنه كان أكثر جدا وأكثر حرصاً على التصون من المجتمع العراقي » .
ثم يعود فيجزم :

« واذأ فقد كان الفرس أهم بواعث الخلاعة والادب المكشوف لأن العرب لو لم يخاطبهم لكانت حالهم أشبه باخوانهم في الشام ومصر » .
انتهى كلام الدكتور الحوفي وهو لا يعدو أن يكون خلطاً سطحياً ورأياً فيه الكثير من الاتهام والسذاجة .

ان المجتمعات في مصر والشام والأندلس لم تكن أحسن حالا من مجتمع العراق ، والا فكيف نفسر شعر ابن واسانه وابي الرقعمق ، أو رقص وزير اندلسي في مجلس عام أمام الملك ، أو ارتياح ولذة الحاكم بأمر الله وهو يشاهد شيخا يلاط به بأمره .. ثم لماذا نضع الوزر كله على الفرس ، ولماذا لا نقول أن التراكبات السياسية والاقتصادية على المجتمع وما تولده من اضطراب اجتماعي واخلاقي قد ولدت عند مثقفيه عامة ، وشعرائه خاصة نزعة الاحتقار للمثل فكان الشاعر يقع في أتون هذه النزعة فينظم الادب المكشوف تعبيراً عن احتقاره للاوضاع الاجتماعية أو احتجاجاً عليها أو هروباً منها أو تنفيها عن ألم مكبوت سببته السلطة الجائرة المستغلة وما رافقها من مظالم اجتماعية ودعارة اخلاقية وسياسية عمت العراق مثلما عمت الشام أو مصر أو الأندلس .

وما يدور بها من تبذل وشعر متدن ، وبعد أن كثرت هذه المجالس كثر تناقل ما يدور فيها ثم صار الشعر المتداول وكأنه شيء اعتيادي لكثرتة وخفته وسهولة حفظه ، فلم يعد يستهجنه « العامة » ، وصار ملححة مجالس الخاصة ثم تطور الأمر حتى بدأ يقلد بعد أن كان يردد ، وغدا قوله مألوفاً ، وعدّ شيئاً من الظرف (١) والفكاهة (٢) ، فانتشر في العراق وفي الشام ، ومصر والأندلس في فترات وأشكال متفاوتة .

يمكننا أن نستشف في الشعر الماجن المبذل كثيراً من مقومات المجتمع بحكامه ومحكوميه ، ونطلع على عادات غريبة كثيرة بدت بأشكال وصور مختلفة وصارت وكأنها موجودة فيه أصلاً .

ومشاهداتنا لعادات المجتمع وطبائعه خلال الشعر الماجن (الظريف بلغة العصر) نتيجة منطقية لما يملكه هذا الشعر من سلطة عجيبة تمكنه من الايغال في هذه العادات والطبائع ووصفها وصفا مجرداً عن أغلب مؤثرات الخوف والدجل .

(١) لقد احتلقت مقاييس ومفاهيم الظرف في هذا العصر عما كان عليه سابقاً فقد قالوا فيه قبل هذا القرن : « الظريف الذي تأدب وأخذ من كل العلوم فصار وعاء لها فهو ظرف » . وقالت بعض متطرفات القصور : من كان فصيحاً عفيفاً ، كان عندنا متكاملًا ظريفًا ، وما كان غنياً عاهراً ، كان ناقصاً فاجراً ، وقيل : الظرف في أربع خصال ، الحياء والكرم والعفة والورع . وانشد الشاعر :

ليس الظريف بكامل في ظرفه حتى يكون عن الحرام عفيفاً
فاذا تورع عن محارم ربسه فهناك يدعو الانام ظريفاً

ينظر الموشى : ٥٣ .

(٢) يعلق الاستاذ بشار عواد معروف على ما وصلت اليه الفكاهة في العصر العباسي فيقول : « وقد امتزجت الفكاهة عند العرب في العصر العباسي بالمجون واصبحت الصقاعة والرقاعة والحماقة والفكاهة تطلق على كل فكه تقريباً واصبح الماجن احمقاً ورقيعاً بنفس الوقت » . « مجلة التراث الشعبي ع ٦ س ١٩٦٤ شباط ص ٥٧ وما بعدها »
وليس الامر بهذا التعميم والا لأصبح الادباء ورجال الدولة الماجنون صقعا رقعاه حمقى فكهين في الوقت نفسه .

فالحسين بن الحجاج مثلاً « تنفكه الفضلاء بشار شعره ، وتستملح الكبراء
 بينات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط
 رفته . وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل الى ما يضحك ويمتغ من نوادره (١)
 وهو لا يهاب حين يأتي بنواقص هذا الأمير أو ذاك الوزير أو غيرهما من
 رجال الدولة خلال مدحه لهم أو وصفه لمجالسهم ، لأنه يعرف كيف يدغدغ
 مشاعرهم ، ويرضي غرورهم ، يقول واصفاً حالة من يمتدحه (٢) :

قِرمٌ إذا أنشدته شعري البديع تهللاً
 فحسبت أن أبا عبادة (٣) يمدح المتوكلاً

وليس هذا التهليل والانسراح الا نتيجة الشعور بالمتعة الحاصلة بسبب
 سماع الشعر الماجن المملوء بالمقاذر اللفظية والمديح الذي ينبو عنه الذوق لتدني
 ألفاظه ، واغراقها في الغلو والذلة .

لقد أخذ هذا الشعر مكانه في المجالس والمناسبات وأستعيع به أحياناً عن
 اللهو والغناء ، وعدّه ابن الحجاج ظرفاً ، وفضله على الغناء حين قال (٤) :

فان شعري ظريفٌ من بابّة الظرفاء
 الذّ معنى وأشهى من استماع الغناء

ومعنى هذا أن شعراً مثل شعر ابن الحجاج يخدش وجه الحياء ، ويلوث
 نصاعة المروعة ، صار اعتيادياً ، بل ثميناً ، ولم يعد للاحتشام في تداوله
 وترديده مكان ، فانتقلت عدواه الى الحكام وبدلاً من أن يستمعوا اليه فقط ،
 نظموا مثله ، وولعوا بكلماته فهذا ابن عباد وزير آل بويه في فارس يقف

(١) اليتيمة ٣ / ٣١ .

(٢) نفسه ٣٢ .

(٣) البحري ، وقد أكد الشريف الرضي أن شعره نوع من خفة الروح فقال حين رثاه :

ليبك الزمان طويلاً عليك فقد كنت خفة روح الزمان

(٤) اليتيمة ٣ / ٣٢ .

بباب الوزير المهلبي ويطول انتظاره فيكتب اليه (١) :
وأتركُ محبوباً على البابِ كالحصِيّ . ويدخلُ غيري كالأيور ويخرجُ

أو يقول في مناسبة أخرى (٢) :

من عملي من عملي نيكُ الرجال البُزَلِ
ولنما أنيكنهم لأنني معتزلي

أو (٣) :

فالصميّ (٤) والمتر (٥) من بعد القشام (٦) به طيب الحياة فلا تعدل عن الطيب
ومثل هذه الأقوال ، وأقذع منها نجد عند أبي اسحق الصابي في هجائه (٧)
الذي سيأتي في كلام قادم .

وفي هذا أدلة أخرى على أن المجون والتبذل يشترك فيه العامة والخاصة ..

أهم الشعراء :

إذا ذكر شعراء المجون والتبذل تبادر الى الذهن شاعران من شعراء هذا
اللون هما : أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد بن سكرة الهاشمي (ت
٣٨٤) وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج (٣٩١) . فقد كاد شعرهما
يحصر في اطار السخف والاقذاع فقط ، وصارا يبدوان كأنهما ظاهرة شعرية
متميزة اجتماعياً وفنياً .

وحين يتساءل المرء لماذا هذه الظاهرة ؟ ولماذا انغمس هذان الشاعران في
هذا النوع من الشعر دون غيره ؟ مع أن اخلاقهما كانت على نقيض ما ورد

(١) معجم الادباء ٦ / ٣٠٦ .

(٢) أخلاق الوزيرين ٢١٤ .

(٣) أخلاق الوزيرين ٢١٥ .

(٤) الصميّ : الصهباء من الحمرة أو الشرب وهو من الفاظ المكدين .

(٥) والمتر : التيك وهو من الفاظ المكدين .

(٦) القشام : الطعام .

(٧) تنظر اليتيمة ٢ / ٢٨٥ .

في هذا الشعر من سخف ومجون (١) ، حين يلقي المرء هذه الأسئلة يأتيه
جواب ابن الحجاج سريعاً واضحاً يقول فيه (٢) :

سَيِّدِي سُخْفِي الَّذِي صَارَ يَأْتِي بِاللِّدَوَاهِي
أَنْتَ تَدْرِي أَنَّهُ يَدْفَعُ عَنِ مَالِي وَجَاهِي

أو (٣) :

لَوْ جَدَّ شِعْرِي رَأَيْتَ فِيهِ كَوَاكِبَ اللَّيْلِ كَيْفَ تَسْرِي
وَإِنَّمَا هَزَلَهُ مَجُونٌ يَمْشِي بِهِ فِي الْمَعَاشِ أَمْرِي

إذا فالعملية لا تحتاج الى كثير من المسوغات والجدل فهذا الشعر الذي
(سخفه لا بد منه) (٤) اختطه ابن الحجاج وغيره من الشعراء ، منهجاً في
الحياة يدفع به عن المال والجاه ويمشي به في المعاش الأمر فنتبين من ذلك منزلة
شاعر المجون والسخف ، ونتبين ما وصل اليه الحكام من ضحالة وانهباء خلقي
بمخاطبة ألقاظ السخف والمقاذر وصاروا يدفعون لسماعها المال والمنصب

(١) جاء في وصف أخلاق ابن الحجاج قول أبي حيان : « وأما ابن الحجاج فقد جمع بين
جد القاضي أبي عمر في جلسته ، وحديثه ، وقيامه ، وتخطئته مع حياه كأنه مستعار من الغانية
الشريفة ، وبين سخف شعره الذي لا يجوز أن يكون لراويه مروءة به فكيف لقائله .. (الصداقة
والصديق ٦٦) .

وكذلك الشأن مع ابن سكرة ينظر هامش الصفحة ٦٦ من الصداقة والصديق ، وينظر الامتاع
والمؤانسة ١٣٧/١ ، وينظر في ترجمة الحسين بن الحجاج ت ٣٩١ ، المنتظم ٢١٦/٧ ،
معجم الادباء ٢٢٨/٩ ، الوفيات ٢٤٦/١ ، العبر ٥٠/٣ ، معاهد التنصيص ١٨٨/٣ .
وينظر في ترجمة ابن سكرة ، الوفيات ٤٠/٤ ، الوافي بالوفيات ٣٠٩/٣ ، العبر ٣/٣ .

(٢) اليتيمة ٣٤/٣ .

(٣) نفسه ٣٣ ، وقبل البيت الأخير يقول صريع الدلاء :

فأعدورني إذا تحامقت يوماً فبحمقي نفقت عند الوزير

(الديوان (١١ ب)

(٤) نفسه ٣٤/٣ .

ومثلما كان الحكماء يستطيعون هذا الشعر كان أغلب الناس ايضاً بدليل قول ابن الحجاج (١) :

لو لم أشب بشعر عانتها ما طاب للناس كلهم شعري

ولا بد أن نشير بعد هذا الى أن هناك شعراء آخرين غير ابن سكرة وابن الحجاج ، مبعوثون في بغداد والبصرة وواسط وبقية مدن العراق في شعرهم كثير من الفحش مما يجعلهم محسوبين في عداد شعراء التبذل والمجون ، منهم صريع الدلاء (٢) ، والخبز أرزي (٣) والمفجع البصري (٤) وأبو عبد الله الحامدي وأبو الورد (٥) ، إضافة الى عشرات الشعراء الآخرين الذين نظموا في السخف بهذا المقدار أو ذلك .

وليس من مسوغ لكل هؤلاء الشعراء في قول مثل هذا الشعر غير ما ذكره ابن الحجاج اضافة الى أنه غدا من مألوف العصر وأساليب ظرفه ومتعته كما أنه يمنح بما يحمله من رقاعة وتحامق فرصة للتنفيس عن الهموم والمصاعب (٦) .

(١) نفسه ٧٩ / ٢ ، ومثله قول ابن الحجاج ايضاً :

بيضائع السخف الثمين تعوم بين الناس سوقي

ينظر درة التاج قطعة ٥٧٦ ، وتلطف المزاج ورقة ٧١ .

(٢) صريع الدلاء : محمد بن عبد الواحد المعروف بصريع الدلاء وقتيل الفواني ت ٤١٢ ،

ترجمته في الاعلام ٧ / ١٣٣ .

(٣) نصر بن أحمد ت ٨٣١٧ ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ / ٢٩٦ ، معجم الادباء ١٩ / ٢١٨ .

(٤) محمد بن احمد بن عبد الله المفجع البصري ت ٣٢٧ هـ ، معجم الادباء ١٧ / ١٩٠ ،

المحمودون ٣٢ ، الفهرست ٨٣ ، الوافي بالوفيات ١ / ١٢٩ .

(٥) اليتيمة ٢ / ٣٧١ .

(٦) يؤكد ذلك قول صريع الدلاء :

ليس دواء الهم الا رقاعة

تميل بادخار الحقود على الحقد

الست بحمقي للملوك مجالساً

الذ بطيب العيش في حمقي وحدي

الديوان ١٠ أ .

موضوعاته :

حين صار هذا الشعر مستساغاً مستملحاً ، وأبيح قوله في أغلب المجالس والمنتديات ، كثرت موضوعاته ، وتعددت أهدافه وقيل منه في كل غرض ، في المديح ، في الغزل بالمؤنث والمذكر ، في الالحاد والتجديف ، في الدعوة الى اللهو ، في الهجاء وفي كل ما يستدعي القول ويحلو للشاعر أن ينظم فيه ، فهو شعر سائر ، وهو شعر تجاري مريح .

الدعوة للأخذ باللذة ووصف أماكنها :

وعلى رأس الموضوعات التي وردت في شعر التبذلي والمجون الدعوة الى اللهو والأخذ باللذات ، فالزمن القاسي ، المملوء بالويلات والمحن جعلت ابن التمار الواسطي يقول (١) :

قم فانتصف من صروف الدهر والنوب واجمع بكأسك شمل اللهو والطرب
ان هذه الدعوة ليست اعتيادية بقولها رجل يريد اللهو فقط فهي تحمل دلالات عميقة آخر ، تفسر بما كان في ذلك الزمن من ولادات لا شرعية لمآسي لا يمكن أن تصدق قساوتها أو غرابتها .

فاذا كان ابن التمار يدعو الى الثأر من مثل هذا الزمن المتحمل بالويلات بوساطة الشرب واللهو فانما يدل على وسيلة جديدة للهزيمة من هموم العصر ، واتخاذ سفينة المجون واللهو مركبا للابحار عبر الخيالات والاحساسات الآنية التي تبعثها لحظات اللهو والشراب .

ويكاد ابن سكرة يتفق في الدعوة للهروب مع ابن التمار الواسطي حين يقول (٢) :

خذ من الدهر ما صفا لك منه ودع الفكر في بنات الطريق
أي شيء يكون أطيب من كأس رحيق شيبت بريق عشيق

(١) اليتيمة ٢ / ٣٧١ .

(٢) اليتيمة ٣ / ٨ .

والكؤوس بضروبها والعشاق بأنواعهم ذكور وأناث تعج بهم مدن العراق المختلفة ، ويكاد الانسان عند مطالعته أحوال المجتمع العراقي آنذاك يتصور هذا المجتمع ومجتمع بغداد بخاصة مؤلفا من عاشق ومعشوق يلفهما جو صاحب من اللهو والمتعة .

يا مجمع الحسنِ يا بغدادَ يا بلدي ما الصبر عنكِ وعمن فيك بالحسنِ
يا خيرَ موطنٍ هو كنتُ آلفُسه لازل مغناك تُسقى الغيثَ من وطن
كم من حبيبٍ تركناه لديكِ وفي سكان دارك كم لي اليوم من سكنِ (١)
وليست بغداد وحدها موطن اللهو ومكانه ، فالبصرة وواسط والأنبار
وغيرها من المدن العراقية الأخرى كانت تفتح صدرها لكل طارق يروم
المتعة ، كما سئرى ذلك في فصل قادم .

البغاء (٢) :

في عصر مثل القرن الرابع بلغ التبذل والاستغلال الطبقي والمجاعات حد قاتلاً ، خانقاً ، لا بد أن ينتشر في وسطه البغاء — والبغاء ينتشر ويستفحل في المجتمعات الطبقيّة وخلال المجاعات والنكبات — وقد ترك لنا شعر المجون دلائل كثيرة على وجود البغايا داخل القصور وخارجها ، وتشم رائحة البغاء من أشعار ابن الحجاج وأوصافه للنساء المتعهرات ، فاذا أراد أن يصف لنا متعته مع فتاة جميلة صغيرة ، صورها لنا بألفاظ عاهرة وقال (٣) :

(١) حكاية ابي القاسم البغدادى ٢٥ .

(٢) يؤكد لنا وجود البغاء ما ذكره الصولي عن قوادين « تغايرا على قحية » كل منها يريدان لصاحبه وكان صاحبها من كبار اللصوص فاعان هذان اللصان « كل واحد صاحبه فجرت بينهما حرب وأمور قبيحة » ينظر اخبار الراضي ٢٧٧ . ويؤكد لنا وجود البغاء قصة غضد الدولة مع اخت سيف الدولة ، وما كان من محاولته اجبارها على التردد على دار القحاب ، وينظر في البغاء ما ذكره الجرجاني في المنتخب من كتابات الادباء ص ٣٥ .

(٣) الديوان مخ رقم ٤٣٧ / م ورقة ٥٨ .

حَرَجَتْ فِي قَمِيصِهَا الدُّرْبَاذِي وَعَلَى رَأْسِهَا وَقَايَةٌ لَأَذِ (١)
 وَبِكُرُورٍ (٢) وَلَا عِمَامَةَ كَهْلٍ حَسَنَ الزِّيِّ مِنْ بَنِي هَرَّاذِ
 وَثَلَاثَ مِنَ الْخَوَاتِيمِ مَا بَيْنَ عَقِيقٍ وَمُطَبَّقٍ وَبِجَاذِي (٣)
 فَتَوَهَّمْتُهَا وَقَدْ دَاخَلْتَنِي هَيْبَةُ الْكَسِّ بِنْتِ كَسْرَى قَبَاذِ
 بِنْتُ عَشْرٍ شَقَّ اسْتِهَا الْعَذْبَ فِيهِ عَسَلَ مِنْ مَجَاةِ النَّحْلِ مَاذِ (٤)
 رَيْقِهَا مِثْلَ نِصْفِ رَطْلِ شَرَابِ رَوَّقُوهُ فِي أَسْفَلِ الْخِرْدَاذِ

• • •

وفتاة إذا استها فقرتها بالمخاصي تظن كالقولاذ
 رب يوم حديثها فيه ينسيك أحاديث ليلة السندباد
 ترتبط الأبيات المتعهرة بلذة العملية الجنسية المختلطة مع الشرب والأنس
 وما يصاحب ذلك من جو فاحش . وقد ينسى الباحث ما في هذه الأبيات من
 معان اجتماعية أخرى تبرز في أسماء الملابس والحلى والمسميات الأخرى
 الموجودة في ثنايا المقطوعة (٥) .

لكن هذه الضجة لا يمكنها أن تغطي على ملاحظة مهمة تتبين في قول ابن
 الحجاج (بنت عشر ... البيت) حيث نستدل على أن البغاء بلغ حداً جعل
 الشاعر يتباهى بمزاولة طفلة (بنت عشر) ، مدربة وخبيرة في هذا الفن (رب
 يوم حديثها فيه ... البيت) ، فهي إذاً تعرف كيف تسامر المشتري عرضها
 بطريقة لبقة تسلب العتول وتؤثر في النفوس (٦) ، ومع هذا فهي ليست مثل

(١) لباس من الحرير ، اللسان ٣ / ٥٠٨ .

(٢) الكور : ادارة العمامة على الرأس ، اللسان ٥ / ١١٥ .

(٣) نوع من الحلي .

(٤) الماضي : العسل الابيض ، اللسان ٣ / ٥١١ .

(٥) كالقولاذ الذي يدل على شيوعه ، وليلة السندباد التي تدل على شيوع القصص الخيالية .

(٦) قد يكون تحديد ابن الحجاج للعمر مبالغة ، لكن دربة هذه المرأة على الاغواء والاغراء

تبقى بارزة .

عاهرة ابن المطرز مبتذلة تدعو الى نفسها كل أحد (١) :

فقحةٌ مثل عجنّة الحواري حسنُها يترك الصحاة سُكاري
لفتاة لسانها أعجمي عبدة عندها الملوك أساري
قربتها من العيون ومالت فقلوبُ الزناة فيها حيارى
أبرزتها من الثياب وقالت : يا خواجه تشتهي قلت : آري (٢)

انها تشبه الى حد كبير بعيد في لطفها وخفة روحها تلك العيارة الماجنة
الظريفة التي قال عنها أبو الفضل الفضلي الكُسكرى (٣) :

يا لعيارة تقصّر للعاشق بالظرف والنوادير يومه
سئلت عن دواء الخمار فقالت : كومةٌ ثم نومةٌ ثم عومه
ولا يقف وصفهن عند الظرف ، والصلافة بل يصل الى حد وصف
سهولة الحصول عليهن ، مما يدل على وفرتهن ، وشدة امتهانهن .
وقد صور لنا ابن الحجاج حصوله على واحدة منهن بقصيدة ماجنة
نقتطف منها قوله (٤) :

جلستُ وبابي على مدرجة فمرت بنا ظبية مزعجة

• • •

(١) تمة اليتيمة ٥٩ / ١ .

(٢) آري : كلمة فارسية بمعنى نعم .

(٣) نفسه ٨٦ .

(٤) الكشكول ١ / ١٣٠ ، وينظر في انتشار البغايا ما كتبه ابن الحجاج الى ابن صديق له

(يكنى أبا جعفر ، كان مستهتراً بالقحاب) ، اليتيمة ٣ / ٨٣ وما يدل على وفرتهن أيضا قول

ابن الحجاج ، الديوان مع ٤٣٥ ورقة ١٤ :

فيا اميرا كثير الغلمان والاصحاب

وجه الى سوق يحيى منهم من لا يحابي

فسي خان رآه متنكأ بالقحاب

وبالزنا والبلايا الكثيرة الاسباب

فما قبضه قبضا حلالا طلقا بنير حساب

يرى خصرها وهو مستحکم
فسلمتُ وارتعتُ من رَدِّها
فأغضت على حنقِ طرفِها
وقالت : أتزني بَعِيدُ الشباب
على كفلِ دائمِ الرجرجة
وبعض الجوابات مستسججة
وحيثُ بأكحله أَدعَجَه
فقلت : فغرَبُننا محورَجه

• • •

فمالت كما مالَ غُصن الأراك
ودار الشرابُ فظلتُ تكييلُ
إلى أن لوت جيدها وأثنت
وقامت تغني على نفسها :
فجئنا إلى حجرة مسرجه
عليّ وتشربُها مزوجَه
من السكر كالناقة المحدجَه
متى تركبُ الناقةُ المسرجهُ

ان هذه الأبيات تبين لنا أيضاً أنهم - ونظراً لكثرتهم - بدأنا أسلوباً جديداً في امتهان أنفسهم ذلك هو سيرهم في الدروب مبرزات مفاتن أجسادهم بقصد الاغراء ، مستعملات في الفاظهن الحدة والخشونة أو غير ذلك من الكلمات التي تجلب الانتباه ، وتثير في نفس السامع نوعاً من المشاعر المتباينة التي تدفع الانسان الى التمسك بصاحبة الرد (وارتعت من ردها .. وبعض الجوابات مستسججة) في محاولة للحصول عليها بأي ثمن .

ومع حصول الرجل على المتع الجسدية ، وما يرافقها من لهُو وأنس لم يقنع أو يعتدل في تصرفاته وشبقة الكلامي ، فلقد أسرف في ايراد وذكر أعضاء الرجل التناسلية في الكثير من شعره ، كما فعل مثل ذلك بأعضاء المرأة وعوراتها ، فاذا أراد ابن الحجاج أن يدعو الى اللهُو ويحسسه أمام أنظار مرديبه ، وصف لهم عضو المرأة وقال (١) :

حره في الشتاء إذ وقع الثلج قريب في الصيف من حر آب
تحرق الزب نارُه كل يوم فيشم الجيران لحم (٢) الكباب

(١) تلطيف المزاج مخ رقم ٤٣٦ / م ورقة ١٤ ، درة التاج مخ قطعة رقم ٥٥٦ ورقة

٣٨١

(٢) في درة التاج : ربح ..

وان أراد أن يهجو امرأة ويفضحها وينفر الناس منها ويريهم مواطن
قبحها جاء الى عورتها يكشفها فيصف عضوها قائلاً (١) :

يفتر عن صدغ مهزول ، به عجف وقد تفتأ عنها بظرها سمننا
يرغو ويزبد شدقاه إذا اختلفا كأنه شديق مفلوج حسا لبنا
وهكذا يصل الكلام ارذل مراحلته ، ومثلما يكون أصحابه مغمورين
بعض الفجور والفسق يكون هو فاجراً فاسقاً وضيقاً ، فيدل على مرحلة زمنية
كثرت فيها الشذوذ اللفظي مثلما كثرت الشذوذ الاخلاقي .

الغلمانية :

ليست عملية استعمال الغلمان أو اللواط بهم جديدة أو غريبة على المجتمعين
العراقي والاسلامي دخلت اليهما « مع الأقوام الدخيلة على العرب من الفرس
وغيرهم » كما يدعي بعض الباحثين (٢) ، انها عادة تتحكم بها ظروف المجتمع
(أي مجتمع) السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولا يغرب عن بالنا آتاهم
الكثير من سادة العرب ووجوهها - في الجاهلية وصدور الاسلام - بالأبنة أو
اللوطة (٣) ، وكذلك لا يغرب عن بالنا وجود المختلين أيام الرسول أو
بعدها ، أو ولع أبي نواس والخليفة الأمين (٤) وغيرهما بالغلمان ولعاً غريباً
ظل يلزم تاريخ حياتهم (٥) .

(١) نهاية الأرب ٢ / ١٠٥ ، وفي وصف الاعضاء التناسلية للمرأة ينظر كنايات الثعالبي
ص ١٦ .

(٢) تنظر رسالة الشعر الشعبي في العراق في القرن الرابع رسالة ماجستير إعداد حميد الهيتي
ص ٨٤ .

(٣) المحاضرات ١ / ٢٠٣ ، لطائف المعارف ٩٨ ، وقد ذكر الثعالبي كثيراً من هؤلاء
السادة وقسمهم بين لوطي ومأبون .

(٤) وليس المأمون كما اثبت حميد الهيتي .

(٥) حاولنا أن نذكر أمثلة فقط ممن ولع بالغلمان و لو أننا عددنا من ركض وراء الغلمان
لما تمكنا الحصر ولما خرجنا بنتيجة . وينظر في الابنة المنتخب ٣٥ .

ان استعمال الغلمان للخدمة أو المتعة موجود في كل المجتمعات الطبقيّة وبخاصة تلك التي تستفحل فيها الحروب والمجاعات والمظالم ، فقد انتشرت عادة اللواط مثلاً في المجتمع اليوناني زمن حرب طروادة . كما انتشرت في المجتمع الفارسي وبخاصة في جيش أبي مسلم الخراساني حين منع خروج النساء مع الجيش واستعويض عنهن بالغلمان للخدمة أولاً ثم استفحل الامر ففسق بهم (١) .

وكذلك كانت عادة اللواط مشهورة في بلاد الافغان في القرنين الثالث والرابع (٢) . وليس أدل على شهرتها عند العرب من ورودها في القرآن عادة مستفحلة في قوم لوط الذين ارسل لهم الله نبيه « لوطاً » كي يهديهم سواء السبيل فما اهدوا فعاقبهم الله على عصيانهم عقاباً شديداً (٣) .

وإذا كان المجتمع العربي الجاهلي أو الاسلامي يعرفها فانه مع ذلك لم يعرها تلك الأهمية ، لأنها لم تستفحل بين أفرادها وحدّ من انتشارها واذاعة أسرارها فيه ، قيم وأعراف عشائرية ودينية .

أما وقد ألغى كثير من الأعراف ، والقيم والالتزامات ومال المجتمع نحو التدهور الاخلاقي - لتدهوره الاقتصادي والسياسي - فإنها قد بدأت تبرز بهذا الشكل أو ذاك ، وبنسب متفاوتة تبعاً لتفاوت الاوضاع الاقتصادية والمظالم الاجتماعية .

وحين حل القرن الرابع ، كان المجتمع العراقي قد وصل مرحلة من التناقض والتباين جعلت لكثير من المسائل الشاذة مكاناً بيتاً داخل اطار هذا المجتمع البائس ، وكان من هذه المسائل الشاذة الغلمانية .

وعلى هذا فمن الخطأ أن نلقي تبعه انتشار الغلمانية بما فيها عادة اللواط على الفرس أو غيرهم من الأقوام ، ونحن نملك نصاً يبيّن أن بغداد كانت أكثر

(١) الحضارة الاسلامية آدم مترز ١٦٠ / ٢ .

(٢) الحضارة الاسلامية لمترز ١٦٠ / ٢ .

(٣) القرآن الكريم : الاعراف ٨٠ ، النحل ٥٤ ، العنكبوت ٢٨ .

تدعراً وغلمانية من منطقة فارسية هي أصفهان .

فقد جاء على لسان أبي القاسم البغدادي في حديثه الى أهل أصفهان موازناً بين مدينتهم ومدينة بغداد قوله (١) : « ما أرى والله على رأس أحدكم غلاماً نظيفاً غنج الحركات حلو السمائل خنث الاعطاف بابلي الطرف » .

« ذو طرّة قاطرةٍ بالعنبرِ ومساثم يكشفه عن جوهر
وكفل يشغل فضل المشرز تُخبر عيناه بفسقٍ مضمِرٍ » (٢)

أما اذا كانت بعض مناطق بلاد فارس ، أو بعض البلدان الأخرى مبتلاة بمثل هذا الشذوذ الأخلاقي فلأنها مبتلاة قبل كل شيء بالمآسي الإجتماعية والإقتصادية التي تخاق الشذوذ الأخلاقي وغيره من أنواع الشذوذ .

وإذا أردنا أن نرى أثر الحالة الإجتماعية في الناس وشذوذهم استطلعنا ما كان عليه الأتراك أول ورودهم العراق (٣) ثم ما كانوا عليه بعد أن عايشوا مجتمع العراق وتطبعوا وتأثروا بأوضاعه المختلفة ، حيث وصل بهم الأمر مع ما يملكونه من سطوة إلى أن يغدو بعض غلمانهم ممتهنّاً للدعارة شاذّاً أيما شذوذ (٤) .

بعد كل هذا وجب القول بأن وجود الغلمان في مجتمع متهريء متحلل اجتماعياً ، متأزم اقتصادياً وسياسياً مثل مجتمع العراق في القرن الرابع ليس غريباً ، ولا يقع وزره على قوم أو ملّة ، فالوزر كله يقع على عاتق الطبقة المسيطرة المستغلة عربية كانت أم فارسية أو ديلمية أم تركية ، فقد كانت هذه الطبقة ترى من مصلحتها تحلل المجتمعات التي تحكمها « وتمييع » روح التمرد عندها ، لترتع بما يدره عليها هذا التحلل من سقوط اجتماعي يكون حصيلته

(١) حكاية أبي القاسم : ٦٥ .

(٢) نفسه ٦٦ .

(٣) تنظر رسائل الجاحظ ، رسالة مناقب الأتراك ص ٧٧ وما بعدها .

(٤) سيأتي إيراد الامثلة على ذلك ، وللتأكد من انتشار عادة اللواط ينظر ما كتبه الثعالبي

في كنيائته ص ٢٢ ، ٥ و ٢ ، والجرجاني في منتخبه ص ٢٧ .

المال والنساء والغلمان .

كما يجب علينا ألا ننسى أن المجتمعات البشرية بما فيها المجتمع العراقي كانت في طريقها الى تحولات وتبدلات خطيرة من موقع اجتماعي الى موقع آخر لذلك فالتحول الذي حصل في المجتمع العراقي الزراعي العشائري خلق منه مجتمعا جلبت له الحضارة الجديدة الصناعة - على بدايتها - وطورت تجارته ووسعتها ، ووطدت الاقطاع وثبتت أركانه ، كل هذا التحول كان لا بد أن يصاحبه انحرافات خطيرة في مسيرة أخلاقه وطبائعه .

وقد يكون لبعض التقاليد الاجتماعية أثر في الانحراف نحو الغلمان ويؤكد لنا ابن الحجاج(١) في محاوره شعرية مبتذلة وجود عادة الختان بين النساء ، مما يسبب برودتهن وملل الرجال من مزواتهن : جاء في هذه المحاوره الى لسان عضو المرأة :

ولكنني رأيتُ الحرَّ فينا يسامُ الخَسْفُ حالاً بعد حالٍ
فَيَسْقُطُ أنْفُسُه طفلاً ، وينثنو كبيراً وهو متوفُّ السبالِ

ولم يكن الأدب بعامة والشعر بخاصة بمعزل عن التشبع بالروح الغلمانية السائدة المألوفة ، بل ان من كان يقول في الغلمان ويقدمهم على الجوارى يوصف بالظرف وخفة الدم وقبل هذا القرن قال «الأدباء الظرفاء» في الغلمان فأحسنوا ، ووصفهم فأجددوا وقدموهم على الجوارى في الجلد والهزل (٢) وفي القرن الرابع فعل الأدباء والشعراء ما فعل أسلافهم ، فأكثروا القول في الغلمان ، وتعددت أقوالهم وتنوعت وصارت نبرة شعرية اجتماعية طاغية ترسم لنا صورة مجتمع ذي اتجاهات وأطوار وعادات لا يصدقها عقل سوي . فالفردي في هذا المجتمع مثلاً لا يعلم اشباع رغبته الجنسية فاذا فاته تحصيل ظبي مقنع فهمته تحصيل ظبي معمم (٣) .

(١) اليتيمة ٣ / ٧٤ ، والمحاوره بين عضو المرأة وعضو الرجل .

(٢) مفاخرة الجوارى والغلمان ٢٧ .

(٣) المحاضرات ٣ / ٢٤٤ .

وتحصيل ظبي مقنع أو معمم لا يكلف في مكان على شاطئ دجلة غير
درهمين (١) . :

مجلس " في فناء دجلة يرتاح إليه الخليل والمستور

• • •

ليس فيه إلا خممار وخمر وممات من نشوة ونشور

• • •

ولك الظبية الغريرة إن شئت وان عفتها فظبي غريسر
فتمتع بما تشاء نهارا ثم بت معرساً وأنت أمير
كل هذا بدرهمين فإن زدت فأنت المجلج المحبور (٢)

وإذا كان الانسان يستطيع أن يلقي بنفسه المحملة بالهموم في مثل هذه
الاماكن يرتع بلهوها ويتمتع بمباذلها وفجورها ، فانه يعطينا صورة للبقاء
العلمي الذي تمتزج فيه صور الفسق والدعارة النسائية والغلمانية .

وحيث بلغ الامر هذا المبلغ فان بعضهم لا يتحرج من التصريح باغوائه
الغلمان مستغلاً العلم والدين والأدب مرة واحدة .

فاذا أراد المنجع أن يصف مجونه وعبثه داخل جامع البصرة قال بلا حياء
أو احتشام (٣) :

ألا يا جامع البصرة لا خربك الله
وسقى صحنك المزن من الغيث فرواه
فكم من عاشق فيك يرى ما يتمناه
وكم ظبي من الإنس مليح فيك مرعاه
نصبنا الفخ بالعلم له فيك فصدناه

(١) الحضارة الاسلامية ٢ / ١٦٢ .

(٢) الأدب في ظل بني بويه ٢٥١ .

(٣) اليتيمة ٢ / ٣٦٤ ، المحمدون ٣٢ .

بقمرآن قـ رأناه وتفسير رويناه
وكم من طالب للشعر بالشعر طلبناه
فما زالت يد الايام حتى لان متنناه

• • •

وحتى ثببت النرج عليه فركبناه

واذا دهمه وهو في نشوة التعبير عن أعماله نوع من الحياء أو شيء من
الخوف ، وعاد الى وعيه لحظات قصيرة قال محاولاً تكذيب نفسه :
ألا يا طالب الامرد كذب ما ذكرناه
فلا يغـررك ما قلنا فما بالحد قلناه

ولكنه وهو يعود شاعراً بالذنب متحسناً نتانة لفظه يسقط ثانية في
« مستمتع » الغلمانية ، فيصف لنا طريقة أخرى نرى فيها امتهان الفجور
واضحاً جلياً .

فزج الدرهمَ الضربَ اليه يتلاقاه
فبالدرهمِ يُستنزل ما في الجوّ مأواه
وبالدرهمِ يستخرج ما في القفر مثواه (١)

ومهما يكن صدق المفجع في أقواله الاولى ، ومهما تكن القيمة الفنية
لكلماته فانها تظل معبرة عن شيوع الغلمانية بين أهل العلم والأدب والدين .
ولقد أيد لنا التاريخ هذا القول - وان كان أنبل مما رسمه المفجع - فقد
ذكر أن محمد بن داود الاصبهاني الفقيه ت ٢٩٧ كان يهوى محمد بن جامع
ولأجله صنف كتاب الزهرة (٢) .

وعشق أبو بكر محمد بن السري السراج ت ٣١٠ مغنياً اسمه إياس وقال

(١) المحدثون ٣٢ ، اما اليتيمة فقد أورد محققها هذا الجزء مشوه المعنى .

(٢) تكملة الطبري ١٠ .

فيه الشعر (١) . وكان احمد بن كليب النحوي يهوى غلاماً اسمه أسلم وقد مات حين امتنع أسلم من لقائه (٢) . ومثل ذلك كان أمر الوراق الاديب الذي أحب فتى نصرانياً (٣) .

ولم تكن حظوة الغلمان عند محبيهم أقل من حظوة محمد بن جامع أو أسلم أو غلام الوراق أو غلام معز الدولة أو غلام بختيار ، فالخيزرأرزي « وهو الذي » ما كشف قناع العزبة قط لقصور همته على المذكر دون المؤنث (٤) ، يقول بولاية غلامه عليه لأنه جاء اليه يوماً دون سابق وعد أو تنبيه ، يقول الخيزرأرزي :

خليلتي هل أبصرتما أو رأيتما بأكرم من مولى تمشتى إلى عبد
أتى زائراً من غير وعدٍ وقال لي : أصونك عن تعليق قلبك بالوعد (٤)
وبسبب هذا الحب العاصف ، وهذا الولع الغلmani لا يمكننا أن نستغرب إذا تجنى غلامه عليه فلقد « رأى منه ذلة (٥) فراضه بالأمان والتخويف ، وبالحرص المؤزر الذي يحكي قوة الشوق بالفؤاد الضعيف (٦) » حتى صار يهذي بذكره في الركوع والسجود (٧) ، ولم يعد يفرق حين يرى الهلال ووجه الحبيب أيهما الهلال لأنهما هلالان عند النظر (٨) .

وقد يأخذه وجده « الغلmani » هذا الى عالم لذيد من الانفعالات الوجدانية الصادقة فيكتب لنا قصيدة يضع فيها كل مشاعره تجاه غلام اسمه (مظفر) يقول (٩) :

-
- (١) المحمدون ٣٤٥ . (٢) معجم الأدباء ٤ / ١٠٨ .
(٣) تنظر القصة مع ترجمة احمد بن كليب في معجم الادباء ٤ / ١٠٨ وما بعدها .
(٤) اليتيمة ٢ / ٣٦٧ .
(٥) نفسه ٣٦٨ .
(٦) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٩٧ .
(٧) المحاضرات ٣ / ٥٧ .
(٨) معجم الأدباء ١٩ / ٢٢٠ .
(٩) قصيدة للخيزرأرزي مخ في المكتبة الظاهرية رقم (٣٣٢٣ شعر) ولدي نسخة مصورة منها ، وهي تقع في أربعة وثلاثين بيتاً أوردت ما رأيته مناسباً منها .

نَسِيْمٌ عَيْرٍ فِي غِلَالَةِ مَاءٍ وَتَمَثَالٌ نُورٍ فِي أَدْيَمِ هَوَاءٍ

لقد رحمتُ الرحمنُ رقةَ جسمه فجلَّله من نوره برداء
بدا (١) ملكوتُ الحسنِ في جبروته فمن نورِ نورٍ في ضياءِ ضياءِ
تسربلُ سيربالاً من الحسنِ وارتدى ردائيَ جمالِ طُرزاً بيهاءِ
تخيرتُ فيه لستُ أحسنُ وصفه على أني من أوصف الشعراءِ
فلو أنه في عهدِ يوسفٍ قُطعتُ قلوبُ رجالٍ لا أكفُ نساءِ

له حركاتٌ تنثر الشكلَ بينها اشاراتٍ لطفٍ وانتقادَ ذكاءِ
تلاؤلاً كالدرِ النقيِّ بشاشةٍ وشربُ خداهُ عقيقِ حياءِ
له غُرةٌ من تحت شعْرٍ كأنه تَبَلَّجُ صبحٍ تحت جنحِ مساءِ
فأحسبه من حورِ عينٍ وإنما أتى هارباً في خلصةٍ وخفاءِ
فلَمُّ أره الآ التفتُ توقفاً لرضوانٍ خوفاً أن يكونَ ورائي
سيؤخذُ منّا ليس رضوانُ تاركاً على الأرضِ حورياً ربيبَ سماءِ

فيا ميمَ مولاي ويا ظاءَ ظالمي ويا فاءَ فوزي ثم راءَ رجائي (٢)
فديتك من هذي الصفاتِ صفاته من الحسنِ لِمِ يلقى بقبحِ لقاءِ ؟
أمن أجلِ ذلك الوعدِ أظهِرتِ حشمةً ومن ذلك حتى تتقي وترائي ؟

فيا نفسُ صبراً إن يعيشَ مظفري وان مت وجدا كنت في الشهداءِ
إذا ما لقيتُ البؤسَ عندَ أحبتي ترى عندَ اعدائي يكونَ رجائي ؟
إلى الماءِ يسعي من يغصُّ بأكلةٍ فقل أين يسعي من يغصُّ بماءِ ؟

(١) في الاصل (بدي) .

(٢) عند جمع الحروف يخرج اسم « مظفر » .

وإذا كان غلام الخبز أرزي وهو بهذه الصفات الحسنة من الجمال يتزل
عن محله « السامي » فيأتي لزيارة (عبده) بلا وعد فيغمر هذا العبد بالفضل
والمنة فان غلام المفجع البصري أكثر عجرفة من غلام الخبز أرزي فهو لا
يلين ولا يرق لحالة عبده - المفجع - إلا بعد أن يقول له (١) :

سيدي أنت إن عبدك أمسى خافقاً قلبه خنوق الجناح
فاغنم غفلة الرقيب وزره في رداء من الدجى ووشاح

ولا تقف هذه العبودية عند الاستعطاف فقط فلقد أوصلت صاحبها
العاشق حدّاً تسلب فيه ارادته وتنتهي قدراته أمام العشق الغلmani . فلقد كان
محمد بن الحسن الاقسامى العلوي ت ٤١٥ يقول لغلام اسمه بدر (٢) :

يا بدرُ وجهك بدرُ وغنجُ عينيك سحرُ
أميرت عنك بصبر وليس لي عنك صبر
تأمرني بالتسلي مالي مع الشوق أمرُ

وقد يكون كل هذا الذل في العشق، وكل هذه العبودية للمعشوق مسألة
فردية ، تبرزها للقارئ هذه الأبيات أو غيرها لكننا لا نراها كذلك فلقد
أولع الناس بالغلman ، ولم يعد غلام فلان الفلاني حكراً عليه ، يتغزل به
أو يهواه فالناس الذين يرونه صاروا يحبونه ويتيمنون به ويتشبهونه حتى وان
لم ينالوه .

وابن سكرة حينما يحب غلاماً يعرف بابن برغوث وهو (من مشاهير
الملاح) يخاف التصريح باسمه ليلا يتعشقه الناس فهو يغار عليه غيرة تجعله ان
أراد أن يتغزل به يلغز فيقول (٣) :

بليتُ ولا أقولُ بمن لأنني
حبيبٌ قد نفسى عني رقادي
متى ما قلت من هو يعشقه
فان غصصتُ أيقظني أبوه (٤)

(١) اليتيمة ٢ / ٣٦٥ ، المحمدون ٣٨ .

(٢) المنتظم ٨ / ١٩ .

(٣) اليتيمة ٣ / ٩ .

(٤) يعني البرغوث .

أما السلامي فغلامه جميل ، جماله إن برز أضرّ بمن يراه . وجعله
مهموماً مشغول البال عاشقاً ، فاذا رام وصله ناشته سهام ألاحظه القاتلة :

ظبي اذا لاح في عشيرته يطرق بالهيم قلب من طرقة
سهام ألاحظه مفرقة^(١) وكل من رام وصله رشقه^(٢)

لم تعد هذه المشاعر الغلمانية التي يترنم بها الشعراء فردية ، ولو كانت
كذلك لاقتصرت على شاعر أو عدة شعراء ولكنها وهي تحيط معظم الشعراء ،
تدل على ظاهرة اجتماعية وبائية ، تتفاوت في درجاتها بمقدار أخلاق الفرد .
تبلغ مثلاً عند أبي الفضل عبد الواحد التميمي حدّ النظر الى وجنتي غلامه
والتمتع برقتها وجمالها (٣) ، وتبلغ عند ابن المطرّز حداً (عذرياً) يدفع به
الى الاحتشام من غلامه ، ولولا هذا الاحتشام لأفناه نظراً (٤) ، واذا كانت
هذه الغلمانية تبدو بشكل غفيف فيه شيء من الأحاسيس الوجدانية النبيلة -
في ذلك العصر - ، فلقد وصلت بأبي عبد الله الحامدي أن يبیت معه غلامه
ساقياً معانقاً .

سقاني وحياني وبيات معانقي فيا عطف معشوق على ذلّ عاشق (٥)

ولذلك فقد فوّض له أمره لأنه عاشق (خانه الصبر) (٦)

كما وصلت بابن نبّاتة السعدي درجة من الذلة قال معها (٧) :

وبدر تمام بتّ أتمّ رجله وأكبره عن أن أقبّل خده

وتتطور هذه المشاعر الذليلة ، والفاظها بتطور الغلمانية في المجتمع ، واذا

(١) أظنه يريد مفوقة .

(٢) تاريخ بغداد ٢ / ٣٣٥ .

(٣) تنمة اليتيمة ١ / ٦٤ .

(٤) نفسه ٥٧ .

(٥) تاريخ بغداد ٢ / ٣٧٤ .

(٦) تاريخ بغداد ٢ / ٣٨١ .

(٧) ثمار القلوب ٤٨٧ ، الكنايات ٣٤ ، المنتخب في كنايات الادباء ٢٨ .

كانت عند من ذكرنا من الشعراء مصبوبة بقوالب لفظية مقبولة فأنها تتحول حين يعم الولع بالغلغان وتكثر مجالسهم وتنتشر معهم الرذيلة الى الفاظ وضعية تهبط بصاحبها الى حضيض الرذائل والشهوات الحيوانية ، وتصل الى الوصف المبتذل لعمليات اللواط كما في قول أحدهم (١) :

قد حرتُ في وصف صديقٍ لنا مطرَزَ التكةِ بالعسجدِ
في الحسنِ طاووسٍ ولكنه أسجدُ في الخلوةِ من ههدِ

أو في قول ابن سكرة وهو يصف شيخاً مأبوناً (٢) :

لنا شيخٌ يصلي من قعودٍ وينكحُ حين ينكحُ من قيامِ
صَمَوْتُ فمِ أخو عيي ولكن له دبرٌ يطفلُ بالكلامِ

وحين تصل الغلغامية هذه الدرجة ، وينحط شعرها الى الوصف الهاوي الساقط اللفظ تتضح لنا كثير من المعالم الاجتماعية عند رواد « مستنقع » الغلغامية ، وتبدو لنا أيضاً مجموعة من طبائعهم ونزعاتهم في حبههم للغلمان وتمتعهم بهم فهناك من يشعر بلذة قصوى وهو يعبث بغلامين في آن واحد كما كان يفعل ابن سكرة الذي يقول (٣) :

من كئليلي وعن يميني شمسٌ تتجلى وعن شمالي بدرُ
بتُّ يجري عليّ من ريقِ هذين وكأسي شهدٌ ومساكٌ وخمرُ

وهناك من يهيم جداً ، ويلتهب شوقه ، وتتأجج عواطفه الجنسية حين يواتيه الحظ فيتعرف على غلام بدأ الشعر يغزو وجهه ، فيزيده حسناً ، يغري الناظر المحب الذي ينهار أمام صبواته فيقول مثلما قال ابن سكرة (٤) :

وغزال لولا تميمه شعر ذكرته لقلتُ بعض الجواري

(١) اليتيمة ١٩ / ٣ .

(٢) اليتيمة ٥ / ٢ .

(٣) نفسه ٤ / ٢ .

(٤) تمة اليتيمة ٦٣ / ١ .

شاربٌ أشربَ الصبابةَ منِّي وعِذارُ خلعت فيه عِذارِي
أو مثلما قال أبو الفضل التميمي (١) :

هام قلبي بحسن ذاك العِذارِ حين لاح اخضراره في احمرارِ
وقد يبلغ الشذوذ بعشاق الملتحين حدًّا كتمان هوى الصبي وهو أمر
فاذا التحى أظهر حبه، وبث شوقه ولوعته كما كان يجري مع ابن سكرة (٢) :
كتمت هـواه زمان الصبا وصرحت بالحب حين التحى
وقد يصل هذا الشذوذ مرحلة تجعل جحظة يستمر في مزاوله غلامه حتى
بعد أن يصل الى الثلاثين من عمره ، وهو بعد ذلك يقول (٣) :

يقول لي يوماً وقد جئتته : تلوط بي بعد الثلاثينا
فقلت : ان دمت كـذا طيباً نكناك من بعد الثمانينا
وعلى عكس جحظة كان ابن سكرة ، فمع حبه للملتحين كان إذا كبر
غلامه ورأى فيه ما ينفر تركه وانتقل الى غيره مسوغاً هجرانه بقوله (٤) :

ما تركناه وفيه لمحِبٍ من طِبَاحِ
هـلـر الطـير ومن عاداتنا كل الفـراخ
« والفراخ » بعد ذلك كثيرون ، مرد ، وملتحون ، كبار كما رأينا ، أو
صغار لم يبلغوا الحلم يستغلهم طلاب الشهوات لمتعهم الرخيصة .. ومنهم كان
غلام الخبز أرزي :

قالوا : عَشِقت صغيراً قلت : ارتع في
روض المحاسن حتى يُلدرك الثمرُ

(١) اليتيمة ٥ / ٣ .

(٢) المحاضرات ٣ / ٢٤٨ .

(٣) اليتيمة ٤ / ٣ ، الكنايات للشعالبي ٢٧ ، نهاية الأرب ٢ / ٨٨ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٣٦٧ ، المنتخب من كنايات الادباء ٣٣ .

ربيع حسنٍ دعائي لافتتاح هوى

لمّا تفتّح منه النّورُ والزهرُ (١)

وقد يكون بعض هؤلاء الغلمان مجدراً يزيد ما خلفه الجدي حسناً ،
تزداد معه هسوم عاشقه كما كان غلام المفعج البصري (٢) أو يكون أعرج
يبرر صاحبه عشقه له بأنه يريد « للنوم لا للجري في الميدان » كما كان غلام
ابن سكرة (٣) .

ومن هؤلاء الغلمان من كان مختصاً بعاشق واحد ، ومنهم من كان يتكسب
ويؤجر نفسه لمن يدفع كالذي يقول فيه ابن سكرة (٤) :

سألته الوصلَ فلم يجتشمُ وقال : قدّم نقدك الوافي

أو الذي يكتب على تكتته (٥) :

قفلت يا قوم على تكّتي لكنما مفتاحها الدرهمُ

ونستدل بعد ذلك على ما وصل اليه الغلمان من بيع أنفسهم بما قاله ابن
سكرة فيمن اكتسب مالا بالإجارة فقطع عليه الطريق (٦) :

وضامن الاقوات والارزاق لا أفلحت دراهم البُرّاق
وكما كان الغلمان مختلفين في أشكالهم وأعمارهم وطبائعهم كانوا مختلفين
في مذاهبهم وانتماؤاتهم وجنسياتهم ، فمنهم العباسي العربي الذي « لما التحى
أصبحت عمامته السوداء تجلي مخضرة الحبك (٧) » ، فما صبر السلامي على
جماله وما قلر أن ينسى حبه والهيمان به ومغازلته ومنهم العربي البدوي
الصلب ، الشديدي المراس ، الذي يعلق به السلامي أيضاً فما يزال به حتى

(١) اليتيمة ٣٦٧/٢ ، المنتخب من كنايات الأدباء ٣٣ .

(٢) نفسه ٣٦٥ / ٢ ، المحمدون ٣٣ ، والابيات التي قالها المفعج في غلامه حين جدر نسبها

صاحب « المحمدون » ايضاً ص ٣٤٥ لأبي بكر السراج .

(٣) اليتيمة ٦ / ٣ .

(٤) اليتيمة ٦ / ٣ . ومثل ذلك ما قاله ابن الحجاج ، ينظر المنتخب ٢٧ .

(٥) المحاضرات ٢٤٦ / ٣ .

(٦) المحاضرات ٢٤٥ / ٣ .

(٧) اليتيمة ٤٠٥ / ٢ .

يغويه ويقول (١) :

تعلتُّه بدوي اللسان والوجه والزبي ثبَّت الجنان
أعانق من قدسه صعلة ترى اللحظ منها مكان السنان
أدار اللثام على ثغره — فأهدى الشتيق إلى الاقحوان
ومنهم الفارسي الغنج ، الذي يمتهن نفسه ، ويبيعها لقاء دراهم ، فاذا
أراد ابن سكرة أن يواصله ، وعجز عن دفع ثمن الوصل وما نفعه شعره
وغزله أخذته الحسرة ، واشتدت لوعته وهمومه وقال (٢) :

إني بليت بشادن غنج حسن الشمائل وافر الكفل
يبغي الدراهم وهي معوزة عندي فجلي غير متصل
مستعجم الألفاظ ، أجهل ما يبدي ويجهل فهمه غزلي
وإذا مدحت فليس يفهمه والفارسية ليس من عملي
ومنهم التركي الذي يشرب معه ابن سكرة فيريد مواصلته لكنه يجبن أمام
بأس الأتراك وصواتهم فيقول هامساً (٣) :

ايها التركي ما عندك للصب النحيل ؟
هل إلى ما يستر القرطق عني من سبيل ؟
اشتهي ذاك وأخشى صولة الليث الثقيل

وندرك كيف كانت هيبة الأتراك ، ونعرف ما في نفوس الناس من خوف
منهم ، لكننا نرى بعد ذلك ان هذا الجبروت يذهب أمام جرأة السلامي
ومقدرته على الصيد فهو لا يتهيّب مثلما كان ابن سكرة ، ولا يرتج عليه
منطقه الذي اعتاد الكلام في مثل هذه المواقف فاذا رأى (طرة تركي) (بطل
حمائله كعارضه ، وحاجبه الازج كقوسه المرنان) ألقها ، ودفعته شهرته بعنف
نحو صاحبها فخادعه حتى انخدع وجره بعد ذلك الى ميدان الغواية وقال (٤) :

(١) اليتيمة ٢ / ٤٠٣ .

(٢) نفسه ٣ / ١١ .

(٣) نفسه ٣ / ١٠ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٤٠٧ .

علقت مفترس الضراغم فارساً رحب المسدى والصدى والميدان
قمر من الأتراك تشهد أنه الخود الحصان على أقب حصان

حييته فدنا وأمطرَ راحتي قبلاً فليت فمي مكان بناني
وخدعته بالكأس حتى ارتاض لي ودرأت عني الحد بالكتمان
والمرء ما شغلته فرصة لذة ناسي العواقب آمن الحدثان

ونتبين من خلال الأبيات وجود المغامرات الغامانية ، وما كان يتبعها ،
وتوضح هذه المغامرات أكثر حينما نقرأ عن مغامرة أخرى للسلامي مع نوع
جديد من الغلمان المنتمين الى فئات صلبة الشكيمة شديدة البأس ، فهو يصف
لنا ما قام به مع غلام عيار يشعر يبين به بعض أحوال العيارين فيقول (١) :

يا مرهقاً في لحاظه مرهف ونخطف القد سهمه مخطف

ومسرف الحسن لا يلام إذا جار على عاشقيه أو أسرف
عقف كلابه وارهدفه فقلت : يكفيك صدغك الأعقف
ومال كفي على سؤالفه والموت من دون لمسها يسلف
فمرّ مرّ السحاب يسحب فضل الكُـم عجباً وفاضل المطرف
وقال والورد قد تعصفر في خديه غيضاً وآن أن يقطف
مثلك يُلقي يداً عليّ ؟ أما يخاف من ناظري أن يتلف
لو مرّ بي الليث مات خوفاً ولو أبصر طيفي في النوم لم يطرف

فقلت : مهلا فلست أول من اخطأ جهلاً من قبل أن يعرف

ولا تكليني إلى اليمين فلو شئت أكلت الزبور والمصحف

(١) نفسه ٢ / ٤٠٤ .

فافتقر عن لؤلؤ وأسفر عن ورد وقبلته فما استنكف
 وقال : ما تشتهي ؟ فقلت له : نقصف حصادنا بأن نقصف
 فمال بي والظلامُ شملتُه وفجرُه في يمينه مرهف (١)
 إلى رياض يغازل القطر ما دبج من زهرها وما فوق
 ما بين فتیان لذة عرفوا العيشَ فنالوا نعيمه الألف
 هذا (٢) يحيي وذا يغار وذا يُلثم كرهاً وذاك يستعطف
 برد الثرى بردنا وقد زرر البدر علينا دواجه المحصف
 وبيننا خمرتانٍ من ريق الكرم وريق أشهى من القرقف
 ولطف الله لي بمسرجة أمثالها عند مثلي تطف
 أنشدته شعر مكشف فأتى يلثم تلك السطور والأحرف
 ومات سكرأ فمت من فرح وكاد ستر الغرام أن يكشف

تظهر لنا هذه المغامرة أن للعامة حياة من اللهو أيضاً تتفق ومواردهم ،
 فمجالسهم في رياض بعيدة ، وبسطهم الثرى وأعطيتهم دجى الليل ، وغلماهم
 من بينهم ، يتمتعون جميعاً بلحظات أنس وطرب وابتدال .

وتبدو لنا من خلال لحظات المجون هذه كثير من النوازع الخنثية عند
 غلمانهم ، فهذا يرمي التحايا أو ترمى له ، وذاك يغار من علام مثله ، والآخر
 يقبل كرهاً والرابع لا يلين الا بعد أن تزجى له كلمات الغزل والاستلطاف
 وهكذا .

وكما تبين لنا هذه المغامرة السلمية جزءاً من حياة اللهو عند العامة فهي
 تظهر أيضاً أن الشدة والبأس والسطوة ، أو الحسب والنسب والتعالي جميعها
 لا تقف صامدة أمام تيار التحلل الجنسي والأخلاقي السائد ، الذي عم مختلف
 طبقات المجتمع العراقي ولم يعد مقتصرأ على جنس أو فئة معينة .

(١) يعني السيف .

(٢) يحيي يرمي التحايا أي طاقات الورد ، وقد تكون يحيى .

الكفر والتجديف :

حين لا يلتزم شاعر أو انسان بمبدأ اخلاقي يفرضه عليه دين أو عرف ، ينحرف بارادته أو بغيرها الى هاوية تعدّ في شرع دينه الذي يؤمن كفراً وتجديفاً ، كما تعتبر في عرفه شذوذاً وانحرافاً .

وأكثر ما كان يسوء هؤلاء المجدفين والمنحرفين ويجرهم الى طريق الكفر هو تحريم الخمر التي أدمنوا عليها وأغرّتهم بمجالسها وملحقاتها ، فاذا جاء عيد المهرجان الفارسي ارتفعت أصوات اللهو والصخب والشراب ، وقال ابن الخجاج مجدفاً (١) :

يا خليلي قد عطشتُ وفي الخمرِ رِيٌّ للحائم العطشانِ
فاسقياني محضَ التي نطقَ الوحيُّ بتحريمها من القرآنِ
واذا ما حرّمهم رمضان من ملاذهم وشرّبهم - ظاهرياً على الاقل -
أعلنوا عصيانهم له مجاهرة ، ولم يحتشم ابن الخجاج مثلاً حين قال (١) :
فاسقياني بين الدنان الى أن تربياني كبعض تلك الدنانِ
اسقياني في المهرجان ولو كان لحمس بقين من رمضانِ
وقد تتأزم أخلاقهم وأنفسهم لهذه الالتزامات التي لا يؤمنون بها لكنهم
مضطرون أحياناً الى الأخذ بها زوراً أو دجلاً فما أن يذهب رمضان حتى
يتنفس السرى الرفاء الصعداء ويقول (٢) :

تصرّم شهرُ الصوم شهرُ الزلازلِ وشالَ به شوالُ شهرِ الفضائلِ

• • •

ودارت علينا الراحُ بين أهلةٍ تضيء وأغصانِ رضابِ موائلِ
فرحنا وفي أجسامنا سحرُ بابلِ يدبُ وفي إيماننا خمرُ بابلِ
ان وجود رمضان لم يكن الا حاجزاً متداعياً بين هؤلاء اللاهين وبين

(١) اليتيمة ٧ / ٣ .

(٢) المحاضرات ٤ / ٤٦ . وينسبها الثعالبي أيضاً لأبي الدرداء الموصلّي تنمة اليتيمة ١ / ٥١

ملذاتهم ، فهم ينتظرون متلهفين نهاية أيامه ليصنعوا ما قاله الشاعر (١) :
ونسكر سُكرةً شنعاء جَهراً ونقر في قفا شهر الصيام
وعملية الصيام بعد ذلك واحدة من عمليات التزوير التي كان يتقنها
الكثير من الناس آنذاك وجريء ابن أبي مرة المكي حين قال عند مقامه
ببغداد (٢) :

وأصومُ شهراً ثم أخرجُ غادياً نحو المصلى أقطعُ الأميالاً
فيجر ذا ثوبي وأجذبُ ثوبَ ذا وأزاحمُ السقاط والأندالاً
شربي صَبوحاً واستماعي قينةً أولى بأن ألقى به شوالاً
والسقاط والأندال بمفهوم هذا الشاعر هم الناس المتزاحمون للصلاة ،
الناس الذين لا يمتلكون ما يمتلكه ابن أبي مرة الذي يريد استقبال شوال سكران
منتشياً ، فهي مجاهرة بالعصيان لا تختلف كثيراً عن مجاهرة الخبز أرزي بعصيانه
واتيانه ما يأتي به العيارون (٣) :

أرى لي في شهر الصيام إذا أتى ليالي عيار وأيام عابد
أناسٌ بعلات الصيام تفرّجوا وكانت أمورٌ بأعتلال المساجد
وما يأتي به العيارون كثير ومتنوع (٤) ، أقله المجاهرة بالمجون والفسق
شأنهم شأن غيرهم من الناس ، ومع هذا فالخبز أرزي يسبهم في هذا الفجور
يعلن عصيانه في شهر محرمٍ هو رمضان إضافة الى غمزه الاماكن المقدسة مثل
فالمساجد ،

(١) المحاضرات ٤ / ٤٦٠ .

(٢) تتمة اليتيمة ١ / ٨٠ .

(٣) نفسه ١ / ٤٦١ .

(٤) ولكن مها بلغت كثرته فانه لا يوازي ما كان يقوم به السادة الحكام من غسق وفجور
تحميمهم في ذلك سلطتهم وتسترهم المظاهر الزائفة ، وقد نجد لما يقوم به العيارون عذرا فترى انه
تعبير عن تمردهم على القيم المشوهة والحياة المضطربة والاستغلال الانساني ، لكننا لن نجد عذرا
للحكام الذين كان الواجب أن يمثلوا الوجه الناصع للدين والمثل ، غير كونهم يمتنون الاستغلال
الذي يجرم بطبيعة الحال الى الانحراف .

ولا تقتصر المجاهرة بالعصيان والكفر على شهر رمضان والخمر فقط ،
فابن الحجاج يرسم لنا شكلاً عصيانياً الحدائياً فريداً حين يخاطب شيوخ
الاسلام ويقول لهم (١) :

يا شيوخ الاسلام دعوة نسك	أتوخي بها جزيلاً الثواب
شر موت الأعضاء عضواً فعضواً	في حياة الشيوخ موت الزباب
فعليكم ما دامت الروح فيها	بجماع المواجهات (٢) القحاب
سودوا الصُحُفَ بالفجور ليعبي	طول تحريره على الحُساب
واخلطوا بالزنا اللواط جميعاً	ليطول الحساب يوم الحساب
وإذا كان في غدو حشرنا	لثواب يخرى به او عقاب
فعليّ الذي عليكم وان اد	خيل ابوابكم غداً في بابي

في هذا الخلط الفاجر بين الدعوة ان الأخذ بالملذات الجسدية ويوم
الحساب يدلل ابن الحجاج على استهانة كبيرة بالدين وبفكرة وجود حياة
أخرى (٣) .

وهو اذ يستهين بيوم الحساب تهون عنده الاستهانة بالعيد الاضحى
وصلاته فاذا ما حل هذا العيد وأراد ان يهنئ بختيار قال له (٤) :

واستحضر العودَ ووجهه به	حتى نصلي بالطنابير
الركعة الأولى سرّيجية	وركعة التسليم ما خوري
وهي صلاة العيد لا يستوي	تجوزي فيها وتقصيري

(١) تلطيف المزاج مخ رقم ٤٣٦ / م ورقة ٤ ، درة التاج قطعة رقم ٥٢٤ ورقة ٣٥٨ .

(٢) في درة التاج الموجزات .

(٣) ويتضح انكار وجود حياة أخرى وانكار وجود الله في قول ابي سعيد العقبري وهو
من أهل القدس .

(٤) اليتيمة ٣ / ٧١ . ومن الاستهانة بالاماكن المقدسة قول صريع الدلاء :

كان إن بات في المساجد بخرا فإذا بال بال بالعبات

الديوان مخ ٦ أ .

ومثل هذا قال السلامي ايضاً (١) :

ونصلي على أذان الطنابير ونُصغي لنغمة الأوتارِ
بين قوم إمامهم ساجدٌ للكأس أو راعع على المزمارِ
ومثلما تهون عند ابن الحجاج والسلامي الصلاة فيقرناها والأذان بأصوات
الطنابير ، ولذة الكأس وما تحويه ، يهون عندهما القرآن وسوره والكعبة
وربها .

فاذا أقسم السلامي بعلو منزلة الشريف الرضي خلط بين رب الكعبة ومشهد
النشوات واللذات وقال (٢) :

إني حلفت بربّ أشرف كعبةٍ في مشهد النشوات والأطراب
وبكل مخلوع العِذار مجزراً فضل الإزار مسحّب سحاب
وبمصرع الدنّ الجريح وحرمة الوتر الفصيح وذمة المضراب
لقد ارتقت تبغي أبا الحسن العليّ يطمحنّ منه إلى الأبّي الآبي
أما ابن الحجاج فاذا أقسم تجاوز القسم بالقرآن وسوره الى الحلف بأدوات
اللذة والمجون فقال (٣) :

فأقسمُ لا بياسينَ وطه ولا بالذارياتِ ولا بالحديدِ
ولكن بالوجوهِ البيضِ مثل الأهلّة تحت أغصان القُودِ
وشرب الرّي من خمر الثنايا وشمّ المسك من وردِ الحدودِ
وتطفيّتي حرارة الوجه يوم الفراق بمصّ رُمانِ النهودِ
وبالخمر التي كانت لعاد ولكن بعدَ محنتهم بهودِ
مُدّام في قديم الدهر كانت تُعدُّ لكل جَبّار عنيدِ
مدّام ليس لي فيها امامٌ أصلي خلفه غيرَ الوليدِ (٤)

(١) نفسه ٤١١ / ٢ .

(٢) اليتيمة ٤١٥ / ٢ .

(٣) نفسه ١٠٣ / ٣ .

(٤) الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخليفة الاموي .

ان هذا التسم الماخن ما هو الا تحلل من كل القيود الدينية والأخلاقية ،
وفقدان الارتباط مع أعراف المجتمع وقيمه .

لقد ساعد على هذا التحلل الاخلاقي الحرية التي منحتها السلطة البويهية
لاصحاب المجون والدعارة كي تخلق مجتمعاً منهاراً تسهل عليها قيادته وحكمه .
ولست مع أستاذنا الدكتور غتاوي « بأنها وثنية فارسية قد رفعت رأسها
مشت على قدميها في هذا العصر بعد أن كانت تتلمل وتحاول أن تنهض فلا
يسعها النهوض أيام كان للعرب سلطان في هذه الديار (١) » لأن مسألة الايمان
بالله وعدمه نابعة من ذات الانسان وتربيته وطبائع مجتمعه وأخلاقه ، ونحن
نسأل هل كان الايمان عامراً حينما كانت الهيمنة للعرب ؟ وهل كان الامويون
أكثر تمسكاً بالدين من غيرهم ؟ وما نقول بظلمهم وقتلهم أحفاد الرسول ؟
وما نقول بمجون بعض خلفائهم وبخاصة الوليد بن يزيد ؟ وما نقول بعد
ذلك بتمزيق الوليد للقرآن واقتعاده مجالس الشراب ؟ ...

ولا أريد أن أنصب نفسي مدافعاً عن الفرس وأخلاقهم لكنني أريد أن
أكون موضوعياً كما يقتضي المنهج العلمي ، وعلى هذا أجد أن المسؤولية
الأخلاقية يتحملها الحكام عرباً كانوا أم فرساً ، فهم وحدهم - آنذاك -
القادرون على تغيير بنية المجتمعات التي يحكمونها وأخلاقها .

الهجاء :

لم تصل لغة الهجاء في أي زمن من الازمان الى ما وصلت اليه في القرن
الرابع ، فمع أن أسلوب الهجاء القديم قد بقي عند هذا الشاعر أو غيره ،
فقد غدت الروح الظريفة أو المبتذلة الفاحشة ميزة هجاء القرن الرابع ، ولم يعد
الناس يتداولون شعر الهجاء الا اذا تهاوت الفاظه وتردت معانيه .

وقد كان قسم من الشعراء الهجائيين الماخنين في حماية غريبة يلقيها
عابهم شعرهم الفاحش حتى وان تجرأ بعضهم وهجا أو عرض بأمر أو
وزير أو حاكم .

(١) الأدب في ظل بني بويه ٢٦٣ .

فالوزير المهلبى على كبر منزلته في الدولة والمجتمع ، بسكت على ابن
الحجاج وهو يقول فيه (١) :

قيل إن الوزير قد قال شعراً يجمعُ الجهلُ شملته ويعمته
ثم أخفاهُ فهو كالحيرِ يخرى في زوايا البيوت ثم يطمته
ليتني كنتُ حاضراً حين يرويه فأفسو في راحتي وأشمته
وليس مستغرباً على ابن الحجاج أن يقول في المهلبى كلاماً مثل هذا ،
وليس مستغرباً أيضاً سكوت المهلبى واعتبار هذه الالفاظ نوعاً من الظرف
المستلح ، يردد للضحك والتسلية ، فالوزير المهلبى لم يكن وحده الذي
تعرض لأفداع ابن الحجاج وفحشه ، فالملوك البويهيون على سطوتهم لم يساموا
من لسان ابن الحجاج . فاذا أراد أن يقول لهم شيئاً من الشعر أو المديح لم يصبر
على لفظ مهذب انما يأخذه تيار الكلام الماجن فيقول لبختيار مثلاً : - (٢)
وقد علمنا بأن سيدنا الأمير ممن يقولُ بالبظـر

• • •

إن الملوك الشباب ما خلّقوا إلا صلابَ الفياش والكمـر
وقد يتناول ابن الحجاج الى مقام الخليفة الطائع فيقول له هاجياً واصناً
عظم أنفه (٣) :

يا رب عبد النحر هوذا ترى ما افطع الأمر الذي جرى
صلى بنا فيه إمام فسأ خليفته في وجهه روشن
خربشته قد ظلل العسكرا وانفه قد صعدا المنبر
عهدي به يمشي على رجله

(١) اليتيمة ٣ / ٣٩ .

(٢) اليتيمة ٣ / ٤٨ ، معجم الادباء ٩ / ٢١١ .

(٣) نكت الهميان ١٩٦ ، والأبيات كلها من قصيدة طويلة أخذتها عن أوراق من مخطوط
« كتاب الأنبا من تاريخ الخلفاء » لمحمد بن علي بن محمد بن العمري ، والمخطوطة محفوظة في
مكتبة جامعة لندن ويقوم الدكتور قاسم السامرائي بتحقيقها البيتان الثالث والرابع فقط .

وقام يدعو إلى نفسه وذكر العباس واستفخرا
 بخطبة صنفها « باقل » قد كسر الناس لها دفقرا
 نثرت بعراً من سروري وما نثرت لا لوزاً ولا سكرها
 ولا يقف في تعريضه وهجائه عند الوزير المهابي أو غيره ، فلسانه أطول
 من أن يقصره بالهجاء على واحد أو اثنين ، فما ان يتولى أبو الفضل الشيرازي
 الوزارة ، حتى يأتي ابن الحجاج ليمدحه ، ويتوقع سامعه أنه لن يتعرض
 بأحد ، وأن كلامه سيكون للشيرازي فقط لكن طبعه يغلبه فيهجو أبا الفرج
 بن فسانجس الوزير حين يقول للشيرازي مادحاً (١) :

سعدك للحاسدين نحسُ وهم ظلامٌ وأنت شمس

• • •

فأنت تحت الظلام تسمى وذاك تحت اللحاف يفسو
 وإذا ما أراد أن يمدح القاضي ابن معروف ، وكان هناك من يناوئه من
 الحكام ، عرض بهذا المناويء بالفاظ مبتدلة وقال (٢) :

يا أيها الحاكم الرقيعُ ذنك في سلحي نقيعُ
 إن ابن معروف في محل مرامه مُتعبُ منيعُ
 فضله الله واجتبهاه للأمر واختاره المطيعُ
 هذا له وحده فقل لي من أنت في الناس يا وضع

وإذا كان ابن الحجاج مشهوراً بشعره الماجن ، ولفظه الداعر ، فهناك
 شعراء عرفوا بالفاظهم العنيفة ، وشعرهم المحتشم نزلوا أيضاً - يجرفهم تيار
 العصر في هجائهم الى ميدان اللفظ المبتذل ، والشعر الماجن ، فاذا أراد أبو

(١) في المخطوطة خريشة ويقول الدكتور حسين محفوظ ان اصلها حربوش وكلمة
 خربوش فارسية معناها الخيمة الواسعة .

(٢) البيتامة ٤٢ / ٣ .

(٣) البيتامة ١١٣ / ٣ .

اسحق الصابي أن يهجو رئيساً أمرد ، لم يزن لفظه ، ولا نظر الى منزلته في الدولة والمجتمع ، وانما أخذته خفة اللفظ الماجن وقال (١) :

وأرعن من سكر الحدائة ما صحا دُفَعْنَا إِلَى تَعْظِيمِهِ وَهَوَّ مَا التَّحَى
له هممة لكنيها في حيتاره فما يطلب العلياء إلا لينكحها
فلو أن ما قاسى من الابر دبره يقاسيه من سسر المعلم أفلحها

ولا يقف هجاء الشعراء الفاحش أو تعريضهم عند الحكام وكبار رجال الدولة ، فهو يتحرش بالشعراء والادباء وبالمرأة وبمختلف الناس .

فابن لنكك البصري يفحش في هجائه وينال به من أغلب البارزين في ميدان الادب والشعر من أهل عصره .

فالمعني على منزلته الشعرية العالية لا يسلم من هجاء (٢) ابن لنكك وشتائه وأبو رياش الذي كان « نابغة في حفظ أيام العرب وأشعارها » تناله سهام ابن لنكك ويوغل في هجائه المقذع ، حتى يصل الى القول (٣) :

قل للوضع أبي رياش لا تبسل ته كل تيهك بالولاية والعمس
ما ازددت حين وليت الا حسة كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

وربما تكون هذه الكلمات مؤدبة نوعاً ما بجانب هجائه لابي الهيثام كلاب ابن حمزة الذي كان ابن لنكك « يتولع به ويبدع في هجائه (٤)

أو هجائه للشاعر الرملي الذي وصل به التدني الى أن يقول فيه (٥) :

لأم الشاعر الرملي صُدغ صبور ما علمت على الدبأغ
فرغت ولم تكن فرعت ورامت إدامة نيكها حتى الفراغ

ورب قائل يدعي أن الذين هجاهم ابن لنكك يستحقون الهجاء ، وأنه

(١) نفسه ٢ / ٢٨٧ .

(٢) معجم الادباء ١٩ / ١٠٤٩ ، وقد هجاه ايضا ابن سكرة ، ينظر ثمار القلوب ٦٠٤ .

(٣) اليتيمة ٢ / ٣٥٣ .

(٤) نفسه ٣٥٤ .

(٥) نفسه ٣٥٥ .

ما ظلمهم ، وعلى هذا فهو يبريء ابن لنكك من الفاظه الماجنة التي لا تليق
بشاعر مثله وقف أمام الجور فحاربه ، ولقي من وراء ذلك ما بقي من عنت
وفقر ..

ونظّل بعد ذلك نقول أنها سمة العصر وأن ابن الحجاج اذا عرض بشيخ
كبير السن ولم يستحي من أن يقول له (١) :

ولحية بيضاء كالقطن	ناعمة في غايّة الحسن
سرقتهَا في الليل سرًا وقد	نامت عيون الأُنس والجن
فجاء شَيْخي وهو في دهشة	عظيمة ساء لها ظنّي
يصيح لي ما فعلتْ لحيّتي	فإنها قد سُرقت مني
قلت له بالرفق لا تنزعج	فإنها مذ أمس في بطني

اذا قال هذا فانما هو عنده كلام غير مستهجن ، لأنه لغة الهجاء ، وربما
كانت هذه الأبيات آدب الفاظ هذه اللغة .

ولا يخجل ابن الحجاج من شتم أهل بغداد ، اذا رأى بعضهم يسعى لنيل
الحسبة التي يتقلدها ، ولا ينسى أن يعرض بنفسه حينما يقول لهم (٢) :

يا أهلَ بغداد كما ترون وجهي فثبوا

وعفّروا خلودكم وبصبصوا وذبذبوا (٣)

ترزّنوا توقّروا تعقلوا تأدّبوا

لا تخطّبوا الحسبة يا ويلكم فمتعبوا

فدرّتي محشوة فيها الحصى والعقبُ

فيارة فيها الزجاج والنوى والحشبُ

(١) الديوان مخ رقم ٤٣٤ / م ورقة ٣ .

(٢) تلطيف المزاج مخ رقم ٤٣٦ / م ورقة ١٦ .

(٣) الكلمة غير مقروءة وكما اثبتنا يستقيم المعنى ، وقد تكون وذبذبوا اي هرجوا او

اضرّبوا الدبادب .

فليسُ ينجي أحداً مني ومنها الهربُ
أنا الذي نار آسته مضرمة تلتهبُ
وإنما لحاكم لنار أستى حطب
وان أردتم فابعدوا وإن أردتم فاقربوا
ومن أين ذاك فـ ما له سوى القرد أب
وأمه كلب استبها على المخاصي كلبُ
جائعة على الخصى كما تراها تثب
في سرهما « قرطالة » يلقط فيها الرطب
يا ويلكم لحسبي للدفع (١) عنها سبب
عناية (٢) بالسعي والحيلة لا تكتسب

ويتضح لنا مع ابتذال ابن الحجاج ، ومماجة لغته ما جبلت عليه نفوس
بعض أهل بغداد من وضاعة ، فهي تسعى في رزق هذا أو تتحايل لعزل ذلك ،
وحين ننتهي من تتبع معالم هذه الصورة الاجتماعية نرى صوراً أخرى كثيرة
عند ابن سكرة وهو يرسم لنا صورة البخيل الحسيس .

عليلٌ لا يعاد من الحساسة له نفسٌ تحيدُ عن النفاسه
دخلتُ أعوده فازور عني كأي جثته لأدق رأسه (٣)
أو وهو يرسم لنا صورة الفاسق الفاجر الذي يتأنق في شراء سجادة صلاة
ليغطي على فجوره ويدجل على الناس متظاهراً بالورع والتدين :
يا جواً مردَ يا حليفَ البلادة لك في الفسق عادة أي عاده
أنت لا تعرف الصلاة فقل لي ليم تأتقت في شيرا سجاده (٤)

-
- (١) في الاصل وللدفع ومع الواو لا يستقيم الوزن .
(٢) في الاصل غاية ولا يستقيم الوزن معها .
(٣) اليتيمة ١٧ / ٣ .
(٤) اليتيمة ١٨ / ٣ ، وفي طبعة مصر ٩٣٤ يا جو أمرد .

ونرى مثل هذه الصور عند أبي اسحق الصابي وهو يرسمها مجسمة لقاضي
يدج الزاني (١) ، وللرجل الذي يعبث بغلمان أبي الفضل الشيرازي الوزير
ويغويهم (٢) ، و للأبخر الوسخ (٣) أو لغيرهم .

وكما تعرض الرجال للهجاء تعرض النساء كذلك . فقد رأينا كيف عرض
ابن لنكك بأمر الرمي ، دونما وازع من حياء ، بكلام مقذع فاحش ومثله
فعل ابن سُكْرَةَ الهاشمي بجارية اسمها خمرة حلف الآبى يوم الآبى وبهجوها
حتى بلغت أبيات هجائه لها عشرة آلاف بيت من مجموع ديوان ضمّ خمسين
ألف بيت شعر . وفي الشعر الذي أورده له الثعالبي نجد ابن سكرة وهو يرسم
لخمرة صوراً غريبة يعبث بعضها على الضحك والآخر على التتمزز :

رُبَّ عَجُوزٍ مُسْتَعِينِيَّةٍ سَلْقِيَّةِ اللَّوْنِ سَلْوَاقِيَّةِ (٤)

• • •

هرمت حتى تناسيت اللخونَ معاً وصرتُ مُفْرَغَةَ الأُلْحَازِ والمُقَلِّ (٥)
قد قلت لما لاح لي ثغرُها ولاح منه الخزفُ الاخضرُ

• • •

وانتشر السّوسنُ من صُدغِها وثار منها نفَسُ الأُخْرُ
وشف قلبي نَتْنُ آبَاطِها يا معشرَ الناسِ قِفُوا فانظُرُوا (٦)
ومع التجني الواضح في هذا الهجاء فاننا نستدل على مسألة اجتماعية مهمة ،
تعبّر عن قيمة المرأة وأهميتها في المجتمع ، فلو لم تكن خمرة مهمة ، وذات

(١) اليتيمة ٢ / ٢٨٧

(٢) نفسه ٢٨٩ .

(٣) نفسه ٢٨٩ .

(٤) نفسه ٣ / ١٤ .

(٥) نفسه ٣ / ١٥ .

(٦) نفسه ٣ / ١٥ .

منزلة بارزة لما حسب لها ابن سكرة حساباً وأقسم أن يستمر في هجائها ، غرضه في ذلك الحط من قيمتها بشعره الممتليء بالكلام الفاسق ، المنفّر ، والشعر بعد ذلك عند ابن سكرة ومجتمعه آنذاك يرفع ويحط ، فهو ذو سحر وفاعلية يدلنا على ذلك قوله لأحدهم (١) :

تَهتَ عايِنا ولستَ فينا	وليّ عهدٍ ولا خليفه
فَتِيهَ وزِدَ ما عليّ جارٍ	يقطعُ عنيّ ولا وظيفه
ولا تقبلَ ليسَ فيّ عيبٌ	قد تُنقِذُ الحرّةُ العنيفه
الشعرُ نارٌ بلا دُخان	وللة-وافي رُقيّ لطيفه
لو هُجِبي المسك - وهو أهلٌ	لكل مدحٍ - لصارَ جيفه

ونعرف منزلة الشعر ، ونستدل على أهميته الاجتماعية فهو نار بلا دخان ، نقذف به الحرّة العنيفة زوراً وتجنياً مثلما نقذف به الزانية الفاجرة ، ويرمى به الانسان النبيل مثلما يرمى به الساقط ، والشاعر الذي يتجنى أو يقول الشعر صادقاً لا يضيره شيء ، ما دام مقطوع الرفد والوظيفة .
ومع ما في الشعر من تجن وبهتان ، فهو يظل معبراً دقيقاً في التعبير عن الكثير من المعالم الإجتماعية ، أبسطها هذا الشذوذ اللفظي والاخلاقي الذي رأيناه في الهجاء وغيره .

القيمة الفنية :

حين أصبح الشعر الماجن المبتدل مألوفاً مقبولاً وجب أن تتفق معه ألفاظه ومعانيه من حيث السهولة والعامية والابتدال ليكون سريعاً في تعلقه بالذاكرة ، مندفعاً في تداوله وتنقله من لسان الى آخر ، وقد جاء على شكل مقطعات وقصائد كثيرة - في الاغلب - ذات أوزان خفيفة الحركة سريعة النقرات ، وابتعد - الا ما قل - عن النقص الطويل والضربات الموسيقية الثقيلة .

(١) البيتمة ٣ / ١٦ ، الوافي بالوفيات ٣ / ٣٠٩ .

كما جاء سطحياً عاماً - بالمعنى اللغوي الاجتماعي - يأخذ الكلمات المتداولة ويبتعد عن انتقاء ما سما منها ، لأنه شعر يعتمد المظاهر ، ويتحين السقطات ويسجل العورات ، وإذا كان قد أغنانا بكثير من المسائل الاجتماعية السائدة آنذاك ، فانه رسم لنا أيضاً المستوى الفني الهابط للشعر واللغة المتداولة ، فإن وجدنا بعض الأبيات الجميلة فهي تضيع في غمرة هذا الهياج اللفظي الداعر المتحلل الغريب ، ولن يبرر كل هذا السقوط الفني قول ابن الحجاج (١) :

ألا أيها الاستاذ دَعوةَ شاعرٍ طريقتُهُ في الشعر لا تبهرجُ

فالبهرجة الجديدة التي غزت هذا النوع من الشعر لا تختلف كثيراً عن بهرجة الالفاظ المتقعرة ، المتحجرة ، لأن الفاظاً مثل الفسا والضراط والحرا والكلمات الدالة على الاعضاء الجنسية ، وخواجه وآرى والدرباذي وكثير من الفاظ المتأخر والشتائم ، لا يعقل أن تكون معبرة عن احساسات صادقة وانفعالات « رومانسية » جياشة ، انها الفاظ حشرت قسرا ، تعبّر عن معنى آتي أو غرض وضع يريده الشاعر أو سيده أو من يحيط به من مجتمعه .

ان شعر المبتذل والمجون مملوءٌ بألفاظ تشمئز منها النفوس وتعافها الاذواق البشرية النقية ، لما انحدرت اليه من درك واطيء ومستوى رخيص ، وقد دفعنا الى ذكرها بالرغم من صراحتها كونها كشفاً اجتماعياً لا يمكن الاستغناء عنه وبدون ذكرها تظل دراستنا ناقصة تفتقد الموضوعية والعلمية ، لأن من شروط الدراسات الموضوعية عدم ترك أي جانب يمكن أن يغني هذه الدراسة حتى وان كان هذا الجانب يؤذي الذوق العام فلا حياء في العلم كما يقول أسلافنا الطيبون .

وتنفع هذه الالفاظ أيضاً دارسي اللغة وفتقها ، ومنها يمكن أن تنطلق دراسة تبين تأثير هذه الالفاظ في اللغة العربية ونموها ومقدار معايشتها للناس وأحوالهم الاجتماعية خيرا وشرها ، بؤسها ونعيمها .

(١) البيتمة ٣ / ٣٥ .

الخلاصة :

استنفحت روح المجون ، وانتشرت أماكن اللئو وتعددت أساليبه ، فغطى التبذل مساحات كبيرة من مجتمع العراق في القرن الرابع ، ومثلما كان الخلفاء والملوك ورجال دولتهم منغمرين في حياة لاهية ، متشبعة بالفسق والعفونة ، كانت هناك فئات اجتماعية كثيرة تلئو بأساليبها الخاصة ، وتفحش وفق ما تسمح به مواردها ووقتها ، متناسية ، أو منهزمة عن ادراك ما يقع عليها من استغلال ومظالم من الطبقة الحاكمة وخدمها .

لقد وصل المجون ذروته في الربعين الثاني والثالث من هذا القرن خاصة أيام حكم بختيار وعضد الدولة ، ولا يعني هذا انعدام المجون والتبذل أو قلتهم في الربع الاول أو الاخير من هذا القرن ، فالتحلل الاخلاقي مواكب للتحلل السياسي ، والاقتصادي ، وكل من السياسة والاقتصاد مضطرب متدهور ، والذي غطى على المجون - مع وجوده - في هذين الربعين الاضطرابات السياسية ، والاقتصادية التي كانت تعم البلد بعنف . ونجد صدى اللئو والمجون مع كل هذه الاضطرابات في شعر الراضي أول القرن أو شعر ابن الحجاج والسلامي وغيرهما في الربع الاخير من هذا القرن .



الفصل الخامس

المكدون

« أكدي الرجل إذا قل خيرهِ » (١) « والكُدِيَّةُ شدة الدهر .. والكُدِيَّةُ كل ما جُمع من طعام أو شراب .. أو نحوه .. والكُدِيَّةُ حوفة السائل (٢) »
« ويقال أكدي أي ألح في المسألة » (٣) .

والكُدِيَّةُ بمعناها الشائع المعروف (٤) ظاهرة اجتماعية ترافق مسير المجتمعات الطبقيَّة كلِّها ، وتكثر أو تقلّ تبعاً لعمق التناقضات الطبقيَّة ، وما تجرّه من ويلات ومآس .

وفي المجتمع العربي أو الاسلامي - وهو مجتمع بدائي لم يتخلص بعد من النظام العشيري إضافة إلى وجود الاقطاع المختلط بالقتانة - ظهرت الكُدِيَّة بأشكال مختلفة نسبته المجتمع وقادته اليها .

فقد جاء في القرآن وصايا عديدة بأصحاب المسألة منها قوله تعالى : « وأما السائل فلا تنهر » (٥) وقوله : « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » (٦) .

(١) الصحاح للجوهري ٦ / ٢٤٧١ .

(٢) تاج العروس ١٠ / ٣١٠ ، والسان ١٥ / ٢١٦ .

(٣) اللسان ١٥ / ٢١٦ .

(٤) تعني المسألة والالاح بها .

(٥) الضحى ١٠ .

(٦) الذاريات ١٩ .

واتباعاً لهذه الاوامر عالج المصلحون ورجال الدين أول انتشار الاسلام هذه الحالات بروح من العطف والرأفة والالتزام بأوامر الدين وحباً برضاء الله الذي آمنوا به .

وحين بدأ التأثير الاسلامي ينحسر عن المجتمع وخاصة عن الطبقة الحاكمة ، وحل الاستغلال والظلم محل التعاون والتآزر الذي جاء به أمر الاسلام كثرت حالات الكدبية وزاد السؤال ، وأتسعت رقعة سؤالهم باتساع وتطور الاضطرابات السياسية والاقتصادية وما كانت تسببه للبلاد من حروب وأطماع خارجية أو مجاعات .

كان من نتيجة هذه العواصف السياسية والمظالم الاجتماعية افتقار عشرات الالوف من الناس واضطراب قسم كبير منهم الى اتخاذ الكدبية والسؤال طريفاً سهلاً للعيش ، ودرعاً حامياً من غوائل الجوع أو المصادرة أو الاغتصاب . ويمكننا أن نعد الكدبية والسؤال عملية انهزام وضعف وتخاذل أمام مصاعب الحياة وظروفها الشاذة القاسية .

كما ويمكننا أن نعد المكدين بعد أن صاروا يمثلون طبقة أو فئة - غير منتمين الى أي من طبقتي الخاصة والعامة (المستغلة والمستغلة) (١) فهم فئة اجتماعية طفيلية سرعان ما تنتهي حياتها إذا توفرت الظروف الاقتصادية الجيدة .

حين كثر أعضاء هذه الفئة الجديـمة المتنامية . بدأوا يتكتلون فرقاً وجماعات ، يسيحون بالبلدان ، ويبتكرون وسائل الخداع التي تدر عليهم وتحميهم من عوادي الزمن .

وقد أصبحت الكدبية شبه مهنة لها أصولها المقننة وشروطها المتبعة وقد سجل لنا الكتاب والمؤرخون كثيراً من هذه الأصول والشروط زيادة على حديثهم عن أحوال المكدين وطبائعهم .

(١) لأنهم لا يرتبطون بشيء مع وسائل الانتاج السائدة آنذاك .

ففي كتاب البخلاء (١) للجاحظ والمحاسن والمساويء للبيهقي (٢) ونشوار المحاضرة للتونخي (٣). نجد أقوالاً وقصصاً تثبت بشكل قاطع أن الكندية ظاهرة اجتماعية خطيرة منظمة، أصحابها ذو خبرة وحنكة ودراية بمختلف الأساليب والحيل، لهم عالمهم الخاص ونفسياتهم وأفكارهم المتفردة.

وفي الأقوال التي تعم بينهم مثل (٤) «الحياء يمنع الرزق» «ومن لم يحترف لم يعتلف» «والتميز شوم» «والحركة بركة» «وصفاقة الوجه رزق حاضر» «والكندية ربح بلا رأسمال» «والروز جار (٥) رأس مال المكدي» وفي غيرها من الأقوال نجد تعبيراً واضحاً عن عالم المكدين وأذهانهم ونفسياتهم الخاصة، المجبولة على الاتكالية والذل.

ومقامات الهمداني بعد ذلك سجل واضح لكل أساليب المكدين وطبائعهم، ومجتمعهم (٦)، فالمقامات الكثيرة (٧) التي كتبها بديع الزمان الهمداني تعرض لنا بأسلوب قصصي شائق، مملوء بالمفاجآت الغربية مدى ما وصلت إليه الكندية من حرفية وانتشار (٨)، كما تعبر في الوقت نفسه عن سعة الأفق الذي يمتلكه أدباء ذلك العصر، وامكاناتهم اللغوية والأدبية التي ساعدتهم على نقل الأجواء الشعبية نقلاً أديباً يمزج الواقع الاجتماعي بخيال يعطي هذا الواقع صوراً أدبية متحركة تشوق القاريء، وتدفعه الى متابعتها.

(١) ١١٨ وما بعدها .

(٢) ٥٨٠ / ١ .

(٣) ١٦٣ / ٨ .

(٤) التمثيل والمحاضرة ١٩٩ .

(٥) الروزگار - الحرفة والمهنة وهي كلمة فارسية أصلها «روزكار» أي العمل اليومي .

(٦) ينظر كتاب مجتمع الهمداني من خلال مقاماته للدكتور مازن المبارك مطبعة التري دمشق

١٩٦٨ ، وينظر في الادب العباسي ٩٤ .

(٧) مثلا المقامة القريضية ، والازادية ، والبلخية ، والسجستانية ، والكوفية ، والاسديية ،

والاذريبيجانية ، وغيرها تنظر المقامات : ٥ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٤٣ .

(٨) ينظر كتاب أهل الكندية أبطال المقامات في الادب العربي .

الكديّة والشعر :

الكديّة في الشعر العربي ليست جديدة وتكاد أساليبها تملأ هذا الشعر ، وما قصائد المديح التي رفعها الشعراء الى مقامات الرجال المتنفذين الا أسلوباً من أساليب الكديّة واهدار ماء الوجه بالمسألة (١) .

وقد يكون شعر المديح نوعاً من التجارة ، أو يكون تجارة بالفعل ، لكنه على أية حال تجارة تشبه تجارة المكدين والسؤال ، والا ماذا نسمي تصاغر النابغة الذبياني ، والحطيئة ، وجرير والاخلط ، وبشّار وأبي نواس ، والبحري وأبي تمام أمام ممدوحيهيم ؟

وماذا نسمي تمسح أبي الطيب على أعتاب سيف الدولة أو كافور ؟ ثم ما الصفة التي يمكن أن نطلقها على فتدان القيم والطبايع الانسانية عند السلامي وابن الحجاج ، وعبد العزيز بن يوسف ، حتى الصابي حينما كانوا يهدرون — كرامتهم ومثلهم أمام استجداء الرزق والعطف من عضد الدولة بالسجود له أو بتعظيمه ووضعه في مصاف الالهة ؟

أنها الكديّة المتخفية ، أو الكديّة المموهة ان جاز التعبير .. أن قصائد المديح بذرة من بذور الكديّة والسؤال . وقد نمت هذه البذرة وتشعبت حتى وصلت إلى ما أصبحت عليه في القرن الرابع للهجرة ، حيث صار شعراء المديح يمتحنون أنفسهم امتحاناً وضيقاً فيمدحون هذا ويستجلبون من ذلك أشياء تبدأ بالذهب والفضة وتصل الى النبيذ ورقع الشطرنج وغير ذلك .

ومع هذه الذلّة وهذا الامتحان يعيش مثل هؤلاء الشعراء وهم محاطون بخوف دائم من غضب أمير أو سقوط وزير أو دسيسة غلام أو غانية ، وهذا ما جعل نفوسهم مشبعة بالتصاغر والانصياع ، وكلماتهم مهوّمة في عالم الخداع والذل .

(١) ينظر في الادب العباسي ٩٩ ، وينظر كتاب التكسب بالشعر للدكتور جلال خياط مطبعة دار الآداب بيروت .

وإذا أراد أبو بكر الصولي مثلاً مدح الراضي ، هدر ماء وجهه وتكّبت الحياء . ثم قال بكل ما أوتي من روح متمرغة متصاغرة (١) :

مالي إذا لم أفر منه بمنزلة وعودة بالرضا في العيش من أرب حتى يبيض وجهي مذهباً حزني بالبدل للفضة البيضاء والذهب ويتصاغر أكثر ، ويحزن أكثر ، ويستجدي أكثر ، حينما يرى الدراهم تنثر في زواج ابن المتقي من ابنة البريدي ولا يحصل هو على شيء منها فينصرف كاسف البال « آسفاً خالياً من الكل صفراً » ويتأسى بأن يقول للذي نثر الدراهم (٢) :

فأغني كما عهدت عليه بعطايا أكرم الناس طراً
وغير الصولي شعراء كثار ، مدحوا فاستجدوا ، وقالوا في الكبراء
والاغنياء فتدلوا ، وهدروا بكلام كاذب المشاعر يحمل في ثناياه ذلة الطلب
ونعمات أغاني الكدية الغربية الاصوات .

ان مدح ابن نباتة لصاعد بن مخلد (٣) واستجداءه منه ليتشابك مع أمادح المتنبّي ، ومد يده لممدوحه (٤) ، ومع تدني ووضع استجداءات صريع الدلاء (٥) وابن سكرة وابن الحجاج ، ومع تهاوي كلمات مهيار (٦)

(١) أخبار الراضي ١٥٢ ، وينظر في استجدائه من الراضي قوله من قصيدة استجدائية ص ١١٦ « فألنا ما أنلتهم خمسة توفي على العدد » .
(٢) أخبار الراضي ٢٠٢ ، وينظر في استجدائه من الوزير ابن مقلة قوله من قصيدة يمدحه فيها ص ٩١ وما بعدها :

حرم الله أن يكون جنابي مجدياً من نداكم والحريم
أنصفوني في نظم ما قلت فيكم هل يدانيه لؤلؤ منظوم ؟

(٣) البيهقي ٣ / ٣٩٠ .

(٤) تنظر قصيدته في كافور مثلاً الديوان ٤٤٦ .

(٥) يكاد يكون كل ديوان صريع الدلاء في المديح الاستجدائي وتكاد القصائد المدحية تنحصر

في « فخر الملك » وزير بهاء الدولة البويهبي .

(٦) الديوان ١ / ٢١ .

في الصحاح بن عباد فيتولد بعد ذلك ، التراث المخجل من الشعر التكسيبي الاستجدائي الذي نستدل منه - وهو ابن المجتمع وصورته - على كساد القيم الروحية وميوعة ذلك العربي « البدوي المتعجرف » وانجرافه في تيار التزلف والدجل والمذلة .

وتصبح صورة التكسب الشعري وضعيفة وتافهة حين يفتح باب الاستهداء بالشعر ، فتبدأ مرحلة متميزة من مراحل الكدية العلنية .

فاذا ما ظميء السلامي الى النبيذ ، بدا له أن خير طريقة يمكنه أن يحصل بها عليه هي أن يستهديه أو يستجديه فيكتب إلى أحدهم بقوله (١) :

أرسلتُ أشكو إليكم غدوةً ظمئي وما شككتُ بأنتي سوفَ أغتبيقُ
أنت امرؤٌ جودهٌ غمر ، ونائلُهُ همرٌ ، ووبلُ نداء مسبلُ غَدِيقُ
فابعثْ إليّ بصفو الراحِ يُشبهُهُ منّي قريضٌ ومنك العرفِ والخلقُ
أو يكتب إلى عبد العزيز بن يوسف رافعاً له آيات التعظيم والاجلال من

أجل أن يجود عليه بالمدام نوصل به التذني الى أن يقول (٢) :

ومن عبد ابن يوسف صارَ لإسمي وصيرني الندى مولى السلامي
ومثل السلامي يفعل ابن سكرة ، ويزيد على ذلك بأن يصف نفسه صراحة بالمكدي ، مدركاً أن الاستهداء ماهو الا كدية ، نرى ذلك في قوله ليحيى ابن فهيد (٣) :

رسالةٌ من مُكَدِّ	وشاعري	وشريفِ
الى فتي مستبَدِّ	بكل فعل ظريفِ	ظريفِ
اليك يحيى اشتكائي	صحوي بيومِ	طريفِ

(١) اليتيمة ٢ / ٤١٠ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٤٠٩ .

(٣) نفسه ٣ / ٢١ .

ولستُ مضمراً نسكاً ولا بعفيفٍ
ولو أسامُ بديني لبعثته برغيفٍ
فامنن عليّ بضخمٍ من الدنانِ كثيفٍ

ويكثر ابن سكرة من كاديته ، فيطلب من أحدهم (قهوة أنف الحبيب بها يعفر (١)) ويقول للآخر :

ان كنت تنشط للمد يح وللثناء عليك مني
ما بعث الي مع الرسو ل اذا أتاك بملء دن

أو يرجو من فتى الجصاص ويستعطيه « شربة » من خمرة الصافي ومن ندّه قطعه » .

وإذا عرفنا أن ابن سكرة هاشمي « شريف » أدركنا ما وصلت إليه طبقة الاشراف من فقر ومذلة وتأكد لنا ما ذكره الصولي وغيره من المؤرخين من تفشي المجاعات بين الهاشميين - علويين وعباسيين (٢) - . كما ندرك من شعر ابن سكرة كيف أن الشعر صار وسيلة رديئة ذليلة تستجلب الرغد والعطف ، فيتهاوى بعد ذلك في درك الكدية الصريحة .. وتبرز صورة الشاعر المكدي جليلة في بعض شعر ابن الحجاج مع أنه عاش حياته مدلاً في قصور الامراء والرؤساء .

فان اضطرته ظروف طارئة الى بيع ثيابه في واسط تباكى وأظهر نفسه فقيراً معلماً وبسط يده الى رؤسائه وهو يقول (٣) :

يا سادتي قول مَيِّت في مثل صورة حيِّ
لم يبقَ في الخُرج شيءٌ أتأذنون بشيِّ

وإذا أراد أن يستعطف بختيار ويستدر عطاءه ، خاطبه بلغة المكدين

(١) اليتيمة ٢٢/٣ .

(٢) أخبار الراضي ٦١ ، ٦٦ ، ٧٠ .

(٣) اليتيمة ٦١/٢ .

ووقاحة وجوهمهم وقال (١) :

نحن سنناير أهل دولتكم فأنصفونا من صاحب الغُدد
والله لولاك لم تبت مرق اللحم تروي شحومه تُردي
ولم يحور ليّ الدقيق ولا ، كانت تحوز المسقات يدي

وإذا يصل الامر هذه المنزلة أو المنزلة التي نرى فيها صريع الدلاء يكدي
جبة وعمامة (٢) وابن المطرّز يطلب رقعة شطرنج من ممدوحه (٣) ، نتأكد من
شيعوع أنواع جديدة - ذليلة ووضيعة - من أساليب امتهان النفس ووضعها
في مكان لا تشعر فيه بالاحترام لصاحبها ، كما نتأكد من انتشار عادة الكدية
الشعرية ، مما يدل على أن المجتمع بدأ يألف أو هو يألف وجود فئات تمتهن
الكدية ، وتعيش على ما تدره من رزق .

الكديه والاحتراف :

وإذا جئنا شعر المكدين المحترفين نستنبط منه أحوال فئتهم ، وعلاقتها
مع الفئات الاجتماعية الأخرى ، وجدنا أن هذا الشعر لم يترك شيئاً من حياة
المكدين إلا وضحه ولم يهمل شيئاً من أساليبهم في معاينة الحياة إلاّ وبينه .
فلأنهم أناس فقدوا مسوغات الخجل ومعالم الحياء والاحتشام ، همهم
الوصول الى غاياتهم الارتزاقية بأية وسيلة كانت ، يقول شاعرهم (٤) :

ليس للحاجات إلاّ من له وجه قاوح
ولسان ذو بيان وغدو ورواح

(١) اليتيمة ٢ / ٦٢ .

(٢) في قوله :

جد للصريع بحجة وعمامة

(الديوان مخ ١٧ ب)

(٣) تنمة اليتيمة ١ / ٥٨ .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٤٦٧ .

ان هذا الوجه الوقح الذي تحمله أرجل لا تكل من السير وينضوي بين
أعضائه لسان ذرب يهذي بكلمات الاستجداء ويحجد أفضال الآخرين
ويدعي ديمومة الفقر ، واستمرارية الجوع لا ينضح بماء الحياء إن قال (١) :
الحمد لله ليس لي مالٌ ولا لخلق عليّ أفضالُ
الخان بيتي ومشجبي بدني وخازني والوكيلُ بقال

فالمكدي مشرد ومع تشرده يحمد ربه - كذباً - لان الآخرين لا فضل
لهم عليه فهو قد اكتفى بما عليه من الثياب حتى صار جسمه وكأنه مشجب لها ،
وهو يحصل قوته ومثوونته يوماً بيوم فصار البقال وكأنه خازنه ووكيله ، وإذا
كان هذا المكدي يجده من الخان بيتاً فإن الأحنف العكبري «شاعر المكدين
وظريفهم» « فرد بني ساسان في دار السلام (٢) » يصور لنا نفسه إنساناً
مشرداً يذوب أسى وحسرة لأنه لا يساوي العنكبوت والخنفساء اللتين تمتلكان
سكناً تأويان اليه وتعتكفان فيه فهو يقول (٣) :

العنكبوتُ بنتٌ بيتاً على وهنٍ تأوي إليه وما لي مثله وطنُ
والخنفساءُ لها من جنسها سكنٌ وليس لي مثلها إلفٌ ولا سكنُ
ويتحول هذا الأسى إلى ثورة عارمة على الزمان وأهله ، ويتحول ما يلقاه
المكدي من صفعنة وذلة إلى كلمات ساخطة متمرده بنفس العكبري المكدي
عن نفسه آلام ذله ووضاعة مركزه الاجتماعي (٤) ، كذلك يصور لنا ما

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٠٠ ، المحاسن والمساوي ، كأنه مأخوذ من قول جعفر البرمكي
الحمد لله ليس لي كاتيب ولا على باب منزلي حاجب
(معجم الادباء ٢ / ٢٥٠) .

(٢) اليتيمة ٣ / ١٢٢ ، وبنو ساسان هم أهل الكدية .

(٣) اليتيمة ٣ / ١٢٣ ، خاص الخاص ١٧٢ .

(٤) يقول صاحب « الفلاكة والمفلوكون » ص ١٢٩ : « اعلم أن الفلاكة اذا استولت على
شخص وسلبته القدرة على الافعال انتقل الى الاسترواح والتنفس بالاقوال وذلك لما أن في الكلام
راحة وفرجا وتنفيصا من ألم الباطن » .

في مجتمعه من مظالم ومداجاة وكذب ، خلقها التباين الاقتصادي الكبير في هذا المجتمع ، تبدو كل هذه الثورة ، وتبدو معها غربة الانسان الواعي عن مجتمعه في قول الاحنف العكبري (١) :

عشت في ذلّة وقلّة مال واغتراب في معشر أنذال
بالأماني أقولُ لا بالمعاني فغذائي حلاوة الآمال
لي رجلٌ تقول بالرّقف في الرأي ورجلٌ تقول بالاعتزال
وفي قوله (٢) :

رأيتُ في النوم دنيانا مزخرقةً مثل العروس تراءت في المقاصير
فقلت : جودي فقالت لي على عجل : إذا تخلّصت من أيدي الخنازير
وقوله (٣) :

قد قسمَ اللهُ رزقي في البلاد فما يُكادُ يدرك إلاّ بالتفريقِ
ولستُ مكتسباً رزقاً بفلسفة ولا بشعرٍ ولكن بالمخاريقِ
والناسُ قد علموا أنّي أخو حَيْلٍ فلستُ أنفقُ الا في الرساتيقِ
وان وجدنا في أقوال العكبري حقداً ظاهراً ، وألماً نفسياً متميزاً فقد حصل
ذلك بدافع مادي ، وشعور آني بالمأساة الاجتماعية التي ارتضاها المكذون أو
ارتضاها المجتمع لهم ، وبسبب هذا الدافع المادي والمشاعر الآنية كانت
مواقف المكذنين مذنبذة وسخطهم انفعالياً سرعان ما يفر أو يبرد حتى يصبح
شيئاً تافهياً بجانب الحصول على لقمة العيش ، ولذلك فليس بعيداً أن نسمع
شاعراً من شعرائهم هو أبو دلف الخزرجي يأمرهم بالدجل والمخرقة
ويقول (٤) :

ويحكَ هذا الزمان زورُ فلا يغرنك الغرورُ
زوقَ ومخرقِ وكل وأطبق واسرقُ وطبلق لمن يزورُ
لا تلتزم حالة ولكن دُر بالليالي كما تسدورُ

(١) اليتيمة ٣ / ١٢٣ .

(٢) اليتيمة ٣ / ١٢٣ ، خاص الخاص ١٧٢ .

(٣) نفسها .

(٤) المقامات ٩١ والبيت الثاني لم يذكره صاحب المقامات ، اليتيمة ٣ / ٣٥٨ .

وقد يكون ما قاله أبو دُلف احتجاجاً وربما هو طبع انتهازي عرضه على الناس ودعا للاخذ به لكنه يظل دعوة ذليلة لبيع النفس وهمتها من أجل لقمة العيش .

وإذا ذكرنا هذه الدعوة الذليلة التي وردت على لسان أبي دلف وجب أن نوضح التباين الكبير بين نفسية هذين المكديين مع انهما في منزلة متقاربة من حيث قيمتهما الاجتماعية وحظوتهما عند بعض الرؤساء .

فالأحنف العكبري مرهف المشاعر ، ملرك منزله ، عارف أنها منزلة يأبأها الانسان الشجاع لكنه مع ذلك يتجرعها غصصاً ، ويتجشم بسببها عذاباً نفسياً كبيراً ، أما أبو دلف فهو على العكس من صاحبه انسان مهزوز ، فقصدَ مشاعره الانسانية ، وأضاع قيم مجتمعه واعرافه الاصلية .

نجد مثلاً مشاعر الانسان الحزين الذي انهار امام مآسي الحياة ومظالم المجتمع وطبقاته العليا المستغلة فسقط مجبراً في دروب الكلدية يهدر ماء وجهه أمام كل الناس ، نجد مثل هذه المشاعر عند العكبري وهو يقول (١) :

لأثمّ لآمني فطالّ التعدي لم يرد باللام - إذ لام - رشدي
قال لي: أنت فيلسوفٌ أديبٌ شاعرٌ حاذقٌ بحلّ وعقْدِ
هات قل لي، ولا تقل قولَ زور لِم تُكْدي؟ قلت: من ضعف جدي
قد طلبت الغنى بكل ارتياد واحتيال ما بين هزلٍ وجد
فأبى الله أن أكونَ غنياً ما احتيالي والنحسُ يطرد سعدي
غير أني لما طلبت لم أظفر بشيء ، وضعت للسدر نحدي
اننا لنكتشف طعم الخيبة في الوصول الى منزلة اقتصادية محترمة ، كما
نتذوق الما حاراً يترز من كلمات العكبري التسويغية ، فهو يصارع ذاته
ومشاعره الممزوجة باللوعة والحرمان ، وتتوضح وتعمق هذه المشاعر
والانفعالات حين يقول (٢) :

(١) تاريخ بغداد ١٢ / ٣٠١ .

(٢) المنتظم ٧ / ١٨٥ البداية والنهاية ١١ / ٣١٨ .

أقضى عليّ من الأجل عدلُ العذول إذا عدلُ
وأشدّ من عدل العذول صدودُ إلف قد وصلُ
وأشدّ من هذا وذاك طلبُ النوال من السفلُ

إنه بكاء الانسان على كرامته المهذورة ، وحرزته على فقد ذاته وتلونه
حسب الظروف ، ولن نجد بكاءً وحرزاً وصراعاً نفسياً أشدّ مما عند العكبري
وهو يعيش مأساته اليومية أثناء عملية الكدية والسؤال فنراه مثلاً يصف لنا
هذه المشاعر المتألّمة بعد أن ينتهي من جمع ما حصل عليه فيقول (١) :

فصرنا في حمى البيت كأننا وسط تنور
وصرنا من أذى الصفع كمثل العمي والعُور
لقد أصبحت مخموراً ولكن أي مخمور

انه اذ يستشعر مأساته لا يجد غير الألم الذي يتراوح بين الثورة على الذات
والمجتمع وبين الاستسلام للقاتل المشوب بالتبريرات والتخريجات الانهزامية
التي لا يمكن أن يتستر عليها رجل مثل الأحنف العكبري تزود بعدة المكدين
ومشى دروبهم ولهذا نجده يقول (٢) :

من أرادَ الملكَ والراحة من همّ طويلٍ
فليكن فرداً من الناس ويرضى بالقليلِ
ويداري مرضَ الوحدة بالصبر الجميلِ
لا يمّاري أحداً ما عاش في قال وقيلِ
يلزمُ الصمتَ فإن الصمتَ تهذيبُ العقولِ
يَدْرُ الكبر لا هليه ويرضى بالحمونِ
أي عيش لامرئٍ يصبح في حال ذليلِ
بين قصدي من عدو ومدارة جهولِ

(١) اليتيمة ٣ / ١٢٤ .

(٢) المتظم ٧ / ١٨٥ ، البداية والنهاية ١١ / ٣١٨ ، وفي المصدرين اختلاف لفظي لا
يؤثر على المعنى كثيراً .

واعْتِلال من صديق وثَجَن من مَلُول

انه يكشف آلامه هنا على شكل نصائح مستسلمة متوجعة ، لكن استسلامه على أية حال لا يصل الى ما وصل اليه المكدون ذوو المشاعر الميتة ، استسلام العكبري يبدو في دعوته الى القناعة والصبر والابتعاد عن الطموح ، وعن الناس أيضاً ، فالزمن قاس والوصول الى المطامح يتطلب الذلة والممارسة والدجل .

ان في هذا الاستسلام تسامياً وترفعاً قلماً يصل اليه أغلب الناس الذين قال فيهم العكبري نفسه (١) :

دعينا من زمان ليس فيه سوى متشامت أو مستريب
وحاسدٍ نعمة وصديقٍ وقت إذا ما غيبتَ ذمك في المغيبِ
فمن أولاك ودآ من صديق ومن ذي قربة أو من غريبِ
فحب خديعة لمكان رفقٍ متى ما زالَ ذمك من قريبِ

ان الأحنف العكبري كما يبدو من خلال أقواله ذو هممة عالية ومشاعر مرهفة ونفس أكبر من أن تكون نفس رجل مكدي ، ولا أظنني أجاني الواقع ان قلت أنه أكبر من طبقته وأسمى منها ، فهو في الاقل بقي يشعر بانسانيته ووجوده ، ولم يدع مثلما دعا أبو دلف الى الانسلاخ من عالم الوعي والشعور بالوجود ولبس وجه جديد ، فيه كل معالم المهانة والمخرقة والدجل .

فالفرد الساساني - وأبو دلف في المقدمة - يتوصل بسبل عجيبة للوصول الى مبتغاه ، ولو كان ذلك على حساب كرامته أو انسانيته فكان يتخذ من السخف مطية يصل بها الى هدفه مسوغاً ذلك بسخف الزمان وأهله ، فزراه يبتذل نفسه ويقول (٢) :

سَخَفَ الزمانُ وأهله فركبت من سخفي مطية

(١) تاريخ يدد ١٢ / ٣٠٢ .

(٢) المقامة المجاعية ١٢٩ .

أو يقول : (١)

ساخف زمانك جداً إن الزمان سَخِيْفٌ
دع الحمية نَسِيًّا وعش بخيرٍ وريفٍ

وبسبب سخافة الزمان وسخافة أهله ومظالمهم ، ولأن الزمان نفسه -
حسب رؤية أهل الكدية وغيرهم - مشوم غشوم بدأ أهل الكدية يتخذون
أساليب عديدة تحميمهم من مظالم دهرهم وناسه فصاروا يرون أن :
الحق فيه ملبحٌ والعقل عيب وشومٌ (٢)

فكان همهم استنباط طرق تزويهم تشبه في وضاعتها الزمان ، وتجاربي
ما أمكن مستنبطها أهل هذا الزمان وجرائرهم ومظالمهم ... فالتلون بألوان
مختلفة تتفق والبيئة التي كان يرودها أهل الكدية سيراً على المبدأ القائل : « خير
الغناء ما شاكل الزمان (٣) » أو تمثيلاً مع من يرى أن « الغاية تبرر الوسطة (٤) »
هذا التلون كان من صفاتهم المقدمة ، وقد جاء على لسان مكذخبير نصائح
كثيرة وأقوال عديدة تدعو الى مثل هذا التلون والتقلب ، يقول هذا المكذخي
وهو أبو الفتح الاسكندري بطل مقامات الهمداني (٥) :

أنا أبو قَلَمُون (٦) في كل لون أكون
أختر من الكسب دُوناً فإن دهرَكَ دُون
زَجَّ الزمانَ بِحُمُقِي إن الزمانَ زَبُون (٧)
لا تكذبنَّ بعقلٍ ما العقل الا الجنون

(١) المقامة الحمداء ١٥٦ .

(٢) المقامة الساسانية ٩٥ . ونسب صاحب الابانة عن سرقات المتنبي ص ٤٩ هذا البيت مع

خلاف في اللفظ إلى محمد البجلي الكوفي . تنظر الابلة ط دار المعارف ١٩٦١ .

(٣) خاص الخاص ٥١ .

(٤) الادب في ظل بني بويه ٢١٤ .

(٥) المكفوية ٨١ .

(٦) قلمون : وب كثير الالوان .

(٧) الزبون : الناقة التي تدفع حالبها برجلها .

ويقول أيضاً (١) :

من يصحب الدهر يأكلُ فيه سميتاً وغشاً
فالبسُ لدهرٍ جديداً وألبس لآخر رثاً

وأبو الفتح الاسكندري (٢) البطل الذي اختاره بديع الزمان الهمداني لمقاماته نموذج جيد للمكدي الذي يستقطب في شخصه كل صفات طبقته ، فهو ذكي يلبس لكل زمان لبوساً ، ويتخذ لكل دار فراشاً ، متحامق ، دجال ، مخادع متحلل ، مبرر ، وهو إذ يدعو دعواته التخاذلية ، إنما يصور لنا مأساة مجتمعه وما بلغه من انحطاط اقتصادي وأخلاقي سُلبت معه همم الكثير من أبنائه ، فاذا أراد أن يبرر دجله وتقلبه « وانتهازيته » وضعها في قالب اجتماعي وأوقع الذنب بعد ذلك على الأيام وقال (٣) :

الذنب للأيام لا لسي فاعتبُ على صرفِ الليالي
بالحُصق أدركتُ المنى ورفلتُ في حُلِّ الجمالِ

ويبدو من خلال كل « تبريراته » وانهمامه ، ووضاعة تصرفه نوع من الألم النفسي الذي يتفاعل مع هذه التصرفات يظهر كأنه ألم نفسي مبعثه المادة وحدها ، فالمال ينقصه ، ويفتش عنه ، ويرهق نفسه في هذا التفتيش الدائب ، ويهدر ماء وجهه ومع ذلك يظل يتحسر ويتألم ويقول :

والمال طيفٌ ولكن حولَ اللثامِ يحومُ

ومن هذا الشعور بالغبن ينطلق المكدي للانتقام من مجتمعه ، بطريقة جديدة مبتكرة ، تشعره بعد ذلك بوجوده ، وأهميته ، ولو كانت هذه الطرق المبتكرة ، والاساليب الجديدة ، حيلةً وأحاييل وكذباً ، فما دام الانسان

(١) الأرمنية ١٨٩ .

(٢) يرى الدكتور البصير ان أبا الفتح هو بديع الزمان الهمداني نفسه ، ينظر في الادب

العباسي ٩٥ .

(٣) المقامة القرديّة .

المكدي ضحية مجتمعه ، فلينتقم وليفعل ما يقوله أبو الفتح (١) :
 الناس حُمْرٌ فَجَوَزَ (٢) وابرز عليهم وبرز
 حتى إذا نلت منهم ما تشتهيهِ فَصَرَوَزَ (٣)

ان هؤلاء الناس الذين يصورهم أبو الفتح بهذه الأشكال الغيبة التافية هم
 حصيلة معرفة واعية - وان لم تكن نزيهة كلياً - استخلصها اثناء معاشرته لهم
 في القرى والرساتيق والمدن ، فهو من طبقة المكدين - المزروعة في مسامات
 الناس - عبيد الله الذين « أخذوا العمر خليطاً فهم يمسون أعراباً ويضحون
 نبيطاً » ولذلك فليس كثيراً على ذكي مثله أن يتمادى في استغفالهم ، وسلب
 أموالهم بالاحتتيال والمخرقة .

ولم يقتصر التلون الذي صبغ طبيعة طبقة المكدين على جانب تلوني واحد ،
 فقد تعددت جوانبه وصار المكدي نموذجاً للحرباء البشرية « فهو ينوع
 العجائب » في اختياله ذو مراتب يردد في كل مناسبة (٤) :
 أنا في الحق سنّامٌ أنا في الباطل غاربٌ
 أعتدى في الدير قسيساً وفي المسجد راهبٌ
 « وكذا يفعل من يعقل في هذا الزمان (٥) » .

ويبدو لي بعد كل هذا أنه لم يكن ببعض المكدين حاجة الى المال ، لكن
 دخوله هذه الحرفة وامتهانه اياها جعلها تنماسك مع كيانه وتصبح ولعاً مادياً
 يخلق فيه جشعاً مثل جشع التجار والمرابين ، يؤكد ذلك وجود أبي دلف

(١) لاصفهانية ٥٤ .

(٢) جوز : قاد والمعنى أن الناس حبير تستطيع قيادتهم والتفوق عليهم .

(٣) فروز الرجل : مات والمعنى انك يجب أن تفعل شيئاً لتتقدم على الناس وتنال مآربك من

الحياة منهم ، فإذا ما حصلت على ما ترومه ففارقهم ولو بالموت .

(٤) المارستانية ١٢٦ .

(٥) الحميرية ٢٤٤ .

الخزرجي ، والعكبري (أحياناً) عند الصاحب بن عباد (١) أو عضد الدولة البويهبي (٢) واستملاجهما لشعرهما ، ومداعبتهما وإيصالهما بالمال . ولا أظن أن هذين المكديين وهما في بلاط أكبر شخصيتين سياسيتين آنذاك يحتاجان الى كد أنفسهما من أجل لقمة العيش .

وإذا أردنا أن نتوثق أكثر من استفحال أمر الكدية وصيرورتها تجارة مربحة تحمل معها الجشع وشهوة جمع المال سمعنا أبا الفتح وهو يقول (٣) :

لا يغرنك الذي أنا فيه من الطلب
أنا في ثروة تشق لها بردة الطرب
أنا لو شئت لاتخذت سقوفاً من الذهب

وإذا صدق أبو الفتح في قوله هذا - ولا أظنه إلا صادقاً بعض الشيء ومبالغاً أيضاً - تأكدنا ، وزاد توثقنا من أن مهنة الكدية مربحة ومربحة للغاية ، ولهذا يصدق من يتهم المكديين في كل الأوقات بخزن الأموال وعدم الحاجة الى السؤال (٤) .

قصيدتا العكبري وأبي دلف :

من أجل استكمال الموضوع وجب الكلام على قصيدتين من قصائد أهل الكدية تعرضان صوراً اجتماعية حقيقية خالية من الانفعالات والعواطف مما يجعلهما يمتلكان قيمة كبيرة في عرض الحقيقة ، هاتان القصيدتان هما دالية العكبري ورائية أبي دلف .

(١) تنظر البيهقي ٣ / ١٢٢ ، ٣٥٦ .

(٢) ينظر لطائف المعارف ٢٣٤ وما بعدها ، حيث ذكر مداعبة من مداعبات ومطاببات عضد الدولة مع أبي دلف .

(٣) عضد الدولة ٢٨ .

(٤) ويبدو لي ان الانتساب للكدية صار إضافة الى الكسب المادي ونوعاً من التباهي بالشذوذ يؤكد ذلك استعمال ابن الججاج وابن سكرة والصاحب لكثير من الفاظ المكديين وتلبسهم بطباعتهم ، ونرى الآن مثل هذا التباهي عند المتأثرين بالموجات الحضارية الغربية الشاذة .

فدالية العكبري تظهر لنا كثرة المكدين وأسلوبهم في جمع المال عن طريق
السياحة من بلد الى آخر لا يخافون في سياحتهم هذه غزاة ولا سراقاً ، وكثيراً
ما احتسى بهم أو باسمهم المسافرون من ذوي اليسار والنعيم أو الجاه والسلطان.
ولهذا السبب قال مفتخرأ (١) :

على أي بحمد الله في بيت من المجد
باخواني بني ساسان أهل الجند والجند
لهم أرض خراسان فقاشان الى الهند
الى الروم الى الزنج الى البلغار والسند
إذا ما أعوز الطرق على الطراق والجند
حذاراً من أعاديهم من الأعراب والكرد
قطعنا ذلك النهج بلا سيف ولا غمد
ومن خاف أعاديه بنا في الروع يستعدي (٢)

ان العكبري في عرضه المتفاخر لأوضاع المكدين وسياحتهم بصور لنا
ما وصلت اليه الأمور السياسية من اضطراب ، حيث انقطع جبل الامان على
المسافرين جنداً كانوا أم غير جند ، وهذا يوضح بجلاء ضعف الدولة وشلل
امكاناتها العسكرية التي تدبر بها أمن الناس وتحافظ على أرواحهم .

وإذا كنا مع الدكتور محمود غناوي أن شعر الاحنف العكبري كان من
باب الهزل والسخرية اللذين يصدران « عن سخط الشاعر على أنظمة الحياة
القائمة التي عبثت بالانسان واستهانت به (٣) » فاننا نرى أيضاً أن العكبري
كان جاداً في قصيدته هذه ، لأنه صادق في تعبيره عن سخطه وفي استهزائه

(١) اليتيمة ٣ / ١٢٢ .

(٢) ذكر الثعالبي تفسير صاحب بن عاد لهذا البيت حيث يقول « ولهذا البيت معنى بديع
وتفسيره : يريد أن ذوي الثروة وأهل الفضل اذا وقع احدهم في أيدي قطاع الطريق وأحب التخلص
قال : أنا مكدي ، اليتيمة ٣ / ١٢٣ .

(٣) الادب في ظل بني بويه ٢١٦ .

من تفكك مجتمعه ، وانهار الفئة الحاكمة وضعفها .

ان ما وصل الينا من هذه القصيدة لا يزيد على عشرة أبيات فيها الكثير من الدلائل الاجتماعية ، وقد كانت هذه الابيات باباً واسعاً فتح أمام أبي دلف كي ينظم قصيدته الرائية التي جمع فيها ما جمع من فنون الشحاذة وضروب الخيل ولعل قصيدة العكبري كانت أكثر مما بين أيدينا الآن ضاعت كما ضاعت آلاف القصائد غيرها ، وعلى هذا نكون قد خسرنا سجلاً ربما احتوى على قضايا اجتماعية وفنية غنية .

وإذا انتقلنا من دالية العكبري الى رائية أبي دلف المسماة « بالساسانية » تبين لنا أن هذه القصيدة « يمكن أن تعتبر من خير المصادر التي تلقي ضوءاً على أحوال العصر الاجتماعية (١) » وترسم بوضوح متناه صوراً بينة لعادات المكدين وطبائعهم وأنواعهم وشذوذهم ولا يحتاج قارئها إذا فهم مفرداتها الى كثير من الشرح والكلام لأنها بحق « معلقة المكدين (٢) » ومعجم لغتهم وأحوالهم .

وقد ذكر الثعالبي خمسة وتسعين ومائة بيت وقال : اذا هذا هو ما اختاره منها مما يدل على أنها قصيدة طويلة ، وسنجزيء نحن منها ما يفني ببعض الغرض ، ونكتفي بشرح الألفاظ والتعليق على ما يستوجب التعليق مما يوضح المعنى ويزيل الابهام .

يقول أبو دلف (٣) :

لطول الصدِّ والهجرِ	جنونٌ دمعها يجري
من حلو ومن مرٍ	لقد ذقت الهوى طعمين
أودى أكثرُ العُميرِ	ولا سيما وفي الغربية

(١) نفسه ٢٢٢ .

(٢) الظرفاء الشحاذون ١١٧ .

(٣) البيتمة ٣ / ٣٥٨ . ولابي دلف قصيدة استجدائية نجدها في البيتمة ضمن بزذونيات

الصاحب .

وشاهدت أعاجيباً وألواناً من الدهرِ
 فطابت بالتوى نفسي على الامسك والفطرِ
 على أني من القوم البهاليل بني الغمرِ
 بني ساسان والحامي الحمى في سالف العصرِ (١)
 تغربنا الى أننا تناعينا الى شهرِ
 فظل بين يرمينا نوى بطناً الى ظهرِ
 فطينا نأخذُ الاوقات في العسر وفي اليسرِ
 فما ننفكُ من صممي وما نقتصر من متمرِ (٢)
 فاحلى ما وجدنا العيش بين الكمد والخمرِ (٣)
 فنحن الناسُ كل النا س في البرّ وفي البحرِ
 أخذنا جزيةَ الخلقِ من الصين الى مصرِ (٤)
 إذا ضاق بنا قطر نزل عنه الى قطرِ
 لنا الدنيا بما فيها من الاسلام والكفرِ
 فنحن الميزقانيون لا ندفع عن كبرِ (٥)
 فمننا كل كـمـاذ اللبوسات مع الهرّ (٦)
 ومننا كل صلاحٍ بكسيدي وافر نكرِ (٧)

- (١) بنو ساسان : هم أهل الكدية وفي نسبتهم هذه أقوال كثيرة ، وهذا البيت يثبت ما ذهب إليه المرحوم الشيخ محمد عبده من أن ساسان هو ملك الفرس وأنهم نسبوا إليه ، بعد أن غلب على أمر وتشردت عائلته ، تنظر المقامات ٩٢ .
- (٢) الصمي والمر : مر معناها في فصل سابق .
- (٣) الكمد : العمل الجنسي .
- (٤) يصور لنا ما يحصلون عليه من مال ورزق جزية كأنه بذلك ينتقم لوضاعة أسلوب ارتزاقه أو كأنه يرى أن ما يأخذه إنما يأخذه رغبا عن أصحابه .
- (٥) الميزقانيون : المكدون وميزق : كدي .
- (٦) الكماد : الفاعل ، اللبوسات : الفروج والهر : الدبر . ويصور لنا هذا البيت المرحلة الأخلاقية المنهارة التي كان عليها أهل الكدية ، ففي مجتمعهم تجد اللواطة والبغاء معاً .
- (٧) الصلاح : الذي يجلد ذكره مستعملا العادة السرية أي أنه يستمني بيده ، والكيد : عضو الرجل .

قد استكفى بكفيه عن الثيب والبيكر
 ومنا الكاغ والكافة والشيشق في النحر (١)
 ومن دروز أو حرز أو كوز بالدغر (٢)
 ومن رعس أو كبس أو غلس في الفجر (٣)
 ومن شطب أو ركب للضربات والعقر (٤)
 ومن ميسر أو مخطر واستنفر للشغر (٥)
 ومن ناكذ في القينون من جوف أبي شمر (٦)
 ومن ذلك أو فلك أو بلغك بالحر (٧)

(١) الكاغ ، والكاغة المتجانن والمتجانة وهذا يدل على وجود المرأة ضمن أهل الكدية ، والشيشق ما يوضع من تعاويد أو رقي على المجنون . قال الجاحظ : « والكاغاني الذي يتجانن ويتصارع ويزيد حتى لا يشك أنه مجنون لا دواء له لشدة ما ينزل بنفسه، وحتى يتمجب من بقاء مثله على مثل علته » البخلاء ١٣٤ ، وينظر المحاسن والمساوي ٢ / ٤١٥ .

(٢) دروز : دار على السكك والدروب وسخر بالنساء بواسطة التعاويد .
 حرز : عمل الاحراز (التعاويد) .

كوز : المكوز الذي يقوم في مجالس القصاص فيأمر القصاص أصحابه بأن يعطوه فإذا تفرقوا قاسمه القاص . والدغر : المقاسمة ، وهذا يوضح مدى استفغال أهل الأدب للناس .

(٣) رعس : اذا طاف على حوانيت الباعة وأخذ من هنا جوزة ومن هنا تمرّة وتينة .
 كيس اذا دار فان رأى رجلا قد حل سفتجته كبسه وأخذ منه قطعة . غلس : خرج عند الفجر ، أي منا الذي يطوف على الحوانيت يكدي الاشياء الصغيرة أو الذي يتحين الفرصة لينهب مما يحمله الآخرون وهذا هو النشال .

(٤) شطب : اذا عقر نفسه بالموسى وجعل يكذب على الاعراب والاكراد واللصوص ، وركب إذا طلى نفسه بالشيرج وأدعى أنه جلد أو لطمته الجن وهؤلاء هم صانعو العاهات .

(٥) ميسر : اذا كدى على أنه من الثغر أي من المناطق التي يغزوها الروم بحرا ، مخطر : اذا بلغ لسانه وأوهم أن الروم قطعوه وقد جازت هذه الحيلة على الجاحظ وخذع بها (البخلاء ١٣٣)
 (٦) المناكذة : مقاسمة الآخرين ثيابهم وسلاحهم بيلة الغزو، والقينون مكان المقاسمة وأبو شمر أول من كدى بهذه الصورة .

(٧) المدكك : الذي يمتاح لتطبيب من به وجع ، فاذا رأى من يشكو من ضره وضع دود الجبن بين أسنانه ثم أخرجه وادعى أنه شفاء ، فكك : اذا فك السلاسل على الطرق ، بلغك إذا جر الخواتيم بالابريسم الرقيق أي منا من يستغل الطب أو يستغل الناس أو ينشلهم .

- ومن قصص لاسرائيل أو شبرا على شبر (١)
 ومن بشرك أو نـوؤذك أو أشرك بالهبر (٢)
 ومن قدس أو نمس أو شولس بالشعر (٣)
 ومنا المصطبانيون من ميزق بالاسر (٤)
 ومن كدى على كيسان في السر وفي الجهر (٥)
 ومنا النائح المبكي ومنا المنشد المَطري (٦)
 ومن ضرب في حسب عليّ وأبي بـكر (٧)
 ومنا سائر الانصار والاشراف من فهر
 ومنا قيسم الدين المطيع الشائع الذكر (٨)

- (١) أي منا الذي يروي حكايات الانبياء والحكايات القصار التي تسمى الشبريات ، وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من وجود بذور للقصة وتطور خيال الناس .
 (٢) بشرك : ليس زي الرهبان تزهدا ، نودج : كدى على أنه من الحجاج . اشرك بالهبر : قاسم رفقاءه ما يحصل عليه.. وهذا يدل على استغلامهم الاديان الساوية من أجل منافعهم الفردية .
 (٣) قدس : أكل الكد المجففة في رمضان خاصة وأدعى أنه لا يفطر في الشهر الا مرة أو مرتين .. نمس : من التاموس وهو المكر والخداع ، وشولس بالشعر : أي كدى على أنه من الزهاد الذين يلبسون الشعر ، والشالوسة : الزهاد .
 (٤) المصطبانيون الذين يدعون أنهم خرجوا من أيدي الروم بعد أن تركوا عندهم أهلهم رهائن ، فهم يجوبون الآفاق ليجمعوا الفدية ويدلون على ذلك بحمل الشعور والمصطبان الشعر الذي يحمله ذلك المكدي .
 (٥) كيسان : الذي تنسب اليه فرقة الكيسانية وهم من الغلاة ولذلك كان المكدون يستغلونهم ويدعون أنهم منهم فيأخذون ما يريدونه .
 (٦) أي الذي ينون على الحسين بن علي ويروي فضائله .
 (٧) أي منا قوم يحضرون الاسواق فيقف واحد جانبا ويروي فضائل أبي بكر ويقف الآخر جانبا ويروي فضائل علي بن ابي طالب فلا يفوتها درهم السني أو الشيمي وبعد ان يتفرق الناس يتقاسمان الدراهم . (ينظر قصة مكديين اعميين اتبعوا هذا الاسلوب في بغداد ، نشوار المحاضرة ١ / ٢٨١) .
 (٨) المطيع : يعني الخليفة المطيع .

يُكَدِّتِي مِنْ مَعَزِ الدَّوْلَةِ الْخَبْرَ عَلَى قَدْرِ

إننا اذ نقف عند هذه الأبيات من قصيدة أبي دلف لا نريد ان نطيل الكلام في فرق المكديين وحيلهم لكننا نشير الى أن هذه الظاهرة الشاذة ، الطاغية قد جرفت في تيار الولع بها وبطرقها كبار رجال الدولة كالمصاحب وعضد الدولة وغيرهما ، وهذا ما يدل على عمق تأثيرها وفعاليتها الاجتماعية .

لقد اتضح لنا في شعر أبي دلف العكبري طبائع كثيرة منحطة ، ووسائل لصوصية استغلالية عجيبة توصل بها المكدون لنيل أهدافهم المادية ، كما اتضح لنا من خلال الأبيات الاخيرة مدى غفلة الناس ، وانغمارهم في التعصب الديني والمذهبي ، والدرك الذي وصلت اليه قيادة هؤلاء الناس متمثلة بالخليفة المطيع الذي صار لعبة بيد السيد البويهبي معز الدولة فوصل به الامر الى أن يصبح شأنه شأن المكديين ، فهو يستعطي رزقه من معز الدولة البويهبي ، وقد أثبت لنا التاريخ صحة هذا القول فلم يكن الشاعر مبالغاً أو كاذباً ، فلقد ذكر أن « معز الدولة » خصص « للمطيع » مقداراً يومياً من المال يسد نفقاته (١) ثم عاد فقلصه ، ثم قطع عنه المال وأقطعته محله أرضاً تقوم ببعض حاجاته (٢) ، ولم يكن المطيع وحده الذي وقع تحت بلاء السلطة البويهبية فكثير من سادة العرب « علويين أو عباسيين » أو غيرهم كانت حالهم اردأ من حال المطيع ، حتى لقد وصل بهم الأمر أن يسألوا أو يثوروا .

بعد كل ذلك فقصيدة أبي دلف سجل حي ناطق بكل ما تتصف به طبقة المكديين من طباع وأحوال (٣) ، وهي أنموذج اجتماعي متحرك يؤدي غرضه بيسر لأنه يعتمد الصدق في تقرير الواقع الذي عاشه الشحاذون والسؤال آنذاك .

(١) ينظر البداية والنهاية ١١ / ٣١٤ .

(٢) ينظر الكامل ٨ / ٤٥٣ .

(٣) ينظر في أصناف المكديين ايضاً المحاسن والمساوي ٢ / ٤١٣ - ٤٣٦ .

القيمة الفنية :

إذا كان هناك من يمثل طبقته من الشعراء فان الاحنف العكبري عقيل بن محمد ت ٣٨٥ وأبا دلف الخزرجي مسعر بن مهلهل ت نحو ٣٩٠ هـ كانا يمثلان طبقة المكدين خير تمثيل .

فالأول « شاعر المكدين وظيفهم ومليح الحملة والتفصيل فيهم (١) » واما الثاني رجل « مشحوذ المدية في الكدية » « شاعر كثير الملح والظرف (٢) » لكنه في شعره « أبرد من تطرق الهموم فؤاده » سليط اللفظ سخيف العبارة .. وإذا كان شعر العكبري فيه شيء من الانفعال والصدق يجعله متحركاً مقبولاً فان شعر أبي دلف لا يعدو كونه مجموعة من الكلمات والالفاظ الغريبة « مقولية » بشكل قصيدة تقريرية— وهذا يصدق على الساسانية — تشبه الى حد بعيد الشعر التعليمي .

لقد كان شعر الكدية عامة وشعر أبي دلف خاصة بعيداً عن الخيال والانفعالات الذاتية ، انه شعر اجتماعي وصفني يحكي مأساة الانسان وانزلاقه وجبته .

ولقد حشا أبو دلف قصيدته الساسانية بكلمات كثيرة بعيدة عن روح الشعر ، تعافها الأذن وينبو عنها الذوق ، فجاءت تقريراً اجتماعياً مسهباً لا روح فيه ولا مشاعر ، وهذه القصيدة بما فيها من ألفاظ تفيد الى حد ما دارسي اللغة وفقهها .

على أننا يجب أن نبين قلة اغناء الفاظ المكدين التي وردت في هذه القصيدة للغة العربية ، لأنها ألفاظ وحشية منفرة ، وهي ترتبط بفتنة اجتماعية طارئة لا تتعدها ، ولذلك رأيناها تموت وتنعدم بعد أن قلت سورة أهل الكدية ولا نكاد نسمع أنها وردت في لغة الأدباء أو المتأدبين اللهم الا بعض الاستعمالات

(١) البيتمة ١٢٢ / ٣ .

(٢) نفسه ٣٥٦ / ٣ .

الوقتية التي أفاد منها الصاحب بن عباد في اغراباته اللغوية التي اتخذها ابن الحجاج وابن سكرة للتفكه والتندر والارتفاق .

ولا بد أن أبين بعد ذلك أن من أسباب انتشار أشعار أبي دلف والعكبري اهتمام الصاحب بن عباد وعضد الدولة وغيرهما من الرؤساء بشعرهما ولعهم بمفاكهما ونوادرها ، وحفظهم للالفاظ التي أوردها واجزأهم العطاء لهما .

لم يكن العكبري وأبو دلف هما شاعرا الكدية الوحيدان ، فقد شاركهما بهذا المقدار أو ذاك ابن سكرة وابن الحجاج وبديع الزمان الهمداني لكنهما مع ذلك ظلّا الشعارين البارزين المحترفين ، ولا يمكن أن نضع ابن الحجاج مثلاً في موازاة أحدهما لاننا نراه واحداً من أدعياء ومتشاعري الكدية وليس في شعره - وهو الموظف المترف - الروح التي نجدها في شعر العكبري أو أبي دلف ، ولذلك يخطيء من يرى أن « جل شعره في الكدية (١) » ويضعه موازياً لشاعريها المحترفين .

الخلاصة :

ظهر لنا من شعر المكدين كثير من العلامات المتميزة التي تدل على علاقات اجتماعية مهزوزة وبنيان مجتمع آيل للسقوط أو هو منهار فعلاً .. وليس أدل على هذا من وجود طبقة المكدين المهزومة باطارها الواسع وشكلها المخزي وتنظيماتها المنتشرة .

ولقد درسنا هذه الطبقة بشكل اجمالي فاستقرأنا شعراً لشعراء لم يسكنوا أو يستقروا في العراق كأبي دلف وبديع الزمان ، ولا نتصور هذا خروجاً على مألوف بحثنا انما هو رؤية واضحة لطبيعة هذه الطبقة المتغلغلة في كل المجتمعات المتشابهة جذورها المتشابهة الى حد بعيد بذورها ومسببات وجودها .

(١) ينظر الظرفاء والشحاذون ١١٢ .

ويساعدنا رؤيتنا في دراستنا لها بهذا الشكل المطلق كونها غير مقتصرة على بيئة العراق وحدها، وليس لها استقرار دائم في بيئة معينة بعد ذلك ، فالمكدون كالغجر وطنهم الذي يعطيهم الخبز والدرهم والدفء (١) .

على أن منبعهم المصدّر يظل بغداد بخاصة والعراق بعامة ذلك لأن العراق أو بغداد مركز السلطان وبؤرة الفن والاضطراب ، وعليها يتكالب الطامعون فيقع بسبب ذلك ما يقع من مجاعة وتشرد واذلال تؤدي كلها الى استمرارية توالد وتكاثر المكدين والسؤال .

(١) لقد تحطت هذه الفكرة الغجر والمكدين الى بعض الناس الذين استشعروا ثقل هموم الحياة ومظالم الحكام وارتباك كيان المجتمع وخلقه لذا نسمع محمد بن حماد البصري يقول :
إن كان لا بد من أهل ومن وطن فحيث آمن من أهوى ويأمني
يا ليتني منكر من كنت أعرفه فلست أعشى اذى من ليس يعرفني
تمه اليتيمة / ١ / ١٤ .

الفصل السادس

الزهاد والمتصوفون

الزهد :

ينشأ الزهد (١) عادة بسبب ما يكتنف الحياة من تعقد لا يستطيع مواجهته بعض الناس ، لذلك يلجأ اليه في محاولة للهرب (٢) والتخلص من المتاعب التي تنتظر من ينغمر بمثل هذه الحياة الصعبة مغطياً بذلك على هربه أو معلناً عن سخطه (٣) .

وفي الزهد الاسلامي برز سبب آخر لوجوده ، هو الايمان المطلق بالله وبعقابه وثوابه ، ولهذا أراد الزهاد أن يتعدوا عن الحياة كي لا تصيبهم شرورها أو تنوشهم آثامها فيأخذونها معهم الى الدار الاخرى وينالون جزاءها نار الله الكبرى .

وقد كان الزهد الاسلامي أول أمره محدوداً يوازن بين العمل الدنيوي

-
- (١) ينظر في الزهد قوت القلوب ١ / ٤٩١ - ٥٥٠ ، التصوف في الشعر العربي لعبد الحكيم حسان ١٦٩ - ٢٣٩ وفيه دراسة جيدة عن الشعر الزهدي وتطوره .
- (٢) ينظر العقيدة والشريعة لكوئلدزهر ١٤٧ ، ويقول ان الشعار الذي نقشوه على لوائهم « الفرار من الدنيا » .
- (٣) نفسه ١٤٦ ، ويرى « أن الميل الى الزهد كان مرتبطاً بالثورة على السلطة القائمة » . ويستشهد بمحادثة بترها من اسد الغابة ٣ / ٨٨ .

والواجب الديني ويمنع الى حد ما الانغمار في الغيبيات .. قال الله تعالى « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » (١) وقال رسوله « انما حجب اليّ من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » (٢) ولا ننسى بعد ذلك الدعوات الكثيرة التي لهج بها القرآن والرسول والصحابة وهي تدعو الى العبادة والعمل الارتزاقى الخيّر أيضاً .

التصوف :

في نشأة التصوف آراء كثيرة ومتعددة منها ما يقول أن الصوفية هم من جملة الزهاد (٣) ومنها ما يرى أن التصوف تطور عن الزهد (٤) ومنها ما يقول أن التصوف كان معروفاً قبل الاسلام ، ومن هذه الآراء ما هو متطرف يرى (٥) « أن التصوف خليق بان يصحب كل نزعة شريفة من النزعات الوجدانية فيكون في الحب ويكون في الولاة ويكون في السياسة حين تقوم على مبادئ تتصل بالروح والوجدان » وهناك بعد ذلك آراء ترى ان التصوف لم يكن اسلامياً صرفاً ، فهو قد تأثر بالعقائد الهندية (٦) وقلد طرق الرهبان البوذيين (٧) كما أن العامل المسيحي هو من أقدم العوامل وأبعدها اثراً في التصوف الاسلامي ويشترك مع المسيحية في صفات أهمها التوكل الكلي على الله والحب الالهي ولباس الصوف الذي بالغ فيه متصوفة

-
- (١) القصص ٧٧ وتنظر الآيات الآتية في الدعوة للزهد أو العمل المنافيين ٩ ، الاعراف ٢٠٤ ، المائدة ٩٠ .
- (٢) وينظر في أحاديث تدعو الى الزهد والعمل أيضاً ، الاربعين في التصوف ص ١٣ .
- (٣) تلبس ابليس ١٦٠ .
- (٤) ينظر نصوص في التصوف الاسلامي البير نصري نادر ١٦ وما بعدها ، وينظر فلسفة التصوف .
- (٥) التصوف الاسلامي ١٩/١ .
- (٦) العقيدة والشريعة ١٦١ ، في ذكرى ابي العلاء فله حسين .
- (٧) تاريخ الفلسفة الاسلامية ١ / ٢٩٥ .

الاسلام (١) ، ولا تنسى هذه الآراء تأثير الفلسفة اليونانية (٢) أو المذاهب الفارسية (٣) في الذهنية الصوفية .

ان كل هذه الآراء وغيرها لا يمكنها أن تغير ما نراه من نشوء كيان جديد واطار مستقل للصوفية الاسلامية ، واذ كنا لا ننكر أثر الاقوام الاخرى في التصوف الاسلامي فاننا أيضاً نضيف قائلين بأن ما واكب الحياة الاجتماعية من شرور وموبقات أدى الى خلق العزلة عند بعض الناس ، هذه العزلة نمت فكر هذا البعض ودفعته الى الاطلاع الواسع ، فنشأ ما تعارفنا عليه بالتصوف الاسلامي ، ونريد بالتصوف الاسلامي ، التصوف المرتبط بالافكار الفلسفية والذهن الواسع .

أصل كلمتي صوفي وتصوف ونسبتهما :

عرف العرب الانتقطاع لله وترك الدنيا قبل الاسلام وتمثل ذلك في رجال كثيرين لا يغيب عن ذهن واحد منا اسم ورقة بن نوفل وأميمة بن أبي الصلت وعبيد الله بن جحش وغيرهم من المتحنفين والعرافين والكهنة (٤) ، وكل هؤلاء لم يطلق عليهم ولا على مذاهبهم اسم يشير الى كلمة صوفي أو تصوف ، ويمكن الشك في أقوال من يرى أن العرب عرفت هاتين الكلمتين قبل الاسلام (٥)

(١) ينظر تاريخ الفلسفة الاسلامية ١ / ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، وينظر التصوف الثورة الروحية في الاسلام ٨١ ، ٨٢ .

(٢) تجديد ذكرى ابي العلاء ٧٨ ط ٦ .

(٣) تاريخ الفلسفة في الاسلام ٧٢ تأليف ج. دي بور .

(٤) ينظر بلوغ الأرب ٢ / ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٩ ، واماكن اخرى .

(٥) المص ٤٢ - ٤٣ وينقل الاستاذ مصطفى عبد الرزاق آراء الطوسي دون أن يرفضها أو يؤكدتها لكنه يرى رايًا لطيفاً في اسم الصوفية والمتصوفة يجمله أن زمن الرسول والصحابة والتابعين لم تكن حاجة لابتداع اسم للعابد غير كلمة صحابي أو تابعي « فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده » سمي من تعبد زاهداً أو عابداً ، « ثم ظهرت الفرق الاسلامية ... فانفرد خواص أهل السنة المقبولون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة » دائرة المعارف الاسلامية ٢٧٥ / ٥ .

أو أول أيامه (١) ، وإذا كانت كلمة صوفي قد قيلت بشكل عرضي لهذا العابد أو ذلك فهذا لا يسوغ التأكيد المطلق على معرفتها وشيوعها أو تداولها ، لأنها لم تأخذ شكلها المتعارف عليه الا قبل المائة الثالثة للهجرة بقليل ، انها « اسم محدث بعد الصحابة والتابعين » (٢) .

ومثلما اختلف الباحثون في تاريخ كلمة صوفي أو تصوف اختلفوا في نسبتها واشتقاقها وتضاربت أقوالهم الى أي أصل ترجع ، أترجع الى الصوف أم الى رجل اسمه صوفة أم الى الكلمة اليونانية « سوفيا » أي المعرفة أم الى الثمرة المعروفة باسم صوفانة أم الى غير ذلك (٣) ؟!

ولقد أبدى أبو الفتح البستي رأيه فقال (٤) :

تنازع الناس في الصوفيّ واختلفوا فيه وظنوه مشتقاً من الصوفِ
ولست أنحل هذا الاسم غيرَ فتى صافي فصوفي حتى لقبَ الصوفي
ومهما تعددت الاستنتاجات والاقوال تظل النسبة الى الصوف هي الارجح
الاعم .

ما هو التصوف ، ومن هو الصوفي :

ليس كل من لبس الصوف وأظهر الرقة والتدين صار صوفيا عابداً مؤمناً ، فالصوفي من صفا من الكدر ، وامتلاً من الفكر ، وانقطع الى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدبر (٥) وهو الذي لا يتعبه طلب ولا يزعبه

(١) الاربعين في التصوف : ٧ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٢٧٥ .

(٣) التعرف ٢١ - ٢٦ ، عوارف المعارف ٥٩ وما بعدها ، الرسالة القشيرية ٢ / ٥٥٠ وما بعدها ، زهر الآداب ٢ / ٨١٠ وما بعدها ، تلبس ابليس ١٦١ ، ١٦٢ ، دائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٢٦٥ ، التصوف الاسلامي ١ / ٤٩ وما بعدها .

(٤) زهر الآداب ٢ / ٨١٣ .

(٥) عوارف المعارف ٥٧ وينظر تعريف التصوف الكشكول ١ / ٨٠ .

سلب (١) لانه من (قوم آثروا الله على كل شيء فأثرهم الله على كل شيء) فهم عباد مؤمنون (٢) (رضي الله عنهم ورضوا عنه) (٣) .
 قوم همومهم بالله قد علقت فما لهم همم تسمو على أحد فمطلب القوم مولاهم وسيدهم يا حسن مطلبهم للواحد الصمد ما أن تنازعهم دنياً ولا شرف من المطاعم واللذات والولد (٤)
 ان الصوفي يرى التصوف كما قال عنه سمنون : « أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء » (٥) لانه نزع عن نفسه رداء الحياة ولبس ثوب العبادة وانقطع بكله الى الله .

وكل هذه الاقوال وغيرها تبرز لنا طبقة المتصوفة ، وكأنها خالية من الشوائب والشور ، ولكن الملاحظ ان هذه الطبقة حملت في داخلها تناقضاً عجيباً ولد أموراً غريبة وشاذة ، وسبب كل هذا اتساع حركة التصوف وتعدد طرقها وكثرة أعضائها وتفاوت نقاوتهم وصدقهم .

ومما يدل على وجود نوعيات صوفية رديئة برزت بعد هذا الشعب والاتساع قول الطوسي (٦) « واعلم أن في زماننا هذا كثر الخائضون في علوم هذه الطائفة ، وقد كثر المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون اليها والمجيبون عنها وعن مسائلها » .

ولهذا ظهرت نظرة شك وريبة الى بعض هؤلاء حتى ان قسماً من الناس بات يرى ان التصوف « ضرب من اللهو واللعب وقلة المبالاة (٧) » ولذلك

(١) اللع ٤٥ قاله ذو النون المصري ترجمته في حلبة الاولياء ٣٣١/٩ وما بعدها ٣/١٠ وما بعدها .

(٢) اللع ٤٥ القشيرية ٥٥٥/٢ قاله ذو النون .

(٣) التوبة ١٠١ ، المائدة ١٠١ .

(٤) التعرف ٢٦ ، عوارف المعارف ٥٧ .

(٥) اللع ٤٥ ، القشيرية ٥٥٢/٢ ترجمة سمنون حلية الاولياء ٣٠٩/١٠ .

(٦) اللع ١٩ .

(٧) نفسه ٢١ .

« يسرف في الطعن وقبح المقال » في الصوفيين « حتى ينسبهم الى الزندقة والضلالة (١) » .

ولقد سجل لنا الحلاج وجود مثل هذه النوعيات حينما نظر الى المتصوفة فعافت نفسه تهويمات وحيل ومخرقة بعضهم فقال (٢) :

ليس التصوف حيلةً وتكلفاً وتقشفاً وتواجداً وصياحاً
ليس التصوف كذبةً وتظالماً وجهالةً ودعابةً ومزاحاً
بل عفةً ومروءةً وفتوةً وقناعةً وطهارةً وصلاحاً

ان نظرة الحلاج هذه ، زيادة على أنها تبين بوضوح تداخل التصوف مع أعمال الدجل ، تبرز غيرة الحلاج على مذهبه ، وصدق مشاعره الدينية والانسانية (٣) .

ونظر طاهر بن الحسين المخزومي البصري (٤) الى جماعته الصوفية فهاله أن يرى مجموعة بائسة من لبسة المرقعات ، المتظاهرين زوراً ودجلاً بمظاهر الصوفيين ، العابثين في حياتهم عبثاً يبعث في نفس الشاعر الرثاء للتصوف الذي أبطل بمثلهم لذلك قال معرفاً بالمتصوفين المخلصين ، فاضحاً وجود دعاة مشبوهين بينهم (٥) :

ليس التصوف ان يلاقيك الفتي وعليه من نسج النموس مرقع
بطرائق سود وبيض لفتت وكأنه فيها غراب أبقع
ان التصوف ملبس متعارف يخشى الفتي فيه الإله ويخشع

(١) نفسه ، وقد أكثر ابن الحوزي في ذم المتصوفة ونسبهم الى الضلالة والزندقة في مواضع كثيرة من كتابه تلبس ابليس من ١٥٠ - ٣٩١ .

(٢) الديوان ٨١ .

(٣) تنظر الدراسات الحديثة المهمة التالية عن الحلاج (أ) شخصيات قلقة ٧٠ وما بعدها (ب) الفلسفة الصوفية في الاسلام ٣٢٥ وما بعدها (ج) دائرة المعارف الاسلامية ١٧ / ٨ (د) التصوف في الشعر العربي عبد الحكيم حسان ٣٣٨ وما بعدها .

(٤) ترجمة في تممة اليتيمة ٢٠ / ١ .

(٥) نفسه ٢٢ / ١ .

ولقد كثرت بوجود مثل هؤلاء الدعاة « الاحاييل الصوفية » وانتشرت حولهم تقولات لا تحدم حركتهم انما تسيء اساءات بالغة لما تعدده من حيلهم والاعيبهم .

وقد تبرأ ابو بكر العنبري المتصوف من هؤلاء المحتالين ونفى ان يكون كل من لبس الصوف صوفياً فقال (١) :

ليس التصوف بالقوط من قال ذاك فقد غلط
ان التصوف يا فتى صفو الفؤاد من السقط
ومن الحيل التي كان يقوم بها بعض الصوفية وعظ الحكام وابتز الاموال منهم وقد جازت حيلة أحدهم على بكم « فعضّ على شفتيه وقال : انا لله حيلة تمت عليّ ، كلنا صيادون لكن الشباك تختلف (٢) » .

وقد اورد لنا الثعالبي كثيراً (٣) من التهكمات بالمتصوفة ووصفهم بأنهم « رقصة أكلة » كما أثبت نصوصاً تبين مدى نهمهم وانحطاط تصرفاتهم فقال مثلاً : (٤) وقد أفصح بعض الظرفاء عن حقيقة وضعهم وجليه حالهم ، فقال وما قال الا الحق :

صَحِبْتُ قوماً يقول قائلهم نحن على ذي الجلال متكلمه
فالوقت ، والحال ، والحقيقة والبرهان ، والرقص عندهم مسأله
فلم ازل خادماً لهم زمنناً حتى تبينت أنهم أكلته
وقال الثعالبي أيضاً :

« أنشدت لأبي عمر بن عبد الله الهرتد فيهم »

(١) نفسه ٦١ / ١ .

(٢) نشوار المحاضرة ١ / ٢٨١ وفي هذا الكلام اعتراف شخصي بفساد الحكام وكثرة مظالمهم .

(٣) المضاف والمنسوب ١٧٤ .

(٤) نفسه ١٧٦ ، وفي المعنى نفسه يورد ابن الجوزي قصيدة جاء فيها :

فلم ازل خادماً لهم زمنناً حتى تبينت أنهم سفله
ان اكلوا كان أكلهم سرفا أو لبسوا كان شهرة مثله

ينظر تلبس ابليس ٣٧٦ .

ديننا لدنيا	مأكَلَهْ	تَبَّأَ لِقَوْمٍ	جَعَلُوا
صُوفِيَّةٌ	مُحْضِبَلَهْ	تَسْتَرُوا	بِأَنَّهُمْ
قِمَامَةٌ	فِي مِزْبَلَهْ	وَمَا يَسَاوِي	نَسْلُهُمْ
مِنَافِقُونَ	أَكَلَهْ	وَهُمْ	إِذَا فَتَشْتَهُمْ

ونجد مثل هذا التحامل القاسي عند أبي العلاء المعري في مواضع عديدة من أشعاره وفي قوله مثلاً (١) :

لقد جثم بشيء	مستحيل	أرى جيلَ التصوف	شرَّ جيل
كلوا أكلَ البهائم	وارقصوا لي	حين عشقتموه	

ويتوضح لنا من خلال هذه الابيات ولع المتصوفة بالاكل وشرهم عليه وانحراف الكثير من رجالهم عن طريق التدين الصحيح الى طريق الدجل والمخرقة والتظاهر الخبيث بأمور بعيدة عن جوهر الحقيقة الصوفية الاصيلية ، فغدا التصوف في القرن الرابع غربياً عما كان عليه أول أمره وهذا ما حدا بالشاعر أن يقول (٢) :

أهل التصوف	قد مَضُوا	صار التصوفُ	مخرقةً
صار التصوفُ	ضجَّةً	وتواجداً	ومطبقةً

بعد هذه الأقوال التي قد تصدق كلها أو بعضها ، أو قد تكون تحاملاً وبهتاناً ، يجب أن لا نمسك بالجوانب السلبية من المتصوفة ونترك الجوانب الايجابية التي تمثلت في شجاعة بعضهم وصراحتهم ووقوفه بوجه التيار الزائف لحركة الصوفية .

يعدّ شعر الزهد المقياس الحقيقي الذي يمكنه أن يبين مقدار تغلغل الايمان في نفس الزاهد ، كما يمكنه أن يوضح مقدار ثبات الزاهد أو ضعفه ازاء مغريات الحياة وصعوباتها .

(١) تليس ابليس ٣٧٧ .

(٢) المع ٤٧ ، تليس ابليس ٣٧٦ .

نجد مثلاً زهداً شامخاً ثابتاً قوي الإرادة امام الاغراء السافر للحياة عند الحسين الحلاج في قوله (١) :

دنيا تغالطني كـأني لستُ أعرف حالها
حظّر المليكُ حرامها وأنا احتमितُ حلالها
فوجدتها محتاجةٌ فوهبت لذتها لها

ان في هذا الزهد سمواً وتعالياً وامسكاً شجاعاً بغرائز النفس لثلاث تجمع ،
فهو استشعار للذة عن طريق الألم حيث ينبعث من خلال هذا الاستشعار سلوان
وفرح وكبرياء .

عليك يا نفسُ بالتسلي العز بالزهد والتخلي (٢)

وقد نجد عند آخرين استصغاراً للحياة الدنيا يولد بعد ذلك « زهداً
وجودياً » ان جاز القول فحينما يستشعر هؤلاء قرب الموت ويتذكر نهاية
الانسان وما يؤول اليه بعد العدم ، يغم وتصيبه سوداوية وتشاؤم ، فينفر من
المتشبين بالحياة ويقول مثلما قال ابو الحسن علي بن محمد البلدي (٣) :

لا تحسّن على تظاهر نعمة شخصاً تبيت له المنونُ بمرصد
أوليسَ بعدَ بلوغه آماله يفضي الى عدم كأن لم يوجد
لو كنت أحسد ما تجاوز خاطري حدّ النجوم إلى بقاء سمردي

وبهذه النظرة نفسها يضاف اليها الالم المتولد من رؤية المجتمع وهو فأنم
لا يحس بوطأة المآسي التي تهبط عليه كل يوم ينظر ابن نباتة فيقول (٤) :

وتأخذ من جوانبنا اللساني كما أخذ المساء من الصباح
أما في أهلها رجلٌ لييبس يحس فيشتكي ألم الجراح

(١) تاريخ بغداد ٨ / ١١٧ ، البداية النهاية ١١ / ٣٢٤ .

(٢) الديوان ٨١ .

(٣) المقاييس ٢٩٨ ترجمة البويهي في اليتيمة ٣ / ٣٤٣ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٣٨٥ ، المقاييس ٢٩٦ .

أرى التشميرَ فيها كالتواني
ومن لبس التراب كمن علاه
وكيف يكدم مهجته حريص
وقد تحذعك انفاسُ الرياح
وحرمانَ العظيمة كالنجاح
يرى الارزاقَ في ضرب القيداح

ان زهداً مثل زهد ابن نباته هذا أو زهد الوزير المهلبى (١) أو غيرهما
مسبب بفعل تسلط عوامل ذاتية ونفسية وخارجية دفعت مثل هؤلاء المتنعمين
في الحياة الى التشبث بأذيال الزهد بعد أن اشتد بأس هذا التسلط وأخذ بخناق
هؤلاء الناس وضرب مصالحهم وترفعهم انه زهد وقتي يزول يزوال مسبباته .
وان أردنا أن نعري نوعاً جديداً من الزهد، وجدنا ذلك عند بعض العلماء
والفلاسفة ، ويمكننا أن نطلق على زهد هؤلاء اسم الزهد الحريص الواعي ،
ومثل هذا الزهد يتوضح في شعر ابي سليمان المنطقي محمد بن طاهر (٢) ت
نحو (٥٣٨٠) .

حينما قال (٣) :

بَكَيْتُ عَلَى مَفَارِقِ الشَّبَابِ	وَأَيَّامِ الْبَطَالَةِ وَالتَّصَابِي
وَأَيَّامِ التَّغَازِلِ وَالدَّلَالِ	وَأَيَّامِ التَّجَنِّيِ وَالعَتَابِ
مَضَتْ فَكَأَنَّمَا لَمَّا تَوَلَّتْ	مَعْقِبَةً نَفْسًا بِالْعَقَابِ
لَتَبْلِي كُلَّ مَلْبُوسٍ جَدِيدٍ	وَتُخْرِجُ كُلَّ مَعْسُولٍ بِصَابِ
بِيَاضِ الشَّيْبِ أَعْلَامُ الْمَنَابِي	نُشْرِنُ نَذِيرَةَ لَكَ بِالذَّهَابِ
هُوَ الْكَفْنُ الَّذِي يَبْلَى وَشِيكًا	وَيَأْتِي بَعْدَهُ كَفْنُ التَّرَابِ

اننا نجد مع حرص المنطقي ، ولوعته ، وأسفه على الايام التي قضاها ولم
ينتفع منها الا بالامور الدنيوية ديمومة في التفكير بالموت والنهاية ، وفي هذا
التفكير دافع آخر للزهد والعبادة .

(١) مر الكلام على زهد المهلبى في الفصل الثالث .

(٢) ترجمته في الاعلام ٤١/٧ ويأتي ذكره في أماكن عديدة من المقاييس والامتاع
والموانسة .

(٣) المقاييس : ٢٩٩ .

ان شعر الزهد كثير وهو بمجموعه لا يعدو أن يكون تعبيراً عن بداية لهزيمة الانسان من الحياة وقد يكون تعبيراً واضح عن هذه الهزيمة ومع هذا لم يصل في التهويم والغيبية الى ما وصل اليه شعر الصوفيين الذي سيأتي تفصيل احوال قائله من خلاله .

أحوال الصوفية ومقاماتهم :

للصوفية أحوال ومقامات يختصون بها لا نجدها عند غيرهم من الناس ، والمقام « معناه مقام العبد بين يدي الله فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع الى الله عز وجل (١) » ومن المقامات التوبة والورع والزهد والتوكل والفقر والصبر والرضا (٢) وهذا يعني ان المقامات تعبير عن « درجات العبادة (٣) » التي يتقنها الصوفي .

أما الحال فمعناه « ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب (٤) » قال الجنيد والحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم (٥) ومن الاحوال القرب والمراقبة « السكر والصحو والمحبة والخوف والرجاء والانس والطمأنينة واليقين (٦) » وهذا يعني أن الاحوال تواردت نفسية آنية تأتي الى الصوفي أثناء تخلصه من عالم الواقع وتحليقه في عالم الخيال والتهويم .

إذاً فالحال زائلة والمقام ثابت « والاحوال مواهب والمقامات مكاسب والاحوال تأتي من غير الوجود والمقامات تحصل ببذل المجهود .. وقالوا الاحوال كاسمها يعني أنها كما بالقلب تزول في الوقت وأنشدوا :

لو لم تحل ما سُمِّيَتْ حالا وكل ما حلّ فقد زال

(١) اللع ٦٥ . وتنظر القشيرية ١ / ١٩٩١ .

(٢) اللع ٦٥ . وتنظر الرسالة القشيرية ١ / ٢٥٣ وما بعدها .

(٣) التصوف في الشعر العربي ٦٣ .

(٤) اللع ٦٦ . وتنظر القشيرية ١ / ١٩٣ .

(٥) نفسه .

(٦) القشيرية ١ / ١٩٦ وما بعدها .

أنظر الى الفيء إذا ما انتهى بأخذُ في النقص إذا طالا (١)
ان هذه الاحوال والمقامات التي ترافق الصوفي أينما كان ، قد تكون
تصرفات مفتعلة يموه بها على الناس ليسبغ على نفسه هالة من الرهبة والتقديس
ويستدر احترامهم وتقديرهم معوضاً بذلك عما يحس به من ضعف في مقدرته
على خلق مكانة اجتماعية لنفسه بأسلوب حياتي طبيعي .

اننا نذكر قسماً من أحوال ومقامات الصوفية التي وجدنا لها ما يمثلها أو
يفسرها من الشعر الصوفي أما الاحوال والمقامات التي لم نذكرها فهي كثيرة
ومتشعبة وقد أكثر من ذكرها معظم مؤرخي التصوف الاسلامي القداماء ،
حتى ان بعضهم أفرد عشرات الصفحات عن مقام واحد أو حال واحدة (٢) .

١ - الوجد والتواجد والوجود :

أما الوجد فقد تعددت الاقوال في ماهيته (٣) فقال قسم : انه المصادفة
وقال قسم : انه المكاشفة ، وقال قسم : انه « لا يقع على كيفية الوجد عبارة
لأنها سر الله تعالى عند المؤمنين الموقنين (٤) » وأرى أن أحسن تعريف شامل
للووجد هو ما جاء به الكلاباذي حين قال (٥) : « ومعنى الوجد : هو ما
صادف القلب من فزع أو غم أو رؤية معنى من أحوال الآخرة ، او كشف
حالة بين العبد والله عز وجل » .

والشبلي بعد ذلك يرى أن الوجد هو المشاهدة كما في قوله (٦) :

الوجد عندي جحود ما لم يكن عن شهودي

(١) الرسالة القشيرية ١ / ١٩١ .

(٢) ينظر مثالا لذلك ما كتبه صاحب قوت القلوب عن التوكل ٢ / ٣ - ٧٥ ، ينظر في

شرح الحال والمقام و الفرق بينها . عوارف المعارف ٤٦٩ .

(٣) ينظر اللمع ٣٧٥ ، التعرف ١١٢ ، القشيرية ١ / ٢٠١ .

(٤) اللمع ٣٧٥ .

(٥) التعرف ١١٢ .

(٦) التعرف ١١٣ .

وشاهد الحق عندي يغني شهود الوجود
وأما التواجد فهو أضعف من الوجد لانه اظهاره « فمن ضعف وجوده
تواجد (١) » .

وربما يكون التواجد على هيئة صياح أو اغماء أو تصرفات أخرى تدل
على فقدان سيطرة العقل الظاهر على المشاعر الروحية المتدفقة .

ذكر ان الشبلي تواجد يوماً فضرب يده على الخائط حتى عملت عليه
يده فعمدوا الى بعض الاطباء فلما أتاه قال للطبيب : ويلك بأي شاهد جئتني ،
قال : جئت حتى أعالج يدك ، فلطمه الشبلي وطرده ، فعمدوا الى طبيب
ألطف منه فلما أتاه قال له : ويلك بأي شاهد جئتني ؟ قال : بشاهده ،
فأعطاه يده فبطّتها وهو ساكت ، فلما أخرج الدواء يجعله عليها صاح وتواجد
وترك اصبعه على موضع الداء وهو يقول :

أنبئتُ صبايتكم قرحةً على كبدِي
بتّ من تفجّعكم كالاسير في الصفدِ (٢)

وأما الوجود فهو اعلى مراحل الوجد أو « هو بعد الارتقاء عن الوجد » (٣)
وقد أنشد شاعرهم (٤) :

وجودي أن أغيبَ عن الوجود بما يبدو عليّ من الشهـودِ
وأحسن أنواع الوجود وجود ابن عطاء حين قال (٥) :

إذا ما وجود الناس فات علومهم فعلمي لوجدي صاحب وقرين
ولأن الوجود هو أعلى مراحل الوجد قالوا : التواجد بداية والوجود

(١) نفسه ١١٢ .

(٢) اللمع ٣٧٩ ويبدو ان تواجد الشبلي هو اخف انواع التواجد إذا قيس بما فعله ابن
الفارض فيما بعد - حين رقص وتعرى في السوق أمام الناس .

(٣) التفسيرية ٢٠٣ / ١ .

(٤) نفسه ٢٠٣ / ١ .

(٥) طبقات الصوفية ٢٦٩ .

نهاية والوجد واسطة (١) ويرى ابن الجوزي في هذه الاحوال تلبساً بالغ فيه ابليس على الصوفية (٢) .

المحبة والشوق :

المحبة « هي ميل القلوب أي أن يميل القلب الى الله والى ما لله من غير تكلف » (٣) وهي « استهتار القلوب بالثناء على المحبوب وايتار طاعته والموافقة له (٤) » .

وتظهر هذه المحبة في الشعر الصوفي بقالب مادي فتبدو كأنها متوجهة الى انسان لا لإله ، سئل ابن عطاء عن الشوق (٥) فقال : « هو احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الاكباد من البعد بعد القرب » ، وقد أنشدوا له (٦) :

غرست لأهل الحب غصناً من الهوى ولم يكُ يدري ما الهوى أحدٌ قبلي
فأورقَ أغصاناً وأينع صبوةً وأعقب لي مرأً من الثمر المحلي
وكل جميع العاشقين هواهمُ اذا نسبوه كان من ذلك الاصلِ
وسئل ابو الحسن علي بن ابراهيم الحصري (٧) (ت ٣٧١) : هل
يحتشم المحب أو يفزع ؟ فقال : الحب استهلاك لا يبقى معه صفة وانشأ
يقول (٨) :

قالت : لقد سؤتنا في غير منفعة بقرعك الباب ، والحجاب ما هجعو

-
- (١) الرسالة القشيرية ١ / ٢٠٣ .
 - (٢) ينظر تلبس ابليس ٢٥٠ وما بعدها .
 - (٣) التعرف ١٠٩ ، وينظر في المحبة والمحبين قوت القلوب ٢ / ٩٩ - ١٦٤ .
 - (٤) المع ٨٧ .
 - (٥) عوارف المعارف ٥١١ .
 - (٦) القشيرية ٢ / ٦١٧ .
 - (٧) ترجمته في طبقات الصوفية للسلمي ٤٨٩ ، القشيرية ١ / ١٨٣ ، الشمراني ١ / ١٤٥ تاريخ بغداد ١١ / ٣٤٠ .
 - (٨) طبقات الصوفية ٤٩٢ .

ماذا يريبك في الظلماء تطرقنا ؟ قلت : الصباية هاجت ذاك والطمع
 قالت : لعمرى لقد خاطرت ذاجزع
 حتى وصلت ، فهلا عاقلك الجزع
 فقلت : ما هو الا القتل أو ظفر بما يزول به عن مهجتي الهللع
 وهو يقول أيضاً (١) :

إن دهرأ يلف شملي بسلمي لزمان يههم بالاحسان
 « وقيل : حبس الشبلي في (المارستان) فدخل عليه جماعة فقال : من
 أنتم ؟ قالوا : إننا محبوبك يا ابا بكر ، فأقبل يرميهم بالحجارة ففروا ، فقال :
 ان ادعيتم محبتي فاصبروا على بلائي (٢) » .
 وقد أنشدوا له في الحب (٣) :

يا أيها (٤) السيد الكريمُ حبك بين الحشا مقيمُ
 يا رافع النوم عن جفوني أنت بما مرّ بي عليهمُ
 « وقيل شوق أهل القرب أتم من شوق المحجوبين » ولهذا أنشدوا (٥) :
 وأبرح ما يكون الشوق يوماً اذا دنت الخيام من الخيام
 اننا نجد في أقوال ابن عطاء والحصري وغيرهما علاماً بارزة من العشق
 المادي ، ولن يغطي هذه العلام الأيحاء بأن هذه الكلمات هي رمز للمحبة
 الروحية الدفينة وقد نجد مثل هذه المحبة الروحية ظاهرة عند مسمون المحب
 حين يقول (٦) :

(١) طبقات الصوفية ٤٩٣ .

(٢) القشيرية ٢ / ٦٢٠ .

(٣) القشيرية ٢ / ٦٢٠ .

(٤) في الاصل « أيها » ولا يستقيم معها الوزن .

(٥) الرسالة القشيرية ٢ / ٦٣٠ .

(٦) طبقات الصوفية ١٩٧ .

فلما دعا قلبي هواك أجابه فليست أراه عن فنائك يبرح
فان شئت واصلني وان شئت لا تصل
فليست أرى قلبي لغيرك ينزح

أو الشبلي حين يقول (١) :

يحبك قلبي ما حبيت وإن أمت يحبك عظم في التراب رميم
وقد « يفلسف » بعضهم شدة حبه وشوقه وسطوتهما عليه بكلمات
وأقوال متداخلة المعاني كما يظهر ذلك في شعر أبي عبد الله بن محمد الراسبي
(ت ٣٦٧) (٢) .

ولقد أفارقه باظهار الهوى وعمداً ليستر سره اعلانه
ولربما كم الهوى اظهاره ولربما فضح الهوى كتمانهُ
عبي المحب لدي الحبيب بلاغة ولربما قتل البليغ لسانهُ
كم قد رأينا قاهراً سلطانهُ للناس ، ذلّ لحبه سلطانهُ

اننا نستقرئ كل ما قاله الصوفية في المحبة والشوق فنجده معبراً في
الاغلب عن مشاعر حاملة تشعرك بصدق الود وقوة الوشيجة بين الحبيين ،
وقد يكون هذا الصدق منبعثاً عن قوة ايمان بالله أو لا يكون ، ولقد ذهب
بعضهم (٣) الى ان الايمان هو العشق (فحينما قلت آمناً فكأنما قلت عشقنا) ،
لان « الذي يشهد بكلمة لا اله الا الله أصبح عاشقاً (٤) »

ولا يبعد أن تكون هذه المشاعر عواطف انسانية حييسة اندفعت غزيرة
تجاه حب الله الذي استعاض به الصوفي عن الحب الجسدي الملوث .

ان في خيال الصوفي وهو يستشعر هذه المحبة وهذا الشوق ويلتذ بهما

(١) الديوان ١٢٣ ، حلبة الاليا . ٣١٧/١٠

(٢) نفسه ٥١٤ . وترجمة الراسبي في الشعرا في ١ / ٤٧ .

(٣) بين التصوف والحياة للتدوي ١٤١ .

(٤) بين التصوف والحياة للتدوي ١٤١ .

صورة مثالية للعشق الخالي من الشوائب والادران ، وهو بدافع من الغرائز المكيوتة في داخله يظهر هذا العشق على شكل كلمات يفرغ فيها كل ما يحمله من تأزم منفساً بذلك - دون علم أو ارادة - عن كبت جنسي حبيس .

التوكل :

التوكل في المفهوم الصوفي هو « الاستسلام لجرمان القضاء والاحكام (١) » وقال صاحب « قوت القلوب » : أنشدنا بعض العلماء لبعض الحكماء (٢) :

ولما رأيت القضا جارياً ولا شك فيه ولا مرية
توكلت حقاً على خالقي والقيت نفسي مع الحرية

وكان الصوفية يرون في التوكل على الله جزءاً من ايمانهم ولذلك قال بعضهم : « من طعن في التوكل فقد طعن في الايمان لانه مقرون به (٣) » .

وقد أحس بعض المتصوفة بما يسببه التوكل من ارتزاق فيه بعض الشعور بالتقصير فقال الشبلي مثلاً : « التوكل كدية حسنة » وقد يبلغ التوكل بأحدهم أحد القول :

أنا حامدٌ أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا نائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين بنصفها فكن الضمين لنصفها يا باري

كما بلغ الاهتمام بالتوكل درجة قصوى أدت بالمؤلفين أن يضعوا له صفات واحكاماً مسهبة في شرحها والاستشهاد والتدليل على صحتها ، ويكفي ن نذكر بأن صاحب قوت القلوب قد خصص كلاماً للتوكل استغرق أكثر من سبعين صفحة (٤) .

(١) الرسالة القشيرية ١ / ٣٧٢ .

(٢) قوت القلوب ٢ / ٧٢ .

(٣) قوت القلوب ٢ / ٥ ، الرسالة القشيرية ١ / ٣٧٣ .

(٤) ينظر قوت القلوب ٢ / ٣ - ٧٥ ، وينظر أيضاً الرسالة القشيرية ١ / ٣٦٧ - ٣٨٢ .

السكر :

السكر « هو أن نغيب عن تمييز الأشياء ولا نغيب عن الأشياء (١) »
« والسكر لا يكون الا لاصحاب المواجيد (٢) » لانه « غيبة بوارِدٍ قوي (٣)
فمن يسكر بجمرة الحب الالهي يعيش حالة انفصام عما يحيط به ، فهو في
مرحلة طوفان روحي ، وفي هذا غاية التهويم ، ولذلك نرى الكثير من الذين
يعيشون حالة السكر هذه يفقدون معها الاحساس الجسدي ، فلا
يصابون بأذى بعض ما يصيبهم من العوارض الخارجية أو ان انفصامهم عن
الوجود (٤) .

قال الشبلي : ما أحوج الناس الى سكرة فقال له أحدهم : يا سيدي أي
سكرة ؟ فقال : سكرة تغنيهم عن ملاحظة أنفسهم وفعالهم وأحوالهم وأنشد
يقول :

وتحسبني حيا واني لميئت وبعضي من الهجران يبكي على بعض (٥)
وقد تكون النوازع المادية الدفينة ذات تأثير فعال في نفوس الصوفية فحينما
تضطرم لا يسعها ضمير الصوفي فتطفو على شكل كلمات محملة بالرغبات
الحبسية التي ان دلت على شيء فانما تبرز عملية تنفيس وافراغ وتعويض
مشروع لكل ما أصاب الفرد الصوفي من حرمان من المتع الحياتية بما فيها شرب
الخمير وما يصاحبها من سكر واعمال جنسية أيضاً .
قال شاعرهم (٦) :

(١-٢) التصوف ١١٦ .

(٣) الرسالة القشيرية ٢١٧/١ .

(٤) وهذا ما يفسر لنا قابلية بعض الدراويش من مختلف الاديان على ضرب انفسهم بالسيوف
أو المشي على النار أو ابتلاع أشياء كبيرة مؤذية أو غير ذلك من الخوارق التي يعجز عنها الانسان
العادي ، ويبدو أن هذه المجال احدى احوال التنويم المغناطيسي الناتج عن الجو الصاخب والايحاءات
الذاتية المزوجة بالايان المطلق .

(٥) حلية الاولياء ١٠ / ٣٧٢ .

(٦) القشيرية ١ / ٢١٨ ، ٢ / ٦٢١ .

فأسكر القومَ دورُ كأسٍ وكان سكري من المدير
 وكان ابو علي الدقاق ينشد كثيراً قول الشبلي (١) :
 لي سكرتان وللندمانِ واحدةٌ شيء خصصت به من بينهم وحدي
 وقال صوفي آخر (٢) :
 كفاك بأن الصحو أوجدَ أنتي فكيف بحال السكر والسكر أجدرُ
 فحالك لي حالان : صحوٌ وسكرة فلا زلت في حالي أصحو وأسكرُ
 وانشدوا أيضاً (٣) :

سكران : سكرٌ هوىٌ وسكرٌ مدامة فمتى يفيقُ فتى به سكران
 ان هذه الاقوال تظهر من يفقد وعيه وعقله الظاهر ويغيب في عالم من
 الخيال وكأنه قد شرب مدامة حب الله وهي تؤكد ظاهرة موجودة عند الكثير
 من الناس الذين يؤمنون بوجود قدرة خفية تمكنت من خلقهم ووجب عليهم
 عبادتها ، ولا تقتصر هذه الحالة على المسلمين فقط فمثلاً نجدها عند صوفية
 المسلمين نجدها عند بعض الرهبان البوذيين أو الفقراء الهندوس أو غيرهم
 وهذا يؤكد القول الذي يرى أن هذه الحالات ما هي الا عملية تنويم مغناطيسي
 عن طريق الايحاء الذاتي .

آداب المنصوفة :

آداب المتصوفة كثيرة ومتنوعة ، فهي تشمل آداب الديانة بأنواعها
 وأركانها ، وآداب الصحبة ، والطعام والضيافة ، والسماع والوجود ، والسفر
 واللباس ، والجلوس والمجالسة والجوع ، وآداب المرضى في حالات مرضهم
 وغيرها من التصرفات التي يفترض أن يتأدب بها الصوفي المنتزه عن الاحوال
 الدنيوية .

(١) القشيرية ١ / ٢١٨ ، ٢ / ٦٢١ ، ٦٥٨ .

(٢) التعرف ١١٧ .

(٣) القشيرية ١ / ٢١٨ .

ويغنيانا عن استعراض كل هذه الآداب ما سجله لنا الطوسي في لمعه (١) عنها وما فصله السهروردي بعد ذلك منها (٢) . على اننا نشبت هنا أنموذجين من هذه الآداب هي السماع والصحبة يوضحان بعضاً من تصرفات الصوفية واخلاقهم وهذا الاثبات لا يغني على أية حال عن قراءة بقية الآداب واستخلاص ما فيها من روح متسامية عن الكثير من الامور المادية .

السماع :

« السماع استجمام من تعب الوقت ، وتنفس لا رباب الاحوال ، أو استحضار الاسرار لذوي الاشغال (٣) » ، والتجاء الصوفية الى السماع يدل على رقة في مشاعرهم ورهافة في احساساتهم ، ويبدو أن عزلتهم عن الناس وانغمارهم في الغيبات واستمرارهم على تلاوة القرآن والحديث وما قيل في الله والرسول من الشعر ، كل ذلك أدى الى هذه الرهافة الحسية والشفافية الروحية الزائدة ، ولهذا صاروا يهتزون لاية نقرة موسيقية أو ترنيمة غنائية أو شعرية .

ولقد سجل لنا التاريخ حوادث وتصرفات كثيرة وغريبة للعديد من مشايخ الصوفية ورجالها يقومون بها لمجرد سماع أبيات أو ألفاظ فيها كلمات منغمة رتيبة ، فذو النون مثلاً حين سمع أحد القوالين (٤) ينشد (٥) :

صغير هواكَ عَدَّ بِنِي فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعتَ في قلبي هوى قد كانَ مشتركاً
أما ترثي لمكتسبٍ إذا ضحك الخلي بكم

قام وتواجد ، ثم سقط على وجهه .

(١) المص ١٩٤ وما بعدها .

(٢) عوارف المعارف ٢٨١ - ٤٤٣ .

(٣) التعرف ١٦٠ .

(٤) القوال : هو الذي ينشد في حلقات الذكر .

(٥) المص ٣٦٢ ، عوارف المعارف ١٧٩ .

أما الشبلي فانه كان يرقص على قول ححظة (١) :
 ورق الجوّ حتى قيلَ هذا عتابٌ بين جَحَظَةٍ والزمانِ
 وسمع الشبلي قائلاً يقول :

أسائل عن سلمى فهل من مخبر يكون له علم بها أين تنزلُ
 فزرق الشبلي وقال : لا والله ما في الدارين عنه مخبر (٢) .

« وكان أبو الوزير الصوفي القاطن في دار القطن عند جامع المدينة يطرب
 على (قلم القضيبيّة) » اذا غنت (٣) :

شبيهك قد وافى وحانَ اقترابنا فهل لك في صوت ورتل مروّق
 وكان ابو سليمان المنطقي على جلاله قدره يطرب لغناء الصبي الموصل
 العيار الذي افتضح به أصحاب النسك والوقار (٤) ، وكان المعلم غلام
 الحصري شيخ الصوفية يطرب اذا سمع ابن بهلول يغني في رحبة المسجد بعد
 الجمعة وقد خف الزحام (٥) :

وقال لي العذولُ تسلّ عنها فقلت له أتدري ما تقولُ
 هي النفسُ التي لا بدّ منها فكيف أزول عنها أو أحولُ
 وكان أبو عبد الله البصري يطرب على ايقاع ابن العيصي اذا وقع بقضيبيّه
 وغنّى بصوته وبسبب هذا ونظائره عابه البعض وقدح في دينه (٦) .

اما ابن فهم « الصوفي » اذا سمع « نهاية » جارية ابن المغني تشدو (٧) :

(١) الاعجاز والايجاز ١٣٥ .

(٢) عوارف المعارف ١٨٤ .

(٣) الامتاع ١٦٧ / ٢ .

(٤) نفسه ١٧٤ / ٢ ، ١٧٥ .

(٥) نفسه ١٧١ / ٢ .

(٦) نفسه ١٧٥ / ٢ . وترجمة أبي عبد الله محمد بن احمد بن سالم في حلية الاولياء ١٠ /

(٧) نفسه ١٦٦ / ٢ والبيتان في القصيدة المشهورة لابن زريق البغدادي .

استودع الله في بغداد لي قمرا بالكزخ من فلك الازرار مطلعته
 ودعته وبودي لو يودعني صفو الحياة واني لا أودعه
 ضرب بنفسه الارض وتمرغ في التراب ، وهاج ، وأزبد ، وتعفر شعره ،
 وهات من رجالك من يضبطه ويمسكه ومن يجسر على الدنو منه ، فانه يعض
 بنابه ، ويخمش بظفره ، ويركل برجله ، ويخرق المرقعة قطعة قطعة ، ويلطم
 وجهه ألف لكمة في ساعة (١) .

وتروى غير هذه الحكايات ، حكايات أخرى كثيرة عن تجانن أو
 موت بعض الصوفية أو دعائها - لمجرد سماعه كلمات منغمة أو غناء عذبا .
 حكى أن أحدهم سمع منادياً يقول « سعت برّي (٢) » فوق مغشياً عليه
 فلما أفاق سئل عن ذلك فقال كنت أحسبه يقول اسع تر برّي (٣) .
 وحكى أن شاباً مر بقصر فسمع جارية تغني (٤) :

كبرت همّة عبدي طمعت في أن تراكا
 أو ما حسب لعين أن ترى من قد رآكا
 فشبهت شهقة ومات ...

وقد حلل السهروردي (٥) ذلك وقال انه « يتفق لبعض الصادقين وقد
 يكون ذلك من البعض تصنعاً ورياء ، ويكون من البعض لقصور علم ومخامرة
 جهل ممزوج بهوى يلم بأحدهم يسير من الوجد فيتبعه بزيادات يجهل أن ذلك
 يضر بدينه » .

(١) الامتاع ٢ / ١٦٦ .

(٢) سعت بري : نبات طيب الرائحة قصير الساق يشبه طعمه طعم البهار ينبت في باطن
 الوديان والقرويون والبدو يخلطونه بعد أن يبس ويدقونه ناعماً مع الملح ويأكلونه مع الخبز .

(٣) القشيرية ٢ / ٦٥٣ .

(٤) نفسة ٢ / ٦٥٩ .

(٥) عوارف المعارف ١٩٠ .

ويصف لنا ابو بكر العنبري حالة بعض الصوفية المدجلين عند سماعهم
الغناء فيقول (١) :

وذو كلف باستماعِ السما ع بين البسيطِ وبين النشيدِ
ينن إذا أومضت رنةٌ ويزار منها زئير الاسودِ
يجرق خلقه انه عامدا ليعتاض منها بثوب جديدِ
ويرمي بهيكليه في السعيرِ لقلع الثريدِ وبلع العصيدِ
لقد اتخذ بعضهم من السماع أسلوباً يوحى به لنفسه كي تغيب في حاله من
حالات السكر ، ويظهر بعد ذلك تصرفاته الغريبة التي تخلق منه فيما بعد انساناً
مهيباً ، محترماً .

الصحة :

عرّف أحدهم الصحة فقال (٢) :

« الصحة مع الله بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة ، والصحة مع
الرسول بملازمة العلم واتباع السنة ، والصحة مع الاولياء بالاحترام والخدمة
والصحة مع الاخوان بالبشر والانبساط وترك الانكار عليهم ما لم يكن خرق
شريعة أو هتك حرمة » .

وفي هذا التعريف جمع شامل لآداب الصحة وأخلاق المصاحب
والمصاحب ، وبخاصة في صحة الاخوان ، وقد أكثر السلمي في كتابه
« آداب الصحة وحسن المعاشرة » من ايراد الشواهد الشعرية التي توضح
آداب الصحة وتصف نوعية الصاحب وأخلاقه وقد أورد - متمثلاً - ما قاله
احمد بن يحيى (ثعلب) في صفات الصديق (٣) :

ثلاثُ خصالٍ للصديق جعلتها مضارعة للصومِ والصلواتِ

(١) تليس ابليس ٣٧٥ .

(٢) آداب الصحة ٤٣ .

(٣) نفسه ٦٢ ، وترجمة ثعلب في مقدمة كتابه « مجالس ثعلب » ونزهة الالباء ١٩٣ ،
وتاريخ بغداد ٢٠٤ / ٥ ، معجم الادباء ١٠٢ / ٥ وبقية الوعاة ١٧٢ .

مواسأته والصفحُ عن كل زلة وتركُ ابتذالِ السرِّ في الخلواتِ
 وفي الخصلة الثانية وهي الصَّفح عن زلات الصديق والاغضاء عن مكارهه
 كان يظهر جوهر الصوفي لأن من آدابهم « التغافل عن زلل الإخوان (١) »
 « واحتمال الأذى منهم » وقد قال في ذلك عبد الحميد بن عبد الرحمن
 القاضي (٢) :

صبرت على بعض الأذى خوف كلِّه ودافعت عن نفسي بنفسي فعزَّت
 وجرعتها المكروهَ حتى تجرعتُ ولو جملة جرعتها لا شمأزت
 فيا ربَّ عز ساقٍ للنفس ذلةٌ ويا ربَّ نفسٍ بالتدليل عزَّت
 ومن آداب الصحبة عندهم أن يقبلوا دعوة الصاحب ، وينهضوا لمؤازرته
 والاختذ بيده وهم بعد ذلك :

لا يسألون أخاهم حينَ يندبُهُم للنائبات على ما قال برهانا (٣)
 وإذا كان الصديق الجيد والمصاحب الخيِّر عند الصوفية يتغاضى عن زلات
 صديقه ويساهم في حمل الأعباء عنه فهو جدير إذاً أن يتصف بصفة نييلة
 أخرى هي قبول اعتذار المعتذر إذا أخطأ ، صادقاً في اعتذاره أو كاذباً ،
 وقد انشدوا قولاً لأبي الحسن ابن أبي العباس البيهقي (٤) :

قيلَ لي قد أساء اليك فلان ومقام النَمي على الذلِّ عارُ
 قلت : قد جاءنا وأحدث عذراً ديةُ الذنب عندنا الاعتذار
 وغير هذه الآداب كثير ذكرها السلمي في كتابه « آداب الصحبة » كما
 ذكرها غيره من الكتاب الصوفيين مبثوثة في كتبهم أو ملمومة في فصل أو أقل
 أو أكثر (٥) .

(١) عوارف المعارف ٤٣٧ .

(٢) آداب الصحبة ٤٠ .

(٣) عوارف المعارف ٤٤٠ .

(٤) آداب الصحبة ٦٧ وقيل الشعر لابن المعتز .

(٥) ينظر الرسالة القشيرية ٧٤/٢ وما بعدها ، عوارف المعارف ٤٣٧ .

ويؤلف لنا مجموع هذه الآداب النموذجاً إنسانياً لتعامل الصوفيين فيما بينهم
أو مع غيرهم .

التفاعل الحياتي عند بعض الصوفية :

إذا كنا قد بينا أن للصوفية طبائع ورغبات مكبوتة يظهرونها على شكل
كلمات منظومة أو منشورة تكون مجالهم لتفريغ كبتهم والتنفيس عن تأزمهم ، وان
التصوف في الأساس عملية سلبية وهروب واضح من مواجهة الحياة ومشكلاتها ،
فلا بد من أن نؤكد نقطة مهمة وهي أن التصوف قد يكون عند بعض من
اعتنقه رد فعل لما كان سائداً في المجتمع من فجور وتحلل ، ولكننا لا يمكن
أن نجعل هذا القول قانوناً ثابتاً يشمل كل من اعتنق التصوف ، وحتى ان
كان رد الفعل هذا من عوامل التصوف فانه يعني أيضاً هروباً وتحاذلاً أمام
مصاعب الحياة ، فقد أعرض الصوفية عن واجبه الديني الذي يفرض عليهم
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانغمروا بالغيبيات والبحث عن اسرار
الوجود وطرق الاتحاد بالذات الالهية ، ولكن هذا لا يعني اننا نفتقد وجود
الصوت الشجاع الذي أحس بوطأة الاستعباد الانساني السائد آنذاك .. فقد
ظهرت شخصيات صوفية وقفت بوجه المظالم ونددت بالمظاهر الزائفة التي
كانت تغطي حياة المجتمع ، فرابعة العدوية ، والحلاج ، وابن عطاء « وأحياناً
السبلي » كانوا نماذج صوفية تتفاعل مع الحياة وتنظر اليها نظرات عميقة مدركة
ولكن الحلاج يظل رمزاً للشجاعة والثبات على الرأي - أكثر من أي
صوفي آخر - ومن أقوى المسائل التي دللت على شجاعة الحلاج ، تصريحه
بعدمية جدوى الحج الى الكعبة ، وان كانت رابعة العدوية قد سبقته الى مثل
هذا القول (١) على أن الحلاج يبقى أكثر جرأة وأقوى مجاهرة وهذه المجاهرة
هي أهم الاسباب التي أدت الى قتله .. يقول الحلاج (٢) :

(١) رابعة شهيدة العشق الالهي ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) الديوان ٨٥ .

للناس حجٌ ولي حج الى سكني تَهْدِي الاضاحي وأهدى مهجتي ودمي
تطوف بالبيت قوم لا يجارحة بالله طافوا ، فأغناهم عن الحرَمِ
وليس هذا هو المظهر الوحيد لشجاعة الخلاج ، فقد تَمرَد على الصوفية
ورمى الخرقه « كيما يتكلم بحرية مع أبناء الناس (١) » حول شؤونهم
المعاشية مما حرض عليه رجال الدولة وبخاصة الوزير « الاقطاعي » المحتكر
حامد بن العباس وحاشيته الذين ملوا نصائح الخلاج وارشاداته (٢) .

ويأتي أبو العباس احمد بن محمد بن عطاء (٣) بعد الخلاج شجاعة ،
فلقد شايع الخلاج في آرائه وأصر على عدم تكفيره فأدى به هذا التأييد والاصرار
الى التعذيب والموت ، كما ان علو همته وسمو نفسه وتواضعه تدلل على أنه
انسان ابتعد عن طريق الخنوع والمذلة .. يبدو هذا في قوله (٤) :

أسامي بنفسي ذلةً واستكانة الى الخلة العلياء من جانب الكبير
اذا ما أتاني الذل من جانب الغنى سموت الى العلياء من جانب الفقير
فهو يتخذ اذاً من التصوف طريقاً لحفظ كرامته وصيانة ماء وجهه من
الاهدار فيسمو بذلك الى علياء ركائزها مثبتة في نفس مرهفة شاعرة .

العمق الفكري عند الصوفية :

من عادة بعض الصوفية وبخاصة مشايخهم الاطلاع الواسع على الكتب
الدينية والفلسفية ، وهذا ينمّي عندهم سعة الافق وقوة التفكير وعمق
الادراك ، ولذلك كان يخالط أقوالهم وأشعارهم كثير من الالفاظ المعماة
والرمزية وكان أبرز قضاياهم الفكرية هي قضية الله ووجوده وحلوله ،
ووحدايته وقدراته ، فقد كانوا يجمعون « على ان القرآن كلام الله وأنه ليس

(١) شخصيات قلقة ٦٦ .

(٢) شخصيات قلقة ٧٨ - ٨٠ وفي هذه الصفحات تحليل جيد لمقتل الخلاج .

(٣) ترجمته طبقات الصوفية للسلمي ٢٦٩ ، القشيرية ١ / ١٣٥ تاريخ بغداد ٢٦ / ٥ ،

المنتظم ١٦٠ / ٦ ، الفلاحة والمفلكون ١٢٧ .

(٤) طبقات الصوفية ٢٦٩ .

بمخلوق ولا محدث ولا حدث « (١) كما يجمعون « على أن الله يرى بالابصار في الآخرة ، يراه المؤمنون دون الكافرين « (٢) ويجمعون على « الايمان بكل ما يجري لهم من خير وشر وانه من الله ولا يحق لهم الاعتراض أو التأفف « (٣) كما يجمعون على مقدرة الله وهيمنته « (٤) .

وكما شغلهم هذا الاجماع شغلهم الاختلاف على قضايا كثيرة فقد اختلفوا في أن « الله لم يزل خالقاً » (٥) « وفي المعرفة وتفسيرها » (٦) « وفي أيهما أفضل الرسول أم الملائكة » (٧) وغير ذلك من الامور التي لا تمت الى الحياة المعاشية بصلة قوية .

وكانت هذه المسائل الالهية تخلق لديهم تهويمات فكرية ممتدة ترسو بهم تارة في بر الايمان وتدفعهم تارة أخرى الى الابحار وسط أمواج الشك القاتلة .

قال بعضهم في مسألة التفكير بالله (٨) :

من رامه بالعقل مسترشداً سرّحه في حيرة يلهو
وشاب بالتلبيس أسراره يقول في حيرته هل هو
وتبدو هذه الحيرة التي يرتمي الصوفي في أتونها واضحة في قول الحلّاج (٩):
يا موضع الناظر من ناظري ويا مكان السرّ من خاطري
يا جملة الكل التي كلها أحبّ من بعضي ومن سائري
تراك ترثي للذي قلبه معلق في مخلبي طائر

(١) التعرف ٢٩ .

(٢) التعرف ٤٢ .

(٣) التعرف ٥٠ .

(٤) التعرف ٤٤ ، ٤٦ .

(٥) نفسه ٣٧ .

(٦) نفسه ٦٦ .

(٧) نفسه ٦٨ .

(٨) نفسه ٦٣ .

(٩) الديوان ١٨ .

مدلّه حيران مستوحش يهرب من قفر الى آخر
 في لبحّ بحر الفكر تجري به لطائف من قدرة القادر
 اننا نجد في هذه الآيات فكراً مرتباً وصرعاً متشابكاً بين الشك والايان
 فالحلاج في البيتين الاولين يحكي ايمانه بتوحده مع الذات الالهية وتداخلها في
 جسده وفي البيتين اللذين يليانها يعود الشك فيهب فكر الحلاج ويرجه ، فيبدو
 لنا انساناً شاكاً محتاراً ، أما البيت الاخير فعودة الى الايمان بقدرة الله وبلطائف
 هذه القدرة التي تمكنت من أن تقود سفينة ايمان الحلاج في لبحج بحر فكره
 الهائج .

وقد ينجح الحلاج في أقواله وأفكاره الى القطع بتأله الانسان والقول بأن
 الظن في وجود الله تهويس وخروج عن الدين فهو يقول (١) :

جنوني فيك تقديسٌ وظنّي فيك تهويسٌ
 فما آدمُ الاكُ ومن في البينِ إبليسُ

وكان لهذا السبب ، يرى نفسه متوحداً بالله غارقاً في بحر الوهيته ممتزجاً
 مع كليته يقول مؤكداً هذا التوحد (٢) :

جُبِلتَ روحك في روعي كما يجبل العنبر بالمسك الفتقُ
 فاذا مسك شيءٌ مسّني واذا أنت أنسا لا نفترقُ
 ويقول : (٣) :

يا كلّ كلي ويا سمي ويا بصري يا جملي وتباعيضي وأجزائي
 ويقول (٤) :

(١) نفسه ٦٥ .

(٢) الديوان ٧٧ . البداية والنهاية ١١ / ١٣٣ .

(٣) الديوان ١٤ .

(٤) الديوان ٩٣ ، المع ٤٣٨ ، عوارف المعارف ٥٠٨ .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدننا
فاذا أبصرتني أبصرتَه وإذا أبصرتَه أبصرتنا
ومثل الخلاج في تأله كان بعض الصوفية أيضاً أنشدوا لاحدهم (١) :

يا منيةَ المتمني أفنيتني بك عني
أدنيتني منك حتى ظننتُ أنك أني

وقد يتصور البعض أن هذه الاقوال الناتجة عن شطحات تحدث للانسان الصوفي لا يدرك فيها ما يقول ، وقد يتصور بعض آخر انها اقوال نابغة عن فكر سطحي ساذج انها في الحقيقة انسيابات فكرية عميقة تدلل على سعة أفق صاحبها وقوة ادراكه ، فالخلاج مثلاً عرف بثاقب بصره أن الانسان بقدراته الخارقة وحده متمكنة من خلق أشياء تنفع وتضر ، وبما أن الله متمكن خالق ، فالانسان جزء من هذا الإله الخفي الذي يسيّر الكون ويخلق الكائنات .

القيمة الفنية :

يחס قارئ الشعر الصوفي - في الاغلب - بثقل وطأة هذا الشعر وتحجر كلماته لما فيه من تكلف صباغة واغراق في الرمز ، ولما لوضع الشاعر النفسي من تأثير بالغ في جعل التناول الشعري لدى الصوفي متقراً جافاً .

ولا يمنع هذا القول وجود أبيات رقيقة صادقة مبثوثة في ثنايا هذه القصيدة أو تلك القطعة الشعرية ، تأتي للشاعر الصوفي متدفقة معبرة عن مشاعر دفيئة ، لكن هذه التدفقات الشعرية سرعان ما تكتم بهالة من الرهبة اللفظية يسحبها الشاعر مبرقعاً بها احساسه خوفاً من كلام المجتمع ، أو محاولة لكبح جماح النفس وعصمها عن الانجراف وراء العواطف الانسانية .

وحين نجد شعراً صوفياً محملاً بالمعاني المادية ، يرفض الصوفيون الا

(١) المع ٤٣٨ .

تأويله بالمعاني الروحية ، ولكننا - أحياناً - (لا نستطيع التمييز بين قصيدتين احدهما يتغنى صاحبها بالحب الانساني والاخرى بالحب الالهي) (١) لأن مادتهما اللفظية واحدة .

لقد أكثر الصوفيون من لغة الحب ورموز المحبين في شعرهم لا لانهم (لم يجدوا وسيلة أقوم ولا أقدر على التعبير عن مواجدهم وأحوالهم من الشعر) ولا هو (شوق الروح الى الله قد عبر عنه الصوفية بهذه العبارات) (٢) ولكن لان هذه الالفاظ والعبارات ترضي حاجة غير مشبعة في نفوس الصوفيين المأزومة بالكبت والحمران ، اي ان هذه الكلمات والعبارات المادية افراغ مثل هذه الأزمات العنيفة التي يعيشها معظم الصوفية ..

وبمثل هذا التعليل يمكن أن يفسر اكتثارهم في ذكر الفاظ الخمرة والسكر والصحو في أشعارهم وتأملاتهم .

واذا كان في هذا التعليل بعض الجرأة فان فيه علمية لم يستطع نيكلسون مثلاً أن يصرح بها ، وقد تهرب منها حين تكلم على الرمز في الشعر الصوفي وقال (٣) :

« ويتوقف نوع الرمزية التي يفضلها الصوفي على خلقه وجبلته ، فان كان ديناً فناً - أعني شاعراً روحياً - فأفكاره كذلك .. تتشعح تلقائياً ثياب الجمال والصور المشتملة للحب البشري ، فوجنات الحبيب الموردة تمثل عنده ذات الاله منكشفة في صفاته ، وغدائره الليلية تصور (الواحد مججوباً بالكثرة) . ولو أيدنا نيكلسون في منطقته القائل بتوقف الرمزية على خلق الفنان وجبلته ، فاننا نعرّض عليه اضعافه المعاني على المفردات المادية فما دام الشعر الصوفي يمثل جانباً في نفس صاحبه الظاهرية فلا بد أن يكون ايضاً صريحاً للمخزون من الرغبات في عقله الباطن .

(١) في التصوف الاسلامي ٩٠ .

(٢) نفسه .

(٣) الصوفية في الاسلام ١٠١ ، ١٠٢ .

ومهما يقل أصحاب الصوفية بأن شعرهم يؤدي الأغراض الحقيقية التي يرمون إليها يظل شعرهم يدور في محور من التكلف والصنعة ، لان الشاعر الصوفي يحاول دائماً صوغ افكاره وآرائه بقالب فلسفي ، وإذا دخلت الفلسفة الشعر قتلته ، وجرده من قيمه الفنية ، التي من مقوماتها مقدرة الشعر على اثاره شيء حسي انفعالي في نفس السامع أو القاريء .

الخلاصة :

حين ابتعد معظم الزهاد والمتصوفة عن الحياة واتخذوا المواقف السلبية طريقاً لهم ، أغرقوا أنفسهم في عالم الروحانيات والتهويمات العقلية والفلسفة المثالية .

لقد أخذوا ينظرون إلى الحياة على أنها بؤرة مملوءة بالموبقات تلوث من يقرب منها ولم يحاولوا أن يجدوا البديل الحسن لهذه الحياة بالأسلوب الطبيعي ، أسلوب المجابهة الشجاعة لانحراف الحياة ، انما اختاروا لانفسهم طريقاً فيه كثير من معالم الهروب والمخاتلة ، فابتعدوا عن الناس وسكنوا ، الربط ، وبدأوا يبتعدون طرفاً للعبادة لا تمت الى الاسلام بأية صلة .

وكان ابتعادهم عن الناس واتخاذهم الدين لباساً يتسترون به على ما في نفوسهم قد أكسبهم نوعاً من الهيبة والاحترام ، ورأى الناس فيهم رجالاً ورعين قد زهدوا في الدنيا وملأها ، فكانوا يتبركون بهم ويرفعون مشايخهم الى مصاف القديسين والاولياء ، وهذا ما دفع الصوفية الى مزيد من الجنوح الى عالم الغيبيات ، والبحث عن حياة جديدة يملؤها الحب المثالي الذي رأى فيه الصوفية تجانساً أو تماسكاً مع حب الله ...

وقد جربوا أنواعاً عديدة من أساليب الترويض النفسي ، فاتخذوا لهم غلمان مرد يصاحبونهم ، وبدأوا يستشعرون لذة من خلال هذا التعذيب النفسي ، ولم تكن هذه اللذة الا التعويض الطبيعي لما في نفوس الصوفيين من كبت ..

وكان من الطبيعي أن تنحرف بعض فئات الصوفية عن هدفها الذي جاء به الصوفيون الاوائل وهو الزهد في الحياة والانقطاع لله ، بعد أن كثّر المریدون وتعددت الطرق .

وقد انغمر بعض الصوفية في مختلف الملاذ وبدأوا يستغلون صفاتهم الدينية من أجل متع دنيوية رخيصة .

ولم يمنع ابتعاد الصوفيين عن مشكلات الحياة وانغلاقهم على أنفسهم ومذاهبهم ، ظهور بعض الآراء الصوفية الشجاعة ، أو وقوف بعض الصوفيين بصمود أمام انحرف القيم الاخلاقية والاجتماعية ، ولكن هذه الاصوات لم يتردد صداها مدة طويلة ، فسرعان ما تغلبت عليها القيم الفاسدة الطاغية على مجتمع الحكام ومن شايعهم من رجال الدين فحكم عليها بالاختناق والموت .

الفصل السابع

الساخطون والمتمردون

إذا ارتفعت طبقة من طبقات المجتمع وامتلأت خزائنها فمعنى هذا أن طبقة أخرى وقع عليها الحيف والجور وأن حالتها الاقتصادية والاجتماعية قد تدهورت ، ويحصل لذلك خلل اجتماعي وتخلخل طبقي يؤديان في أحيان كثيرة إلى تمرد الطبقة المستغلة على مستغليها ، ويكون هذا التمرد نسبياً يتفاوت بمقدار وعي الطبقة المستغلة لحالتها وبؤسها بمقدار المظالم الواقعة عليها .. كما أن هذا التمرد يكون فردياً أو جماعياً حسب مواتاة الفرص واتساعها أمام الأفراد والجماعات .

لقد برز في العراق عهد من أسوأ عهود الاستغلال وظهر بصورته المجسمة الرهيبة خلال القرن الرابع للهجرة .

فالأضطرابات السياسية والاقتصادية وما رافقها من ويلات ومآس اجتماعية عمقت - ملتحمة - التناقض الطبقي في المجتمع العراقي وزادت من اظهار الروح الاستغلالية للطبقات المتسلطة والمنفعة .

ولقد رافق هذا الاستغلال وهذه المظالم مظاهر سخط وتمرد نراها عند من لم يبع نفسه للسلطان من الشعراء الذين أحسوا بعظم نكبة مجتمعهم ، فصاغوا آلامهم كلمات سخط وانتقاد لاذعة ، تناقلها الناس لشعبيتها وصدقها في محاكاة أوضاعهم وأحوالهم .

ان بعض هذا الشعر كان نابغاً من احساسات فردية ومشاعر ذاتية أنانية ،
فلأن الشاعر لم يصب من المنافع ما أصابه غيره ، يستجمع غضبه ويرميه على
الزمان وأهله ، ويصدق هذا القول على أغلب الشعراء ممن ربط نفسه بالسلطان
ووضع له خده ، لكنه على أية حال لا يشمل الشعراء الذين تمردوا على تطلعاتهم
الذاتية ومنافعهم الخاصة ، فلم يترقوا باب خليفة ، ولم يتمرغوا على عتبة
أمير أو وزير .

وتبدو هذه الظاهرة واضحة متميزة عند قسم من شعراء البصرة وأفراد
منهم ابن لنكك الذي يعتبر ظاهرة نادرة في جرأته وشجاعته ، ومشاعره
الغاضبة .

ويبدو لي أن جرأة ابن لنكك وبعض شعراء البصرة وشجاعتهم في
مواجهة السلطة بحقيقتها وحقائق المجتمع الذي تُسيّرهُ يرجع الى قرب البصرة
من « هجر » مركز القرامطة وأول بلد في التاريخ يضع الاشتراكية موضع
التطبيق (١) .

فالحوف من السلطة العليا في بغداد أو من ممثليها في البصرة يزيله عند
شعراء هذه المدينة وجود عدالة اجتماعية في (هَجْر) يستطيع الانسان البصري
اذا ما ضايقته هذه السلطة اللجوء اليها والتفويض بظلمها .

قيل أن الخبز أرزي بعد أن هجا « البريدي » ، « هرب من البصرة ولحق
بهجر والاحساء بأبي طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين (٢) » وقد
يؤكد لنا هذه العدالة التي تنعم بها « هجر » ما سجله له المؤرخون القدماء
والمحدثون - برغم تحمل بعضهم - للقرامطة من ذهنية عالية وسعة افق
حربي واجتماعي يظهر في مروعة قادتهم وعدم استئثارهم بالسلطة والرأي ..

(١) ينظر ما كتبه الدكتور عبد العزيز الدوري عن اشتراكية القرامطة في العراق وهجر
دراسات في العصور العباسية المتأخرة ٢٦ ، ١٧٨) .

(٢) مروج الذهب ٤ / ٣٥٣ .

يقول أحد زعمائهم وهو الحسين بن أحمد بن سعيد الجعفاني (ت ٥٣٦٦هـ) (١)
 اني امرؤ ليس من شأني ولا أربي طبل يرن ولا ناي ولا عود
 ولا اعتكاف على خمر ومخمرة وذات دل لها غنج وتفنيد
 ولا أبيت بطين البطن من شيع ولي رفيق خميص البطن مجنود
 ولا تسامت بي الدنيا الى طمع يوماً ولا غرتي فيها المواعيد

انها القيم الاجتماعية العالية التي نشأ عليها هذا الزعيم القرمطي فجعلته بهذا التسامي الاخلاقي ، وبهذه الروح الشاعرة بمسؤولياتها تجاه الرعايا (٢) .

ولا تعني أشعار ابن لنكك أو هزيمة الخبز أرزي الى البحرين أو وقوف أحد رجال البصرة أمام ولايتها مدافعاً عن أبناء مدينته (٣) ، إن أهل البصرة يعتمدون كلياً في شجاعتهم على قربهم من دولة القرامطة فقد كان « للامركزية » التي تتمتع بها البصرة لضعف هيمنة السلطة في بغداد على أطراف الدولة تأثير الغ في تنمية شجاعة هذه المدينة .

وتركيزنا على البصرة وشجاعة أهلها لا يلغي وجود أناس ساخطين أو بمتمردين في بغداد أو واسط أو الأنبار فلقد تأثر مجمل أهل العراق بالحركات

(١) البداية والنهاية ١١ / ٨٧ وأين هذا القول من أقوال الراضي أو عز الدولة أو عضدها ؟
 (٢) واذا كنا في ذكر القرامطة وشعور قادتهم بالمسؤولية لا بد أن نشبت شعراً فيه الكثير من التحدي والثورية جاء على لسان ابي سعيد القرمطي في كتاب وجهه الى مؤنس أواخر سنة ٣١٥ أو أوائل ٣١٦ هـ عند ورود القرمطي الكوفة وانتصاره على ابن أبي الساج .. يقول أبو سعيد :

قولوا لمؤنسكم بالراح كن أنسا واستتبع الراح سر نايسا ومزارا
 وقد تمثلت عن شوق تقاذف بي بيتا من الشعر للماضين قد سارا
 « نزوركم لا نؤاخذكم بجفوتكم ان الكريم اذا لم يستزر زارا
 ولا نكون كأنتم في تخلفكم من عالج الشوق لم يستبعد الدارا »
 تكلمة الطبري ٥٥ ، وقد ذكر صاحب قوت القلوب البيهقي الاخيرين ونسبها للعباس بن الاحنف وأجدها ديوانه .

(٣) ينظر المفقوات النادرة ٢٩٦ .

الثورية التي توالى في بلدهم أو بالقرب منه ، كثورة بابك الخرمي ، أو ثورة الزنج أو ثورة القرامطة ، أو تحركات العيارين والعامّة ضد مظالم السلطة أو استقلال عمران بن شاهين في البطحة (١) واستعصائه على البويهيين و ارغامهم على مصالحته .

يضاف الى ذلك تدهور الحياة المعاشية والاجتماعية واستفحال المظالم واحساس الانسان العراقي بثقل تراكمها حتى لقد أصبح العراق « بيت الفتن والغلاء وهو كل يوم الى وراء ومن الجور والضرائب في جهده وبلاء (٢) » . لقد تجمعت هذه العوامل فولدت السخط والتمرد الذي سنعرضه مرتسماً في شعر أهل العصر .

المشاعر الذاتية :

أول مظاهر السخط والتمرد تلك الآلام الفردية الموجهة التي انبعثت عن حيف يُحس به الشاعر بسبب حرمانه من تطلعاته في الحياة ورغائبه الخاصة :

والدهرُ من جفائه يلبس لي جلد التمرِ
فماء عيشي كسدرٌ ونجم حالي مُنكدرٌ (٣)

هذه المشاعر مع كونها فردية في مظهرها العام فهي ذات دلالات اجتماعية أيضاً ، لأن الحيف الفردي من الممكن اعتباره حيفاً إجماعياً في ظروف مملوءة بالقهر الاجتماعي والاهتزاز السياسي كما هو حاصل في عراق القرن الرابع للهجرة ..

ان الاشعار الفردية وحتى الانانية منها يمكن أن تُعبّر عن وجهة نظر اجتماعية ، ربما تكون سارية على المجتمع كله أو على جزء منه .

فاذا خاب الشاعر في بلوغ مآربه - وكثيراً ما يخيب الآخرون أيضاً - يقول (٤) :

(١) ينظر في عصيان عمران بن شاهين ، الكامل ٨ / ٤٨١ ، ٦١٠ .

(٢) احسن التقاسيم ١١٣ .

(٣) ثمار القلوب ٣٩٩ .

(٤) ثمار القلوب ٢٧٤ .

سَمِّتُ العِيشَ حينَ رأيتُ صرفَ الدهرِ يرهقني
صعوداً والصعودُ إليه يُعجزني فيقله—ني

والصعود في مثل هذا الزمن لا يخالف الا من داجى ودجل ، لأن الحياة صعبة وقاسية ، والامور بيد غير جديرة بأن تمسكها ، والذي يقف بوجه هذا الواقع المر يكون نصيبه من الحياة الكفاف ان سلم من التشريد أو الموت .

فأبو حيان وهو من هو في عالم الأدب والفلسفة يبلغ به الجوع والتشرد حدّاً أكل الحشائش مع هوام البرية ، والاستنجد الدليل بأبي الوفاء المهندس لينقذه من هذا الوضع البائس فتراه يقول له : « خلّصني أيها الرجل من التكفف ، انقذني من لبس الفقر ، أطلقني من قيد الضر ، اشترني بالاحسان .. اكفني مؤونة الغداء والعشاء .. الى متى الكسيرة اليابسة ، والبقيلة الذاوية ، والقميص المرقع ... الخ » (١) .

ولهذا كان من حق هذا الانسان الذي غدر به صدقه وصراحته وأحياناً صلافته أن يتشامم وأن يحرق كتبه وأن يقول في دنياه (٢) :

دُنْيَا دَتَّتْ مِنْ عَاجِزٍ وَتَبَاعَدَتْ عَنْ كُلِّ ذِي لَبٍّ لَهُ خَطَرُ (٣)
سَلِمْتُ (٤) عَلَى أَرْبَابِهَا حَتَّى إِذَا وَصَلْتُ إِلَيْهَا أَصَابَهَا الْخَصَرُ
ويبلغ اليأس والتشاؤم بأبي حيان حدّاً يتمنى معه أن يجد في زمانه واحداً
يؤكل خبزَه فاذا ردد قول جحظة (٥) :

(١) الامتاع والمؤانسة ٣ / ٢٢٦ .

(٢) معجم الادباء ١٥ / ٥١ ، أبو حيان التوحيدي لعبد الرزاق محي الدين ، شخصيات

القدر .

(٣) في هامش محقق معجم الادباء حجر وكذلك نقلها الدكتور عبد الرزاق محي الدين وفعل

مثل ذلك اصحاب شخصيات القدر .

(٤) ذكرها الدكتور عبد الرزاق محي الدين سلحت لأن المعنى فيها يستقيم ، ولا يستقيم

مع سلحت كما لا يستقيم الوزن مع سلحت .

(٥) البصائر والذخائر ١ / ٥٤ .

أنا في قوم أعاشرهم ما لهم في الخير عايدته
جعلوا أكلي لحبزهم عَوْصاً عن كل فائده

إذا ردد هذا القول علق متأسفاً « ليت في زماننا من يؤكل خبزه » .
وإذ يرد اسم جحظة هنا فلا بد من الإشارة الى تأمله من زمنه الذي لم ينصفه
ووضع أناساً ضحكين قصيري النظر في أماكن أكبر منهم ، فهم لقصورهم
العقلي يتباهون بأشياء زائلة لا تحقق مجداً ولا فخاراً ، فحين يرى جحظة أحدهم
يفخر ببناء مسناة يهزأ منه ويتألم ثم يقول (١) :

لقد أصبحت في بلد خسيس أمصُّ به ثمارَ الرزق مَصّاً
إذا رُفِعَتْ مسناةٌ لوغدي توهمَ جودَه ما ليس يُحصى
رأيتُ المجد احساناً وجوداً فصار المجدُ أجراً وجصاً (٢)

وبدافع مما يصيب جحظة من أوقات عسر يتأثر ويزداد ألماً وحزناً ، وقد
يستفحل هذا الألم فيكاد يصل حد الانفجار حينما يظل القصور العقلي
ملازماً لأصحاب المناصب ، والترف ، فاذا أبصر جحظة مثل هذه المشاهد
الاجتماعية المعيبة ضربه سوط المأساة وقال (٣) :

قلتُ لما رأيتُه في قصور مشرفات ونِعْمَةٍ لا تعابُ :
ربّ ما أبينَ التباينَ فيه منزلٌ عامرٌ وعقلٌ خرابٌ
ولم يكن جحظة أو أبو حيان أسوأ حالاً من الآخرين فابن نباتة السعدي
« حظه من العيش أكل كله غصص مرّ المذاق وشرب كله شرق (٤) »

(١) البصائر والذخائر ١ / ٦١ .

(٢) نئين استعمال الآجر والحص مادتين رئيسيتين في البناء .

(٣) الاعجاز و الإيجاز ٢٦٠ وفي أدب الدنيا والدين ذكر البيت الثاني فقط ١٤٤ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٣٨٣ ، يؤكد ذلك ما ذكره صاحب الوفيات ٤ / ١٩٠ من أن ابن نباتة
قصد ابن العميد ومدحه وأطال الوقوف ببابه فما منحه شيئاً ، وحين نقد صبره دخل اليه وكلمه
كلاماً فيه حدة ومطالبة بالجائزة فامتنع ابن العميد فما كان من ابن نباتة الا أن خاطبه بكلام آخر
أكثر خشونة وصرامة «فار ابن العميد مفضباً وأسرع في صحن داره الى أن دخل حجرته =

وقد تكون مشاعر هؤلاء وغيرهم ناتجة عن الشعور بالغبن الفردي الآتي ومع هذا تظل دلالة اجتماعية بارزة .

ذم الزمان :

لقد كثر القول في ذم الزمان ، وتعداد سؤاته ، ومظالمه حتى ان هذا القول لو وقع على « ظهر جبل لتقصمه » ، ولا بد أن يكون ذلك ظاهرة اجتماعية تستحق الاهتمام والتسجيل ، فهي تعبير رمزي عن امتلاء الزمن بالمظالم ، حتى كأن الزمان غدا هو الظالم الجائر .

فإن أراد ابن لنكك أن يعبر عن سخطه على الحياة ومآسيها قال مندداً بالزمان رامزاً بذلك الى وضع هذه الحياة المنحرف (١) :

نحن والله في زمان غشوم لو رأيناه في المنام فزغننا
يصبح الناس فيه من سوء حال حق من مات منهم أن يهنأ
ولقد كان هذا الزمان يقف وقفة قاتلة بوجه المطامح النبيلة التي كانت
تملاً نفوس بعض أهل العلم والأدب ، وتدفعهم الى أن يجدوا سبلاً نظيفة
للحياة ، فهو كما قال جحظة « لمن تقدم في النباهة منقلب » (٢) لا يرتفع
فيه غير المخرقين الدجالين الذين يبذلون كرامتهم ويتذللون أمام أصحاب
السلطان ليصلوا بعد ذلك الى أماكن لا يستحقونها أو ليحصلوا على أموال

= وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباته وهو في صحن الدار مارا يقول: والله ان سف
التراب والمشي على الجمر أهون من هذا ، فلعن الله الادب اذا كان بائعاً مهيئاً له ، ومشير به بما
كسا فيه . ينظر أيضا الفلاكة والمفلوكون ٩٦ . وينسب أبو حيان هذه الحكاية الى شاعر آخر
من الكرخ شاهده بنفسه يدعى « مويه » . ينظر أخلاق الوزيرين ٣٣٤ .

(١) اليتيمة ٢ / ٣٥٠ .

(٢) معجم الادباء ٢ / ٢٥٦ والابيات التي جاء فيها هي :

لا تعجبي يا هند بمن حالي فما فيها عجب
ان الزمان بمن تقدم في النباهة منقلب
فاجهل يضطهد الجسي والرأس يعلوه الذنب

ليست من حقهم وقد سبق ابن جرير الطبري غيره الى وصف هذه الحال
فقال (١) :

ولو أني سمحتُ ببذل وجهي لكنت الى الغنى سهلَ الطريقِ
وعلى هذا فليس هناك محل للعجب من أفعال هذا الدهر ، فهو دهر شاذ
غريمه الانسان الذكي النزيه ، والاديب انسان ذكي حتماً ، فاذا وجه ذكاه
نحو الحق وقف له الزمن موقف العدو ، وابن لنكك واحد من هؤلاء الأدباء ،
ولهذا كان عليه أن يعرف زمنه والآ يقول (٢) :

عجبتُ للدهر من تصرفه وكل أفعالِ دهرنا عَجَبُ
يعاند الدهرُ كلَّ ذي أدب كأنما ناك أمه الأدبُ

ان من الطبيعي لزمن مثل هذا أن يرفض وجود وعي بين أبنائه ، يخلق
منهم عملة حسنة خالصة ، فزمن هذا شذوذه لا بد أن تسود فيه العملة
الرديئة . والرجال الدجالون أو الاغنياء هم عملة القرن الرابع التي غمرت
أيامه ، وراجت في قصور أصحاب السلطة ، لقد شذت الحياة حتى صارت
الامور فيها مثلما قال جحظة (٣) :

فالجهل يضطهد الحجي والرأسُ يعلوه الذنوب

والحجي السليم يمتلكه أكثر من أي واحد آخر أهل العلم والأدب ، ومن
أحاط بهم ممن تنزه عن موبقات الحياة وسفسافها ، فاذا كان الزمان آنذاك
مثلما وصفه ابن لنكك (٤) :

(١) وفيات الأعيان ٣ / ٣٣٢ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٣٥٠ .

(٣) معجم الادباء ٢ / ٢٥٦ ومثل ذلك قول المتنبي :

(ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم)

الديوان ٢١٨ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٣٥٠ ، معجم الادباء ١٩ / ١٧ ، بغية الوعاة ٩٤ .

زمانٌ قد تفرَّغ للفضول يسود كل ذي حمق جهول
فلا بد بعد ذلك ، أن يكون ديدنه « حرمانٌ ذي أدب وحظوة جاهل »
وأن يكون فيه :

الأردلون بغبطة وسعادة والأفضلون قلوبُهُم تفتُرُ (١)
وإذا كان التعجب من أفعال الزمان دليلاً على نوع من المخاتلة والخوف
فانه يغدو أحياناً سجلاً رسمياً لأحداث كانت تجري فتجلب معها المآسي
والمجاعات ، فاذا أراد ابن الحجاج - في لحظة من لحظات شعوره بالحياة
الانسانية - أن يسجل ما كان يجري في ذلك الزمن من المصادرات والسلب قال
مقنعاً كلامه بالتعجب (٢) :

عجبتُ من الزمانِ وأي شيء عجيب لا أراه من الزمان
يصادر قوتَ جيرِذانِ عجافٍ فيجعلهُ لأوعالٍ سيمان

وتأكد لنا هذه الحقيقة إذا استعرضنا ما سجله لنا المؤرخون من مصادرات
كثيرة عجيبة وقعت في القرن الرابع يكون الرابع فيها أبداً القوي الغني .
ولا يقف الزمان عند المصادرة والافقار أو معاندة أهل الحجى والأدب
فهو كذلك ضد كل حر يشعر بنفسه ويحافظ على كرامته ، وقد وقف له ابن
لنكك وقفه شجاعة - وان كانت مقنعة - فقال له متمهماً مقرأً (٣) :

دنيا تأبت على الاحرار عاصية وطاوعت كل صنفان وضراط

• • •

يا زماناً ألبس الأحـ راراً ذلاً ومهانهُ
لست عندي بزمان إنما أنت زمانه
كيف نرجو منك خيراً والعلا فيك مهانه

(١) بغية الوعاة ٩٤ .

(٢) معجم الادباء ٩ / ٢٢٦ .

(٣) اليتيمة ٢ / ٣٥٠ ، معجم الادباء ٧ / ١٩ .

أجنوناً ما نراه منك يبدو أم مهانة (١)
 ان اتخاذ الفاظ الزمن والدهر ستاراً للحقد المعتمل في النفوس كان درعاً
 يحمي هؤلاء الذين ينفسون عن همومهم ومآسئهم بهذا الشعر الساخط .
 انهم يدركون جيداً ان ما يرونه في هذا الزمن ليس جنوناً او مهانة منه ،
 ولعلمهم حاولوا ان يفسروا هذه الظاهرة التي حيرتهم فلم يستطيعوا ايجاد جواب
 مقنع ، ولم يتمكنوا من تحديد معالمها ومسبباتها تحديداً علمياً شافياً ، ولذلك
 وضعوا اللوم كله على الزمان وقالوا بكلام تغلب عليه السذاجة (٢) :

الدهر دهر عجبُ فيه الوليد يشيبُ
 العيرُ فوق الثريا وفي الوهاد الأريبُ

ان ثقافة العصر - وكذلك ثقافة الشعراء - لم تكن من الشمول والعمق
 بحيث تساعدهم على وضع تفسير علمي للمظالم الاجتماعية يبين ان مسبباتها
 الرئيسة تلك التراكمات الاقتصادية السياسية المضطربة .

وعدم رؤية هذا التفسير العلمي لم يمنع الاحساس بثقل وطأة هذه المظالم
 التي جعلت الزمن ينحرف شاذاً عن مسيره الحقيقي يقوده في سيره اناس
 غريبون عن الوجه الطبيعي للحياة ، وقد تمكن ابن دريد ان يجد تفسيراً لفساد
 الزمان ولكنه جاء به مقلوباً مشوشاً حين قال (٣) :

الناس مثل زمانهم قد الخذاء على مثاله
 ورجال دهر كمثل دهرك في قلبه وحاله
 وكذا إذا فسد الزمان جرى الفساد على رجاله

ولقد كان ابن لنكك ، وهو الشاعر الذي تلبسه الألم ، فحمل راية
 التمرد ، أكثر ادراكاً ووعياً من ابن دريد لاسباب شذوذ الزمان وانحرافه عن
 الصواب فلقد رأى في زمنه العجائب ، ورأى كيف «أصبحت الأذنان فوق

(١) خاص الخاص ١٤ ، معجم الادباء ٧/١٩ . والزمان الافة .

(٢) بغية الوعاة ٩٤ .

(٣) أدب الدنيا والدين ١١٣ .

الدوايب « (١) فأحس ان ما يحصل في الزمن لا لقصور منه ، لكنه ناتج عن خطأ كبير في المجتمع نفسه ، لذلك لم يصبر على هذا الهذر الكثير الذي حبه الناس على الزمان فقال بشجاعة من يعترف بالذنب (٢) :

يَعيب الناس كلهم الزمانا وما لزماننا عيبٌ سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا ولو نطقَ الزمانُ اذاً هجانا (٣)
ذئاب كلنا في خلق ناس فسبحانَ الذي فيه برانا
يعافُ الذئبُ يأكل لحمَ ذئبٍ ويأكل بعضنا بعضاً عَميانا

انها الصراحة المتناهية والصراحة الباسلة تلك التي هدر بها ابن لنكك ماسكاً خيطاً سميكاً من خيوط انحراف الزمان ، مسجلاً في شجاعة نادر شذوذ مجتمعه فكان بذلك علامة مضيئة من علامات الكفاح الانساني في زمن عزّ فيه الشجاع ، وندر فيه الغيور ونجد من الشعراء من يقف موقف ابن لنكك من اهل زمانه ، فلا يضع وزر الانحراف على الزمان رامزاً ، وإنما يجاهر بشكواه من اهل الزمان ، فأبوا احمد بن حماد البصري يقول بصريح اللفظ (٤) :

لا أشتكى زمني هذا فإظنمه وإنما اشتكى أهل ذا الزمن
وقد سمعت أفانين الحديث فهل سمعت قط بحرٍ غير ممتحن

هذا صوت واضح يؤيد ما قلناه من ان الشكوى من الزمان كانت عملية محتالة ورمز ، وان الشجاع وحده هو الذي يستطيع مجابهة اهل الزمان او

(١) الهيتمة ٢ / ٣٤٩ .

(٢) بغية الوعاة ٩٤ ، معجم الادباء ١٩ / ٨ .

(٣) ذكر صاحب المحدثون البيتين الاولين في ترجمته للامال الشافعي واثبتها بهذا الشكل :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
ونهجوا ذا الزمان بغير جرم ولو نطق الزمان اذا هجانا

ينظر المحدثون ١٤٠ .

(٤) تمة اليتيمة ١ / ١٤ .

حكاه بحقيقة زيفهم ، وقسو مظالمهم لذلك جازت له الاشادة بابن لنكك ومن تبعه من الشعراء الساخطين .

السخط والسلطة :

نظلم المجتمع العراقي اذا نظرناه بمنظار قاتم لا يظهر الا الجانب السلبي منه ، وقد نكون - الى حد ما - مع من يرى فيه مجتمعاً مفككاً ، تسوده الشكوك ويعضه اليأس ، لكننا نؤمن ابدأً أن المجتمع لن يموت وأن « بوراً ثورية » واصواتاً شجاعة لا بد أن تظهر معلنة سخطها وتمرداها على من كان السبب في صنع الظروف الشاذة التي اوصلت المجتمع الى هذه المرحلة .

ولقد كان ابن لنكك وبعض من شعراء العصر أصواتاً منبهة ، وعلامات كبيرة من علامات السخط والتمرد .

فاذا ما أحس أحد هؤلاء الشعراء بوطأ الظلم ولم يجد في نفسه شجاعة كافية تجعله يواجهها اخترن مشاعره وقال (١) :

كم نفحة لي على الايام من ضجر تكاد من حرّها الايام تحترق
أما اذا كان شجاعاً ، مغامراً بحياته او رزقه كابن لنكك فانه يتمرد ويعلم
يأسه من صلاح الامور الفاسدة لذلك فهو يقول (٢) :

مضى الاحرارُ وانقرضوا وبادوا وخلّفتني الزمانُ على علوجِ
وقالوا : قد لَزِمَتَ البيتَ جيداً فقلت : لفقَدَ فائدةَ الخروجِ
فمن ألقى إذا أبصرتُ فيهم قروداً راكبين على سروج ؟

ولا بد ان يكون القروود والعلوج ، هم اهل السلطة او من تبعهم وانتفع منهم ، ويكون قريباً من هذا الوصف ، متفقاً معه الى حد بعيد في المعنى والقصد ما قاله محمد ابن عبد الواحد التميمي عن بعض متقدمي مجتمعه من حكام او اغنياء (٣) :

(١) اليتيمة ٢ / ٣٥٠ .

(٢) نفسه ٢ / ٣٤٩ .

(٣) تنمة اليتيمة ١ / ٦٥ .

كم حمار هو أولى بشهيق ونهيق
يكتسي في الشتوة الحرّ وفي الصيف الديق

وإذا كان رؤساء الزمان واهل سلطته جهالاً ، او اغبياء ، يسحبون بأذيالهم مظالمهم ، كان من الطبيعي أن يفقد الناس الثقة بهم ، فالسلطان - وقد يقصد بهذه اللفظة الخليفة او الملك البويهي لم يكن مؤتمن الجانب ، حتى لقد نظره رجاله نظرات كلها ريبة وتشكك فقال الصاحب بن عباد احد وزراء آل بويه (١) :

إذا أولاك سلطان فزده من التعظيم ، واحذره وراقب
فما السلطان الا البحر عظماً وقرب البحر محذور العواقب

وأسوأ من هذه النظرة ، نظرة العامة الى السلطان ومن يوليه السلطان ، فلقد كانت تراه وباءاً يجب الابتعاد عنه وعمن يمسه حتى بلغ بها الامر الى ضرب الامثال فقالت : « من ولاه السلطان فقد صبّعه (٢) الشيطان » (٣)
والى مثل هذا المعنى اشار الشاعر بقوله (٤) :

قد كنت أزم صاحب وأبره حتى دهتك أصابع الشيطان
حذّ الإله بنانها فأبانها كم غيرت خلقاً من الانسان
وعلى هذا الاساس ، وانطلاقاً من هذه النظرة المتشككة سحب الناس ثقتهم بأصدقائهم وقطعوا صلاتهم باخوانهم حالما رأوهم من اصحاب السلطان وولائهم مؤمنين ايماناً قاطعاً بالمثل الشعري السائر آنذاك والذي يقول (٥) :

وكل ولاية لا بسد يوماً مغيرة الصديق على الصديق

(١) التمثيل والمحاضرة ١٤٣ .

(٢) صبّعه : مسه بأصابعه أو أشار اليه بأصبعه .

(٣) التمثيل والمحاضرة ١٥١ ، حمار القلوب ٧٤ .

(٤) نفسها .

(٥) التمثيل والمحاضرة ١٥١ .

هذه الثقة الميئة بالسلطان وولائه هي حاصل منطقي لما كان يقوم به هؤلاء من ظلم وتجن وتكبرّ حالما تأخذهم نشوة السلطة والحكم .

ان هذه الثقة من النوازع البشرية التي تتعرض للضمور والموت ، ولا بد أن تموت ثقة الناس بحكامهم عموماً وبملوكهم خصوصاً ، فالملوك - وهم عماد السلطة - لم يعودوا ذلك الرمز الخيّر الذي يقتدي بسيرته لأنهم بدأوا يلعبون لعبة الزيف والدجل ، فاتخذوا لأنفسهم قضاة وولاة مشوهين في اخلاقهم قاصرين في افكارهم وعلمهم ، وقد ابعدوا في الوقت نفسه عن مسامعهم نصائح رجال العلم والخير وسدّوا ابوابهم بوجوههم في حين فتحوها امام اهل الرقاعة والسخافة والمخرقة ، وقد ادى كل ذلك الى تشوية معالم الحتمية وتدنيس الصورة النبيلة للحياة وهذا ما جعل ابن لنكك بغضب ويردد بشجاعة (١) :

يا طالباً بالعلمِ حظاً مُسعداً من ذا الزمان، رأيت رأياً مُخرقاً (٢)
انفاقِ عِلْمٍ في زمانِ جهالة ترجو، ودهر عمى، وسخفٍ مطبقِ
كن ساعياً ومصافعاً ، ومُضارطاً تنلِ الرغائبَ في الحياة وتنفقِ
او ما رأيت ملوك عصرك أصبحوا يتجمّلون بكل قاضٍ أحمقِ
لا تلق أشباه الحميرِ بحكمة موّه عليهم ما قدرت ومخرقِ

ان كلمات ابن لنكك هذه تحدّ لأكبر واقوى عناصر السلطة ، وهو الملك وقد يقصد بالملك الخليفة ، او الملك البويهي ، وأرى أنه قصد الثاني وفي هذا غاية الشجاعة لأنها اول مواجهة صريحة ابية لآل بويه الذين اخذوا يضمّنون القضاء لأناس لا يمتلكون من مقوماته غير المادة ، وهي غاية في الشجاعة لأن آل بويه قساة لا يهمهم - في سبيل مصلحتهم - ان يقتلوا او يشرّدوا او

(١) البتمة ٢ / ٣٥٢ *

(٢) يقول محقق البتمة ان هذه الكلمة ربما تكون « مخرق » . وهذا هو الاصوب ، ينظر

لسان العرب ١٠ / ٣٣٩ ، ٧٨ .

يسجنوا ، وتبلغ شجاعة ابن لنكك حداً المثير حين لا يتردد في قوله لحكام زمانه (١) :

لُعْنَمَ جَمِيعاً مِنْ وَجْهِ لِبَلَدَةٍ تَكْتَفِهِمْ جَهْلٌ وَلَوْمْ فَأَفْرَطَا
وَأَنْ زَمَاناً أَنْتُمْ رُؤْسَاؤُهُ لِأَهْلِ بَأَنْ يُخْرِي عَلَيْهِ وَيُضْرَطَا
إِلَى كَمْ تَعْيِبُونَ اللَّثَامَ وَأَنْسِي أَرَاكُمْ بِطَرَقِ اللَّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا
وهو حين يشتمهم بهذه الجراحة فلأنه مدرك صدق قوله وواثق من ان
هؤلاء الحكام ما هم الا صورة مشوهة للانسان وهم كما قال فيهم (٢) :

لَا تَخْدَعْنِكَ اللَّحَى وَلَا الصُّورُ تَسْعَةُ أَعْشَارِ مَنْ تَرَى بِقَرُ
تَرَاهُمْ كَالسَّحَابِ مَمْتَشِرًا وَلَا يَسُ فِيهِ لِطَالِبٍ مَطْرُ
فِي شَجَرِ السَّرْوِ مِنْهُمْ مِثْلُ لَهُ رُؤَاؤُهُ وَمَالُهُ ثُمَّ رُ
وعلى هذه الرؤية الجيدة لحكام عصره ، القى براقع الخوف عن نفسه ،
وواجه هذه العناصر الطارئة الشاذة التي تحكمت برقاب الناس وليس لها في
الحكم معرفة ولا دراية .

الوزراء والسخط :

إذا لم يسلم الملك او السلطان من التعرية وتبيان النقائص فلا يمكن للوزير
ان يتخلص من السن الشهير والتنديد ، وقد كان الكلام على رذائل السلطان
ولؤمه وجدب تفكيره يأخذ طابعاً شاملاً ولكنه حين وصل الى الوزراء بدأ
يحدد ، ويشير ويشخص بالاسماء .

وفي الثلث الاول من القرن الرابع اشتدت حملة التنديد بالوزراء بشكل
بلغت النظر ، يعود ذلك الى كون امور الدولة كلها بيد الوزراء ، ولهذا فهم

(١) اليتيمة ٢ / ٣٥١ ، خاص الخصاص ١٤٠ ، ثمار القلوب ٤٨٤ . وفي هذه المصادر
اختلاف في بعض اذفاظ لا يغير المعنى كثيراً .
(٢) اليتيمة ٢ / ٣٥١ .

الجدار الذي تتجمد على صفحته نظرات كل المتطلعين الى المال أو المنصب أو الجاه أو الحياة المستقرة المطمئنة .

واذ مر العراق في عهد وزراء هذه الفترة بأسوأ وضع اقتصادي وسياسي كان من الطبيعي أن نجد تدمراً وتأفناً وسخطاً يصل حد الشثيمة يصدر من هذا الشاعر أو ذلك في حق هؤلاء الوزراء .

وحين ينظر ابن بسّام ، وهو شاعر صريح مرهف ، الى أوضاع المجتمع ويلتفت الى الوزارة المسؤولة عن هذه الاوضاع فيراها حكراً على بني الفرات ، يستغلونها ويملؤون خزائنها من عطائها ورشاواها وينهبون بحمايتها الأقطاع والعقار فيذلوا الانسان بعد أن يسلبوه ، حين يرى كل هذا يقول (١) :

يا ربّ انك عدل على البريّة شاهد
بنو الفرات ثقال وكلهم لك جاحد
ثلاثة ليس فيهم الاّ ثقيل وبارد
يا ربّ ان كان لا بدّ من ثقيل فواحد

ومثلما كان هؤلاء الثلاثة (الابناء) يرمون بثقلهم على كاهل المجتمع العراقي جاء الى الوزارة في فترة متداخلة مع فترة آل الفرات حامد بن العباس وزير اقطاعي تاجر يحمل معه كل غباء الاقطاع (٢) وجشع التجار ، فسام الناس ظلماً ، واحتكر خبزهم فنشر المجاعة والموت ، وما قدر بعد ذلك على تدبير أمور الوزارة فأوكلت الى رجل حصيف هو علي بن عيسى ، وظل حامد يجمع المال ، ويسلب الناس فهجي وشتم ، وقال الشاعر يخاطب علي بن عيسى (٣) :

(١) الوزراء ٨٦ .

(٢) ينظر عن بلادة حامد بن العباس ما روى عنه في المفوات النادرة .

(٣) الفخري ٢٦٩ .

قل لابن عيسى قولاً يرضى بها (ابن مجاهد)
 أنت الوزير وإنما سخروا بلحية حامد
 جعلوه عندك سترة لصلاح أمر فاسد
 مهما شككت فقل له : كم واحداً في واحد ؟

ومن خلال هذه الكلمات المستهزئة بالوزير حامد يظهر لنا مقدار انهيار السلطة وفساد أمرها ، وإذا سخر من جعل ابن عيسى وكيلاً للوزارة بلحية حامد ، فقد سخر الناس أيضاً بصاحب هذه اللحية فتناقلوا أخبار مطامعه ونوادر غبائه ، وثاروا عليه ورجموه بالحجارة سلاحهم العتيد في كل أزمان غضبهم ، فسقط حامد ، وانتهى كما ينتهي أي غبي ظالم مخادع ، لكن الوزارة لم تنتزه ، فلقد صعد إليها وزراء كثيرون أغلبهم ضعيف أو غبي أو دجال مرتش .

ومن الطبيعي ألا يسكت بعض الناس على وجود الوزراء غير الشرعي ، فحين يتولى الوزارة الحسين بن القاسم بن عميد الله بن سليمان بن وهب وهو رجل « لم يكن بارعاً في صناعته ، ولا شكرت سيرته في وزارته » (١) يتذمر جحظة البرمكي من وجوده واختلال الامور في زمنه ويقول هاجياً (٢) :

إذا كان الوزير أبا الجمـالٍ ومحتسب البلاد « الدانيالي »
 فعدّ عن البلاد ، فعن قليل ترى الأيام في صور الليالي
 تقضت بهجة الدنيا وولت وأذن كل شيء بارتحال
 وقد يكون مبعث هذه الأبيات مشاعر أنانية فردية مؤطرة بالغيرة والحسد لكنها مع ذلك تسجل وقفة جريئة أخرى لحظة وشهادة واضحة على انحطاط الوزارة والمناصب الادارية الاخرى .

(١) نفسه ٢٧٤ .

(٢) نفسه .

ومثل جرأة جحظة في نقده اللاذع كانت جرأة أبي الفرج الأصفهاني وهو يهجو البريدي حين تولى الوزارة ويقول (١) :

يا سماء اسقطي ويا أرض ميدي قد تولى الوزارة ابنُ البريدي
ومهما تبلغ شجاعة نقاد الوزارة ووضوح صورهم عنها فانهم لا يستطيعون أن يعبروا مثلما عبّر ذلك الشاعر الذي هزه الألم وهو يرى الخيول الكثيرة في اصطبلات وزير المستكفي الضعيف أبي الفرج محمد بن علي السامري (٢) تعامل معاملة لا يحلم بها كثير من بني الإنسان آنذاك ، كما أحزنه أيضاً أن يجد مثل هذا الوزير الابله وهو يملك الخيول والترف والسلطة بينما لا يجد غيره ممن يملكون العقول المفكرة مركوباً أو أجرة ركوب ، وبهذه الدوافع الذاتية المتفاعلة مع المشاعر المتألّمة لما تجده من شذوذ ينطق الشاعر فيقول : (٣)

الآن إن كَفَرَ الْمُقْتَرُّ رِزْقُهُ قالوا : كَفَرْتَ فَخَفَّ عَذَابُ النَّارِ
أأكونُ رجلي مركبي وجنيتي خُصِّي على ذُلِّ بـِئـِذْكَ وَعـِـارِ
والسرّ من ورائي في إصطبله مائتا عتيق فاره مختـِـارِ
كلبٌ حمارٌ بالخيول ، وكاتبٌ فـَطـِـنٌ يـُضـِـيـِـقُ بهِ كِـرَاءِ حـِـمَارِ
أنا قد دَهَشْتُ فَعَرَّفُونِي أَنْتُمْ هذا من الإنصافِ في الأقدارِ ؟

وهكذا كانت المشاعر الفردية الحاقدة تتلاحم مع الامتعاض السائد من الوزراء بخاصة والسلطة بعامة فتتكون لنا من هذا التلاحم صور نقدية لاذعة تبرز أهم المعالم الاجتماعية والسياسية التي عمت العصر .

(١) نفسه ٢٨٥ .

(٢) أبو الفرج أحمد بن محمد وترجمته في الفخري ٢٨٧ . وذكره ابن الاثير في الكامل ٤٢١ / ٨ ، ٤٤٧ ، ٤٦٨ ، وفي تعبه قال الساري والسرراني والسرمن رأني ، أما صاحب المروج فقال السامري وقد ذكر ميخائيل عواد أن اسمه احمد بن محمد السامري ، ينظر أقسام ضائعة من الوزراء ص ٢٥ .

(٣) الفخري ٢٨٧ .

ما قيل في القضاة :

حين بلغ الامر بالقضاة أن صار يضمّن لمن يبذل مالا أكثر كان من المتوقع أن تنهار كل الاعتبارات الأخلاقية التي كانت متمثلة في القضاة (١) .

فبعد أن كان القاضي شخصية مستقلة مهيبة لها سمعتها الطيبة ، وحرمتها لمصونة ، نزل به الامر ، وصار جزءاً من كيان الدولة العباسية المتحور الممتليء بالعيوب والجهل والتردي الأخلاقي (٢) .

وكان لا بد للقاضي - وهو يشترى منصبه بمبالغ طائلة - أن يغدو سوطاً قاسياً ويداً غاصبة ، فبدأت نفسيته تهبط ولعبت بأهوائه الرشوة ، حتى وصل ظلمه حداً لا يطاق فاستغاث الناس من القضاة ورجلهم ومظالمهم وقال شاعرهم مبيناً ما بين القضاة الاوائل وقضاة القرن الرابع من فرق (٣) :

كنا نَقِيرُ من الولاة الجائرين الى القضاة
فالآن نحن نَقِير من جور القضاة الى الولاة

وإذا كثّر النهب واستمرّ القضاة أسلوب الرشوة في تقرير الاحكام ، وحرفها الى جانب الراشي ضج الناس من هذه الافعال الدنيئة التي بدأ القضاة يجترئون بها على مقام العدل والانصاف وكثرت الاقوال الناقدة والالفاظ المستهزئة ، وصار اسم القاضي مرتبطاً بلفظ الرشوة والظلم ، ووصف الشعراء هؤلاء القضاة المرتشين بصور شعرية واضحة حادة فقال شاعر هضم حقوقه أحد القضاة (٤) :

إذا ما صُبَّ في القنديل زيتٌ تحولت الحكومةُ للمقنديل

(١) من الشروط التي يجب أن تتوفر في القاضي ان يكون صادق اللهجة ، ظاهر الامانة عفيفاً عن المحارم متوقياً للمآثم ، بعيداً عن التريب ، مأموناً في الرضا والغضب ، ينظر في شروط القضاء الاخرى الاحكام السلطانية ٦٥ وما بعدها ، نهاية الارب ٦ / ٢٤٨ وما بعدها .

(٢) ينظر في أمية بعض قضاة هذا القرن الهفوات النادرة ٣٢٧ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ١٩٣ .

(٤) التحف والهدايا ١١٩ .

وعند قضائنا حكمٌ وعدلٌ وبتلر حينٌ ترشؤهم بسئبل
وقال آخر يصف أساليبهم المحبوكة في استلاب أموال الناس بالقوة
والرشوة (١) :

فلا تجعلني للقضاة فريسة فان قضاة العالمين لصوص
مجالسهم فينا مجالس شرطة وأيديهم دون الشصوص شصوص

• • •

أو :

قضى لمخاصم يوماً فلماً أتاهُ خصمه نقض القضاء

• • •

أو :

إذا كان القضاء الى ابن آوى فتعديل الشهود الى القرود
انها نعمات تحمل مع طابعها الاستهزائي روح تحذ لقضاة شدوا - مثل
بقية رجال الحكم - عن الاسلوب الصائب في معالجة أمور الناس وقضاياهم
الدينية والديوية .

ويبلغ التحدي مرحلة شجاعة حينما يواجه فلان بن فلان من القضاة
فيهزأ به ويبين عيوبه وشدوذه فاذا ما مات الراضي عزل ابو نصر يوسف بن
عمر الأزدي عن القضاء وعين محله محمد بن عيسى المعروف بابن موسى
الضريبر تألم غاية التألم وشدته مصلحته الشخصية المضروبة الى جانب الحق
فقال (٢) :

يا محنة الله كُفي إن لم تكفي فحفي
ما آن أن ترحمينا من طولِ هذا التشي
نورٌ ينال الثريـاً وعالم متخفي

(١) التمثيل والمحاورة ١٩٣ .

(٢) نزعة الالباء ٢٠٩ .

وإذا كان في هذه الأبيات كثير من الالم الذاتي ، والمشاعر الانانية فإن ذلك لا ينبغي صدق تعبيرها عن زمن ضاعت فيه معايير الحياة ومنها معايير القضاء .

وقد يكون ابن سكرة اكثر شجاعة وجراءة حينما انتقد القاضي أبا السائب وأظهره مرتشياً جائراً لا يرعى للحق حرمة ، ولا للعدل منزلة أمام المال .. يقول ابن سكرة (١) :

ان شئت أن تبصرَ أعجوبة من جور أحكام أبي السائب
 فاعمد من الليل الى ضربة وقرّر الأمر مع الحاجب
 حتى ترى مروانَ يُفَضِّي له على عليّ بن أبي طالب
 ولم يكن أبو السائب منفرداً في أخذ الرشوة والانحراف عن طريق القضاء
 الصائب ولم يكن وحده الذي ساقه ابن سكرة بلاهب النقد ولاذع الكلام ،
 فلقد واجه ابن سكرة مثل هذه الجراءة والصراحة قاضياً آخر أكثر من أبي
 السائب شذوذاً وانحرافاً ورشوة ، ذلك هو ابن أبي الشوارب واحد ممن كان
 يضمن القضاء (٢) ويتهم بالرشوة ، ولقد رسم ابن سكرة صورة مخزية
 تدلل على خسة هذا القاضي ووضاعته ، وتشير الى مدى ما وصلت اليه سلطة آل
 بويه من انحراف اخلاقي وديني ، هذه الصورة تظهر ومعها علامات اجتماعية
 أخرى في قوله (٣) :

نوبٌ نُنوبك بالنوائب وعجائبٌ فوقَ العجائبُ
 وغرائبٌ موصولــــة في كلِّ يومٍ بالغرائبُ
 مما جنى قاضي القضاء ة حد ندلُّ بنُ أبي الشواربُ
 قاضٍ تولّى بالصّبـو حـ وبالطبول وبالذبادبـ

(١) المنتظم ٧ / ١٨٦ و ابو السائب هو عتبة بن عبد الله الهمداني ت ٣٥٠ ولي القضاء في بغداد ٣٣٤ هـ وصار قاضي القضاة ٣٣٨ هـ ، المنتظم ٦ / ٣٤١ .

(٢) هو محمد بن الحسين ترجمته في المنتظم ٦ / ٣٨٩ والبيداية والنهاية ٨ / ٣٣٣ توفي

٣٤٧ هـ

(٣) تكلمة الطبري ١٨٤ .

ومناديان يناديان عليه في وسط الكواكب (١)
هذا الذي ضمن القضاة مع الفروج بغير واجب
هذا قدار زماننا وأخو المثلث والمعائب (٢)

إنها صورة ساخرة تظهر مع معائب هذا القاضي وجنایاته حدائة انحراف
القضاء عن طريقه التويم (٣) وما جلب هذا الانحراف معه من المظالم العجيبة
والافعال الشاذة الغريبة، والاستغراب ليس مبعثه انفعالاً وقتياً أحس به ابن
سكرة بل هو ناتج عن انسلاخ القضاة من لبوس الحق والصواب واتخاذهم
شذوذ بقية حكام العصر ملبساً ومجاهرتهم بوضعهم الرديء الجديد .

في منصب يلفه الشذوذ ويستحصل بالضمان والرشوة لا بد أن يحدث
الاهتزاز الدائم والتغيرات المستمرة السريعة ، ولذلك غدت الوجوه التي
تذهب وتجيء الى مركز القضاء كثيرة ومتعددة ، وصار اسلوب العزل والتولية
في القضاء مبعث تندر واستهزاء وضحك فاذا صرف أبو الحسن محمد بن عبد
الواحد الهاشمي عن قضاء البصرة عام ٣٥٦ هـ وولي مكانه رجل لم يكن عند
أهل البصرة بمنزلة محترمة اكثروا من الضحك عليه والنقد له وللقضاء الذي
يتولاه . وقد رسم له ابو القاسم ابن بشر الأمدي صورة (كاريكاتيرية)
مضحكة حين قال (٤) :

رأيت قلنسية تستغيث من فوق رأس تنادي خذوني
وقد قلقت فهي طوراً تمي ل من عن يسار ومن عن يمين
فقلت لها أي شيء دهالك فزدت بقول كتيب حزين :
دهاني أني لست في قالي وأخشى من الناس أن يبصروني

(١) أظن أن هذه الكلمة في (المواكب) وهذا ما يقرب به المعنى .

(٢) الصحيح معائب .

(٣) يذكر التنوخي أن أول من وضع منه وأدخل فيه قوماً بالضمانات هو ابن الفرات .

ينظر نشوار المحاضرة ١ / ١١٤ .

(٤) نشوار المحاضرة ١ / ١٨٥ ، وفي الكناية للتعاليبي ص ٤٥ نسب بعض هذا الشعر لابن

سكرة قاله في القاضي ابن قريعة والتنوخي أثبت لأنه أقدم .

وَأَنْ يَعْبَثُوا بِمَزَاحٍ مَعِيَ وَأَنْ فَعَلُوا ذَلِكَ بِي قَطْعُونِي
فَقُلْتُ لَهَا : مَرَضٌ تَعْرِفِينَ مِنَ الْمُنْكَرِينَ لَهَذَا الشُّؤُونِ
وَمَنْ كَانَ يَشْهَقُ أَمَا رَأَىكَ وَيَخْرُجُ مِنْ جَوْفِهِ كَالرَّيْنِ

• • •

ويسلح ملاك كليل التمام إماً على صحة أو جنون
ففارقها ذلك الانزعاج وعادت الى حالها في السكون
وإذا كنا قد رأينا من خلال هذه الصورة ما عليه هذا القاضي من صغر
وتفاهة فاننا نرى أيضاً لباس رأس القاضي قلنسوة كبيرة تبعث على الهيبة لو
أن صاحبها كان يملك زمام نفسه وأطماعها وكرامتها .. ولا تنتهي مرحلة
التقلب والتبدل (القضائي) كما لا تنتهي معها كلمات الهزء والسخرية ، فاذا
حلت سنة تسع وتسعين وثلثمائة صرف قاضي البصرة أبو عمر بن عبد الواحد
وتقلد مكانه أبو الحسن بن أبي الشوارب فقال فيها الشاعر العصفري
متندراً (١) :

عندي حديث طريف	بمثله	يتغنى
من قاضيين يعزى	هذا وهذا	يهنأ
فإذا يقول اكرهونا	وذا يقول اسرحنا	
ويكذبان ونهذي	فمن يصدق منا ؟	

وهكذا نجد أن القضاء منذ السنوات الأولى للقرن وحتى سنواته الأخيرة
يبقى ملتصقاً بالشبهات والمظالم والرشاوى ، ويظل القاضي الجيد في هذا العصر
نوعاً من الاعجوبة ، لا يصدق مجيئوه وينظر الناس سرعة عزله ان تسلم مثل
هذا المنصب .

ويشبه القضاء في فساد ودرءة حاله الفقه أيضاً ، فلم يكن حال بعض

(١) المنتظم ٧/ ٢٤٤ ، الكامل ٩/ ٢١٢ . وابن أبي الشوارب هذا هو احمد بن محمد
ابن عبد الملك بن أبي الشوارب ت عام ٤١٧ هـ وترجمته في المنتظم ٨/ ٢٥ وبداية والنهاية
٢٠/ ١٢ .

الفقهاء ومدعيه بأحسن من حال القضاة في ابتداع أساليب السطو والاحتيال
وبهذا يقول ابن لنكك (١) :

أقول لعصبة بالفقه جالت وقالت ما خلا ذا العلم باطل
أجل لا علم يوصلكم سواه الى مال اليتامى والارامل
أراكم تقبلون الحكم قلبا اذا ما صب زيت في القنادل

وقد يقصد ابن لنكك هنا أهل الفقه فعلا ، وقد يقصد القضاة الذين
يستغلون الفقه الاسلامي لسلب الناس ، وهذا فهو يسجل صورة مظلمة
لاستغلال الشرع الاسلامي من أجل المصالح الفردية والاطماع الانانية التافهة .

السخط السليبي :

مثلما كان هناك شجعان ذوو ارادة وصراحة يقولون ما يستشعرونه من
آلامهم أو آلام الآخرين بكلمات تفيض بالسخط أو التمرد وتمتليء بالعزم
والثبات كان بالمقابل - وهو الأغلب الأهم - أناس يشسوا من الحياة وعدوا
مجابهة العنف بالعنف شيئاً لا يجدي الانسان نفعا في زمن رخصت فيه قيمة
الانسان وأبتذلت كرامته وقد يكون قسم من هؤلاء المنهزمين غير مفكر على
الاطلاق بالمجابهة مقتنعا اقتناعاً كلياً بوضعه المزري المشين .

على أن بعض هؤلاء سجل لنا مع انهزاميته الجانب المظلم لحياة المجتمع ،
ووضع اشارات واضحة لما كان يسوده من أجواء مشحونة بالرعب والموت
فالشاعر الذي يقول (٢) :

قد أصبح الناس في غلاء وفي بلاء تداولوه
من يلزم البيت يود جوعا أو يشهد الناس يأكلوه

(١) معجم الادباء ١٩ / ٨ والبيت الاخير كأنه مأخوذ من قول الشاعر (اذا ما صب في
القنديل ... البيت) .

(٢) الادب في ظل بني بويه ٤٨ .

أو الذي يقول :

لا تخرجن من البيوت حاجة أو غير حاجة
والباب اغلقه عليك موثقاً منه رتاجه
لا يفتنصك الجائعون فيطبخونك شور باجه

هذا الشاعر وان لم يقدم لنا حلاً لهذه الأحوال والأحوال والمجاعات وان يبين لنا ضعفه وهروبه فانه سجل جانباً من حياة المجتمع العراقي عاشها وقتاً ليس بالقصير ، فلقد تراكت عليه المجاعات حتى اضطرت بعض الناس الى أكل الجيف والكلاب والقطط والاطفال .

ومثل هذا الشاعر في هزيمته وسخطه السليبي كان الكثير من ابناء بلده واتباعه الشعراء ، وقد كان منهم من يقابل الأوضاع الشاذة هذه بالحسرة والأسف ويغمر إحساسه بوضاعة مركزه الاجتماعي واندحار مبادئه الاخلاقية بجو من اللهو ينسى فيه هموم زمنه ، مثل هذا الانسان كان يقول (١) :

أصبحت من سفلى الانام اذ بعث عرضي بالطعام
الى أن يقول :

حي القدور الراسيات وان صممن عن الكلام
لهفي على سكباجة تشفي القلوب من السقام
يا عاذلي أسرفت في عدل الخليلع المستهام
دع عدل من يعصي العذول ولا يصيخ الى الملام
خلع العذار وراح في ثوب المعاصي والاثام
سلس القياد الى التصابي والملاهي والحرام
اننا نجد في الأبيات الأولى سخطاً وحرماناً وألماً ونجد في الأبيات الأربعة
الاخيرة بخاصة تغليفاً بارزاً للهزيمة أمام مسببات هذا الألم والحرمان .
وان كان هذا الشاعر يعوض عن تصاغره ومذلتة بالهروب « اللهوي » ان

(١) الامتاع والموانسة ٢ / ٥٠ .

جاز التعبير فهناك من يهرب بصورة أكثر اتزاناً وحفظاً للكرامة بأن يبتعد عن الناس ، ويقعد بيته أو يشل فاعليته في المجتمع ولا يشترك بأية عملية من شأنها أن تؤثر على مركزه أو تقلق باله فيرتاح أبو حيان لنغمة الهروب وهو يسميها شجواً في لبيب كره المقام في هذه الدار التي قد امتلأت بالذئاب فقال (١) :

نظرت فلم يعلق بقلبي سوى القذى وجلت فلم أجلب لنفسي سوى الأذى
ولم أر وجهاً مستحقاً « لمرحبا » ولا وجه أمر مستحقاً لـ « حبدا »
رأيت شرار الناس يمضون حكمهم على الجانب الأدنى الى الشر منقدا

• • •

فحسد نائيا عن سمتهم متحرزا وسر بينهم من شرهم متعوذا
وعش هكذا طول الحياة فربما سلمت عن الاشرار ان عشت هكذا
ولم يسلم أبو حيان مع تحرزه وتعوذه من شرور الحياة ومآسيها ولهذا فان محمد بن عمر العنبري (٢) حين يرى اختلال الزمان وتدهور القيم عند أهله يقبع بعيداً بعد أن ينسل من زحام الحياة خوفاً من أن ينوشه ضرره مثلما فعل بأبي حيان ثم يقول مسوغاً هذا الابتعاد (٣) :

اني نظرت الى الزمان وأهله نظرا كفاي
فعرفته وعرفتهم وعرفت عزّي من هواني
فلذاك أطرح الصديق فلا أراه ولا يراني
وزهدت فيما في يديه ودونه نيل الاماني
فتعجبوا لمغالب (٤) وهب الاقاصي للأداني
وانسل من بين الزحام فما له في الغلب (٥) ثاني

(١) الاشارات الالهية ٨٨ .

(٢) ت ٤١٢ ترجمته في المنتظم ٨ / ٤ ، البداية والنهاية ١٢ / ١٢ .

(٣) نفسها .

(٤) في المنتظم لمقالة ولا يستقيم معها المعنى .

(٥) في المنتظم الخلق .

لقد أصبحت الهزيمة علنية وأسبابها واضحة وأخذ الناس يحسبونها نوعاً من الشجاعة ، فما كان يتسنى لكل واحد أن ينهزم لأن في الهزيمة آنذاك حفاظاً على الكرامة الذاتية والقيم الفردية وهي كشف عن الجوانب السيئة التي دعت الى سلوك سبيلها ، ولهذا يمكن ان نعدها نوعاً من الشجاعة « المهزوزة » التي تخدم المجتمع بما تقدمه له من صور مظلمة لقساوة الزمان ومن أمسك بزمام الزمان .. نجد مثل هذه الهزيمة الساخطة في قول ابي النصر الهزيمي الايبوري (١):

أما رأيت الزمان نكسا	وفيه للرقعة اتضاع
كل رئيس به ملال	وكل رأس به صداد
لرمت بيتا وصنت عرضا	به عن الذلة امتناع
أشرب مما اقتنيت راحا	ومن قراقيرها سماع
وأجتني من عقول قوم	قد افقرت منهم البقاع

ان في هذه الابيات والتي قبلها أكثر من دليل صريح يشير الى أن المجتمع بات مرتجاً مهزوزاً ، الانسان الشجاع فيه من يستطيع - وهذا يحصل نادراً - أن يحافظ على كرامته ويصون عرضه ولو كان ذلك باقتعاد البيت أو الابتعاد عن الناس ، ومن ثم وأد المشاعر والاحساسات الانسانية بالشرب والسماع واللهو .

ان مثل هذا الشاعر يمثل بالقياس الى الطبقات الاعتدائية أو الذليلة وجهاً انسانياً ايجابياً من وجوه الحياة آنذاك « ففساد الوقت وتغير أهله يوجب شكر من كان شره مقطوعاً وان كان خيره ممنوعاً (٢) » .

وقد يعلل مثل هذا الانسان في القرن الرابع عدم ايجاد الحل الشجاع لمثل انحرافات زمنه بعدم جدوى الحياة وبفناء عمر الانسان السريع يسير بعد ذلك

(١) خاص الخاص ١٨٠ وتنسب هذه الأبيات أيضاً الى ابي نصر الفارابي ينظر عيون الانباء في طبقات الاطباء ٣ / ٢٢٩ .
(٢) أدب الدنيا والدين ١٥٠ .

على قول سعيد التستري (١) :

مالك قد هيمك الهم وضل منك الخزم والفهم
لورمت أن يبقى الأذى ما بقي لا فرح دام ولا هم
وعلى هذا الأساس ، يغرق أغلب أهل العصر أنفسهم بالشراب لينسوا
همومهم ومآسي عصرهم وكأنهم في ذلك يقتدون بابن نباته السعدي حين
يقول (٢) :

يا خليلي ليس للهم شاف نجم القبح واستسر الجميل
وأرانا من الشقاء خلقنا في زمن تضر فيه العقول
فاسقياني مفيد الجهل حتى تربياني ما السقاء أميل
عللاني فكل جد وهزل وعناء وراحة تعليل
وقد نجد نوعاً آخر من الهزيمة الناقدة أو الهروب الساخط ان صح القول
متمثلاً بالدعوة للقطيعة الكلية ، فحين تشتد أزمات الحياة وتعدد نكباتها
يتشأم الشريف المرتضى ويأس فيقول (٣) :

شدّ غروض المطي مغتربا فلم يفز طالب وما طلبا
لا در في الناس در مقتصد يأخذ من رزقه الذي قربا
وما مقام الكرم في بلد ينفق فيه الحياء والادبا
وقد يتألم بعضهم اذا اضطرتهم الظروف الى مثل هذه الهزيمة والمقاطعة ،
وقد يحس ان في عمله هذا اضراراً ومعرفة له ولبلده يفعله ويقول مثلما قال
ابن نبأته السعدي (٤) :

ونبت بنا أرض العراق فما محناً بمحنة
غير الرحيل كفي البلاد بنقلة الفضلاء هجنة
ان كل هذا التخاذل والانهزامية تسجيل وتعداد لمعاب الحياة آنذاك ،

(١) شعراء النصرانية ق ٣ و ٩ و ٢٥١ .

(٢) مختارات البارودي ٤ / ١٣٨ .

(٣) الديوان ١ / ٥٥ ، تنمة اليتيمة ١ / ٥٦ .

(٤) اليتيمة ٢ / ٣٨٤ ، نهاية الارب ٣ / ١٠٥ .

وهو بالتالي سخط « متفاوت السلبية » .

ان حياة محزنة عاشها المجتمع العراقي خلال ثلاثة قرون لم يتنفس في سنة منها عدلاً الا انهارت عليه سنون كثيرة محملة بالمظالم والموت ، لا بد أن تبعث اليأس من الصلاح وبالتالي الهزيمة ، وشيء كبير أن نجد في مثل هذا المجتمع رجالاتاً غاضبين ، أو ساخطين ايجابيين أو سلبيين يبرزون بهذا الشكل أو ذلك جوانب هذه الحياة الشريرة ويشيرون في أغلب الاحيان الى المسؤولين عن التسبب في خلق مثل هذه الحياة .

القيمة الفنية :

يختلف شعر التمرد والسخط اختلافاً كبيراً عن الشعر الذي تناولناه في فصول سابقة فهو شعر وجداني صادق في التعبير عن مشاعر قائله واحساساته المتألماً ، ولهذا فقد جاء خالياً من التقعر والتكلف ، سلساً ، قصير الجملة لا يحتاج من يقرؤه الى سبر أغوار الفاظه أو الشعور بغرابتها .

لقد كان يحكي مأساة الفرد أو المجتمع ، وكانت هذه المآسي طافية على سطح الحياة ، فجاء الشعر الذي يعبر عنها مفتوحاً ليس فيه ما يوحي بالملل والضيق .

انه شعر عاطفة حزينة - في الأغلب - لذلك وجدنا كثيراً من الفاظه وكلماته تدور في قالب الالم والظلم ، والفساد ، والزور والبكاء والموت ولا تختلف بقية الالفاظ في معانيها عن هذه الكلمات والالفاظ الكثيرة .

ولا تعني عاطفية هذا الشعر ووجدانيته علوه الفني أو خلوه من الكلام التقريري الجامد فكثيراً ما نجد هبوطاً فنياً وكلاماً نثرياً متلاصقاً على شكل قطعة منظومة كما نرى ذلك في قول الشاعر :

(لا تحذعنك اللحي ولا الصور ... الايات)

أو قول الآخر :

(قل لابن عيمى قوله ... الايات)

أو في أقوال شعراء آخرين يمكن ملاحظة هبوط الجانب الفني في شعرهم .
ان الشاعر الساخط آنذاك لم يكن يشغله الجانب الفني بقدر ما كان يهيمه أن
ينفعل مع الأحداث ويعبر عنها بما يتسنى له من الفاظ وكلمات وردت في
ذهنه ولذلك تأرجحت القصائد بين جيدة تارة ورديئة تارة أخرى ..

الخلاصة :

سادت مجتمع العراق في القرن الرابع قيم تعدد في العرفين الديني والاخلاقي
شاذة ، وسيادة القيم الشاذة منطق طبيعي للشذوذ الاقتصادي وما يتبعه ويرتبط
معه من شذوذ سياسي .. على أن هذا المجتمع الذي هزمته مثل هذه القيم لم يكن
خالياً من عناصر ناهضة واعية جابهت أو نقدت شذوذ الحياة بأشكال وصور
مختلفة ، ولو وصلت اليها أشعار ابن لنكك كاملة لكانت كافية لتبعث في
نفوسنا الثقة بحبوبة بعض العقول آنذاك ولتجعلنا بعد ذلك نضع مثل هذه
الاشعار في منزلة اجتماعية أعلى من كل ما قاله « الشعراء الفحول من مديح
ودجل .

ان شعراً مثل شعر ابن لنكك وأصحابه يجب أن يقرن الى الحركات التي
وصفها الدارسون المحدثون بالتقدمية ، كانتفاضة الحلاج على قيم عصره
المنحرفة وثورة القرامطة وحركات العيارين وحركة الشعوبية من حيث كونها
ضد العنصرية فهي على هذا الاساس حركة تقدمية وعودة الى ثورة الاسلام
نفسه على العصبيات (١) .

اننا نقرأ كتب التاريخ قديمها وحديثها فلا نجد الا اهتماماً بجمع النصوص
النثرية والاشارة الى النصوص الشعرية دون النفاذ الى ما تبصمه من أحوال
سياسية واجتماعية واقتصادية .

(١) قال ذلك الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه الحركات التقدمية في العراق ٢٤ .

وحتى الدكتور عبد العزيز الدوري حين كتب عن هذا القرن بروح
عامية وموضوعية ودرس الحركات « التقدمة » آنذاك لم يشر الى مثل هذه
النصوص الشعرية ، ومثله فعل كثير من الدارسين المحدثين وإن لم يصلوا
موضوعيته (١) ، وكأن لم يكن الشعر مادة للمؤرخ أو مصدراً للتاريخ .
ان نصاً شعرياً واحداً مما أوردناه يتأكد الدارس من صحته ونزاهته يغني
عن كثير من الكلام السردي والتهويم بين النصوص التاريخية التي كتبت
مشبعة بالاهواء والخوف .

(١) ينظر في دراسات الدكتور عبد العزيز الدوري كتاب الحالة الاقتصادية في العراق في
القرن الرابع ودراسات في العصور العباسية المتأخرة .
عن القرامطة ٢٦ - ٢٨ ، ١٥٥ - ١٨٢ ، والاسماعيلية ١٢٦ - ١٥٥ والبيهارين ٢٨٢ -
٢٨٦ وغيرها من الحركات .

الفصل الثامن

مظاهر حضارية واجتماعية

اللهو .. أماكنه ومجالسه :

لم تكن حصيلة اضطراب المجتمع العراقي مظالم اجتماعية واقتصادية فقط ،
نما أدى ذلك إلى انهيار في القيم الخلقية لهذا المجتمع فانتشر اللهو والمجون بين
طبقاته المختلفة ، وهذا أمر متوقع جداً ففي المجتمعات الطبقيّة عموماً وتحت
ثقل الاستغلال الطبقي تتحلل القيم والاعراف الاجتماعية والدينية فتفسد كثرة
المال عند الطبقة المترفة أخلاق أفرادها ، وتحمل الفاقة والحرمان افراد الطبقات
المعاملة على الشذوذ الخلقى اما لكسب القوت اليومي أو تسييراً عن السخط
وتنفيساً عن الهموم ، او تقليداً للطبقات الحاكمة والمترفة وتشبهاً بها .

ولقد انتشر اللهو والفساد في العراق وعم مختلف مدنه ، ولكن بغداد -
وهي مركز الثقل - وضواحيها كانت أكثر أماكن اللهو ازدحاماً وشيوعاً .
لقد أحصى ابو حيان وجماعة معه في الكوخ المغنين والمغنيات الذين عرفوا
في بغداد فوجدوا « اربعمائة وستين جارية في الجانيين ، ومائة وعشرين حرة ،
 وخمسة وتسعين من الصبيان البدور » سوى من لم يظفروا به ولم يصلوا اليه
« لعزته وحرسه ورقبائه (١) » .

(١) الامتاع والمؤانسة ٢ / ١٨٣ .

وكان في بغداد صبي موصلبي «فتن الناس وملأ الدنيا عيارة وخسارة وأفضح به أهل النسك والوقار (١)» .

وكانت في الكرخ ومناطق أخرى تتردد كثيراً على السنة الناس حينما يحنون إلى أماكن اللهو ، ومواخير الشراب والغناء ، فإذا غاب أحدهم عن حياة بغداد الصاخبة هزه الحنين إليها وردد في وله واشتياق قول الشاعر (٢) :
يا ليالي بالمطربة (٣) والكرخ ودرّب السُّوسيّ (٤) بالله عودي
كنت عندي أنموذجات من الجنة لكنها بغير خلود
وإذ يتذكر هذه المناطق لا يهزه الحنين إليها لأنها منتجع صباه ومواطن أهله إنما يذكرها ويحن إليها لأن فيها متطلبات الإنسان الفاحش ، اللاهي لذلك يردد مرة أخرى (٥) :

وسلام على مواخير بصرى (٦) وأوانا (٧) والقفص (٨) والبردان (٩)
ليت شعري منذ غبت عنها على كم قرر البائعون سعر الدنان
بين خمر تباع في دار روم كل يوم بأوفر الأثمان
وقيان لها جذور ثقال مفردات بالحسن والاحسان

(١) نفسه ١٧٤ / ٢ .

(٢) حكاية أبي القاسم ٧٥ وفي معجم البلدان ينسب هذا الشعر لابن المعتز ٦٧٢ / ٢ .

(٣) المطربة قرية في نواحي سامراء كانت من متزهات بغداد وسامراء ، معجم البلدان

٩٠ / ٨ .

(٤) في معجم البلدان دير السوسي وهو بنواحي سامراء بالجانب الغربي ، معجم البلدان

٦٧٢ / ٢ .

(٥) حكاية أبي القاسم ٤٨ . والأبيات لابن الججاج قطعة من الديوان رقم ٤٤٢ / م ورقة ٩٥

(٦) بصرى من قرى بغداد قرب عكبرا ، معجم البلدان ٤٤١ / ١ .

(٧) أوانا : بلدة كثيرة البساتين والشجر من نواحي دجيل بغداد . وكثيراً ما يذكره

الشعراء الخلفاء في أشعارهم معجم البلدان ١ / ٢٧٤ .

(٨) القفص : قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريب من بغداد وكانت من مواطن اللهو

والطرب ، معجم البلدان ٤ / ٣٨٢ .

(٩) البردان من قرى بغداد ، معجم البلدان ١ / ٣٧٤ ، تقويم البلدان ٣٠٠ .

ونعرف من خلال هذا الكلام كثرة المواخير والحانات في هذه المناطق ،
ونعرف أيضاً ان خصور هذه الحانات قد تسلم أمرها نصارى الروم وأن
القيان والمغنيات قد كثرن وتنوعن ، وتتضح المسألة أكثر حينما يقول عن
أوانا (١) :

حفظ الله أواناً كنت فيها « بأوانا »

• • •

بلدة تجمع خَمراً وقِحاناً وقِياناً
وهنا نجد دليلاً آخر على شيوع البناء ، وكثرة البغايا ، واتساع رقعة
وجودهن .

ومثل بغداد وضواحيها كانت الاماكن الاخرى من العراق ، فحين
يشرب ابن سكرة « بالغمر » من واسط يقول (٢) :

ليتي « بالغمّر » دهري أو يقضي العمر عمري
مرّ بي في العمر يوم لا أجازيه بشكر
بين غزلان النصارى أمزج الريق بخمر

وفعل ابن الحجاج في « عمّر واسط » الذي يبعد عن واسط مقدار فرسخ
مثلما فعله ابن سكرة فقال « وقد خلا قوله من الفحش » ذاكرآ متعه متذكراً
أحبته (٣) :

في العمّر (٤) من واسط والليل ما هبطت فيه النجومُ وضوء الصبح لم يلمح
بيني وبينك ودٌ لا يعيّرهُ بعدُ المزار وعهدٌ غير مطرَح
فما ذكرتك والأقداح دائرة إلا مزجت ، بدمعي باكياً قدحي

(١) حكاية ابي القاسم .

(٢) اليتيمة ٣ / ١٩ واثقن أن المقصود هو (العمر من واسط لا « الغمر ») كما أثبت
محقق اليتيمة .

(٣) ينظر معجم البدان ٤ / ١٥٥ و عمر واسط هو عمر كسكر .

(٤) العمر : الدير .

و مثل بغداد وأوانا وواسط وغيرها كانت الاديرة وملحقاتها ، فلقد كانت هذه الاديرة مبنوثة في الكثير من مناطق العراق ، وكان لكل منها يوم يخرج فيه الناس اليه ، لا يفرقهم في الانس ، واللذة دين أو قومية ، يلبسون أجود الثياب ويتمتعون أطيب المتع .

من هذه الاديرة كان دير أشموني الذي يقول فيه جحظة (١) :
سقيماً لأشموني ولذاتِها . والعيش فيما بين جناها

• • •

إذا اصطباحي في بساتينها وإذ غبوقي في دياراتها
ومنها دير الثعالب الذي يقول فيه الشاعر (٢) :
دير الثعالب مألَفُ الضلالِ ومحل كل غزالة وغزال
ومنها في الحيرة دير (حنّة) ودير (حنظلة) الذي يقول فيه الشاعر (٣)
بساحة الحيرة دير حنظله عليه أذيال السرور مسبله
ومنها دير (سمالو) في رقة الشماسية والذي يقول فيه احمد بن عبد الله
البيهقي (٤) :

الدير دير سمالو للهوى وطر بكر فان نجاج الحاجة البكر
وهناك أديرة خاصة بالنساء (٥) منها دير (الخوات) - جمع أخت -
وهو بعكبرا وأكثر أهله نساء وعيده الاحد الاول من صوم النصارى « وفي

(١) ينظر الديارات ٤٦ ، معجم البلدان ٢ / ٤٩٨ ، مرصد الاطلاع ٥ / ٥٥٢ ، الاوراق

. ٦٥

(٢) الديارات ٢٤ ، معجم البلدان ٢ / ٥٠٢ ، مرصد الاطلاع ٢ / ٥٥٥ ويقع هذا الدير على بعد ميلين أو أقل من بغداد في قرية تسمى الحارثية (ينظر الاوراق ٤٤) وأظن أن هذه القرية هي الحارثية التي صارت ضمن بغداد الآن .

(٣) معجم البلدان ٢ / ٥٠٧ ، مرصد الاطلاع ٢ / ٥٥٧ ، الاوراق ١٤٥ .

(٤) الديارات ١٤ ، معجم البلدان ٢ / ٥١٦ ، مرصد الاطلاع ١٤ / ٥٦٣ ،

الاوراق ٦١ .

(٥) ينظر في أديار النساء كتاب الديارات النصرانية في الاسلام ٢٤ .

هذا العيد ليلة الماشوش وهي ليلة يختلط فيها الرجال والنساء فلا يرد أحد يده عن شيء » وفيه يقول ابو عثمان الناجم (ت ٣١٤ هـ) (١) :

أح لقلبي من الصبابة آح من جواري مزينات ملاح
أهل دبر الخوات بالله ربّي هل على عاشقٍ قضى من جنّاح
وهناك عشرات من الاديبة تبدأ من سامراء وحتى مشارف البصرة لهج الشعراء والمؤرخون بذكر أيام هوها ، ونوادر أنسها ومجالس شراها .

ويرى حبيب (٢) زيات أن الحاق الحانات بالديارات النصرانية كان بعد الاسلام فقد « انبثت على أثر اعتياد المسلمين ابتياع الخمر من الرهبان والتزول عليهم في أماكن عباداتهم فلم يكن لهؤلاء الرهبان والقسسة مجال للرفض لان الاسلام » أوجب على النصرارى في جملة الرسوم الا يمنعوا كنائسهم من المسلمين ان يتزولوها في الليل والنهار ... فلم يكن من ثم بد من وجود مواضع في الديارات لمبيت الزوار وعابري السبيل ، ثم كثر الاضياف والمتزهون في الديرية لمعاقرة الخمر والتبسط في القصف والطرب ، وتفاقم الداء بصحبة الجوارى والغلمان والحظايا لفريق من الأمراء والمتطرفين وأهل البطالة .

وتأذى الرهبان بمثل هذا الاختلاط ، فأعزت الحال الى بناء دور وحجر لهم خاصة الى جانب الاديار يتزل فيها كل من يغشاها من الناس والمسافرين وتقام لهم الضيافات على أقدار كل منهم (٣) .

ومهما تكن قوة دفاع حبيب زيات عن أسباب وجود أماكن اللهب والانس ملحقة بالاديبة ، فالذي شاع عن هذه الاماكن انها كانت مواطن لحو ولا يتبادر الى الاذهان غير أنها مخصصة لذلك فقط لان كثرة ما روي عن أعيادها

(١) تنظر الديارات ٩٣ ، معجم البلدان ٢ / ٥٠٨ ، الأوراق ٨٣ ، ويكذب حبيب زيات ما روى عن ليلة الماشوش هذه ، ويبدو أنها قصة مختلفة وهي تلتصق بفرق دينية كثيرة كالنصيرية والدروز وغيرهم .

(٢) ينظر الديارات النصرانية ٦٢ .

(٣) الديارات النصرانية ٥٨ .

وأيام لهُوها طمس الصفة الدينية التي وجدت الاديار من أجلها .
 ولا بد أن نذكر في حديثنا عن اللهو واماكنه محلاً مهماً من محلاته ذلك
 هو دجلة وشواطئها ، وقد سجل ذلك ابو القاسم في حكايته (١) حين بين
 كيف كانت تشحن دجلة أيام اللهو وساعات الأُنس بالمراكب والزواريق تحف
 بالقصور والجواسق « يرتفع ما بينها أصوات الأغاني وخفقات النايات والسواني
 وأصوات الملاحين » وعلى هذا قال حين تذكر في ذلك غربته (٢) :
 يا أهل بغداد فرقتي لكم يا سادتي غربتي عن الناس
 يهتكم لذة النعيم على دجلة بين السماع والكاس

الدعوة للهو :

في مثل هذه الاجواء الصاخبة ، تعالت مشاعر مادية ضالة تدعوا الى الاخذ
 بمتع الحياة والتلذذ بمباذله ، وتجسم فوائدها ومباهجها .
 ولقد تطوع ابن بسام (وهو شاعر توفي في بداية القرن) فقال داعياً الى
 اللهو والشراب (٣) :

ألا بادر فلا تأن سوى ما عهدت الكأس والبدر التمام
 ولا يكسل برؤيته ضباباً يظن به الخديقة والمدام
 أما الوزير ابن مقلة فقد صور لنا العقلية الحاكمة كما فعل خليفته المقتدر
 فقال (٤) : « أمهات لذات الدنيا أربع ، لذة الطعام ، ولذة الشراب ، ولذة
 النكاح ، ولذة السماع » وبهذا المعنى قال شاعر العصر (٥) :

(١) حكاية ابي القاسم ٢٣ . وينظر في اماكن اللهو قصيدة صريع الدلاء التي قالها في مديح
 فخر الملك . الديوان مخ ٧٦ ، أ ٧٦ ب .
 وقصيدته الطويلة في المفاضلة بين بغداد والبصرة والتي بلغت أبياتها مائتين وسبعة وثمانين بيتاً .
 الديوان ورقة ٦٣ أ وما بعدها .

(٢) حكاية أبي القاسم ٢٤ .

(٣) مطالع البدور ١ / ١٥٣ .

(٤) برد الاكباد للشعالي ١٣٠ .

(٥) خاص الخاص ٦٣ .

وجدت رئيسة اللذات أربعة إذا تُحسبُ
فمنها لذةُ المنكحِ والمطعمِ والمشربِ
ويبقى بعدها أخرى من الصوت الذي يطربُ
وهذي قد تُفيد النفس ابهاجاً ولا تنضبُ

وتغدو هذه التشهيات دعوة ناضجة صريحة على لسان ابن الحجاج حين
يقول (١) :

اعدل إلى الكأس والندامى والأكل والشراب والسماعِ
وأمردي حامع لشرط العناقِ والبوسِ والجِماعِ
أو يقول داعياً لشرب الحمرة (٢) :

ويحكُم يا كهول أو يا شيوخ الفسق أو يا معاشرَ الفتيانِ
اشربوها خمراً مما اقتناها آلُ « دير الفنون » للقربان (٣)

* * *

في ليل لو أنها دفعتني وسط ظهري وقعت في رمضان
وتظل الدعوة إلى اللهو تدور على اللسان ، حتى تصل المجالس فترى
أحدهم داعياً إلى التمتع بجميع اللذات ضارباً بالاعراف والالتزامات لصاحبه
قول الشاعر (٤) :

كل دجاجا وفراخا وجيدا واشو حيلانا صغاراً رُضعا
واشرب الراح التي في دنها شاهدت عاداً ولاقت تبتعا
والغينا الطيب فاسمع منه ما يحضر التحصيل ألا تسمعا
وتمتع بالصبايا لا تكن من أناس يحظرون المتعا

(١) البيتية ٣ / ٨٤ .

(٢) مطالع البلور ١ / ١٦٠ .

(٣) صدر البيت غير موزون ويمكن أن يصلح بإضافة واو أمام « ما » .

(٤) حكاية أبي القاسم ٢٠ .

ان الدعوات الى اللذات كثيرة ومتنوعة ، صريحة ومرموزة ، داعرة فاحشة ولبقة خبيثة وكلها تعطي دلالات بيّنة على انتشار اللهو وشيوعه وتعدد أساليبه .

مجالس اللهو :

كانت تقام مجالس اللهو استجابة لدعوات اللهو ومغرياته ، ومن اجل التنفيس عن الآلام السياسية والاجتماعية أو قتلا للفراغ « وكان للعامة كما كان للخاصة مجالس غناء وشراب يحضرها الناس ويغني فيها الغلمان والقيان (١) » فقد كان هناك مغنون ومغنيات يختصون بأماكن معينة من بغداد ويجتمع عليهم الناس (وسيأتي الكلام على ذلك في حديثنا عن الغناء) .

وعلى شواطئ دجلة كان العامة والخاصة يلهون ، ولكل جماعة مجلس خاص بها يتفق وقدراتها المادية وكان باستطاعة الفرد أن يتمتع في مجالس العامة بلذاتهم معدودة يبين ذلك قول الشاعر (٢) :

مجلس في فناء دجلة يرتاح إليه الخليل والمستور
ليس فيه الا خمّار وخمر وممات من نشوة وجبور
وحديث كأنه زهر المد ثور حسناً أو لؤلؤ منشور
وجريح من الدنان تسيل الرا ح من جرحه وقدر تفسور
ولك الظبيّة الغريرة إن شد ت وإن عفتها فظي غريب
كل هذا بدرهمين فإن زد ت فانت الميجل المحبور

أما بيوت الخاصة ومنتزهاتها فقد كانت عامرة بمجالس اللهو والشراب والانس (٣) ، وفي هذه المجالس كانت تدور زيادة على مسببات المتعة ، الاحاديث الادبية والمسامرات الطريفة ، ومجالس الراضي الخليفة شاهدة على ذلك (٤) .

(١) الوصف في القرن الرابع ٢٢٤ .

(٢) الادب في ظل بني بويه .

(٣) ينظر في وصف مجالس اللهو ، زهر الآداب ١ / ٤٥٦ .

(٤) ينظر اخبار الراضي ٥٥ ، ٥٦ ، مروج الذهب ٤ / ٣٢٨ .

وقد تتخذ مجالس اللهو عند بعض الخلفاء أسلوباً للتسرية والترويح عن النفس من الهموم السياسية التي تحيط بالخليفة والخلافة كما كان يحدث في مجالس الراضي والمتقي والمستكفي .

فاذا رأى الراضي تسلط «بَجَكَم» على الحكم عمل مجلساً للأُنس والمسامرة الادبية (١) واذا ضاقت الدنيا بالمتقي ، وتبين هبوط قيمته السياسية طلب رجلاً اخبارياً يتفرج اليه في خلواته ويستريح به في الاوقات وعمل مجلساً لذلك (٢) . واذا فرغ المستكفي من أن يلي المطيع الخلافة ويوقع عليه المكروه ضاق صدره ، وشكا همومه لاصحابه وعمل مجلساً تناشد فيه مع جماعته أشعار كشاجم الكثيرة في الاكل وأحضر الطعام الذي يرد في قصائد كشاجم ، فأكله مع جماعته ونفّس عن همومه ، ودل على جبنه ، وانهبأر خلافته (٣) ، ومظاهر الترف الزائفة التي احاط نفسه بها .

ومثلما كان الخلفاء العباسيون (قبل البويهيين) يقيمون المجالس كان وزراءهم وامراء جندهم .

ومن هذه المجالس مجلس أقامه أبو الحسن علي بن الفرات أحضر فيه من المغنيات ما لا يحصى كثرة ، واستعمل أواني الذهب والفضة ، وقد حضرت هذا المجلس (بدعة) المغنية وغنت فيه ، فعمل فيها بيتين من الشعر قال فيهما (٤) :

إذا « بدعة » جودت عودها تدلل في ضربها كل صعب
تغنى فتجني ثمار القلوب وتهدى سروراً إلى كل قلب

وكانت هذه المجالس اللاهية تؤثر بعد ذلك في فاعلية ادارة شؤون الدولة ،

(١) مروج الذهب / ٤ / ٣٢٨ .

(٢) نفسه / ٤ / ٣٤٣ .

(٣) نفسه / ٤ / ٣٦٢ .

(٤) ينظر الوزراء / ٢١٤ .

فحامد بن العباس يأتي بعد ليلة ساهرة ، مخموراً الى ديوان وزارته فيحاول أن يحول الديوان الى حديث عن الخمر والخمار (١) .

وفي العهد البويهي كانت المجالس تأخذ طابعاً متميزاً عما كانت عليه في السابق ، فاذا كانت مجالس الخاصة قبل البويهيين تعمل بسبب من هموم الخليفة وقلقه أو ملل وزيره من عمله ، ولم تكن تحدث بانتظام واستمرار فقد أصبحت في الزمن البويهي من الكثرة والاستمرار كأنها عادة من عادات المجتمع الحاكم .

فأمراء آل بويه كانت لهم مجالس خاصة بهم يحضرها الندماء وتحاط بكل مظاهر الترف والأبهة وقد دلت على هذه المجالس شعر آل بويه أنفسهم (٢) . وقد وصف الشعراء الذين عاشوا في قصور البويهيين وتحت حمايتهم مجالس أسيادهم وتفنونوا في تصويرها وذكر ما يستعمل فيها من أدوات ، وشراب ، وآلات ، وزينات ، ولقد ذكر لنا عبد العزيز بن يوسف احد هذه المجالس في شعره فقال (٣) :

فيا مجلساً عز الخلافة محققٌ بأقطاره والند والنور والخمر
وقد أرجت أرجاؤه وتعطرت بساطعٍ نشر ما يقاس به نشر
وفتح فيه النرجس الغصّ أعيناً محاجرهما بيضٌ وأحداقها صفر

وكان من شدة تعلق البويهيين بالمجالس اللاهية اذا هزتهم أبيات شعرية معينة تركوا ادارة دولتهم وعملوا مجالس الشراب والغناء ، وقد حدثنا ياقوت عن مجلس من هذه المجالس أمر به عضد الدولة بعد أن سمع بيتين من الشعر قالهما الصابي في غلام (٤) .

ولم تكن هذه المجالس وقفماً على ملوك آل بويه وأمرائهم ، فقد كان

(١) تنظر القصة في لباب الالباب ٣٣٩ .

(٢) ينظر الفصل الثاني من هذا البحث .

(٣) اليتيمة ٢ / ٣٢٥ والمجلس كان من مجالس عضد الدولة .

(٤) ينظر معجم الادباء ٥٦ / ٢ .

وزراؤهم (وبخاصة الوزير المهلي) مولعين بها مكثرين منها .

وقد ذكر الصاحب بن عباد كثيراً من هذه المجالس ، ووصف ما كان يحدث فيها من مسامرات وغناء وشراب .. قال يصف مجلساً من مجالس الوزير المهلي (١) :

« قد حضرنا حجرة تعرف بحجرة الريحان ، فيها حوض مستدير ، ينصب إليه الماء من دجلة بالدواليب ، وقد مدت الستارة ، وفيها (حُسن العكبروية) فغنت :

سلام ايها الملك اليماني لقد غلب البعاد على التذاني (٢)
فطرب الاستاذ أبو محمد أيده الله تعالى بغنائها واستعادها (٣) الصوت
مراراً وأتبعته أبياتاً هي :

هلاً أقمت ولو على جمسر الغضا قلبت أوحداً الحسام الصارم
وتبعتها جارية ابن مقلة ولا غناء أطيب وأطرب وأحسن من غنائها فغنت
بيتين للأستاذ وهما :

يا من له رتبٌ ممكنةُ القواعد في الفؤاد
أيجل أخذ المساء من متلهَّبِ الأحشاء صادي ؟
ففتنت الجميع ، ثم انبسطنا في الشرب ، واشتغل في الشدو ، وارتفع
الامر عن الضبط ، والاصوات عن الحفظ ، واتفقت في أثناء ذلك مذاكرات
ومناشدات ومجاوبات وافترقنا » .
ويصف مجلساً آخر فيقول (٤) :

(١) ينظر معجم الادباء ٢ / ٥٦ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٢٢٩ .

(٣) يلوح لي أن هذه المجالس كانت تعويضاً عن الاهانات والاستصغار الذي يعامل به هؤلاء الموظفون من قبل الملوك البويهيين ، ففي هذه المجالس يجد الموظف والوزير التعظيم الذي يسليه وينسيه احتقار ذاته .

(٤) اليتيمة ٢ / ٢٣٠ .

« وعلى ذكر عكبرا حضرنا مع الاستاذ أبي محمد - أيده الله تعالى - ١٣٣
 فاستدعى دنأ لوقت ، وخماراً من الدير ، وريحاناً من الحانة ، واقترح غناء
 من الماخور وأخذنا في فن من الانخلاع عجيب ، بطريق من الاسترسال
 رحيب ورسم أن يقول من حضر شيئاً في اليوم فاستنظروا ، وركبت فرسي ،
 فاتفقت أبيات لم تكن عندي مستحقة لأن تكتب لكن رضاء القوم حمل لدي
 صورتها ، ولولا حذري من توبيخ مولانا لطويتها وهي (١) :

وترتُ لصاني الراح حانة عكبرا	تَرَكْتُ لساني الريح بانهَ عَرَعرا
مشعشةً قد شاهدتُ عصرَ قيصرا	وقلت لعلجٍ يعبد الحمرَ : زفها
على الدهر نال الليلُ منها تحييراً	فتاولنيها لو تفرَّقَ نورها
وأحضرني ناباً وطبلاً ومزهرا	وأوسعني آساً ووردأ ونرجساً
والفيتُ هتكَ السرَّ مجدأ ومفخرا	هنالك أعطيتُ البطالةَ حقها
أناغي صبيأ من (جلندا) مزترا	كأني الصبأ جريأ إلى حومة الصبأ
فكررت تقييلاً وقد أقبل الكرى	فعاقتهُ والراح قد عقرت بنا



فكان الذي لولا الحياء أذعته ولا خير في عيشِ الفقى إن تَسْتَرَا

وهكذا نجد أنفسنا أمام مسائل اجتماعية مهمة ، فالانخلاع العجيب
 كان عند رواد المجالس فناً ظريفاً ، والصبيان المزنون يناغون رجال الدولة
 الكبار بلا احتشام ولا تهيب ، وسهولة الحصول على مقومات مجالس اللهو
 تدلل على انتشار أسباب الفساد كما تدلل على وجود الحمارين في الاديرة ،
 وشيوع الحانات والمواخير وانبثائها في اماكن التزهة مثل عكبرا وأوانا
 وغيرهما .

ولا تقاس المجالس التي وصفها الصاحب بن عباد بالمجالس الاخرى
 التي كان يقيمها الوزير المهلبي نفسه بانتظام (في الاسبوع ليلتين) ويحضرها

(١) اليتيمة ٢ / ٢٣٠ .

كبار رجال الدولة ومنهم قضاة معروفون يجتمعون على اطّراح الحشمة والتبسط في التصف والحلاعة فاذا عملت فيهم الحمره رقصوا ، وغمّسوا لحاهم في الحمره ورش بها بعضهم على بعض (١) وقد وصف السري الرفاء هذه المجالس فقال :

مجالس " ترقص القضاة " بها إذا انتشوا في مخانق البرم (٢)
 وصاحب يخلط المنجون لنا بشيمه حلوة من الشيم
 تخضب بالراح شبيهه عشاباً أنامل مثل حمرة العنم
 حتى تحال العيون شيبته شيبه فعلان ضرجت بدم
 واذا كان حديث الرقص في المجالس قد جرننا الى الانغمار في الخيال
 فيجب ألا ننسى مجالس صاحبة غير مجالس الوزير المهلبى وملوك آل
 بويه .

فالوزير ابن بقمية كانت له مجالس يحضرها رجال الأدب أيضاً يدلنا عليها قول ابن الحجاج حين حجب عن أحدها (٣) :

بحق رأس الامير مثلي يظماً في دولة الامير
 فما لكم تشربون دوني ولست في جملة الحضور

ومثل مجالس ابن بقمية كانت مجالس أغلب رجالات الدولة الكبار وقد تكون مجالس ابي اسحق الصابي أنموذجاً واضحاً يدلنا على شيوعها بينهم وولعهم بها ويؤكد الصابي في وصفه لمجالس من هذه المجالس ما ذهبنا اليه من أن بعض هذه المجالس كانت مجالساً واسعاً لتفريغ الهموم الكثيرة التي كانت تحيط برجال الدولة بسبب التقلبات السياسية العنيفة . يقول ابو

(١) تنظر البيهية ٢ / ٣٣٦ .

(٢) مخانق البرم : اطواق تؤخذ من نوع من النبات ويلطوق بها اثناء الشرب وقد أخطأ محقق البيهية بقوله ان البرم نوع من الثياب ، وقد انتقل الرقص الى الأندلس وفي مجالس ملوكها تنظر الخزانة الشرقية ١ / ٦٨ .

(٣) البيهية ٣ / ٩٣ .

اسحق مشبهاً مجلس الانس بالمعركة (١) :

الآقي همومي في جحفل لها من مقامي فيه قرارُ
دبادبه من طوال القيان والناي بوق له مستعار
ومجلسنا حومة أرهجت لزحف الندامي إليها بدارُ (٢)
كأن الكؤوس بأيدي السقااة سيوفُ لها بالدماء احمرارُ
كأن مناديلَ اكتافهم حمائلُها إذ عليهم تدارُ
كأن رجومَ تحاياهم سهامٌ على الجيش منها نثارُ
كأن المجامر خيل جرت وقد ثار للنذ منها غبارُ
كأن السكارى رجال الوغى وقد عقرتهم هناك العُقارُ

• • •

فيالك من ماقطٌ لي به بلاءٌ وقول اليه يشارُ
ولما برزت إلى الهم فيه ولي بالسرور عليه اقتدارُ
جرى الضرب مختلفاً بيننا فمات وعشتُ وقد نيلَ ثارُ

ويبدو أن رجال الدولة كانوا ينهزمون من مواجهة مشكلاتهم باغراق أنفسهم في بحر من اللذات والموبقات ، ينتقمون لأنفسهم من أنفسهم ويحسبون أن الانسان ابن يومه وكل امر مستعص (موصول به الفرج القريب) .
وزيادة على ما في أقوال الصابي من مسائل ذاتية نجد وصفاً كاملاً لما يجري خلال المجالس فالغناء والشراب من مقومات المجلس ، ولثل هذا المجلس آداب يجب ان تراعى فعلى من يحضره أن يلبس ملابس خاصة فيضع المنديل على كتفه ويتقلد مخانق البرم ، ويرمي بالتحايا (٣) ،

(١) اليتيمة ٢ / ٢٦١ .

(٢) البدار : السرعة .

(٣) التحايا : الورود يستعملها المترفون في مجالسهم ويرمي بها أحدهم الآخر (وأكثر ما تطلق على الطاقة من الأزهار والرياحين التي يحياها الندمساء وتزين بها مجالس الشراب) ينظر فصل التحايا في كتاب الديارات النصرانية ٤٤ وما بعدها .

وغير ذلك من المسائل التي تعرف الآن (بالاتكيت) .
وكانوا يشربون في هذه المجالس والارض مملأى بالزهور وعلى
رؤوسهم أكاليل الورد وفي ذلك يقول السلامي (١) :

أقنطرة النوبندجان وديرها وحور مهبي لا تألف الحور غيرها
شربنا بها والروضُ يخلع زهره على الشرب والأشجار تنثر طيرها
وإذا أردنا ان نستكمل صور هذه المجالس ونؤكد استمرارها وتجاوزنا
المجالس التي وصفها ابو اسحق الصابي وجدنا في وصف مهيار لمجلس
قامه احد اصدقائه في بيته خير دليل على ذلك . يقول مهيار (٢) :

نديمي وما الناس الا السكارى أدرها ودعني غداً والخمارا
وعطل كؤوسك الا الكبير تجد للصغير أناساً صغارا
وقرب فتى مائة أو يزيد سد قد أكمل الشيب الا الوقارا

• • •

وبيت إذا الدهر ضام الشتاء تعود فيهِ به فاستجارا
صحبت الخريف به في المصيف وذكرني الليل في النهارا
ويستمر في هذه القصيدة التي تستغرق ثمانية وسبعين بيتاً وهو يصف الدار
وما حوت والانس وما جر من مداعبات وملاعبات ، فيوضح لنا في
قصيدته هذه صورة للبيوت المترفة المشبعة باللهو والفجور ، الغارقة في
مجالس الشراب والغناء والعهر ، ونتبين من هذه القصيدة أيضاً ما كانت
عليه هذه البيوت من فن عمارة وتصميم .

وبسبب من انحسار سلطة الخليفة في العصر البويهى لم تصل إلينا اخبار
مجالسه ، ولربما لم تكن هناك مجالس للخليفة ، لان ظروفه المعاشية - وقد
رتب له معاش قليل - لا تساعده على اقامة مثل هذه المجالس ، الباذخة .

(١) اليتيمة ٢ / ٤٠٩ .

(٢) ديوان مهيار ١ / ٣٤٨ .

الخمرة :

تدخل الخمرة في المجالس التي ذكرناها وفي الحياة اليومية عنصراً رئيساً مهماً ، فلا نكاد نفتقد ذكرها في قصيدة شاعر ما جن حتى تبرز لنا واضحة في قصيدة ناسك صوفي ، وهذا يدل على أن وجودها أصبح مؤثراً في حياة الناس يستغرق العابد والخليع ، ورجل الدولة وابن العامة .

فالصابي لا يتحرج على هيئته من القول (١) :

ما زلت في سكري الملعُ كفتها وذراعها بالقرص والإثار

ولم يكن هذا السكر ناتجاً إلاً عن خمرة عراقية ذات مفعول ساحر
مغر أسالت مرة لعاب ابن سكرة وجعلته يصرح بشهواته ويقول (٢) :

أربعة ما مثلها أربعة النوم في الصيف على البرذعة

والشرب بالكأس على مزرعه وقينةً مُحسنةً مُمتعه

وأغرت مرة أخرى ابن الحجاج ، فنزهت نقاوتها لسانه من الفحش

والاقذاع وقال (٣) :

قوما اسقياني قهوة رومية من عهد قيصر دنتها لم يُمسس

صرفاً يُضيف إذا تسلط حكمها موت العقول إلى حياة الأنفس

وهي التي كان قليل منها يصرع « سيدوك الواسطي » ، فاذا شرب أثر

فيه الشراب ، وقد يبالغ فيقول (٤) :

فديتُك لو علمت بضعف شرُبي لما جرعتني إلا بمسعط (٥)

وحسبك أن كسرماً في جوارِي أمرُ ببابه فأكادُ اسقطُ

(١) أخلاق الوزيرين ٤١٥ ، معجم الادباء ٢ / ٩٠ .

(٢) برد الاكباد للثعالبي ١٣٥ ويديوان ابن سكرة أخذته النشوة فنسي اللذة الرابعة .

(٣) الاعجاز والابجاز . ٢٣٤ .

(٤) نفسه ٢٠٨ ، وينسبها الثعالبي نفسه في كنياته ص ٥١ لابن لنكك .

(٥) المسعط : إناه يوضع فيه السعوط .

وهناك دلائل عديدة على شيوع الحمرة بشكل يوحى باباحيتها ، فلقد غرق شعر العصر بوصفها وامتداحها ، وامتألت كتب الادباء بذكر أوصافها وما قيل فيها ، وقد صارت مسألة طبيعية جداً ان يستهيد بها من لا يملكها من اصداقائه ليقدمها للضيوف والزوار والاحباء .

كتب ابن الحجاج الى صديق له يقول (١) :

يا سيدي قد جاء زواري فَظَلَّتْ فِي نَارٍ وَفِي عَارٍ
فامننٌ بخرمٍ أو فوجهٌ بمننٌ يخرجهم بالصفع من داري
وقال جحظة لصديق له (٢) :

قد زارني اليوم نورٌ عيني وكان بالأمس صدّ عني
وليس عندي له نبيذٌ وليس يرضى بذلك منّي
فجد علينا بنصف دن برربع دن بثلت دن
لا تنكرن كسديّ وشحي (٣) فإنني شاعرٌ مُغَنّ

وهكذا تكثر الدلائل على شيوع الحمرة حتى لتدخل أحياناً ضمن الوجبات اليومية ولا سيما لدى افراد الطبقة المترفة .

ان الاشعار التي تفننت في وصف الحمرة وفعلها وانواعها وصفت أدواتها وآلاتها فوضحت جانباً آخر من جوانب الاستعمالات اليومية :
ومن آلاتها المهمة : الدن الذي يقول فيه السري الرفاء (٤) :

(١) المحاضرات ٢ / ٦٩١ .

(٢) مطالع البدور ١ / ١٥٠ .

(٣) في الكتاب كدني وسحّي .

(٤) المحاضرات ٢ / ٧١٢ وما بعدها . ومن أدوات الشراب ، والمزير والراوق والباطيه والجام وغيرها وكلها مذكورة في شعر ابن الحجاج وصریح الدلاء وغيرها من شعراء العصر . وقد أجمل ابن الحجاج بعضها في هذا البيت :

وخلفك عن يمين الدن عس وبين يديك باطية وجسام
قطعة من الديوان رقم ٤٤٢ / م ورقة ٤٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، وينظر أيضاً درة التاج ورقة ٣٣٢ وما بعدها .

وشعث دنان خاليات كأتها صدورُ رجال فارقتها قلوبها
الابريق : وفيه يقول ابن بسام :

ابريق صفر كأنه قبس يشبه لوني بفرط صفوته
الكؤوس بأنواعها : فمنها الزجاجية التي يقول فيها الصاحب :
« رقّ الزجاج وراقت الخمر » .

والمزينة بالرسوم التي يقول فيها الرفاء :
وموسومة كاساتها بفوارس من الفرس تطفو في المدام وتغرقُ

الغناء :

وكما انتشرت الخمر في أجواء العراق انتشر الغناء أيضاً فهما مثلاً زمان
لا يكاد يفارق احدهما الآخر ، وقد رأى عشاق الطرب أن الغناء يستكره
بلا شراب ولذلك كانوا يرددون قول ابي نواس (١) :

وليس الشربُ إلاّ بالملاهي وبالحركاتِ من بم وزيرِ
وكان الغلمان يتعاطون الغناء كما يتعاطاه الجوارى ، فهناك « المطرب
المعرب الرخيم الصوت الذي يأخذ بمجاميع القلوب اذا غنى » (٢) :

يا نسيم الشمال من نحو بصرى بأبي أنت لا نسيم الجنوبِ
أنت لَمّا اعتلتَ داويتُ قلبي يا نسيم الصبا بريح الحبيبِ
وهناك المطربة البغدادية التي (كأنها شمس الضحى (٣)) تعجب من
يراها وتطرب من يسمعها ، وقد قال في مثلها ابن الحجاج (٤) :
إذا تثنت وغنت خلت قامتها غصناً عليه قبيل الصبح شحورُ

(١) ديوان ابي نواس ، المحاضرات ٢ / ٧٢٦ . ويقول ابن الحجاج : (صحيفة الاسماع
تستغنى الأوتار بين البم والزير) ، درة التاج ١٦٤ .

(٢) حكاية ابي القاسم ٤٩ .

(٣) حكاية ابي القاسم ٥٠ .

(٤) مطالع البهور ٨ / ٢٥٨ .

والغناء بعد ذلك أنواع فمنه الغناء الحلو الذي (يهزم جيش الكروب) (١) ويستطاب معه الشراب فيقول الخبز أرزي في مُنشده (٢) :

ولو ان البحور خمر لدينا وتغيت لارتشفنا البحورا
ومنه الغناء الذي نشرت نغماته فعافته النفس ، وهرب منه السامع ولما
يستكمل انسه كالذي يقول فيه جحظة (٣) :

وانصرفنا لما تغت عطاشاً والقناني كما دخلنا ملاء
أو الذي يحشو له أبو الفضل بن العميد مسامعه صمماً ، لنبوه وقبح
مخرجه (٤) .

وللمغنيات الجيدات سجل بارز عند أبي حيان التوحيدي فقد ذكر لنا ن كل مغنية لها درب أو محلة تغني فيها وقد يكون لها شخص تختص بالغناء عنده أو له .

(فعلوّة) كانت تطرب الناس اذا تغت في (درب السلق) ببغداد (٥) :
بالوردِ من وجنتيكَ مَنْ لطمكُ* ومن سقاكَ المدام لِمَ ظلمكُ ؟
وكانت (رؤعة) تغني في الرصافة (٦) و (درة) تغني في درب
الزعفراني) ولا تقعد في السنة الآ في رجب (٧) ، وكان ابن صبر القاضي
قبل توليه القضاء يطرب عليها أيما طرب حينما تشدو :

(١) نهاية الأرب ٥ / ١١٩ ولاين الحجاج في المعنيين الجيدون شعر نجده في درة التاج ورقة
١٦٣ وما بعدها .

(٢) المحاضرات ٢ / ٧١٩ .

(٣) المحاضرات ٢ / ٧٢٠ .

(٤) المحاضرات ٢ / ٧٢٠ . ولاين الحجاج شعر في ذم المغنين غير المجيدين نجده في

درة التاج ورقة ٦٢٠ ، ٦٢١ .

(٥) الامتاع ٢ / ١٦٥ .

(٦) الامتاع ٢ / ١٧٦ .

(٧) الامتاع ١ / ١٧٢ .

لست أنسى تلك الزيارة لَمَّا طرقتنا وأقبلت تشنئتي
 طرقت ظبية الرصافة ليلاً فبني أحلى من جسّ عوداً وغني
 كم ليالٍ بتنا نلذّ ونلهو ونستمتي شرابنا ونغنتي
 هجرتنا فما إليها سبيل غير أننا نقول : كانت وكنّا
 فاذا بلغت (كانت وكنّا) زلزلت الارض فرأيت الجيب مشقوقاً ،
 والدمع منهماً ، ومكتوم السر بادياً (١) .

ومثل هذا الطرب كان يحصل لابن الحجاج حين تغنيه معشوقته ومطربته
 (قنوة البصرية) (٢) . ولاين نباتة حين يسمع غناء (الحافظ) (٣)
 ولغيرهما من رجال الادب والدولة .

ويرتضي أصحاب الجوارى غناء جواريمهم في المحال العامة أو في بيوتات
 غيرهم أو في بيوتهم أمام حشد من الناس المدعوين .
 ولعل هذا يعود إلى ضالة قيمة الجارية ، وعدم إحساس صاحبها بالغيرة
 التي يستشعرها تجاه محرماته ..

وقد يكون لكثرة المغنيات والمغنين وامتھانهم الدعارة مع الغناء أثر كبير
 في الخط من قيمة المغني أو المغنية الاجتماعية ، فان حاول المغني اظهار
 مشاعره أو برز نفسه عيّر بكونه مغنياً واستخف به . قال أحدهم لمغن
 حاول ان يتناول عليه (٤) :

من استخفّ بقدري قُمْ يا مَنخُ غنّي
 ولا تطاولْ عليّ تطاول المتغني
 فلو بلغت الثريا ما كنت الا مغني
 كما يمكن أن يعود هذا الاحتقار الى ارتباط الحياة الاجتماعية والفكرية

(١) نفسه ١٧١ .

(٢) نفسه ١٧٠ .

(٣) نفسه ١٧٢ ، والحافظ اسم جارية .

(٤) حكاية ابي القاسم ١٣٤ وينظر في الغناء وجماله وفي صفات القيان زهر الآداب / ٢

وتشابهك الغز والحضاري مع الروح البدوية .

آلات الغناء :

ومثلما سجل لنا شعراء القرن الرابع ما كان عليه الغناء والمغنون والمغنيات ومستمعيهم سجلوا أيضاً أسماء الآلات الموسيقية التي استعملت لترافق عملية الغناء، والاشعار التي ذكرتها كثيرة نقتصر في ايراد بعض الايات التي اشتملت على اكبر عدد منها .

فمن الآلات الموسيقية المشهورة والتي تتكرر على السنة الشعراء العصر :

١ - الطبل والبوق :

يقول صريع الدلاء : (١)

ومهرجان زائر وافاك يشكو السفرا
في عسكر من الشتا ء حوله قد عسكرا
اصوات بوقاتهمو وطبلهم إذ نقرا

٢ - العود والرباب والطنبور : قال صريع الدلاء (٢) :

اصبحاني بها ثلاثاً رحيماً قبل ان تصبحا بماء الشعير
بين عود مدمم لاصطخاب ورباب تمر مع طنبور

٣ - الدفّ والمزمار ، يقول صريع الدلاء (٣) :

انا بوق السرور طبل الحماقا ت ودفّ اللذات والمزمار

٤ - الناي ، يقول ابن الحجاج (٤) :

قينة طنبورها مستعمل طيب الصوت صحيح الهندمه

• • •

ولها زامرة حاذقة أحسدُ الناي إذا ما باست فمه

(١) الديوان ورقة ٢٦ ب .

(٢) نفسه ورقة ٩٢ أ ، والطنبور : (آلة طرب ذات عنق طويل لها أوتار من نحاس) .

(٣) نفسه ٩٠ ب .

(٤) درة التاج ورقة ١٦٦ .

ويقول صريع الدلاء (١) :

خالطوا لهم - ان تعرّض - بالرا ح ورهج النيات والتطيل
هذه هم آلات الموسيقى آنذاك و هناك آلات أخرى ليست بأهمية ما
ذكرنا آثرنا عدم ايرادها (٢) .

المآكل :

كان القرن الرابع يعج بأنواع عديدة من المأكولات تبرز التباين الاجتماعي والاقتصادي ، وتبدأ هذه المأكولات بالخبز اليابس ، ولا تنتهي عند نوع جيد معين ، لان الاطعمة الجيدة دائمة الابتكار والتجدد ما دامت موادها متوفرة وما دام طلابها راكبين .

ولقد سجلت لنا اشعار القرن الرابع (٣) العديد من هذه الاطعمة كما رسمت صوراً كثيرة لآكليها ، فكما نجد الانسان الملتزم بأداب المائدة الذي يصغر اللقمة ويتجامل عن الشره (٤) والنهم نجد الانسان الأكول الذي هو (٥) :

مصمّمٌ إن رأى خِواناً شدّ على جانب الخِوانِ
فأنزلَ الويلَ بالقلايا وبالجدِ الرضعِ السمانِ
ولا يكتفي بذلك لأنه :

أكلُ خلقِ الله للغضايِدِ ويمضغُ اللحمَ بالترايِدِ
ومن أبسط أنواع الاطعمة الخبز وهو انواع عديدة منها خبز الخشكار

(١) الديوان ٣٠ ب .

(٢) منها الصنوج و الدبادب و المزامير وغيرها .

(٣) ورد في شعر صريع الدلاء أنواع كثيرة من المأكولات نجدها في الاوراق ١٨ ب ،

٣٤ ب ٦٦ أ ، ب ونجد أنواعاً أخرى عند ابن الحجاج في ٤٤٢ / م ورقة ٦٣ وما بعدها . وفي
درة التاج في أماكن عديدة لا تحصى .

(٤) ينظر الموشى ١٦٧ ، ١٧١ .

(٥) حكاية ابي القاسم أو الخوان : المائدة ، مطالع البدور ٢ / ٣٧ .

الذي جاء في قول جحظة لابن مقلة الوزير (١) :

قل للوزير آدمَ اللهُ دولتهُ أذكرُ منادمتي والخبزُ خشكار
ومنها خبز الابازير الذي ورد في قول ابن الحجاج (٢) :

يا سيدي هذي القوافي التي وجوهها مثلُ الدنانير
خفيفةٌ من نضجِها هشةٌ كأنها خبزُ الأباييرِ

ومن أطعمتهم الحارة (الجزورية) (٣) وهي انواع جيدة وردية مثل
أي مطبوخ آخر . قال ابن سكرة في جزورية لم تعجبه (٤) :

أكلتُ بالأمس جزوريةً تُخبِر عن خصّة أربابِها
اللحمُ فيها أثرٌ دارسٌ كأنما مرَّ على بابِها

ومن المأكولات الاخرى (المضيرة) (٥) وهي متنوعة فمنها الرديء
الذي تأذى بأكله جحظة البرمكي في بيت أحد البخلاء فقال (٦) :

ولي صاحبٌ لأقدس اللهُ سره بطيئٌ عن الخيرات غيرُ قريبِ
أكلت عصبياً عندَه في مضيرةٍ فيالك من يومٍ عليَّ عصبِ

-
- (١) المحاضرات وينظر في انواع الخبز التلخيص ٣٦٥ ، والخشكار نوع من الخبز فيه بعض الحرارة وهو أسرع انحدارا في المعدة لاجل النخالة التي فيه لان فيه جلي الممي وهو يولد الحكمة واكله بالادام الدهن يدفع ضرره ، مطالع البدور ٢ / ٤١ .
- (٢) اليتيمة ٣ / ٣٣ وخبز الابازير من جملة الاطعمة التي أخذها الصليبيون عن الشرقيين وقد ترجموا اسمه بالحرف الواحد وهو عجيب يتخذ من الدقيق والمسل وبعض الابازير غاية في الحسن والطيب ... تنظر الخزانة الشرقية ٢ / ١٢٢ ، وينظر الطبيخ ٧٩ . ومن أنواع الخبز ما ذكره صريع الدلاء في قوله (قد نسيتُ خبز الذراري والدخن وخبز الشعير والهراطمان) الديوان ٦٦ .
- (٣) وهي أكلة حارة رطبة تحرك الباءة وتدرر البول ، واصلح ما كانت باللحم السمين والحل والخردل (ينظر مطالع البدور ٢ / ٥٣٠) .
- (٤) مطالع البدور ٢ / ٥٣٠ .
- (٥) المضيرة : خليط من اللحم السمين والبصل والتوابل واللبن (الطبخ ٢٣) ، مطالع البدور ٢ / ٥٤ .
- (٦) بخلاء البغدادي ١٤٨ ، تنظر المقامات المقامة المضيرة .

ومنها الجيد الذي يقدم مع المأكولات الفاخرة كالذي يقول فيه الهمداني (١) :
 عندي فديتُك جدي شويتُه ومضيره
 ومن الاطعمة الاخرى (الطباهجة) (٢) التي تعد من الأكلات اللسمة
 وقد وصفها الشاعر فقال (٣) :

قد أقبلت دولة القلايا في عسكر اللحم والبنود
 تسير زحفاً على المقالي بين برام إلى حديد
 قد أنضجوها حتى تهرت وها هنا موضع السجود

وهناك اطعمة أخرى أجملها الشاعر فقال (٤) :

إن الهريسة (٥) أهواها وتُعجبي وبالبيهظة قلبي جد مفتون
 وللأرزة (٦) عندي موقع عجب إذا قصدت لنا بيضاء في لين
 والزيرباج (٧) طعام ليس ينساه من البريسة إلا كل مجنون
 وهناك أنواع أخرى من جيد الطعام وردت على لسان كشاجم الشاعر
 الطباخ وقد أمر المستكفي الخليفة بعملها واحضارها في أحد مجالسه .

قال كشاجم يذكر هذه الاطعمة المختارة (٨) :

متى تنشطُ للاكل فقد اصلحت الجونه (٩)
 فجاءت وهي من أطيب ما يؤكل مشحونه
 فمن جدي شويناه وعصبتنا مصارينه

(١) الديوان ٣٩ .

(٢) الطبخ ١٤ ، تاج العروس ٢ / ٧٠ .

(٣) حكاية ابي القاسم ١٠١ .

(٤) نفسه ١٩٢ .

(٥) الهريسة أكلة معروفة ، الطبخ ٥٢ .

(٦) الارزة أظنها هريسة الارز ، ينظر الطبخ ٥٢ .

(٧) الزيرباج أكلة حمضية يخلط فيها لحم سمين وحمص واخل وسكر ولوز ، الطبخ ١٣

(٨) مروج الذهب ٤ / ٣٦٢ وما بعدها .

(٩) الجونه : المائدة اللامعة .

- ونضدنا عليه ننعجَ البقل وطرخونه (١)
 وطيهوج وفروج أجدنا لك تطجينه (٢)
 وسنبوسجة مقلوة في إثر طردينه (٣)

• • •

- وبا ذنجان بوران به نَسُك مفتونه
 وهليون وعهدي بك تستعذب هليونته (٤)
 ولوزينجة في الدهن والسككر مدفونه (٥)
 وعندي لك رستيجة مطبوخ وقينه (٦)
 وساقٍ وعدت بالوصل منه عطفة النونته (٧)

وكانوا فضلاً عن تمتعهم بهذه المأكولات ، يأكلون أنواعاً عديدة من الفواكه والخضروات وهي بمجموعها لا تتعدى ما نعرفه الآن ، وكان من أهم هذه الفواكه والخضروات التمر بأنواعه والعنب بأصنافه والمشمش والخوخ والتفأء والبطيخ والتبق والأترج والنارنج ، وقد وصفوا كل ذلك في اشعارهم (٨) .

- (١) طرخونه : من الطريخ وهو السمك المقلبي ينظر الطبيخ ٦٣ ، النعنع : نبات ينظر شرح أسماء العقار ٢٨ . ومن أنواع المشويات « الكباب » وقد ورد في شعر ابن الججاج أكثر من مرة .
 (٢) طيهوج : طائر ، اللسان ٣١٧ / ٢ ، تاج العروس ٧٠ / ٢ وتطجينه : طبخه .
 (٣) السنبوسج : نوع من الحلويات ، الطبيخ (٥٨) .
 (٤) هليون : الهليون نبات طبي ذو منافع مختلفة كان يحمل الى المعتصم من دمشق ، ينظر رسوم دار الخلافة ١٨ ، وينظر شرح أسماء العقار ١٤ .
 (٥) اللوزينج والفالودج نوعان من الحلوى الطبيخ ٧٦ .
 (٦) رستيجة : لم أجد لها معنى ، وأظن أنها تصحيف لكلمة « دستجة » وتعني الاناء الكبير من الزجاج ، ينظر الامتاع والمؤانسة ٨ / ٣ .
 (٧) دليل آخر على استعمال الفلجان للواط بهم ، والعطفة رقى تؤخذ من عروق الشجر المتلوي وترمى على المرأة الفارك فتحب زوجها .
 (٨) ينظر نهاية الارب ١١ / ١٤٣ وما بعدها وأماكن أخرى متعددة ، نشوار المحاضرة ١٠٥ / ٨ ، وينظر في مختلف الاطعمة كتاب التلخيص ٣٦٥ - ٣٨٢ .

الملابس والحلي :

في المجتمعات الطبقيّة يقاس الانسان ببريق مظهره الخارجي كلما كان زيه مترفاً ، ومظهره أنيقاً ، كان أجدر بالتقدير والاحترام ، ولفت انظار الناس اليه .

لقد كان الناس في القرن الرابع يهتمون بمظهرهم الخارجي لينالوا الحظوة والوجاهة عند اصحاب السلطة والاحترام والتقدير عند العامة .

وكان لكل فئة من الفئات الرسمية ، والشعبية زي تختص به (١) ، فلكخليفة لباسه ، وللأمير لباسه ، وللوزير لباسه ... وكذلك لكل فئة من العامة لباسها الخاص بها .

وللظرفاء لباس يميزهم ويستحسنون به عند سرات الرجال (٢) وللمتظرفات لباس مخالف لزي الظرفاء في التكك والخفاف والنعال والخواتيم (٣). وقد أولع الظرفاء والظريفات بالكتابة على تككهم ونعالهم ومناديلهم وبسطهم ووراقاتهم ومقاعدهم وخواتيمهم ، وعلى الستور والجلدران والابواب وعلى أماكن معينة من اجسادهم (٤) .

وقد أمر عضد الدولة أن تنقش على خواتيم الجوارح أبيات السلامي (٥) :

مرقومة الجنبات بالبدع التي	لم يسهدها قط الربيع لروضة
كتمت روائحها فلما عدت	بالنار فاح نسيمها فأقرت
وكانت الملك الأجل السيد	المنصور عضد الملك تاج الدولة
أذكى مجامرهما بنار ذكائه	وغدا الدخان على علو الهمة

وقد حفظ لنا الشعر أسماء الكثير من ملابس القوم آنذاك ومن أهمها كانت العمامة .

(١) ينظر رسوم دار الخلافة للصائبي ٩١ وما بعدها فيها يلبسه الخلفاء في الموكب ويلبسه الداخلون عليهم من الخواص وجميع الطوائف .

(٢) الموشى ١٦٠ .

(٣) الموشى ١٦١ - ١٦٥ .

(٤) نفسه ٢٢٦ .

(٥) التييمة ٤١٨ / ٢ .

والعمامة تختلف باختلاف مركز الشخص الرسمي أو الاجتماعي .
فهناك العمامة الجميلة المطرزة التي يقول فيها السلامي (١) :

حسناً صافية بيضاء ضافية كأن روتقها في صارم ذكر
يزين أطرافها طرزاً كما رقت على المجرة طرز الأنجم الزهر
وهناك العمامة القبيحة المنظر ، المضحكة التي يقول فيها الشاعر (٢) :

في رأسه عمامة ملفوفة مرفله
كانتها في رأسه قدر على سفرجله

ومن البسة الرأس التي عرفت في العراق ايضاً الطرطور وقد جاء ذكره
على لسان ابن الحجاج عندما قال يهجو المتنبي (٣) :

يسا شاعراً لا يساوي طرطوره نصف جبّه

وعن الالبسة الاخرى الدراعة ، التي تلبس معها عمامة الخبز لزيادة
الأمه والوجاهة وفي ذلك يقول السلامي بعد ان ارتطم فتلوثت ملابسه (٤) :

لبست دراعتي وعمتي الخبز فصارا كما ترى حبرا

ومن الالبسة الرجالية الاخرى السراويل والقمصان والقلائس والملابس
الزاهية الاخرى (٥) .

ويصف لنا ابو القاسم جارية بلباسها وزينتها فيغني عن الكثير من الكلام
على البسة الجوارى المتقدمات في القصور ، يقول (٦) :

« تدخل المجلس تعطره من نسيمها بالمسك الأذفر والكافور والعنبر
يفضل عنها قميص لاذٍ معصفر اللون جلناري

(١) البيتة ٢ / ٤٢٠ .

(٢) حكاية ابي القاسم ٩ .

(٣) تلطيف المزاج ورقة ١٠ .

(٤) البيتة ٢ / ٤٢٠ .

(٥) الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع ١١٣ .

(٦) حكاية ابي القاسم ٥٣ ويلاحظ استعمال الملابس الشفافة .

تحت عطاف بنفسجيّ سكب حفيف مثل الغبار
أو نجىء عليها غلالة جري الماء وسراويل شق المرارة ، وتكة ابريسم
خضراء سلقية ... وهي معتمرة برداء قصب عودي دقيق الاعلام والطرز ،
عليه تزايبين أحسن والله من تحاسين الصين ، مطويّاً اربع طاقات ... وفي
عنقها سبحة عنبر شحري ، وصندل مقاصيري ... والجواري يحملن ثيابها
ويشطن ذبولها وهي كالمبهورة .

ومن الاشياء التي استعملها الناس في بيوتهم وخارجها ، الستور المطرزة
وغير المطرزة وقد ذكر المؤرخون كيف كانت قصور الخلفاء تحوي
الآلاف الكثيرة من مختلف انواع الستائر (١) ، كما نقل لنا الشعر عادة
بعض الاغنياء في استعمال الستائر اثناء خلواتهم ، يقول جحظة واصفاً
حياة أحد هؤلاء الاغنياء البخلاء (٢) :

دخلتُ على باخلٍ مرةً وجناتُ بستانه زاهـره
وقد قابل الذوارُ نقشَ الستور فأعين زواره حائره
جنان تعجل للباخلين ونحن نؤجل للآخره

العطور وأدوات الزينة :

ومثلما تفنن الناس في البستهم وأقمشتهم تفننوا أيضاً بزينتهم وعطورهم
فاستعملوا مختلف أنواع العطور وأدوات الزينة ، وقد وصف هذه الاشياء
شعراء العصر ، فقال الصابي في شمامة كافور (٣) :

-
- (١) ينظر تجارب الامم ١ / ٥٣ في الكلام على قصر الشجرة المقتدري .
(٢) بخلاء البغدادى ١١٦ وينظر في الألبسة والمفارش وما ينتقل به في التلخيص ١ / ١٩١ -
٢٤٨ . وقد وردت اسماء البسة عديدة في شعر صريع الدلاء اهمها العمامة والبزة والبرانس والجمبة
والقميص والصدرة والوقاية ، ينظر الديوان الاوراق ١ ، ١٤ ، ب ، ٢٠ ، ٢٦ ، أ ، ٨٠ ،
أما شعر ابن الحاجج فاسماء الالبسة مبعوثة في ثناياه وبخاصة شعر الهجاء والاستهزاء ينظر مثلاً درة
التاج ورقة ٤٤٨ ، ٦٠٧ ، ٦١١ ، وقطعة الديوان ٤٤٢ / م ورقة ١٨ ، ٤٠ .
(٣) اليتيمة ٢ / ٢٦٤ .

كافورة جعلتها لأسود العين غرض
حتى وددت أنها من أبيض العين عوض

ويقول في عتيدة الطيب (١) :

وعتيادة للطيب إن تستدعها تبعث اليك أمامها ببشرها
يلقاك قبل عيانها أرج لها فكأنه مستأذن لحضورها

وفي الغالية يقول السلامي واصفاً أساليب التزيين الأخرى (٢) :

مذ نقبوه وزرنفوا أصداعه ختموا بغالية على أقداله

وفي الكحل يقول السلامي أيضاً (٣) :

يتغص الغزال جفون الغزل وقد فصح الكحل فيها الكحل

ولا وجنتي الورد من وجنتيه ما أوجب اللثم ذاك الخجل

وفي استعمال الحناء يقول أبو الغوث بن نحرير المنيعي (٤) :

كان حنأها براحتيها دماء من قتل بهجرتيها

وهناك أنواع أخرى من أدوات الزينة كالزعفران والمسك والرامك

والعبير وغير ذلك (٥) .

الطبيعة والمدن والاستعمالات البيتية واليومية :

لقد كثر الشعراء في وصف الطبيعة وما فيها من جمال وقبح ، فاذا

أذاهم حر الصيف ، ومجيء رمضان وسط أشهره قالوا مثل قول ابن

لنكك (٦) :

حزيران وتموز وآب ثلاثة أشهر فيها العذاب

(١) اليتيمة ٢ / ٢٦٤ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٤٠٦ . والغالية مسك وعبر يمجان بالبان التلخيص ٣٨٥ .

(٣) نفسه ٢ / ٤٠٦ .

(٤) تنمة اليتيمة ١ / ٧٤ .

(٥) ينظر في أنواع الطيب التلخيص ٣٨٣ - ٣٩٠ .

(٦) برد الاكباد ١٢٤ ، الوصف في القرن الرابع ١٢٦ .

فان قرنت بشهر الصوم صرنا سبائك في بواتقها تذاب
وحين يريد ابن لنكك هذا أن يصف لنا جو البصرة يقول (١) :

نحن بالبصرة في لـو ن من العيش ظريف
نحن ما هبت شمال بين جنات وريف
فإذا هبت جنوب فكأننا في كنيف

ولا تقتصر اقوال الشعراء على الجو وتقلباته ، فوي تصف الرياض
والمتزهات (٢) وما فيها من أوراد وأزهار (٣) ، وحيوانات وطيور (٤)
وأثمار متنوعة .

ويتعدى الوصف هذه الاشياء فيبرز لنا المدن الكبيرة بحماها وحيويتها ،
وتناقضاتها وما فيها من منغصات ايضاً .

لمدينة مثل بغداد ، عظيمة واسعة ، تحتضن الخير والشر ، الغنى والفقر ،
الترف والكدية ، لا بد أن تستأثر باهتمام الشعراء ، فيصفها كل شاعر
بحسب تفاعله مع جانب من جوانبها .

فهناك من حب بغداد ورضي عنها مثل بي سعد محمد بن علي بن
خالد الحمداني : (٥)

فدى لك يا بغداد كل قبيلة من الارض حتى خطي ودياريا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها وسيرت رحلي بينها وركابها

(١) اليتيمة ٢ / ، معجم البلدان ١ / ٤٣٧ .

(٢) الامثلة على ذلك كثيرة نجدها في من غاب عن المطرب ٢٤١ ، نهاية الارب ١ / ٢٦٥ ،
٢٧٠ ، المحاضرات ٤ / ٥٧٠ ومن الامثلة وصف السلامي لشعب بوان اليتيمة ٢ / ٤١٣ وكذلك
وصف المتنبي له ، ينظر ديوان المتنبي .

(٣) مثل وصف النيلوفر ديوان الشريف الرضي ٢ / ٨ ، ديوان مهيار ١ / ٨ ، ينظر أيضا
من غاب عن المطرب ٢٤٧ ، المحاضرات ٤ / ٥٧١ ، ٥٧٥ .

(٤) ينظر وصف ابن نباته للفرس في مختارات البارودي ٤ / ١٣٨ ، اليتيمة في وصف
الطيور ٢ / ٢٦٩ والبراعيث ، معجم البلدان ١ / ٤٦١ .

(٥) تاريخ بغداد ١ / ٥٢ .

فلم أرَ فيها مثلَ بغدادٍ منزلاً
ولا مثلَ أهلِها أرقاً شاملاً
ولم أرَ فيها مثلَ دجلةٍ واديا
وأعدبَ ألفاظاً وأحلى معانينا

أو مثل ابن زريق الكوفي الذي يقول (١) :

سافرت أبغى لبغدادٍ وساكنها
مِثْلاً ، فحاولت شيئاً دونته الياسُ
هينأت بغداد الدنيا بأجمعها
عندي ، وسكان بغداد هم الناسُ

ومنهم من ينظر الى بغداد بعين الناقد النزيه البصير فيراها بغداد الطبقة
الحانية على الغني ، الجائرة على الفقير يقول (٢) :

سقى الله بغداداً من جنة
غدت للورى نزهة الأنفسِ
على أنها منيةُ الموسرين
ولكنها حسرةُ المفلسِ

وبسبب هذا ومع معرفة أبي نصر المالكي بحسن جانبها يخرج عنها فلقد
صاقت عليه برحبها « ولم تكن الارزاق فيها تساعف » (٣) .

أما السري الرفاء فانه يتمنى العيش فيها على تناقضاتها فيقول (٤) :

يا حبذا صحبة العلومِ بها
والعيش بين اليسارِ والعدمِ
وهناك من يجد بغداد المؤذبة ، فلا يصف غير حرها وبعوضها ،
وبراغيتها وتراها (٥)

قال أحدهم (٦) :

هل الله من بغدادٍ يا صاح مخرجي
وميدانها المذري علينا ترابها
فأصبح لا تبدو لعيني قصورها
إذا سحجت أبقالها وحميرها

(١) لطائف المعارف ١٧١ ، معجم البلدان ١ / ٤٦١ .

(٢) لطائف المعارف ١٧٢ . وشبهه بهذا قول ابن المطرز ببغداد . تنظر التتمة ١ / ٥٦ .

(٣) تنظر دمية القصر ١ / ٢٩٧ ، ينظر الفلاكة والمفلوكون ٦٣ .

(٤) الديوان ٢٤٦ ، تاريخ بغداد ١ / ٥٢ .

(٥) مثل ابن المعتز ينظر الديوان ٢٩٣ ، معجم البلدان ١ / ٤٦٥ .

(٦) معجم البلدان ١ / ٤٦٥ وينظر المنتخب من كنايات الادياب ١٢٠ ، ١٢١ ، ففيه
أشعار كثيرة في بغداد وأهلها .

وقال بعض الأعراب (١) :

لقد طال في بغداد ليلى ومن بيت ببغداد يصبح ليله غير راقد
بلاد إذا ولى النهار ، تنافرت براغيثها من بين مثنى وواحد
ومع كل هذه الصفات تظل بغداد اذا ما قورنت بالبصرة جنة طيبة الجو
والمسكن فاذا ذهب الصابي الى البصرة ، وشرب من ماءها تذكر ترفه
وترف طبخته وتفننهم في تبريد مأهم فيقول (٢) :

لهف نفسي على المقام ببغداد وشربي من ماء كوز بثلج
نحن بالبصرة الذميمة نسقى شرر سقيا من مائها الأترجي
أصفر منكر ثقيل غليظ خائر مثل حمنة القولنج
كيف نرضى بمائها وبخير منه في كنف أرضنا نستنجي

والبصرة الذميمة بجوها ، والتي ملها ابن لنكك فلم يعد يرى فيها غير
« نشاب ونخل وسماذ » (٣) كانت لا تعلم محبين وعشاقاً شأنها شأن أي
مدينة أخرى في العراق .

وكما وصف الشعراء البصرة وبغداد وصفوا غيرهما من المدن ثم انتقلوا
من وصف المدن الى ذكر استعمالهم البيئية واليومية من ذلك ما فعله
الصابي حين وصف المادخنة التي توضع فوق مجمرة البخور (٤) :

ومحرورة الاحشاء تحسبُ أنها متيمة تشكو من الحب تبريجا
تُنْجِيكَ نَجْوَى يَسْمَعُ الانْفَ وَحِيهَا وتجهله الأذنُ السميعةُ إذ يوحى

(١) البيهية ٢ / ٢٦٩ .

(٢) البيهية ٢ / ٣٥٨ . وفي المقارنة والمفاضلة بين بغداد والبصرة تنظر قصيدة صريع الدلاد
الطويلة التي أشرنا إليها في صفحة سابقة الديوان ٦٣ أ وما بعدها . وفي هذه القصيدة قضايا
اجتماعية ومظاهر حضارية عديدة .

(٣) نفسه ٢ / ٢٦٥ .

(٤) نفسه ٢ / ٢٦٧ .

ومنه وصفه الشمعة قال (١) :
 غُصْنٌ من الذهب الابريز أثمر في أعلاه يا قوتة صفراء تستعر
 ومن ذلك أيضاً وصف ابن نباتة للسكين (٢) :

مرهفةٌ تعجزُ وصفَ اللسانِ لل سيفٍ معنيٍّ ، ولها معنيانُ
 تخلقه في حده تارة وتارة تخلف حداً السنانُ
 ما أبصرَ الراؤونَ من قبلها ماءً ، وناراً جمعا في مكان

ومنه وصف ابن سكرة الهاشمي لحمّام دخل اليه فسرت نعله (٣) :
 اليك أذمُّ حمّامِ ابنِ موسى وإن فاقَ المُني طيباً وحراً
 تكاثرت اللصوصُ عليه حتى ليحفي من يطيف به ويعرى
 ولمْ أفقد به ثوباً ولكن دخلتُ محمداً وخرجتُ بشراً
 وهناك أوصاف عديدة لكل ما يستعمله الانسان آنذاك كالسيف (٤) ،
 والدفتر (٥) ، والشطرنج (٦) والاسطرلاب (٧) والقوس (٨)
 والمنشار (٩) ، والقوارب والزبازب والسميريات وغير ذلك (١٠) .

المرأة :

تحولت المرأة في العراق وبخاصة في مدنه الكبيرة منذ العصر العباسي

(١) نفسه ٢ / ٣٩٣ .

(٢) نفسه .

(٣) المنتظم ٧ / ١٨٦ ، وخرجت بشراً ، أي بشر الحاني ، وينظر في حجمات بغداد رسوم
 دار الخلافة ١٩ .

(٤) ينظر ديوان مهيار ٢ / ٢٨١ .

(٥) ديوان مهيار ١ / ٥٣ .

(٦) نفسه ٢ / ١٠٣ .

(٧) نفسه ٢ / ١٢٧ . زهر الآداب ١ / ٣٩٠ .

(٨) نفسه ٢ / ١٥٧ .

(٩) نفسه ٢ / ١٤٥ .

(١٠) ينظر في اسما المراكب النهرية ما ورد في شعر ابن الحجاج قطعة الديوان ٤٣٥ / م
 ورقة ٢٤ ، ٢٦ ، ٨٠ وينظر ديوان صريع الدلاء ورقة ٧٣ ب .

الأول الى عنصر خامل لا يسهم الا في تقديم المتعة الجسدية والخدمة البيئية للرجل ، وصار الرجل السيد المطلق ، وانزوت المرأة في بيته يحميها ويحيطها برقابة شديدة وبخاصة اذا كانت حرة أو أمة أم ولد (١) .

ان انتشار رقعة الدولة الاسلامية وكثرة وارداتها من الغلمان والحواري وامتلاء أسواق النخاسة بأجناس مختلفة من الرقيق ، وتداخل الحياة الحضرية بالطبائع البدوية ، أرخص قيمة المرأة وجعلها مبدولة ، مهانة ، ولهذا صان الغيور حريمه ، وأغلق المترمت الباب على أهله ، وانعدمت الثقة بالمرأة عموماً .

على أن رخص المرأة وسوء الظن بها لم يمنع ارتفاع منزلة بعضهن السياسية أو بروز بعض آخر في ميادين الادب والغناء والدين .

فلقد برز في القرن الثالث وأواخره الكثير من الحواري وكانت لمن جولة في عالم الغناء والسياسة والشعر منهن عنان بنت عبد الله جارية الناطقي (٢) وفضل الشاعرة اليمامية جارية المتوكل (٣) ، وبنان جارية المتوكل (٤) وجاريته الاخرى « محبوبة » التي ضرب بها المثل في الوفاء لسيدها بعد مقتله (٥) ، ومنهن (نبت) جارية المعتضد وغيرهن (٦) .

أما في القرن الرابع فقد ظهرت على مسرح الحياة السياسية « شغب » أم المقتدر وقهرمانتها أم موسى ، وقهرمانتها الاخرى « ثمل » التي أجلستها للقضاء عام ٣٠٦ (٧) .

(١) والأمة اذا كانت ام ولد لا يجوز بيعها ونصبح حرة بعد موت زوجها متز ٢٧٨ / ١

(٢) جهات الأئمة ٤٧ .

(٣) جهات الأئمة ٨٤ .

(٤) نفسه ٩١ .

(٥) نفسه ٩٢ .

(٦) نفسه ١٠١ .

(٧) كانت أم موسى تؤدي الرسائل من المقتدر وامه الى الوزير ، وقد خافها ابن خاقان ، وتدخلت بشؤون الوزارة أكثر من مرة ، ينظر الكامل ٨ / ٦٢ ، ٦٤ .

أما «خمرة» مولاة المقتدر وام ولده عيسى فقد كانت خاملة الذكر
«كثيرة البر والمعروف والعطاء للفقراء والمحاويج» (١) .
ويبدو ان هذه السلطات التي حصل عليها بعض الجوارى دفعت بنساء
أخريات الى المطالبة بمناصب ادارية كبيرة في الدولة مما حدا بابن بسام الى
أن يقول (٢) :

ما للنساء وللكتابة والعمالة والخطابه
هذا لنا ، ولهنّ منّا أن يبتنّ على جنابه

ومن النساء البارزات في الميادين الادبية والدينية ظهرت عائدة بنت محمد
الجهينة زوجة عم الوزير ابن شيرزاد وهي «امرأة فاضلة ، كاتبة ،
كانت تناشد الاشعار وتنشد لنفسها كل شيء جيد» ويبدو أنها كانت
ذات هيبة ومشورة قالت تهجو أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي لما تولى
الوزارة وتعبه بقصر قامته (٣) :

شاورني الكرخي لما بدا النيروزُ والسنُّ له ضاحكه
فقال : ما نُهدى لسطاننا من خيرٍ ما الكفّ له مالِكه
قلتُ له : كلّ الهدايا سوى مشورتِي ضائعة هالِكه
أهدِ له نفسك حتىّ إذا أشعل ناراً كنت دوبراكه (٤)

ومن العالمات بالفقه وتدريسه والحديث امة الواحد ستيتة بنت القاضي أبي
عبد الله الحسين بن اسماعيل المحاملي توفيت سنة ٣٧٧ وكانت تفتي مع

(١) نساء الخلفاء ١٠٦ - ١٠٨ .

(٢) صبح الاعشى ١/٦٤ نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ١٩٦٣ القاهرة .

(٣) ينظر نشوار المحاضرة ١/٢١٦ .

(٤) الدو باركه: لفظة أعجمية . وهي لعبة كبيرة يجعلها أهل بغداد على سطوحهم ليالي
للنيروز المعتضدي ويخرجونها في زي حسن من فاخر الثياب وحلي يملونها بها كما يفعل بالعراس
وتخفق بين يديها الطبول والزمور .

العلماء وكتب عنها الحديث (١) . ومنهن أم الفتح بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف توفيت ٣٩٠ هـ (٢) وغير هاتين كثيرات جمع تراجمهن الخطيب البغدادي في آخر جزء من كتابه تاريخ بغداد .

والشيء الملاحظ ان الحرائر من النساء لم يبرزن في ميادين السياسة ولم تكن لمن سطوة في بيوت الوزراء ودار الخلافة كما كان للاماء والجواري ، وسبب هذا عزوف الخلفاء عن الزواج بالحرائر واقتصارهم على التسري بالاماء .

ويبدو أن سبب هذا التفضيل يعود الى سهولة الحصول على الجارية الجميلة وسعة أفق الجواري ومعرفتهن بمتطلبات الأزواج وأمزجتهم لاهتمام النخاسين بهن ولكثرة اختلاطهن بالمجتمعات المختلفة ، ويرجع الجاحظ سبب علو حظ الامة على الحررة عند الرجال الى أن الرجل قبل أن يملك الامة قد تأمل كل شيء فيها « ما خلا حظوة الخلو » فاقبل على ابتياعها بعد وقوعها في نفسه ، اما الحررة فانما تحصل بمشورة النساء والنساء لا يعرفن ما يعرفه الرجال من مواطن الجمال ودوافع الرغبة (٣) .

على أن هذه الحظوة ، وهذا الارتفاع الاجتماعي للجواري ، قد آذى المجتمع ، فقال الشاعر (٤) :

إذا لم يكن في منزل المرء حرة تدبره ضاعت مصالح داره

وغدا هذا القول حقيقة بينة بعد أن بدت بشكل واضح أعمال الجواري وتدابيرهن الخطيرة فلقد صرن مصدر مؤامرات عزل وموت لأقرب الناس لمن ، وهذا أمر متوقع جداً من هؤلاء النساء المملوءات « عقداً » واحقاداً بسبب تكوينهن التربوي والنفسي . انهن يفتشن عن السبل المختلفة

(١) تاريخ بغداد ١٤ / ٤٤٢ .

(٢) نفسه ١٤ / ٤٤٣ .

(٣) ينظر ما نقله متر عن كتاب الفصول للجاحظ ٢ / ١٧٤ .

(٤) المحاضرات ٣ / ٢٠٠ .

للانتقام من هؤلاء الناس الذين استعبدوهم وأذلوهم في سوق النخاسة
والعبودية .

ولهذا نرى الجوارى يحاولن ارتقاء أسوار ذهن للوصول إلى مراكز
أعلى في المجتمع ، وليعوضن ان وصلن بتسلطنهن عن ماضيهن المؤلم ، ولا
يهمهن بعد ذلك ما يبذلنه للوصول حتى ولو كان شرفاً وكرامة أو حياة
الآخرين .

لذلك خافهن الرؤساء ، وحاذر منهن أصحابهن ، وتملقهن الكثير
واطاعتهن رجال الدولة ، وبسبب هذا قال الشاعر (١) :

شيثان يعجزُ ذو الرياسة عنهما رأيُ النساء وإمـرةُ الصبيانِ
أما النساء فميلهن إلى الهوى وأخو الصبِّ يجري بغير عنانِ
وقد نظر الشريف الرضي الى المرأة فرأى أن الرجل لا يمكنه أن يتخلى
عنها وهذا ما دفعه الى القول (٢) :

معاداة الرجال على الليالي أطيع ولا معاداة النساء
ومن هذه النظرة انطلق ينيء أخاه بمولودته ويرثي أمه عند وفاتها
ويقول (٣) :

لو كان مثلك كلُّ أمٍ برّةً غني البنون بها عن الابناء
كيف السلو ، وكل موقع لحظة أترُّ لفضلك خالد بأزائي
ان هذه المشاعر النبيلة التي يحملها الشريف الرضي للمرأة لم ترفع قيمتها
أو تعطيها منزلة تستحقها .. وبالرغم من كل ما كانت تحاط به المرأة من
بهرجة وما وصلت اليه بعض النساء من سلطة ظلت المرأة عموماً ذلك الجانب
الضعيف الذي خلق ليداري الرجل وليكون متاعاً حلالاً له .

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٦٩ .

(٢) الديوان ١ / ٣٩ .

(٣) الديوان ١ / ٢٦ .

الأعياد :

كان العراقيون يحتفلون بأعياد كثيرة منها ما هو اسلامي ومنها ما هو أجنبي ، فلقد تأثر المجتمع العراقي بحضارتين مهمتين هما حضارة الروم المسيحيين وحضارة الفرس المجوس ، ويبدو هذا التأثير بارزاً في الاعياد الدينية للنصارى والقومية للفرس ، وفي مشاركة أغلب الناس فيها .

ومن أبرز الاعياد « الاسلامية التي وردت بها الشريعة » (١) ويحتفل بها المسلمون أجمعهم عيد الفطر وعيد الاضحى ، وهما عيدان ما زال يحتفل بهما المسلمون في كل أصقاع الدنيا .

وفي القرن الرابع أفسد رجال الدولة المظهر الديني لهذين العيدين فقد كانوا يجلسون لتقبل التهاني في مجالس خمر وشراب كما كان يفعل مثلاً عز الدولة بختيار .

قال ابن الحجاج يخاطب بختيار ويهنئه بعيد الاضحى (٢) :

قد صَحَّبَ البَسْمَ مع الزبير فقم قليلاً غير مأمورٍ

• • •

فاسعد بيوم العيد ، واجلس له في خلوة جلسة مسرور
وضح فيه بالدنان التي تحر بين البسم والزبير
وكتب ابو اسحق الصابي يهنيء الوزير المنجلي بقوله : (٣)

أسيّدنا نعماك هُنَّتَ بالفطر ووقيت ما نخشاه من نوب الدهر

• • •

وللفطر رَسَمَ للسرور وسنة ومثلك من أحيانا سنة الفطر
ولا بدّ فيه من سماع وقهوة نقضي بها الأوطار من لذّة السكر

(١) نهاية الارب ١ / ١٨٤ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٧١ .

(٣) اليتيمة ٢ / ٢٧٨ .

وهناك أعياد استحدثها أصحاب المذاهب الاسلامية أهمها عيد الغدير وهو خاص بالشيعة « شعارهم فيه لبس الحديد وعتق الرقاب وبر الاجانب والذبايح » (١) وأول من عمله معز الدولة البويهى وقد صنع السنة نظيراً له وقالوا : « هذا يوم دخول ابي بكر والرسول الغار وأظهروا هذا اليوم الزينة » (٢) .

أما أعياد النصارى فعديدة وكان الناس أيامها يخرجون الى ضواحي بغداد والاديرة والمدن التي تختص بذلك العيد .

ففي عيد الفصح كان المسلمون والنصارى يقصدون دير سمالو (٣) فلا يبقى واحد من أهل الطرب واللهو الا حضره ، وهناك يدور الشراب ويصاح الغناء ، وفي هذا الدير ولهوه قال الشاعر (٤) :

فتلاعبت بعقولنا نسوانه وتوقدت بخدودنا نيرانه
حى حسبت لنا البساط سفينة والدير ترقص حوّلنا حيطانه

وكان لدير الثعالب عيد يسمى باسمه يقع في آخر سبت من أيلول ولا يتخلف عن حضور يومه نصراني أو مسلم (٥) وفي اليوم الثالث من تشرين الاول يقع عيد القديسة أشموني (٦) ويقام في دير هذه القديسة يقول فيه الشاعر :

(١) نهاية الارب ١ / ١٨٤ . وفي عيد الغدير يقول صريع الدلاء من قصيدة يهني بها فخر الدولة :

قد أتاك الغدير فاسعد هنيئاً
أنت فخر الموك يا غرة الدهر .

بأمور تجري على المأثور
ر ، وفخر الأعياد عيد الغدير

(٢) نهاية الأرب ١ / ١٨٥ .

(٣) الديارات ١٤ .

(٤) الاوراق ٦١ .

(٥) ينظر الآثار الباقية ٣١٠ ، معجم البلدان ٢ / ٥٠٢ .

(٦) الآثار الباقية ٣١٠ ، الديارات ٤٧ ، الاوراق ٦٥ . وأظن أن في البيت تصحيحاً فقد

يكون اراد « بتغليس » بدلا من « بتغليس » لأن تغليس بلد في أرمينيا .

اشرب على قرع النواقيس في دير أشموني بتفليس
وهناك أعياد مهمة أخرى منها عيد الميلاد (١) وعيد رأس السنة
وغيرهما من أعياد القديسين والقديسات (٢) .

وفي عيد الميلاد كان من عادة النصارى ايقاد النار واللعب بالجوز
لاعتقادهم بأن السيدة العذراء ولدت المسيح في ليلة باردة فأكلت عشر
جوزات .

وكان المجتمع العراقي يحتفل بالاعیاد القومية للفرس باندماج تام يزيد
على اندماجه باعياده ومن أعياد الفرس : ليلة الوقود أو عيد السدق وفي
هذه الليلة تعمل نار عظيمة تسمى نار السدق . وكان من عادة كبار رجال
الدولة في هذا العيد وغيره الجلوس لقبول التهنئات والهدايا .

قال ابن الحجاج يصف ليلة الوقود (٣) :

ليلتها حسنُها عجبٌ بالقصْفِ والعزفِ قد تحقّقُ
لنارها في السما لسانٌ عن نور ضوء الصباح ينطقُ
ودجلةٌ أضرمتُ حريقاً بألفِ نارِ والْفِ زورقُ
فماؤها كأنها حميمٌ قد فار مما غلى وبَقَبَسَقُ

وقد وصفها شعراء كثيرون وأشاروا الى أنها ليلة شتوية . ومن هؤلاء
الشعراء عبد العزيز بن يوسف وابن نباتة السعدي والسلامي (٤) .

(١) ينظر أحسن التقاسيم ١٨٢ .

(٢) ينظر في أعياد النصارى الآثار الباقية ٣١٠ وما بعدها ، نهاية الارب ١ / ١٩١
وما بعدها .

(٣) نهاية الارب ١ / ١٩٠ . ومثل هذا يقول صريع الدلاء في هذه الليلة :

اهلا وسهلا بليلة الدق والشرب فيها على الفسق
والهوء والقصف والمجون بها بين خليع وبين منخرق
الديوان ٧٣ أ .

(٤) البيضة ٢ / ٣٢٥ ، ٣٩٢ ، ٤١٤ ، ٤١٨ .

ويقع النيروز « أول الربيع » ومعناه اليوم الجديد ويرجع أصله الى البابليين (١) ، وقد أكثر الشعراء تهنئة رؤسائهم بهذا العيد ، من ذلك تهنئة عبد العزيز بن يوسف لعضد الدولة (٢) وتهنئة المطرز (٣) لاحد الرؤساء وتهنئة مهيار لاحد الوزراء والتي يقول فيها (٤) :

يزوركُم النيروز مقتبسل الصبا وقد دب في رأس الزمان مشيب
تصوح أغصان الاعادي وغصنكم من السعد ريان النبات رطيب
ويقع المهرجان في السادس والعشرين من تشرين الاول ويستمر ستة
أيام آخرها يسمى المهرجان الاكبر (٥) .

وسبب تعظيم الفرس لهذا اليوم زعمهم أن فريدون أدرك ثأر جده من الضحاك الملك الظالم « وقيل أن مهر هو اسم الشمس وأنها ظهرت في هذا اليوم للعالم فسمي بها والدليل على ذلك أن آتين الأكامرة في هذا اليوم التتوج بالتاج الذي عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها » (٦) وكان الملوك يظهرون فيه أفراحهم ويتقبلون هدايا رعاياهم .

ومن الادلة على مجيئه أول أيام نزول المطر قول الشاعر (٧) :

أحبّ المهرجان لأن فيه سروراً للملوك ذوي السناء
وباباً للمصير إلى أوانٍ تفتّحُ فيه أبوابُ السماء

(١) الآثار الباقية ٢١٧ ، نهاية الارب ١ / ١٨٥ .

(٢) اليتيمة ٢ / ٣٢٣ .

(٣) تمة اليتيمة ١ / ٧٤ .

(٤) الديوان ١ / ١١٣ .

(٥) نهاية الارب ١ / ١٨٧ .

(٦) الآثار الباقية ٢٢٢ .

(٧) نهاية الارب ١ / ١٨٧ والمستطرف ٢ / ٥٤ وينظر ديوان الشريف المرتضى ٣ / ٢٨٥ ،

وينظر في النيروز مقال الدكتور حسن علي محفوظ العدد الثاني من مجلة الآراء الشعبي نيسان ١٩٦٤

وينظر في الاعياد الساسانية مجلة المعلم الجديد الجزء الاول شباط ١٩٥٧ المجلد العشرون ص ١١ .

ومن الأدلة على اشتقاق اسمه من الشمس قول مهيار الديلمي متفاخراً (١):

وعاد المهرجان بخفض عيش
هو اليوم ابتناه أبوك كسرى
يشرف على طلائله الصفاق
وشيد من قواعد الوثاق
وشق له من آسم الشمس وصفاً
يطول به صحيح الاشتقاق

ويمكن أن تكون مشاركة المسلمين في أعياد النصارى والفرس تنفيساً عن كبت سياسي واجتماعي وديني ومحاولة لقتل الفراغ والتمتع بالحرية ولو للحظات ، ومشاركة المسلمين هذه « تدل على مقدار رقة المظهر الاسلامي الذي يحيط بالحياة العامة » (٢) .

التعصب :

من المظاهر الاجتماعية البارزة التي أخذت جانباً من وقت الناس وفكرهم مظاهر التعصب الطائفي والقومي (٣) والفكري ، على ان التعصب الطائفي أو المذهبي كان ابرزها وأعمها .

فلقد استغلت سداجة العامة ، وسطحية وتبعية بعض الشخصيات الفكرية والسياسية من أجل اذكاء نار الفتنة بين الشيعة والسنة ، أو بين السنة أنفسهم كما حصل حين اشتد أمر الحنابلة على مخالفيهم من أهل المذاهب الاخرى (٤) .

(١) الديوان ٣٥٢/٢ ، وفي التهنتة بعيد المهرجان نظم صريع الدلاء لفخر الملك قصائد عديدة طويلة ، ينظر الديوان ورقة ٢١ أ ، ٢٢ ب ، ٢٤ ب ، ٢٦ ب ، واماكن أخرى .

(٢) الحضارة الاسلامية ٢٧٦ / ٢ .

(٣) من علائم التعصب القومي قول مهيار :

واي كسرى على ايوانه
الديوان ١ / ٦٤ . وقول المتنبي :

وانما الناس بالملوك وما
الديوان ٨٤ .

(٤) ينظر الكامل ٨ / ٣٠٨ .

وظهر هذا الاستغلال من أغلب الفئات المتسلطة التي تدعي السنية أو تميل الى الشيعة .

فكلما أحس وزير أو أمير أو ملك بوجود تدمر شعبي أو اهتزاز في كرسية افتعل فتنة مذهبية تمتص حقد الناس على السلطة وتلهيهم لفترة معينة عن متابعة مظالم الحكام . فحين أحس معز الدولة باستياء الناس من تسلط جنوده وأعوانه أمر بأن تخرج النساء لاطمات الصدور نافشات الشعور وأن يخرج الرجال لاطمين باكين في مواكب كبيرة تبدأ في اليوم الاول من محرم تعبيراً عن حزن الشيعة على مقتل الحسين الشهيد (١) ، وبذلك ألهى الناس ، وتبعه في ذلك خلفاؤه من آل بويه حتى صار الامر عادة سنوية جارية .

وكانت الفتن بين السنة والشيعة دائمة مستمرة والسلطة تناصر أهل المذهب الذي يدين به رؤساؤها (٢) .

وكان للشعر دور في مثل هذه المعارك والفتن بتأكيد ما تقوله هذه المذاهب والاصرار على افكارها .

ومن أهم الافكار التي يعتنقها الشيعة وتناولها شعرهم أحقية علي بن أبي طالب بالامامة ، والولاء له ، والاغراق في حبه وحب آل بيته ومن الذين قالوا بامامة علي بن أبي طالب ، محمد بن احمد بن عبد الله المتوحي ، وهو يؤكد ذلك في قوله (٣) :

قد صحَّ قولُ النبي عندي أنّ علياً هو الامامُ
فان توأليته بحقٍ ليس على مثله ملامُ
بفضله فاقَ كلَّ فضلٍ يعجز عن مثله الأنامُ
ذا مذهبي ليس لي سواه إنقطع القولُ والسلامُ
ويبلغ ألم مهيار الديلمي لمقتل الحسين بحيث يجعله قاعدة فاصلة في

(١) ينظر النجوم الزاهرة ٣ / ٣٣٤ ، العبر ٢ / ٢٩٤ .

(٢) ينظر الكامل حوادث سنة ٣٦١ مثلاً وينظر المنتظم ٧ / ٨٨ .

(٣) المحمّدون ٧٨ .

الصدّاقة والصديق ذلك يقول :

وليس صديقي غير الحزين لفقد الحسين وغير الأسوف (١)
وقد يكون الولاء ادعاء من غير ايمان ، أو يكون ولاء متطرفاً يجعل من
الناس الذين لا يتفقون مع الشاعر خارجين على الدين لذلك دعى من لا يقول
به ناصبياً ووصم بالقبیح والكذب .. يقول الخوارزمي (٢) :

ربّ ليلٍ كطلعةِ الناصبيّ ذي نجومٍ كحجّةِ الشيعيّ

ويقول الناشيء الاصغر ابو الحسن علي بن عبد الله (٣) :

لك صدغٌ كأنما لونه وجهُ ناصبيّ

ويقول كشاجم (٤) :

حبّ عليّ علوّ هممه لأنه سيدُ الأئمة

ميّزٌ محبّيه هل تراهم إلاّ ذوي ثروة ونعمه ؟

بينَ رئيسٍ إلى ظريف قدأكمّل الظرفَ واستتمه

فهم إذا حُصّلوا ضياءً والعصبُ الناصبيّ ظلّمه

ومع ركاكة هذا الشعر بناء ومعنى نستدل على ان ادعاء التشيع صار
يوصل الانسان زمن كشاجم المتوفي ٣٩١ الى الغنى والجاه ، وتبين أيضاً
ان التشيع أو التسنن لم يكن بدافع الحرص الديني بقدر ما هو دافع مصلحي
ذاتي .

وحين ننتقل من الشيعة اتباع علي الى ابنائه نجد اللوعة الصادقة والحزن
الكبير على الشهداء الذين راحوا ضحية الغدر والحقمد ، وهذا يظهر في
شعر الشريف الرضي حين يقول (٥) :

(١) الديوان ٢ / ٢٦٣ .

(٢) المضاف والمنسوب ١٧ وترجمة ابي بكر محمد بن العباس الخوارزمي ت ٣٨٣

في وفيات الاعيان ٤ / ٣٣ .

(٣) المضاف ١٧٣ ، وترجمة الناشيء في الوفيات ٣ / ١٥١ الديوان ١٦٠ .

(٤) المضاف ١٧٣ ، الديوان ١٦٠ .

(٥) الديوان ١ / ٤٤ .

كربلا لا زلت كرباً وبلا
 كم على تربك لما صرُّعُوا
 الى أن يقول عن قتل الحسين :
 يا قتيلاً قوِّض الدهرُ به
 قتلوه بعد علم منهمُ
 غسلوه بدمِ الطعن وما
 ما لقي عندك آلُ المصطفى
 من دمٍ سال ومن دمٍ جرى
 عمَّـدَ الدين وأعلام الهدى
 أنه خامسُ اصحاب الكسا
 كفنوا غيرَ بوغَاء الثرى

• • •

ربّ إني اليومَ خصمٌ لهمُ جئت مظلوماً وذا يوم القضا
 وعندما يستكين حزن الشريف الرضي على القتلى من آبائه ، ينظر الى
 الخلافة نظرة أي شيوعي آخر ولذلك يرتفع بفخره ويقول للقادر بالله (١) :
 عطفاً أميرَ المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرقُ
 ما بيننا يومَ الفخار تفاوتُ ابدأً كلانا في المعالي معرقُ
 الا الخلافة ميزتك فإنني أنا عاطلٌ منها وأنت مطوقُ
 ولربما كان الشريف الرضي يقول في نفسه أكثر من المساواة في النسب ،
 فهو يرى في القادر مغتصباً لحقٍ هو أجدر به منه ، ولذلك رأينا أخاه
 الشريف المرتضي يؤكد مثل هذا التطلع فيدعو الى الثورة لاسترداد حقوق
 العلويين المغصوبة حينما يقول (٢) :
 يا آل احمد والذين غدا بجبههم نجاتي

• • •

حتى متى أنتم على سهوات حذبٍ شامصات
 وحقوقكم دون البرية في أكفٍ غاصبات

(١) الديوان ٤٢/٢ ، اليتيمة ١٤٤/٣ .

(٢) الديوان ١٤٥/١ .

قل للألى حادوا وقد ضلّوا الطريق إلى الهداة

• • •

نامت عيونكم ولكن عن عيون ساهرات
وظننتم طول المدى يمحو القلوب من الترات
هيات ان الضغن توقده الليالي بالغدات
لا تأمنوا غص النواظر عن قلوب مرصداً

• • •

حتى يعود الحق يقظانا لنا بعد السبات
وكان ظهور شعر معاكس نتيجة حتمية لهذا التعصب والغلو أحياناً على
أنا وفي كل الفترات لا نجد تعصباً مذهبياً يوازي تعصب كشاجم أو
الخوارزمي ، أو النامي .

ويبدو أن حب علي وابنائه من قبل كل المسلمين جعل ذلك حداً يقف
عنده من يحاول الرد على مدعي التشيع .

أما التعصب بين الاقوام الكثيرة التي كانت تعيش في العراق فقد كان
يحدث غالباً بين الديلم والأتراك وهو لا يعدو أن يكون صراعاً على مراكز
السلطة ، وقيادة الجيش ، ولم نجد لهذا الصراع ذلك التأثير الكبير بحيث
ينطبع على الشعر .

أما الصراع بين العرب وغيرهم من الاقوام فلم يظهر له وجود لان
الصراع الطائفي والطبقي غطى عليه ، واذا وجدنا بعض النزعات القومية
عند مهيار أو غيره ، فهي من قبيل الفخر ليس الا (١) .

١ - ينظر مثلاً ديوان مهيار ١ / ٦٤ .

الخلاصة :

هذه نماذج من الشعر تجلو لنا صوراً من الحياة الاجتماعية في بغداد وغيرها وتبرز لنا ما كان عليه مجتمع العراق من تناقض طبقي ، وتباعد بين غني وفقير وزاهد وعابد وسني وشيعي ، وهي تعين المؤرخ في اغناء دراسته ويمكن ان تكون أحد مصادره النادرة ، لما فيها من تسجيل ذاتي ، وصدق في نقل الحقيقة .

أما قيمتها الفنية فليست بشيء الا أن الباحث اللغوي أو المؤرخ الادبي لا يمكنه أن يتركها لانها ظاهرة واقعة دخلت اللغة والشعر ويمكنه أن يفيد مما ورد فيها من الفاظ ومفردات ومصطلحات فيحدد معالمها ودلالاتها ويتتبع تطورها التاريخي .

وحين عرفنا هذا جيداً بذلنا الجهد للم أجزاء هذا الفصل من هنا وهناك ايفاءً بحق البحث واتماماً للصورة الموضوعية ، لان كلامنا على المجتمع يبقى ناقصاً ان أهملنا هذه الاشارات الشعرية الاجتماعية .

ان المظاهر الاجتماعية كثيرة ومتعددة وقد آثرنا أن نسجل ما هو بارز منها وما اهتم به الشعر وبين معالمه .

خاتمة :

مر العراق منذ بداية القرن الرابع للهجرة حتى مجيء البويهيين في شبه فوضى سياسية كانت ذات منبع اقتصادي ونتائج اجتماعية خطيرة ، فحدثت المجاعات وتخلخل البنيان الاخلاقي للمجتمع العراقي وكثر السلب والنهب والرشوة والزور والدجل .

وحين جاء العهد البويهي واستقرت الامور السياسية نوعاً ما لم تتحسن أحوال المجتمع فالسلطة الجديدة لم تكن أقل جوراً من سابقتها ، ولربما زادت عليها قساوة وتجبراً ، واشتد أمرها على المجتمع حين بدأت تفتعل الفتن المذهبية والطائفية والعنصرية وتستفيد منها في تفتيت قوة الناس وقيمهم ، وزيادة على ذلك افتعل رؤساؤها المناسبات ، والالعاب الرياضية ،

والاعمال اللاهية الاخرى لكي (يمتصوا) حقد الناس على مظالمهم .
وجبروتهم .

وإذا كان أول عهد البويهيين فترة تبدل سياسي أعقبها استقرار نسبي دام حتى وفاة معز الدولة ، فإن عهد بختيار بن معز الدولة كان مضطرباً مرتبكاً وقد انعكس اضطرابه على أحوال الناس ، فكثرت في أيامه الفتن الطائفية والعنصرية ، وحين أمسك عضد الدولة الامور عاد الاستقرار السياسي ثانية لكنه لم يكن هذه المرة طويلاً كما في أيام معز الدولة ، فلم يدم أكثر من نحو ١٠ سنوات أعقب ذلك ، وبعد وفاة عضد الدولة مباشرة ، هزات سياسية عنيفة تأثر بها كيان المجتمع وبنيته .

ولم يسكت الناس على هذه الاوضاع المضطربة التي (أكلت) أجزاء كبيرة من اصاله هذا المجتمع وأعرافه ورزقه ، فلقد كانت لهم مع السلطات الظالمة جولات وثورات وكان أبرز مظاهر سخط الناس على حكامهم ، حركات القرامطة ، والعيارين والشطار والمظاهرات والحركات الشعبية المتعاقبة الي فاد قسماً منها الهاشميون أنفسهم .

كل هذا كان سببه الصراع الطبقي والتباين الاقتصادي الناتج عن سوء النظام الاقتصادي للدولة العباسية ، وعن الاطماع المتزايدة للحكام الذين صار همهم فرض الضرائب ومصادرة الناس ونهب أموالهم .

ولقد انقسم المجتمع العراقي الى طبقتين متباينتين رئيسيتين هما أساس بنیان هذا المجتمع ودافع حركته : الطبقة الحاكمة المستغلة والتي اطلق عليها اسم طبقة الخاصة ، والطبقة المحكومة المستغلة والتي اطلق عليها اسم طبقة العامة ، وهي الاكثر نفوساً (وفاعلية) .

ولا يفوت القاريء اننا نركز على المجتمع المدني لأن الشعراء كانوا أكثر التصاقاً به فالمدينة استقطبتهم بما تدره عليهم من مال وجاه وترف ، لذلك كادت البادية والارياف ان تفتقدهم .

وفي هذا المجتمع كان الشاعر عضواً بارزاً ، تربطه بالفئات الاجتماعية الأخرى علاقات عديدة .

فمع الحاكم يرتبط بعلاقات اقتصادية ذات أثر كبير في وجوده وفكره وتصرفه . وهو بالنسبة للحاكم شيء منم يؤثر في حياته ووجوده فمثلما هو لسانه وسوطه هو نديمه وعشيرته . وكان يفيد مقابل هذا ثروة لا تبقى كثيراً في يده فهو سرعان ما يبدها على موائد اللهو وفي مجالس الشراب بالرغم مما كان يلاقي في سبيل جمعها من اهانات ومشقة سفر وهجرة .

أما رابطة الشاعر مع الناس فبمئية - في الأغلب - على أساس من رابطة الحاكم معهم .

وهناك شعراء ربطوا أنفسهم بمصير أبناء بلدهم وضربوا الملاذ التي يحصل عليها من يرتبط بالحاكم عرضاً ، فأثبتوا شجاعة وسجلوا ثورة على الذات وعلى الفساد .

أما علاقات الشاعر مع أصحابه الشعراء فكانت ذات صبغ تجارية لذلك كثر الحسد والمنافسة والدس الرخيص ، ولا يعني هذا انعدام العلاقات الحسنة بين شاعر وشاعر ، فلقد سجل لنا الزمن أنبل العلاقات بين الصابي والشريف الرضي وبين الشريف وابن الحجاج أو بين شعراء آخرين غير هؤلاء .

ومثلما تأثرت الحياة الاجتماعية بالسياسة والاقتصاد تأثر الشعر والأدب ، فكان حصيلة التباين الطبقي تبايناً ثقافياً نلاحظه في شعر كل فئة من فئات المجتمع لما هو معروف من أثر البيئة في الشعر ، فلقد عكس شعر الطبقة الحاكمة طبيعة المجتمع المترف الذي عاشه رجالها ، واتضح لنا من خلال شعر الخليفة الراضي - مثلاً - كيف كان مجتمع الخلفاء متحلاً ذليلاً لا حول له ولا سلطة .

ثم اكتشفنا اعترافاً شعرياً على لسان الراضي يقول بانحراف هذا الخليفة

الى الغلمانية والدعارة ، وكذلك كان الأمر عند آل بويه ، والوزراء
ورجال الدولة الآخرين .

ونتيجة لهذه البنية غير الاخلاقية لمجتمع الحكام شاعت الرذائل
والفواحش في المجتمع على أساس المبدأ الرديء القائل (الناس على دين
ملوكهم) فتهرأت القيم الخلقية ، وانخسرت اللغة المؤدبة ، وحلت محلها
لغة ضالة مسفة ، فكان الهجاء الماجن ، والوصف الخليع ، والغزل العاهر ،
والممازحة الممجوجة السمجة لغة تداولها الشعراء ، واستظرفها الخاص
والعام .

وقد وصل اللفظ الفاحش الى وصف الاعمال الجنسية والاعضاء
التناسلية وصفاً فاضحاً ، والى ترديد كلمات الفجور في كل مناسبة ، وقد
أكدت لنا هذه الاشعار والمنظومات شيوع الغلمانية والبغاء بشكل واسع
حتى ليتصور الانسان أن الانحراف الاخلاقي قد تركز في كيان المجتمع
العراقي وصار أمراً اعتيادياً لا يعاب مريدوه ، ولا يعاقب فاعلوه .

وفي هذا المجتمع الذي انحرف بالقيم ، وصار حكامه آلات سطوة
وسلب عاشت فئات لم تتحمل قساوة الحياة ولا استطاعت الوقوف أمام
مآسيها فوضعت خدها واستصغرت نفسها ، وصغرت هممها ، فكبت
بها السبل القويمة وشذت عن خط الحياة الواضح ، واتبعت أساليب وضيعة
للحصول على قوتها ومسبيات وجودها .

تلك هي فئات المكدين والسؤال التي توسعت وانتشرت بسبب الظروف
الاقتصادية القاسية حتى صار لها شعراؤها ومتكلموها ، وعاداتها وتقاليدها .
وقد عكس لنا شعر المكدين الصراع النفسي عند بعض رجالها ، كما
صور لنا مجمل حياتهم تصويراً يكاد يكون تاماً بئساً .

ومثل هذه الفئة من حيث الهروب أمام مشكلات الحياة كانت فئات
المتصوفة التي آثر أغلب أعضائها الانزواء في الصوامع والانزغال عن الناس
والغرق في لبح الافكار الغيبية أو التهويم بين ضباب الخيالات والشطحات

والصرعات . ولم يعد لهم هم إلا الحصول على لقمة العيش براحة بال وبلا كد ، وصارت لهم ممزوجة بشيء من الهيبة والاحترام يعرضهم عن قيم فقدها .

على أن هذه الفئات لم تخل من ايجابية بلغت أحياناً حد العنف والمواجهة فجوبهت بالموت والتعذيب كما حصل للحلاج وابن عطاء مثلاً .

وتعد فئة المتصوفة بالقياس الى الفئات التي باعت نفسها للسلطة أو انحرفت الى طريق الشذوذ الاخلاقي والكندية ايجابية ، لانها-عموماً- ظلت تحافظ على ماء وجهها ، وكان في افرادها من كسب من عمل يده أو ارتزق بعلمه .

ويبدو أن هذه الفئة قد انحسرت فاعليتها- وقد كانت فيما سبق ذات أثر في التوجيه الاخلاقي- في الاقل- بعد أن قُتل الحلاج ومثّل به وعذب ابن عطاء حتى الموت .

لقد آثر معظم أفرادها في هذا القرن الركون الى الجانب الغيبي من الدين ولم يتعرض للجانب الذي يمس حياة المجتمع اليومية .

من هؤلاء كان الشبلي والكلاباذي وأبو طالب المكي ، والطوسي ، والسلمي وقد اتجه هؤلاء الذين ذكرناهم- عدا الشبلي- نحو التأليف في النواحي الصوفية وآدابها ، فأدوا بذلك خدمة لا تقدر لدارسي عادات هذه الفئة وطبائعها ، وكأني بهم قد عوضوا بتأليفهم عن سكوتهم تجاه مظالم الحياة الاجتماعية وقسوة حكام أزمانهم .

ولم يعد المجتمع جماعات أخرى التزمت بقيمها ، وترفعت عن التمسح بالاذيال ، وصانت نفسها من الابتذال ، فما استكانت لذل ، ولا هادنت ظلاماً ولا سكتت عن جبروت طاغية .

لقد كانت هذه الجماعات انساخطة أو المتمردة متباينة في عمليات مواجهتها للمظالم الاجتماعية ، فهناك من سخط ووقفت به جرأته عند ذم الزمان رامزاً بذلك الى ذم الحكام والمتسلطين وهناك من سخط وأعلن

سخطه في صراحة تامة وجراحة كبيرة .

ولقد تمثل لنا كل ذلك في اشعار الكثير من أهل العصر ، خاصة شعراء البصرة الذين نرى أن من أسباب جرأتهم تأثرهم بالافكار القرمطية وقربهم من دولة القرامطة في البحرين اضافة الى بعدهم عن مركز القوة « بغداد » . وكان ابن لنكك وأشعاره أتمودجاً لا يوازيه من حيث الجرأة غير ابي العلاء المعري في الشام ، ولا ابن لنكك السبق في هذه الانتفاضات الشعرية . ومن خلال هذا التناقض الاجتماعي برزت مظاهر حضارية اجتماعية عديدة ، بيّنت مقدار تأثر المجتمع العراقي بالحضارات الاجنبية المجاورة أو الوافدة بواسطة الغزو والاحتلال .

وكما كانت هناك مظاهر انفردت بها هذه الطبقة أو تلك ، كانت هناك أيضاً مظاهر اشتركت بها معظم الطبقات والفئات الاجتماعية . فلقد لّتها أغلب الناس بمقادير متباينة ووسائل عديدة ، وتعددت وسائل اللهو وأماكنه ، فانتشر في بغداد ، وعكبرا وبُصرى وأوانا ، وسامراء ، وتكريت وواسط والبصرة ، والاهواز وغيرها من المدن والمنتزهات والاديرة .

وفي أماكن اللهو هذه شاع الفساد ، والغناء وشرب الخمر ، بشكل انفرادي أو على صورة مجالس صاحبة .

وفي مجتمع الرق والجواري والاقطاع يسود الرجل سيادة مطلقة وتصبح المرأة متاعاً رخيصاً لهذا السيد المطلق ، ولقد ظلت المرأة العراقية في القرن الرابع في موقع اجتماعي متأخر جداً ، وبخاصة المرأة الحرة ، فلقد نافسها الجواري والعلمان وأخذوا المراكز المهمة في دور الخلفاء والملوك ، ووصلوا الى مرحلة بلغت فيها سطوة بعض الجواري أدرجة أعلى من سطوة الوزير . ولم تكن عادات وتقاليد المجتمع العراقي وليدة حضارة مستقلة خاصة بهذا المجتمع فلقد كان لحركة التجارة بين العراق وغيره من الامم وللاحتلال الفارسي للعراق اضافة الى عشرات الآلاف من الجواري

والغلمان الروم أثر كبير في خلق تلاحم حضاري وفكري بين العرب والفرس والروم، لذلك رأينا عادات مشتركة كثيرة بين هذه الاقوام تشكل مجموع المظاهر الحضارية للمجتمع العراقي .

لقد كان الناس يحتفلون بأعياد النصارى الدينية وأعياد الفرس القومية كما يحتفلون بأعياد المسلمين ، وكانوا يتفننون في أزيائهم وما كلهم ومجالس شرايهم وأنسهم بتأثير من هذا التلاحم الحضاري والتزاوج الفكري .

لقد حصلنا من خلال الكشف عن معطيات النصوص الشعرية على صورة بيئة لمجتمع العراق في القرن الرابع بطبقاته وتأثيراته وعاداته ومظاهر حياته ، وكان لنا في دراستنا هذه أكثر من نتيجة ، فمن الاسلوب العلمي في تحليل النصوص الشعرية ذات الدلالات الاجتماعية ، توضح لنا المدى العميق لانهايار القيم الاخلاقية والدينية في المجتمع العراقي ، واستنتجنا بعد رؤية نزوية محايدة أن هذا الانهايار الاجتماعي لم يكن مقصوداً أدخلته أقوام أخرى أو فئات شعبية بقصد تحطيم الدين أو العروبة - كما يدعي بعض الباحثين - فقد كان نتيجة طبيعية للبنية الاقتصادية الاستغلالية التي ارتكزت عليها الدولة العباسية ، ولم ننكر ما للغزو الحضاري وصراعه مع القيم العربية البدوية من تأثير في انحراف الاعراف والاخلاق .

وقد تأكد لنا من خلال النصوص الشعرية ان الانهايار الاخلاقي بدأ من القمة ثم سار حثيثاً نحو القاعدة أي بدأ من دار الخليفة ثم انتشر في بغداد ومدن العراق الاخرى بين الطبقات الوسطى والفقيرة .

وكان من نتائج تحلل المجتمع تحلل لغة ابنائه وانحدارها نحو الرذيلة اللفظية ، فلم تعد اللغة السامية المترفعة هي لغة الشعر السائدة ، انما أصبحت اللغة العامية المبتدلة لغة أغلب الشعراء ، وحتى هذه اللغة العامية كانت تختلف في قيمها الفنية لأنها كانت تحمل مفردات والفاظاً تمثل المنطلق الاجتماعي لكل فئة من فئات المجتمع ، ولهذا السبب درسنا القيمة الفنية لكل فصل بصورة منفردة وبشكل مكثف مبتعدين عن لغة الحشو والانشاء .

المصادر والمراجع

- الأثار الباقية عن القرون الخالية محمد بن أحمد البيروني (ت ٤٤٠ هـ) ليدن (مطبعة بريل) ١٩٢٣ .
- آداب الصحبة وحسن العشرة أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ت ٤١٢ هـ. ي. قسطنطينية - منشورات الجمعية الشرقية الاسرائيلية - اورشليم (مطبعة الحكومة - يافا) ١٩٥٤ .
- أبو حيان التوحيدي (سيرته - آثاره) . عبد الرزاق محي الدين نشر مكتبة الخانجي مصر (مطبعة السعادة) ١٩٤٩ .
- أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي (ت بعد ٣٧٥) ط ٢ . ليدن (مطبعة بريل) ١٩٠٦ .
- الاحكام السلطانية . أبو الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي (ت ٤٥٠) ط ١ القاهرة (شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي) ١٩٦٠ .
- اخبار الرازي والمنتقى ابو بكر محمد بن يحيى الصولي ت ٣٣٥ او ٣٣٦ هـ ميونخ دن القاهرة (مطبعة الصاوي) ١٩٣٥ .
- اخلاق الوزيرين أو (مثالب الوزيرين صاحب بن عباد وأبن العميد) : أبو حيان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو ٤١٤) - ت محمد بن تاروت الطنجي مطبوعات المجمع العلمي العربي - دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٩٦٥ .
- أدب الدنيا والدين : أبو الحسن الماوردي بعناية أحمد ابراهيم - وزارة المعارف العمومية - القاهرة (المطبعة الاميرية) ١٩٢٥ .
- الادب في ظل بني بويه : الدكتور محمود غناوي الزهيري - مصر مطبعة الامانة ١٩٤٩ .
- الاربعين في التصوف (كتاب) : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت ٤١٢) حيدر آباد الدكن (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٦٩ .
- الاشارات الهية والانفاس الروحانية : أبو حيان التوحيدي - ت الدكتور عبد الرحمن بسوي - القاهرة (مطبعة جامعة فؤاد الاول) ١٩٥٠ .

- أشعار أولاد الخلفاء : أبو بكر الصولي ثم هيورث . دن. مصر (مطبعة الصاوي) ١٩٣٦ .
- الاعجاز والايجاز : أبو منصور عبد الملك الثعالبي ت ٤٢٩ ، مصر (المطبعة العمومية) ١٨٩٧ .
- الاعلام : خير الدين الزركلي ط ٢ (مطبعة كوستاتس وشركاه) من ٩٥٤ - ١٩٥٩ .
- الاقاليم : أبو اسحاق الاصطخري طبع بالافست عن المخطوط د. ج. ا. ج مولر (كوتيه) .
- أقسام ضائعة من تحفة الامراء وأخبار الوزراء : لابي هلال الصابي . جمع وتعليق ميخائيل عواد ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٤٨ .
- الامتاع والمؤانسة : أبو حيان التوحيدني ثم أحمد أمين ، أحمد الزين القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٩ - ١٩٤٤ .
- الاناقة في معالم الخلافة : أحمد بن عبد الله القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) الكويت (سلسلة التراث العربي) ١٩٦٤ .
- الاوراق ، أخبار الراضي ، أشعار اولاد الخلفاء .
- الاوراق : كتاب يبحث في أشهر ديارات العراق ، أحمد محمد السقاف ط ١ لبنان - عاليه ١٩٥٤ .
- أهل الكدية أبطال المقامات في الادب العربي : عبد النافع طليمات - دار الوليد - حمص - سوريا ١٩٥٧ .
- البيخلاء : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥) ثم أحمد ظافر كوجان - دار اليقظة العربية ، دمشق (مطابع فتي العرب) ١٩٦٣ .
- البيخلاء : أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) ثم الدكتور أحمد مطلوب والدكتور أحمد ناجي القيسي والدكتورة خديجة الحديثي - بغداد (مطبعة العاني) ١٩٦٤ .

البداية والنهاية : أسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٨٧٤) ، مصر (مطبعة السعادة) .

برد الاكباد : أبو منصور الثعالبي ضمن أربع رسائل أخرى طبعت في كتاب واحد على مطبعة الجوائب - قسطنطينية ١٣٠١ هـ .

البصائر والذخائر : أبو حيان التوحيدى ، تـ الدكتور ابراهيم كيلاني ، دمشق (مكتبة أطلس ومطبعة الانشاء) ١٩٦٤ .

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ .

بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب : محمود شكري الالوسي البغدادي تـ محمد بهجة الاثر ط ٣ ، مصر (دار الكتاب العربي) .

بين التصوف والحياة : الشيخ عبد البارى الندوي ، نقله الى العربية محمد الحسيني الندوي ، دمشق (مكتبة دار الفتح) ١٩٦٣ .

تاج العروس : محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) نشر دار ليبيا للنشر ، بنغازي . طبع دار صادر - دار بيروت - بيروت ١٩٦٦ .

تاريخ أبي الفداء (كتاب المختصر في أخبار البشر) : أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ) ، بيروت (دار الكتاب اللبناني) د . ت .

تاريخ الامم والملوك : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) بيروت (مكتبة خياط) .

تاريخ بغداد : الخطيب أحمد بن علي البغدادي ، مصر (مطبعة السعادة) ١٩٣١ .

تاريخ الحكماء : وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من أخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي - لايبزغ ١٩٠٣ - أوفست مكتبة المثني - بغداد .

تاريخ الخلفاء : الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

(ت ٩١١ هـ) محي الدين عبد الحميد ط ٣ ، القاهرة (مطبعة المدني)
١٩٦٤ .

تاريخ الشعوب الاسلامية : بروكلمان ، ترجمة نبيه فارس ومنير
بعلبكي ط ٣ ، بيروت ، دار العلم ١٩٦١ .
تاريخ الفلسفة العربية : حنا الفاخوري ، و خليل الجحر ، بيروت (دار
المعارف) ١٩٥٧ .

تاريخ الفلسفة في الاسلام ت. ج. دي بور ، ترجمة محمد عبد الهادي
أبي ريده ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والنشر) ١٩٣٨ .
تتممة اليتيمة : أبو منصور عبد الملك الثعالبي تم عباس اقبال ، طهران
(مطبعة فردين) ١٣٥٣ هـ .

تجارب الامم : أبو علي أحمد بن محمد مسكويه ، تصحيح أمدروز ،
مصر (شركة التمدن الصناعية) ١٩١٤ - ١٩١٦ .

التحفة والهدايا ، الخالديان : محمد وسعيد ابنا هاشم (ت ٣٨٠ ،
٣٩٠) تم الدكتور سامي الدهان . مصر (دار المعارف) ١٩٥٦ .

تحفة الامراء في تاريخ الوزراء : أبو الحسن الهلال بن المحسن العباس
(ت ٤٤٨) تم عبد الستار أحمد فراج ، مصر (عيسى الباني وشركاه)
١٩٥٨ .

التصوف الاسلامي : الدكتور زكي مبارك ط ٢ ، القاهرة (دار
الكتاب العربي) ١٩٥٤ .

التصوف الثورة الروحية في الاسلام : الدكتور أبو العلا عفيفي ، مصر
(دار المعارف) ١٩٦٣ .

التصوف في الشعر العربي : عبد الحكيم حسان ، القاهرة (مكتبة
الانجلو المصرية) ١٩٥٤ .

التعرف لمذهب أهل التصوف : أبو بكر محمد الطلاباذي (ت ٣٨٠)
تم الدكتور عبد الحليم محمود وطه ، عبد الباقي سزور ، مصر (عيسى

البابي (١٩٦٠ .

تقويم البلدان : الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء صاحب حماه ،
باريس (دار الطباع الطباعة السلطانية) ١٨٤٠ أعادت طبعه باللاؤفست
مكتبة المنشي ، بغداد .

تكملة تاريخ الطبري : محمد بن عبد الملك الهمداني (ت ٥٢١) تح
البرت يوسف كنعان ط ٢ ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٦١ .
تليس ابليس : عبد الرحمن بن الجوزي ، (ادارة المطبعة المنيرية)

. ١٩٢٨

التلخيص في معرفة أسماء الاشياء ، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥)
تح الدكتور عزة حسن (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) دمشق مطبعة
الترقي ١٩٧٠ .

تطيف المزاج : من شعر ابن الحجاج مخ مصور في المجمع العلمي
رقم ٣٤٦ - م .

التمثيل والمحاضرة : أبو منصور الثعالبي تح عبد الفتاح محمد الحلو ،
مصر (عيسى الباني وشركاه) ١٩٦١ .

التمدن الاسلامي ، جرجي زيدان ، علق على حواشيه ، الدكتور
حسين مؤنس ، القاهرة (مطابع دار الهلال) ١٩٥٨ .

التنبيه والاشراف ، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)
القاهرة (مطبعة عبد الله الصاوي) ١٩٣٨ .

تيارات ثقافية : الدكتور أحمد الحوفي ، مصر (دار نهضة مصر)
. ١٩٦٨

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور الثعالبي تح محمد أبي
الفضل ابراهيم ، القاهرة (دار نهضة مصر للطباعة) ١٩٦٥ .

الحركات التقدمية في العراق حتى غزو التتار : الدكتور صلاح الدين
المنجد ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٦٢ .

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع للهجرة : آدم متر ، القاهرة (مطبعة
لجنة التأليف والنشر) ١٩٥٧ .

حضارة الاسلام : جوستاف ا. فون جرونباوم ، القاهرة (دار مصر
للطباعة) ١٩٥٦ .

حكاية أبي القاسم البغدادي : محمد بن المطهر الازدي باشراف آدم
متر هايدلبرج (مطبعة كارل ونتر) ١٩٠٢ .

(يرى الدكتور مصطفى جواد أن هذا الكتاب من تأليف أبي حيان
التوحيدي وله على ذلك عدة دلائل ، مجلة الاستاذ مجلد ١٢) .
حلية الاولياء وطبقات الاصفياء : الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله
الاصبهاني (ت ٤٣٠) ، مصر (مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة) ١٩٣٢
- ١٩٣٨ .

الحمقى والمغفلون : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي تح علي الخاقاني
- بغداد (مطبعة البصري) ١٩٦٦ .

خاص الخاص : ابو منصور الثعالبي ، قدم له حسن الامين ، بيروت
(منشورات مكتبة الجبابة) ١٩٦٦ .

الخزانة الشرقية : حبيب زيات ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ج ١
١٩٥٢ ، ج ٢ ١٩٣٧ .

دائرة المعارف الاسلامية : الترجمة العربية ، ترجمة عبد الحميد يونس
وآخرين .

دراسات في العصور العباسية المتأخرة : الدكتور عبد العزيز الدوري ،
شركة الرابطة للطبع والنشر (بغداد (مطبعة السريان) ١٩٤٥ .

درة التاج : من شعر ابن الحجاج ، نسخة مخطوطة محققة من قبل د.
علي جواد الطاهر ومعدة للطبع .

دمية القصر وعصرة أهل العصر : الجزء الأول ، أبو الحسن علي بن
الحسن الباخريزي (ت ٤٦٧ هـ) تح عبد الفتاح الخلو (دار الفكر العربي)

مصر (مطبعة الترقى) ١٩٦٨ .

الدولة الحمدانية في الموصل وحلب : دكتور فيصل السامر ، بغداد
(مطبعة الايمان) ١٩٧٠ .

ديوان ابن الحجاج : الحسين بن أحمد (ت ٣٩١ هـ) مخ منه نسخ
مصورة بالمجمع العلمي تبدأ من رقم ٤٣٤ - م الى ٤٤١ - م .
ديوان ابن دريد : أبو بكر محمد بن دريد الازدي (ت ٣٢١ هـ) تخ
وجمع السيد محمد بدر الدين العلوي ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف
والنشر) ١٩٤٦ .

ديوان ابن المعتز : عبد الله بن المعتز (ق ٢٩٦) ، بيروت (دار صادر
- دار بيروت) ١٩٦١ .

ديوان أبي نواس : الحسن بن هانيء (ت ١٩٨ هـ) تخ أحمد عبد المجيد
الغزالي ، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٩٥٣ .

ديوان البحري : الوليد بن عبيد الطائي (ت ٢٨٤ هـ) ، بيروت (دار
صادر - دار بيروت) ١٩٦٢ .

ديوان الحلاج : أبي منصور الحسين (ق ٣٠٩) تخ لويس ماسينيون ،
باريس ١٩٥٥ .

ديوان السري : بن أحمد الكندي الرفاء (ت ٣٦٠) ، القاهرة (مكتبة
القدس) ١٣٥٥ هـ .

ديوان الشبلي : دلف بن جحدر (ت ٣٣٤) جمع الدكتور كامل
مصطفى الشبلي ، بغداد (مطبعة دار التضامن) ١٩٦٧ .

ديوان الشريف الرضي : أبو الحسن محمد بن الحسين بن الطاهر (ت
٤٠٦) ، بيروت (دار صادر - دار بيروت) ١٩٦١ .

ديوان الشريف المرتضى : علي بن الحسين بن الطاهر (ت ٤٣٦) تخ
رشيد الصفار مراجعة الدكتور مصطفى جواد ، مصر (عيسى البابي

الخلي) ١٩٥٨ .

ديوان صريع الدلاء : ابو الحسن محمد بن عبد الواحد او علي بن عبد الواحد كما في بعض المصادر المتوفي سنة ٤١٢ هـ والديوان مخطوط يزعم تحقيقه السيدان أحمد النجدي وطلاق عيد عون وقد اعتمدنا نسختها المصورة .

ديوان المتنبي : أحمد بن الحسين (ق ٣٥٠) تح الدكتور عبد الوهاب عزام ، مصر (مطبعة لجنة التأليف والنشر) ١٩٤٤ .

ديوان مهييار الديلمي : القاهرة ط (دار الكتب المصرية) ١٩٢٥ .

ديوان الهمداني : بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين (ت ٣٩٨) ، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٩٠٣ .

رسائل الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥) تح عبد السلام هارون ، مصر (مكتبة الخانجي) ١٩٦٤ .

(رسائل الصابي والشريف الرضي : تح محمد يوسف نجم ، الكويت)
(مسلسل التراث العربي بالكويت) ١٩٦١ .

رسوم دار الخلافة : أبو الحسن هلال بن المحسن الصابي (ت ٤٤٨ هـ)
تح ميخائيل عواد ، بغداد (مطبعة العاني) ١٩٦٤ .

الرسالة القشيرية في علم التصوف : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥) تح الدكتور عبد الحلیم محمود ، عبد الباقي سرور ، مصر (مطبعة لجنة التأليف والنشر) ١٩٦٦ .

زجر النايح : أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (ت ٩٤٩) تح أحمد الطرابلسي مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٩٦٥ .

زهر الآداب وثمر الالباب : أبو اسحق ابراهيم بن علي الحصري (ت ٤١٣) تح عدلي محمد البجاوي ، مصر (مطبعة عيسى الباني وشركاه) ١٩٥٣ .

شخصيات قلقة : الف بينها وترجمها الدكتور عبد الرحمن بلوي ،

ط ٢ ، القاهرة (دار النهضة العربية) ١٩٦٤ .

شرح أسماء العقار : الشيخ أبو عمران موسى بن عبيد الله الاسرائيلي ،
تح الدكتور ماكس ماير هوف طبعة أوروبا ١٩٤٠ (أوفست مكتبة
المثني) بغداد .

الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي : الدكتور علي
جواد الطاهر ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٥٨ .

شعراء النصرانية : لويس شيخو ، بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين)
١٩٢٦ .

شهادة العشق الالهي رابعة العدوية : الدكتور عبد الرحمن بدوي ط ٢
مصر (مكتبة النهضة) ١٩٦٢ .

الصحاح : اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣) تح أحمد عبد
الغفور عطار ، مصر (دار الكتاب العربي) ١٩٥٦ .

الصدائقة والصديق : أبو حيان التوحيدى ، تح الدكتور ابراهيم الكيلاني ،
دمشق (دار الفكر) ١٩٦٤ .

الصوفية في الاسلام : تأليف نيكلسون ، ترجمة نور الدين شربية ،
مصر (مكتبة الخانجي) ١٩٥١ .

طبقات الصوفية : لأبي عبد الرحمن السلمى تح نور الدين شربية ، مصر
(دار الكتاب العربي) ١٩٥٣ .

الطبقات الكبرى ، المسمى لوفح الانوار في طبقات الاخبار : لابي المواهب
عبد الوهاب بن احمد الشعراني (ت ٩٧٣) القاهرة (مصطفى الباني
الخلي) ١٩٥٤ .

الطبيخ : تأليف محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب البغدادي
(ت ٦٢١) تح الدكتور داود الحلبي ، الموصل (مطبعة أم الربيعين)
١٩٣٤ .

- الظرفاء والشحاذون : الدكتور صلاح الدين المنجد ، ط ٢ ، بيروت (المؤسسة الاهلية) د. ت .
- ظهر الاسلام : أحمد أمين ، ط ٣ ، مصر ١٩٥٢ .
- العبر في خبر من غير : للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨) تح صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد ، الكويت (١٩٦٠ - ١٩٦٣) .
- العميدة والشريعة في الاسلام : للمستشرق كولد زيهتر ترجمه الدكتور علي حسن عبد القادر وآخرين ، ط ٢ ، مصر (دار الكتاب العربي) ١٩٥٩ .
- عوارف المعارف : عبد القاهر بن عبد الله السهروردي (ت ٥٦٣) بيروت (دار الكتاب العربي) ١٩٦٦ .
- الفخري في الآداب السلطانية : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩) ، بيروت (دار بيروت) ١٩٦٦ .
- الفرج بعد الشدة : القاضي أبو علي المحسن التنوخي (ت ٣٨٤) ، مصر (مطبعة الهلال) ١٩٠٣ .
- الفلاكة والمفلوكون : احمد بن علي عبد الله شهاب الدين الدلحي (ت ٨٣٨) ، مصر (مطبعة الشعب) ١٣٢٢ هـ .
- الفلسفة الصوفية في الاسلام : الدكتور عبد القادر محمود ، مصر (مطبعة المعرفة) ١٩٦٦ .
- في الادب العباسي : الدكتور محمد مهدي البصير ، ط ٢ ، بغداد ١٩٧٠ .
- في التصوف الاسلامي : نيكلسون ترجمة ابي العلاء عفيفي ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٦٥ .
- الفهرست : محمد بن اسحق بن النديم (ت ٣٨٥) اشراف غوستاف فلوجل وجونسن رودجر ط أوروبا ، أوفست (مكتبة خياط) بيروت ١٩٦٤ .

قصيدة للخبز أرزي : مخ (دار الكتب الظاهرية) رقم ٣٣٢٣ ولدي
نسخة مصورة عنها .

قوت القلوب في معاملة المحبوب : أبو محمد بن علي المكي (ت ٣٨٦)
مصر (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده) ١٩٦١ .

الكامل في التاريخ : عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني
المعروف بابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) ، بيروت (دار صادر - دار بيروت)
١٩٦٥ - ١٩٦٦ ، وهذه الطبعة منقولة عن طبعة أوروبا الواقعة ما بين
١٨٥١ - ١٨٧١ .

الكشكول : بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الهمداني
(ت ١٠٣١ هـ) ، مصر (دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي
وشركاه) ١٩٦١ .

الكناية والتعريض : ابو منصور الثعالبي تصحيح محمد بدر الدين النعساني
الخلبي ، مصر (مطبعة السعادة) ١٩٠٨ .

لباب الآداب : أسامة بن مرشد بن منقذ (ت ٥٨٤) تح احمد
محمد شاكر ، مصر (المطبعة الرحمانية) ١٩٣٥ ، أوفست (مكتبة
المثنى) بغداد .

لسان العرب : ابو الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ) ،
بيروت (دار صادر - دار بيروت) ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .

لطائف المعارف : ابو منصور الثعالبي تحقيق ابراهيم الاياري وحسن
كامل ، القاهرة (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه) ١٩٦٠ .

لزوم ما لا يلزم أو اللزوميات : ابو العلاء احمد بن عبد الله المعري
(ت ٤٤٩) ، بيروت (دار صادر - دار بيروت) ١٩٦١ .

المحاسن والمسايء : ابراهيم بن محمد البيهقي ، كان حياً أيام المقتدر
تح محمد ابي الفضل ابراهيم ، القاهرة (مطبعة نهضة مصر) ١٩٦١ .

محاضرات الادباء ومحاولات الشعراء والبلغاء : ابو القاسم حسين بن

محمد الراغب الاصبهاني (ت ٥٠٢ هـ) ، بيروت (منشورات دار مكتبة الحياة) ١٩٦١ .

محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية : محمد الخضري ، ط ١٠ ، مصر (مطبعة الاستقامة) د . ت . .

المحملون من الشعراء : علي بن يوسف القفطي (ت ٤٤٦) تح حسن معمرى مراجعة حمد الجاسر (منشورات دار اليمامة - الرياض ، المملكة العربية السعودية) ، بيروت (مطبعة المتنبي) ١٩٧٠ .

مختصر التاريخ : ظهير الدين علي بن محمد المعروف بابن الكازروني (ت ٦٩٧) تح الدكتور مصطفى جواد ، سلسلة كتب التراث ، بغداد (المؤسسة العامة للطباعة والصحافة) ١٩٧٠ .

مختارات البارودي : محمود سامي البارودي (ت ١٩٠٤ م) ، القاهرة (مطبعة الجريدة) ١٣٢٧ هـ .

مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع : صفى الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩) تح علي محمد البجاوي ، مصر (دار احياء الكتب العربية - عيسى الباني الحلبي وشركاه) ١٩٥٤ .

مروج الذهب ومعادن الجوهر : علي بن الحسين المسعودي تح محي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، مصر (مطبعة السعادة) ١٩٦٤ .

المسالك والممالك : ابن اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري عاصر القرن الرابع ، سلسلة تراثنا - وزارة الثقافة في ج.ع.م . ، القاهرة (دار القلم) ١٩٦١ .

مطالع البدور في منازل السرور : علاء الدين علي بن عبد الله البهائي القرولي ، القاهرة (مطبعة ادارة الوطن) ١٢٩٩ هـ .

معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ، بيروت (دار صادر - دار بيروت) ١٩٥٥ - ١٩٥٧ .

معجم الادباء أو ارشاد الاريب الى معرفة الاديب : ياقوت الحموي

اشرف الدكتور احمد فريد رفاعي ، مصر (مطبوعات دار المؤمن)
١٩٣٦ .

معجم الشعراء : محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٧٠ هـ) تح عبد الستار
فراج ، القاهرة ١٩٦٠ .

مع المتنبي : الدكتور طه حسين ، مصر (دار المعارف) ١٩٦٠ .
معالم القربة في احكام الحسبة : محمد بن محمد بن احمد القرشي المعروف
بابن الاخوة تح وين ليوي كبرج (مطبعة دار الفنون) ١٩٣٧ .
معاهد التنصيص على شواهد التلخيص : الشيخ عبد الرحيم بن احمد
العباسي (ت ٩٣٦) تح محي الدين عبد الحميد ، مصر (مطبعة السعادة)
١٩٤٧ .

مفاخرة الغلمان والجواري : الجاحظ تح شارل بلا ، لبنان (دار
المكشوف) ١٩٥٧ .

المقابسات : ابو حيان التوحيدي تح حسن السندوبي ، مصر (المطبعة
الرحمانية) ١٩٢٩ .

مقامات بديع الزمان الهمذاني : تح محمد عبده .
المنتخب من كنايات الادباء و اشارات البلاغ : القاضي ابو العباس
احمد بن محمد الجرجاني الثقفي (ت ٤٨٢) ، ط ١ ، مصر (مطبعة
السعادة) ١٩٠٨ .

المنتظم في تاريخ الملوك والامم : ابن الجوزي ، حيدر آباد (دار
المعارف العثمانية) ١٣٥٧ - ١٣٥٩ هـ .

من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام : بندي جوزي ، بيروت (دار
الروائع) د . ت . .

من غاب عنه المطرب : الثعالبي ، ملحق مع التحفة البيئية والظرفية
الشبية ، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٢ هـ .

الموشى أو الظرف والظرفاء : ابو الطيب اسحق بن يحيى الوشاء (ت

- ٣٢٥ هـ) ، تح كمال مصطفي ، مصر (مطبعة الاعتماد) ١٩٥٧ .
- النبراس في تاريخ بني العباس : أبو الخطاب عمر بن الشيخ حسن بن رحية (ت ٦٣٣) تح عباس العزاوي ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٤٦ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) ، مصر (مطبعة دار الكتب) ١٩٢٦ أوفست
وزارة الثقافة والارشاد القومي ج.ع.م. .
- نزهة الالباء في طبقات الادباء : ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن الانباري (ت ٥٧٧) تح الدكتور ابراهيم السامرائي ، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٥٩ .
- نساء الخلفاء أو جهات الأئمة : ابو علي بن أنجب المعروف بابن الساعي (ت ٦٧٤) تح الدكتور مصطفي جواد ، مصر (دار المعارف) .
- نشوار المحاضرة أو جامع التواريخ : القاضي ابو علي المحسن بن علي التنوخي مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق - ٨ ١٩٣٠ ج ١ ، مصر (مطبعة هندية) ١٩٥١ .
- نكت الهميان في نكت العميان : صلاح الدين خليل بن يبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) وقف على طبعه احمد زكي ، مصر (المطبعة الجمالية) ١٩١١ .
- نهاية الارب في فنون الادب : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣) ، مصر (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٢٣ وما بعدها أوفست وزارة الثقافة والارشاد القومي ج.ع.م. .
- الوافي بالوفيات : صلاح الدين الصفدي ج ١ اعتناء هـ. رينر استانبول (مطبعة الدولة) ١٩٣١ ، نشر جمعية المستشرقين الالمانية المانية ، فسادن (دار النشر فرانزشتايز) ، ج ١٢ اعتناء س. ديدرنيغ ، استانبول (مطبعة وزارة المعارف) ١٩٤٩ ، ج ٣ ، ٤ اعتناء س. ديدرنيغ ، دمشق (المطبعة الهاشمية) ١٩٥٣ ، ١٩٥٩ .

الوصف في شعر القرن الرابع : الدكتور جميل سعيد ، بغداد (مطبعة
الهلل) ١٩٤٨ .

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان : شمس الدين احمد بن محمد بن
خلكان (ت ٦٨١) تح محي الدين عبد الحميد ، مصر (مطبعة السعادة)
١٩٤٨ .

الهفوات النادرة غرس النعمة : ابو الحسن محمد بن هلال الصابي (ت
٤٨٠ هـ) تح صالح الاشر ، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق)
١٩٦٧ .

بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : ابو منصور الثعالبي تح محي الدين
عبد الحميد ، ط ٢ ، مصر (مطبعة السعادة) ١٩٥٦ .
المجلات :

مجلة التراث الشعبي س ١ ع ٢ ١٩٦٣ .

مجلة سوهو ج ٢ سنة ١٩٥٤ .

مجلة كلية الآداب ع ١ حزيران سنة ١٩٥٩ .

مجلة المجمع العلمي العراقي مج ٤ سنة ١٩٥٦ .

ملاحظة :

هناك مصادر ومراجع استعملنا قليلاً ولم نذكرها في هذه القائمة ، واكتفينا
بالإشارة إليها في الهوامش .

فهرس الأعلام

- الاصطخري : ٩
 الاصفهاني (ابو الفرج) : ٢٦٤
 الآلوسي : ١٤٧
 الآمدي : ٤٦ ، ٢٦٨
 (ابو القاسم بن بشر)
 أمية بن أبي الصلت : ٢١٧
 ابن الأنباري : ٥٢ ، ٨٢
 أشموني : ٣١٧ ، ٣١٨
- ب
- بابك : ٢٥
 البخارزي : ٩
 البارودي : ٦٤ ، ٢٧٤ ، ٣٠٨
 بجكم التركي : ١٧ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠١
 ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٣١ ، ٢٢١
 ٢٨٧
 البحترى : ٤٥ ، ٥٣ ، ١٥٠
 ١٩٢
 البخاري : ٤٣
 بختيار : عز الدولة
 بدعة (مغنية) : ١١٦ ، ٢٨٧
 بديع الزمان الهمداني : ٤٦ ، ١٩١ ، ٢١٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣
 بروكلمان : ٢٨ ، ١١٣
 البريدي (عبد الله) : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٢ ، ١٩٣ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤
 ابن بسام : ١١٣ ، ٢٦٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٣١٣
 بشار : ١٩٢
 (الشاعر)

- أ
- ابراهيم بن محمد المادرائي : ٣٠
 ابليس : ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧
 ٢٤٢ .
 ابن الأثير : ٣٤ ، ٢٦٤ .
 احمد بن اسماعيل زنجي : ١٢٠
 احمد امين : ٣١
 ابو احمد بن حماد البصري : ٢٥٧
 احمد بن حنبل : ٤٣
 احمد بن كامل بن خلف (القاضي) : ٣١٤
 الاحنف المكبري : ١٠٧ / ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٥
 ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٢
 ٢١٣
 احمد الحوفي (الدكتور) : ١٤٨
 احمد بن عبد الله البديهي : ٢٨٢
 احمد بن علي الكوفي : ١٨
 احمد بن كليب النحوي : ١٦٥
 احمد بن محمد بن أبي الشوارب :
 (ابو الحسن) : ٢٦٩
 احمد بن محمد السامرائي : ٦٤ هـ .
 احمد بن محمد بن عطاء : ابن عطاء
 احمد بن يحيى : ٢٣٧
 الأخطل : ١٩٢
 ابن الأخوة : ٦٣
 آدم متمر : ١٠ ، ١٦ ، ٣١ ، ١٦٠
 ابن أبي الساج : ٢٤٩
 ابن أبي الشوارب القاضي : ٢٦٧ ، ٢٩٧

٤٤ ، ٤٦ ، ١٠٧ ، ١١١ ،
١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٤١ ،
١٤٤ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٧٠ ،
١٧٥ ، ١٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
٢٢١ ، ٢٦٨ ، ٢٨٤ ، ٢٩٤ ،
قهرة خاتمة أم المقتدر : ١٤ ، ٣١٢

ج

الجاحظ : ١٩١ ، ٢٠٩ ، ٣١٤ ،
جارية ابن مقلّة : ٢٨٩ ،
جبريل (في شعر العصفري) : ٧٣ ،
جحظه : ١٧٠ ، ١٩٧ ، ٢٣٥ ،
٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ،
٣٠١ ، ٣٠٦

ج. د. بور : ٢١٧

الجرجاني (صاحب الكنايات) : ١٥٥ ،
الجرجاني (محمد بن أحمد البندادي) :
٥٨ ، ٢٥٩

جرو بنيام : ٣٠

جرير : ١٩٢

ابن جرير : الطبري

ابن الجصاص : ٢٤ ، ٣٠

ابو جعفر العيمري : ١١٤

ابو الجمال (الوزير) : ٢٦٣

جميل سعيد (الدكتور) : ١٠٣

ابن جني : ٤٥

الجنيد : ٢٢٥

ابن الجوزي : ٣٤ ، ٩٨ ، ٢٢٠ ،

٢٢١ ، ٢٢٨

الجوهري : ٤١ ، ٤٤

ح

الحاتمي : ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩

بشار عواد معروف : ١٤٩

بشر الحافي : ٣١١

بشر بن هارون : ٦١

البغدادي : ٣٠١

ابن بقرية الوزير : ٥٢ ، ٥٨ ،

٦٣ ، ٨٢ ، ٢٩١

ابو بكر (الخليفة) : ٢١٠ ، ٣١٧

بليق : ١٦ ، ٨٩ ، ١٣١

بنان (جارية المتوكل) : ٣١٢

بندلي جوزي : ١٥ ، ٣٤

بهاء الدولة : ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ،

٢٧ ، ٦٤ ، ١٠١ ، ١٣٦ ،

١٩٣

ابن بهلول (المغني) : ٢٣٥

البيهر نصري نادر : ٢١٦

البيهقي : ١٩١ ، ٢٣٨

تاج الدولة بن عضد الدولة : ١٠٥ ،

١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،

١١١ ، ٣٠٤

تجني (جارية الوزير المهلب) :

١٢٤

ابو تراب (في شعر الخبز آري) :

٧٤

ابن تغري بردى : ٩٨

ابو تغلب بن حمدان : ١٠٧

تكين الجامدار : ١٢٥

ابن التمار الواسطي : ١٥٤

ابو تمام : ٤٥ ، ١٩٢

التنوشي : المحسن

توزون : ١٨ ، ١٩ ، ٨٦ ، ١٠١ ،

ثابت بن هارون : ٦١

الثعالبي (ابو منصور) : ٩ ، ٣١ ،

٤٠ ، ٤٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
٢٤٣ ، ٢٧٦ ،
أبو حيان التوحيدي : ٣٦ - ٣٧ ،
٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
١٥٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٧٢ ،
٢٧٩ ، ٢٩٧

خ

الخاطف (جارية) : ٢٩٨
ابن خاقان : ٣١٢
الخاقاني (الوزير) : ٢٤ ، ٣٥
الخالديان : ٣٥ ، ٦٩ ، ٧٠
الخيزارزي : ٤٧ ، ٥٧ ، ٧٤ ،
٧٥ ، ١٠٧ ، ١٥٣ ، ١٦٥ ،
١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ٢٤٨ ،
٢٩٠ ، ٢٩٧
الخصري : ١٠٠ ، ١٠١
الخطيب البغدادي : ٣١٤
ابن خلكان : ١١٩
الخليع : ٢٨٦
خمره (الجارية) : ١٨٥ ، ٣١٣ ،
أبو بكر الخوارزمي : ٤٦ ، ١٠٢ ،
٣٢٢ ، ٣٢٤

د

الدانيالي : ٢٦٣
ابن دريد : ٤٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
٢٥٦
دوه (المغنية) : ٢٩٧
أبو دلف الخزرجي (مسعر بن
مهلهل) : ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ،
٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ،
٢١٢ ، ٢١٣

الحاكم بأمر الله : ١٤٨
حامد بن العباس : ٢٤ ، ٢٥ ،
١١٣ ، ١٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٦٢ ،
٢٦٣ ، ٢٨٨
حبيب زيات : ٢٨٣
ابن الحجاج : ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ ،
٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٦١ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
٨١ ، ٨٣ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،
١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،
١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،
١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٣ ، ٢٥٥ ،
٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،
٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣١١ ،
٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٧
حسان (في شعر العصفري) : ٧٣
حسن إبراهيم حسن : ١٠١
حسن العكبر اوية (مغنية) : ٢٨٩
الحسين بن اسماعيل المحاملي (أبو عبد
الله) : ٣١٣
حسين أمين (الدكتور) : ٣٣
الحسين بن أحمد بن سعيد الجنابي : ٢٤٩
الحسين بن القاسم الوزير : ٢٦٣
الحسين بن علي بن أبي طالب : ٢١٠ ،
٣٢١ ، ٣٢٣
حسين علي محفوظ : ٣١٩
الحسين بن منصور : الحلاج
الخصري : علي بن إبراهيم
الخصري شيخ الصوفية : ٢٣٥
الخطيئة : ١٩٢
الحلاج (الحسين بن منصور) : ٣٨

ذ

ذو الرمة (غيلان) : ٧٣
 في شعر المصفرى :
 ذو النون المصرى : ٢٣٤

ر

ابن رائق : ١٧ ، ١٨ ، ٣٠ ،
 ٣٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠١ ،
 ١١٤ ، ١١٨ ، ١٣١
 رابعة العدوية : ٢٣٩
 الراضى (الخليفة) : محمد بن جعفر
 المقتدر : ١١ ، ١٦ ، ١٧ ،
 ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،
 ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ،
 ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
 ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
 ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
 ١٥٥ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ٢٤٩ ،
 ٢٦٦ ، ٨٧ ، ٣٢٧
 ربيعة بن مكدم : ٦٩
 الرسول : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٤ ،
 ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٣١١ ، ٣١٧ ،
 ٣١٩ ، ٣٢١
 ابو رقاعة (القاضي) : ٦١٢
 ابو الرقعمق : ١٤٨
 ركن الدولة : ٢١
 الرماني (ابو الحسن علي بن عيسى)
 ٤٥
 الرملي (الشاعر) : ١٨٢ ، ١٨٥
 روين بيوي : ٦٣
 روعة المغنية : ٢٩٧
 ابو رياش : ١٨٢

ز

الزجاج : ٤٥
 ابن زريق الكوفي : ٦٠ ، ٦١ ،
 ٨٢ ، ٢٣٥ ، ٣٠٩

س

ابو السائب : عتبة بن عبد الله
 سابور بن اردشيز : ٥٥ ، ٥٦ ، ٦١ ،
 الساري : ٢٦٤
 ستيته بنت القاضي : ٣١٣
 السمرائي : ٢٦٤
 السري الرفاء : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ،
 ٧٥ ، ١٧٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٦ ، ٣٠٩
 ابن مسعدان (الوزير) : ٤٠
 ابو سعيد الصغيري : ١٧٧
 ابن سكره : ٤٧ ، ٥٣ ، ٧١ ،
 ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٥١ ،
 ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ،
 ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
 ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ،
 ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٣ ،
 ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٩٤ ، ٣٠١
 السلامي الشاعر (ابو الحسن) : ٥٠
 ٥٥ ، ٦١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٦٨ ،
 ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ،
 ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٩٣ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،
 ٣١٨
 سلطان الدولة : ٥٥
 السلمي (ابو عبد الرحمن) : ٤٤ ،

ابن شيرزاد : ١٩ ، ٣١٣

الشیطان : ٢٥٩

ص

الصابي : ٣٥ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ ،

٥١ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ،

٨١ ، ٨٣ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ،

١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ،

١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٨٢ ،

١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ،

٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠٦ ،

٣١٠ ، ٣١٦ ، ٣٢٧

الصاحب بن عباد : ٤٠ ، ٤١ ،

٤٣ ، ٨١ ، ١١١ ، ١١٥ ،

١٣٥ ، ١٥٠ ، ١٩٤ ، ٢٠٥ ،

٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٥٩ ،

٢٨٩ ، ٢٩٦

صاعد بن مخلد : ١٩٣

ابن صبرا القاضي : ٢٩٧

صبي موصلي عيار : ٢٣٥ ، ٢٨٠ ،

٩٢ ، ٥٤ ، ٥١ ، صريع الدلاء :

١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٧ ، ١٩٣ ،

١٩٦ ، ٢٨٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ،

٣٠٠ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ،

٣٢٠

صلاح الدين المنجد : ٧٦

صمصام الدولة : ٢١ ، ٢٧ / ٦٤ ،

صوفة (اسم رجل) : ٢١٨

الصولي (ابو بكر) : ٣٨ ، ٤٥ ،

٤٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨٦ ،

٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠

سمتون : ٢١٩ ، ٢٢٩

السيدة العذراء : ٣١٨

سيدوك الواسطي : ٢٩٤

سليمان بن الحسن بن مخلد (الوزير) :

١٧

ابو سليمان المنطقي : محمد بن طاهر :

سيف الدولة : ١٨ ، ١٥٥ ، ١٩٢ ،

السيوطي : ٨٥

السهوردي : ٢٣٦

ش

الشافعي (الامام) : ٢٥٧

الشبلي : ٤٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،

٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،

٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩

شرف الدولة (ابو الفوارس) :

٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٦٠ ،

الشريف الرضي : ٥١ ، ٥٣ ،

٥٤ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٨ ،

٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ،

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،

١٧٨ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ،

٣٢٧ ، ٣٢٢

الشريف المرتضى : ٤٣ ، ٤٧ ،

٢٧٤ ، ٣٢٣

الشعراني : ٢٢٨ - ٢٣٠

شغب (ام المقتدر) : ١٤ ، ٨٧ ،

٣١٢

أبو شمر (المكدي) : ٢٠٩

شوقي ضيف : ٤٥

عبد الرزاق محيي الدين (الدكتور) :

٢٥ ، ٢٧

عبد العزيز الدوري (الدكتور) :

٣٤ ، ٣٣ ، ٣١ ، ٢٥ ، ١٥

٢٧٧ ، ٢٤٨ ، ١٠١

عبد العزيز بن يوسف : ٨٠ ، ٤١

١٢٨ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ٨١

٣١٨ ، ٢٨٨ ، ١٩٤ ، ١٩٢

٣١٩

ابو عبد الله البصري : ٢٣٥

ابو عبد الله الهامدي : ١٥٣ ، ١٦٨

عبد الله المالكي (القاضي ابو نصر) :

٦٥

ابو عبد الله المحاملي : الحسين بن

اسماعيل

أبو عبد الله بن محمد الراسبي : ٢٣٠

عبد الله بن المعتز : ١٤ ، ٩٨ ،

٣٠٩ ، ٢٨٠ ، ٢٣٨ ، ٩٩

عبد النافع طليمات : ٣١

عبد الواحد التميمي (ابو الفضل) :

١٧٠ ، ١٦٨

عبيد الله بن جحش : ٢١٧

العبيسي (في شعر المفتح) : ٧٦

عتبة بن عبد الله (ابو السائب) : ٢٦٧

عتيبة بن حارث بن شهاب : ٦٩

ابو عثمان الناجم : ٢٨٣

عز الدولة بختيار : ٢٠ ، ٢١ ،

٢٧ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٩٧ ،

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٠ ،

١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ،

٢٤٩ ، ٣١٦

٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٨ ،

٩٩ ، ١٠٢ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،

١٥٥ ، ١٩٣ ، ١٩٥

ط

الطائع (الخليفة) : ٢٢ ، ٢٣ ،

٥٣ ، ٧٩ ، ١٠١ ، ١٣٥ ،

١٣٦ ، ١٨٠

ابو طالب المكي : ٤٤

طه حسين (الدكتور) : ٢٥ ، ٢١٦

طاهر بن الحسين المخزومي البصري :

٢٢٠

ابو طاهر بن سليمان بن الحسن : ٢٤٨

الطبري : ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٨٥ ،

٢٤٩ ، ٢٥٤

الطوسي : ٤٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ،

٢٣٤

ظ

الضحالك : ٣١٩

ع

عائدة بنت محمد الجهنية : ٣١٣

عارف تامر : ١٥ ، ٣٤٢

العباس بن الأحنف : ٢٤٩

ابو العباس بن فيروز بن ركن

الدولة : ١٠٦

عبد الحكيم حسان : ٢١٥ ، ٢٢٠

عبد الحميد بن عبد الرحمن القاضي : ٢٣٧

عبد الرحمن بن عيسى (الوزير) : ١٧

عبد الرحمن الشيرازي (ابو احمد) :

١٢٩

ابو عبد الرحمن بن الفصل الشيرازي

٨١ ، ١١٥ ، ١٨١

علي بن الفرات (أبو الحسن) :
 ابن الفرات .
 علي بن القاسم القاشاني : ١٢٨ ، ١١٥
 العماد الاصفهاني : ٩
 عمران بن شاهين : ٢٥٠
 ابو عمر الزاهد (محمد بن عبد
 الواحد) : ٣٨
 ابو عمر بن عبد الله الهرندي : ٢٢١
 ابو عمر بن محمد الواحد القاضي : ٢٦٩
 ابن العميد (ابو الفتح) : ٦٣ ،
 ٢٥٢ ، ١١٥
 ابن العميد (ابو الفضل) : ٢٩٧
 عثان بنت عبد الله (جارية المنطقي) :
 ٣١٢
 ابو بكر العنبري : ٢٣٧ ، ٢٢٠
 عيسى بن المقتدر : ٣١٣
 ابو عيينه المهلبلي : ١٢٣
 غ
 ابن غالب : ٨٧
 ابو الفوت بن التحرير المنيحي : ٣٠٧
 ف
 الفارابي : ٢٧٣ ، ٤٦
 ابن الفارض : ٢٢٧
 ابن فارس اللغوي : ٤ ، ٤٤
 ابو الفتح الاسكندري : ٢٠٤ ،
 ٢٠٥
 ابو الفتح البستي : ٢١٨
 ام الفتح بنت القاضي احمد بن
 كامل : ٣١٤
 فخر الدولة : ٣١٧

عزيز (العيار) : ٣٢
 ابن العصب الملحي : ٧٤ ، ٧٠
 ابن العصبي : ٢٣٥
 العصفري : ٧٢ ، ٢٦٩
 عضد الدولة : ١٩ ، ٢١ ، ٢٧ ،
 ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
 ٦٠ ، ٦٣ ، ٨٠ ، ١٠٤ ،
 ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
 ١١٠ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
 ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٥ ، ١٨٨ ،
 ١٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢٤٩ ،
 ٢٨٨ ، ٣٠٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٦
 ابن عطاء : ٣٨ ، ٤٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨
 ٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠
 (احمد بن محمد)
 أبو العلاء المعري : ٦٢ ، ٦٥ ،
 ٦٨ ، ٦٩ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
 ٢٢٢
 علوه (المنفية) : ٢٩٧
 علي بن ابراهيم (ابو الحسن) :
 ٢٢٨ ، ٢٢٩
 علي بن ابي طالب : ٢١٠ ، ٢٦٧ ،
 ٣٢١
 علي بن بليق : ١٥ ، ١٣١
 ابو علي الرقاق : ٢٣٣
 علي جواد الطاهر : ١٢
 علي بن محمد البديهي : ٢٢٣
 (ابو الحسن)
 علي بن عيسى الجراح (الوزير) :
 ١٤ ، ٣٤ ، ١١٣ ، ١١٥ ،
 ١١٧ ، ١٣٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
 ابو علي الفارسي : ٤١ ، ٤٥

(الرحمن)

قلم القضيبي (مغنية) : ٢٣٥

قيصر : ٢٩٤

ك

كاتب ابن الفرات : ١٢٠

كافور : ١٩٢ ، ١٩٣

الكاغاني (مكدي) : ٢٠٨

كسرى : ٣٢٠

كشاجم : ٧٠ ، ٢٨٧ ، ٣٠٢

ك : ٣٢٢ ، ٣٢٤

كلاب بن حمزه (ابو الهيزام) : ١٨٢

الكلاباذي : ٢٢٦

كورتكين الديلمي : ١٨

كولذير : ٢١٥

كيسان : ٢١٠

ل

لؤلؤ (صاحب الشرطة) : ٢٦

ابن لنكك : ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٨

ل : ٧٣ ، ٧٥ ، ١٠٧ ، ١٨٢

ل : ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩

ل : ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦

ل : ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٧٠

ل : ٢٧٦ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨

ل : ٣١٠

لويس برنارد : ٣٤

م

المأمون : ٣١ ، ١٥٩

الماوردي : ٣٠

المتقي (ابراهيم بن المتندر) : ١٨

م : ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٥ ، ٨٦

م : ٨٧ ، ١٠١ ، ١٩٣ ، ٢٨٧

فخر الملك ابو غالب محمد بن علي :

٣٢٠ ، ٢٨٤ ، ١٩٣ ، ٥٥

ابن الفرات (الوزير) : ٢٤ ، ٢٥ ،

٣٩ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

١١٧ ، ٢٨٧ .

ابو الفرج الاصفهاني : الاصفهاني

فريدون : ٣١٩

الفضل بن الفرات : ١١٧

ابو الفضل الفضلي الكسكري : ١٥٧

فضل اليمامية (جارية المتوكل) : ٣١٢

الفضل بن يحيى : ٣١

ابو الفوارس (ابن عضد الدولة) :

١٠٨ ، ١١٠

ابن فهم الصوفي : ٢٣٥

فصل السامر (الدكتور) : ٢٠ ،

٣١ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ١٠٤ ، ١١٥

ق

القادر بالله : ٢٢ ، ٣٢ ، ٩٧ ،

١٠١ ، ١٣٦ ، ٢٤٢ ، ٣٢٣

(احمد بن اسحاق بن المتندر)

ابو القاسم بن عبد الرحيم : ٥٣

ابو القاسم (صاحب كتاب حكاية

ابي القاسم) : ٢٨٠ ، ٢٨١ ،

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،

٣٠٠ ، ٣٠٥

القاضي التنوخي : ٧٦ ، ٧٧ ،

٨١ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ٢٦٨

القاهر محمد بن المعتضد : ١٥ ،

١٦ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ١٠١

القرمطي (ابو سعيد) : ٢٤٩

ابن قريعه (القاضي) : محمد بن عبد

محمد بن طاهر (ابو سليمان المنطقي)

٢٣٥ ، ٢٢٤ ، ٤٦

ابو الفرج محمد بن العباس بن

فسانجس الوزير : ٥٣ ، ٥٤

١٨١

محمد عبده (الشيخ) : ٢٠٨

محمد بن عبد الواحد التميمي : ٢٥٨

محمد بن عبد الواحد الهاشمي (ابو

الحسن) : ٢٦٨

محمد بن عبد الرحمن بن قرية

(القاضي) : ١٣٧ ، ٢٦٨

محمد بن علي بن خالد الحمداني : ٣٠٨

محمد بن علي السامري الوزير : ٢٦٤

محمد بن عمر العنبري : ٢٧٢

محمد بن عيسى (ابن موسى الضرير

القاضي) : ٢٦٦

محمد بن غسان (ابو الحسن) : ٦٠

محمد بن القاسم الكرخي (الوزير)

١٧ ، ٣١٣ ، ابو جعفر)

محمد بن محمد بن لنكك : ابن لنكك

محمود غناوي الزهيري : ١٠ ، ٣١

١٧٩ ، ٢٠٦

محمي الدين عبد الحميد : ٥٢ ، ٦٩ ،

٨٥ ، ١٠٦ ، ١١٩ ، ١٢٦

٢٩١

مروان : ٢٦٧

ابن أبي مرة المالكي : ١٧٦

المستكفي (الخليفة) : ١٩ ، ٢٠ ،

٨٦ ، ١٠١ ، ٢٦٤ ، ٢٨٧

٣٠٢

المسعودي : ٣٤ ، ٨٥ ، ٩٨

المتنبي : ٢٥ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٤٦ ،

٤٧ ، ٧١ ، ١٨٢ ، ١٩٣ ،

٣٢٠ ، ٣٠٨ ، ٣٠٥

المتوكل : ٥٣ ، ٨٥ ، ١٠١ ،

٣١٢

ابن مجاهد : ٢٦٣

محبويه (جارية) : ٣١٢

المحسن (بن علي بن محمد) ابن

الفرات) : ١١٧ ، ١٣١ ،

المحسن بن القاضي التنوخي : ١٣٨ ،

١٩١ ، ١٣٩

محقق البيهقي : محمي الدين عبد

الحميد

محمد : الرسول

محمد بن احمد بن أبي البغل : ١٣٣ ،

١٣٤

محمد بن احمد بن عبد الله القطان :

٧٠ ، ٣٢١ المنوتي

محمد البجلي الكوفي : ٢٠٢

محمد بهجة الأثري : ١٤٧

محمد بن جامع : ١٦٤ ، ١٦٥

محمد بن الحسن بن أبي الشوارب :

ابن أبي الشوارب

محمد بن الحسن الاماسي العلوي :

١٦٧

محمد بن حماد البصري : ٢١٤

محمد بن داود : ١٦٤

ابو بكر محمد بن السري السراج :

١٦٤

ابن مقاتل : ٣٠
المقتدر : ١٣ ، ١٤ ، ٢٢ ، ٢٤ ،
(جعفر بن المعتضد) ٢٥ ، ٣٦ ،
٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠١ ،
١١٣ ، ٢٨٤ ، ٣١٢
ابن مقله : ١٦ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
(الوزير) ١١٧ ، ١١٨ ،
١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
١٩٣ ، ٢٨٩ ، ٣٠١ ،
الملك البويهى : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
الملك اليماني : ٢٨٩
حموية : ٢٥٣
المنطقي : محمد بن طاهر (ابو
سليمان)
المهتدي : ٨٥ ، ١٠١
مهيار الديلمي : ٤٧ ، ٥٣ ، ١٩٣ ،
٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٣١١ ، ٣١٦ ،
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤
ام موسى (قهرمانه ام المقتدر) :
١٤ ، ١٣٤ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،
مؤنس الخادم : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ،
٨٩ ، ١٣١ ، ٢٤٩
ميخائيل عواد : ٢٦٤
ن
النايفة الذبياني : ١٩٢
الناجم (ابو عثمان) : ٢٨٣
الناشيء الأصغر : ٣٢٢
ناصر الدولة الحمداني : ١٨ ، ١٩ ،
الناطقى : ٣١٢
النامي : ٣٢٤

مسكويه : ٣٤ ، ٤٦
مسلم (صاحب الصحيح) : ٤٣
ابو مسلم الخراساني : ١٦٠
المسيح : ٣١٨
مصطفى جواد (الدكتور) : ٣٣ ،
٤٠٥
مصطفى عبد الرازق : ٢١٧
ابن المطرز : ١٥٧ ، ١٦٨ ،
١٩٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٩
ابو المكارم المطهر البصري : ٥٠
المطيع الفضل بن المقتدر : ٢٠ ، ٢٢ ،
٩٧ ، ١٠١ ، ٢١٠ ، ٢١١
المعتز (الخليفة) : ١٠١
ابن المعتز : عبد الله بن المعتز
المعتصم : ٨٥ ، ١٠١ ، ٣٠٣ ،
المعتضد : ٨٥
المعتد : ٩٩
ابن معروف (القاضي) : ١٣٦ ،
١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٨١
معز الدولة البويهى : ١٣ ، ١٩ ،
(احمد بن بويه) ٢٠ ، ٢١ ،
٢٣ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ١١٤ ،
١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٦٥ ،
٢١١ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٦
المعلم غلام الحصري : ٢٣٥
ابن المغني : ٢٣٥
المفجع البصري : ٤٧ ، ٦٨ ، ٧٦ ،
٧٧ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
١٦٧ ، ١٧١
المفضل بن ثابت الصايبي : ٦٩
(ابو الخطاب)
مقلح الاسود : ١٣١

و
 ابن واسانه : ١٤٨
 ابو الورد : ١٥٣
 ورقة بن نوفل : ٢١٧
 ابو الوزير الصوفي : ٢٣٥
 ابو الوفاء المهندس : ٢٥١
 الوزير المهلبى : ٢٣ ، ٢٩ ، ٥٣ ،
 ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٨١ ،
 ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،
 ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
 ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ١٨٠ ،
 ١٨١ ، ٢٢٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
 ٢٩١
 الوليد بن يزيد : ١٧٨ ، ١٧٩

ي
 ياقوت الحموي : ٢٨٨
 يحيى بن مهيد : ١٩٤
 يحيى الكاتب (ابو عبدالله) : ١٢٠
 ابن يزداد : ٥٧
 يوسف بن عمر بن محمد الرازي :
 ٣٨ ، ٢٦٦ ، (ابو نصر)

ثبت (جارية المعتضد) : ٣١٢
 ابن نياته السعدي : ٥٥ ، ٥٦ ،
 ٦٠ ، ٦٤ ، ١٦٨ ، ١٩٣ ،
 ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ،
 ٣١١ ، ٣١٨
 النبي : الرسول
 نصر بن احمد : الخبز آرزى
 نصر الخادم : ١٤
 نصر الحاجب : ٨٦
 ابو نصر الفارابى : الفارابى
 نصر القشورى : ١٣١
 ابو النصر الهزيمى الابيوردي : ٢٧٣
 نماية (جارية) : ٢٣٥
 ابو نواس : ١٥٩ ، ١٩٢
 نيكلسون : ٢٤٤

هـ

ابو هلال العسكري : ٤٥
 هند : ٢٥٣

فهرس الأشعار

قافية الهمزة والالف

الصفحة	البحر	الشاعر	القافية	صدر البيت
١٢٢	كامل	الرفاء	غراء	أحوال مجدك في العلو سواء
١٣٨	طويل	الصابي	دواؤها	الأهل لأهل الدولة النذلة التي
٢٩٧	خفيف	جحظه	ملاءا	وانصرفنا لما تغنت عطاشاً
٢٦٦	وافر	-	القضاءا	قضى لمخاصم يوماً فلما
١١٩	كامل	ابن مقلة	الادواء	لقلك ربك صحة وسلامة
١٢٨	م. الكامل	المهلبى الوزير	الدواء	يا عارفاً بالداء
١٥٠	مجتث	ابن الخجاج	الظرفاء	فإن شعري ظريف
٣١٥	وافر	الشرىف الرضى	النساء	معاداة الرجال على الليالى
٣١٥	كامل	الشرىف الرضى	الابناء	لو كان مثلك كل ام برة
٣١٩	وافر	الشرىف المرتضى	النساء	أحب المهرجان لأن فيه
٦٢٠	خفيف	ابو العلاء المعري	النساء	يا ملوك البلاد فزتم بنسى الـ
٢٧٢	طويل	-	الاذى	نظرت فلم يعلق بقلبي سوى القذى
٣٢٣	رمل	الشرىف الرضى	المصطفى	كربلا لا زلت كرباً وبلا
١٢٧	كامل	الوزير المهلبى	يهوى	يا من يسر بلذة الدنيا

قافية الباء

٣٠٧	وافر	ابن لنكك	العذاب	حزيران وتموز وآب
٦١	وافر	ثابت بن هارون	الحجاب	سأهجر كل باب رد دونى
٢٥٢	خفيف	جحظة	لا تعاب	قلت لما رأيته في قصور
٢٥٤	منسرح	ابن لنكك	عجب	عجبت للدهر من تصرفه
٣١٩	طويل	مهيار	مشيب	يزوركم النيروز مقتبل الصبا
٢٥٦	مجتث	ابن لنكك	يشيب	الدهر دهر عجيب

٨٣	م. الرجز	ابن الحجاج	فُثبوا	يا أهل بغداد كما
٧٠	بسيط	السري الرفاء	غاصبه	هل للغنيين عذر في اغتصابها
٧٦	بسيط	السري الرفاء	واجبه	كم منطلق كسحيق المسك ظاهره
١٩٧	منشرح	جحظه	حاجب	الحمد لله ليس لي كاتب
٢٩٦	طويل	السري الرفاء	قلوبها	وشعث دنان خاليات كأنها
١١٧	بسيط	ابن الجراح	انقلبوا	ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها
٢٧٤	منشرح	الشريف المرتضى	طلبها	شد غروض المطي مغترباً
١٠٢	بسيط	الحوارزمي	ابواباً	ما لي رأيت بني العباس قد فتحوها
٩٨	كامل	الراضي	خضابها	قالوا : الرحيل فأنشبت أظفارها
٨٣	كامل	ابن الحجاج	غلبا	إن الملوك اذا هم اقتتلوا
٦٣	كامل	ابن الحجاج	منتسبا	حقي على الاستاذ قد وجبا
٩٥	مجثث	الراضي	وطيبا	وعقار ذوب شمس
٣١٣	م. الكامل	ابن بسام	والخطابه	ما للنساء وللكتا
٣٠٥	مجثث	ابن الحجاج	جبه	يا شاعراً لا يساوي
٥١	خفيف	صريع الدلاء	الآداب	كم أديب تراه أعرف مني
٥٤	خفيف	صريع الدلاء	احبابي	شمت الحاسدون بي بعد عزي
٦٩	كامل	السري الرفاء	الخطاب	بكرت عليك مغيرة الأعراب
٧٤	وافر	الخبز أوزي	عذاب	منحت أبا الحسين صميم ودي
٧٤	وافر	ابن لتكك	الصحاب	لنصر في فؤادي فرط حب
٢٢٤	وافر	المنطقي	والتصابي	بكيث على مفارقة الشباب
٢٦٧	سريع	ابن سكرة	السائب	إن شئت أن تبصر اعجوبة
٩١	طويل	الراضي	الحياحب	أطلب كيدي من يهون كياده
٥٣	كامل	ابن سكرة	خصب	أيام كنت من المهالب في
٦١	مجزوم. الكامل	بشر بن هارون	بالعيوب	سابور ويحك ما أحسك
١٩٣	بسيط	الصولي	ارب	مالي إذا لم أفر منه بمنزلة
٢٠١	وافر	الاحنف المكبري	مسترب	دهينا من زمان ليس فيه
٩٥	مجثث	الراضي	بلهيب	وقهوة يترامى
١٠٨	رجز	تاج الدولة	المناقب	انا ابن تاج الملة المنصور
١٢٥	وافر	الوزير المهلب	بالحبيب	اتاني في قميص اللاذمي
١٥١	بسيط	الصاحب بن عباد	الطيب	فالصمي والمتر من بعد القشام به
١٥٤	بسيط	ابن التمار	الظرب	قم فاتتص من صروف الدهر والنوب الظرب

١٥٧	مجتث	والاصحاب ابن الحجاج	فيا اميراً كثير الـ
١٥٨	خفيف	آب ابن الحجاج	حره في الشتاء إذ وقع الثلج
١٧٧	خفيف	الثواب ابن الحجاج	يا شيوح الاسلام دعوة نسك
١٧٨	كامل	الأطراب السلامي	اني حلفت برب أشرف كعبة
٧١	مجتث	المتنبي ابن الحجاج	يا ديمة الله صبي
٣٢٠	رمل	مهيار	وابي كسرى على ايوانه
٣٠١	طويل	جحفظة	ولي صاحب لا قدس الله سره
٢٩٦	خفيف	-	يا نسيم الشمال من نحو بصرى
٣٢٢	م. الخفيف	الناثيء الأصغر	لك صدغ كأنما
٣٠١	سريع	ابن سكرة	اكلت بالأمس جزورية
٢٠٤	م. الرمل	-	انا في الحق سنام
٦٥	مقارب	الشريف الرضي	أبى الناس إلا ذميم النفاق
٩٤	سريع	الراضي	وزادني في طربي منعم
٢٨٧، ١١٦	مقارب	ابن الفرات	إذا بدعة جودت عودها
١٠٦	م. الرمل	ركن الدولة	ادر الكأس علينا
٢٦٧	م. الكامل	ابن سكرة	نوب تفوبك بالنوائب
٢٥٩	وافر	الصاحب بن عباد	إذا أولاك سلطان فزده
٢٠٥	م. الخفيف	-	لا يغرنك الذي
٢٥٣	م. الكامل	ابن لنكك	لا تعجبي يا هند من
٢٥٤	م. الكامل	جحفظة	فالجهل يضطهد الحجر
٢٨٥	م. الوافر	-	وجدت رئيسه اللذا
١٤٠	م. الرمل	القاضي التنوخي	بات يستقيني ويشرب

قافية التساء

٦٨	بسيط	ابو العلاء المعري	لا يصبرن فقير تحت فاقته
٢٤٣	رمل	الحلاج	فإذا أبصرتني أبصرتة
٢٣٧	طويل	ثعلب	ثلاث خصال للصدیق جعلتها
٥٢	وافر	ابن الانباري	علو في الحياة وفي الممات
٣٠٤	كامل	السلامي	مرقومة اخنبات بالبدع التي
٣٢٣	م. الكامل	الشريف الرضي	يا آل احمد والذين
٢٣١	مقارب	بعض الحكماء	ولما رأيت القضا جارياً

٩٣	طويل	الراضي	بنوبات	ولما رأيت الدهر يخطب خطبة
١١٠	م. الرجز	تاج الدولة	اخوتي	أفكر في بني أبي
٢٣٨	طويل	عبد الحميد القاضي	فمزت	صبرت على بعض الأذى خوف كله
٢٩٦	منسرح	ابن بسام	صفرته	ابريق صفر كأنه قبس
٩٣	بسيط	الراضي	بلمحظته	العيش راح يعاطيها براحتة
٣٠٧	منسرح	ابو الغوث المنيعي	بهجرتها	كأن حناها براحتها
٢٨٢	سريع	جحظة	جناتها	سقياً لأشموني ولذاتها
		الشاء	قافية	
١٢١	م. الرمل	ابن مقلة	لبث	لا يكن للكأس يوم الـ
٢٠٣	مجثث	-	وغثا	من يصحب الدهر يأكل
			قافية الجيم	
١٥١	طويل	الصاحب بن عباد	ويخرج	واترك محجوباً على الباب كالخصي
١٨٧	طويل	ابن الحجاج	تتهرج	الا أيها الاستاذ دعوة شاعر
٦٣	م. الرجز	ابن الحجاج	نجما	قل للإمام المرتجى
٢٧١	م. الكامل	-	حاجه	لا تغرجن من البيوت
١٥٧	متقارب	ابن الحجاج	مرعجه	جلست وبابي على مدرجه
١٢٥	سريع	الوزير المهلبى	ساجي	يا شادناً جدد حبي له
٣٠٠	خفيف	الصابى	بثلج	لطف نفسي على المقام ببغداد
١٢٦	كامل	الوزير المهلبى	ومتوج	الورد بين مضمخ ومضرج
٢٥٨	وافر	ابن لنكك	علوج	مضى الاحرار وانقرضوا وبادوا
٢٣٠	طويل	سمنون	يرح	فلما دعا قلبي هواك أجا به
١٤٢	مجثث	الصابى	وشاح	جردها واعتنقنا
١٣٨	مديد	المحسن التنوخى	فرح	قل لمن أودي به الترح
٧٤	خفيف	العصب الملحي	قدح	هل يقول الاخوان يوماً نخل
٧٤	خفيف	ابن سكرة	وشح	يا صديقاً أفادنيه زمان
١٤١	م. الرمل	الصابى	جناها	فاسقنيها خمرة
١٧٠	متقارب	ابن سكرة	التحى	كتمت هواه زمان الصبا
١٨٢	طويل	الصابى	التحى	وارعن عن سكر الحدائة ما صحا
٣١٠	طويل	الصابى	تجريحاً	ومحرورة الاحشاء تحسب انها

قافية الحاء

٢٨١	بسيط	ابن الحجاج	يلح	في العمر من واسط والليل ما هبطت
٨٨	كامل	الراضي	الناصح	هلا رددت على العدو الكاشع
١٠٩	وافر	تاج الدولة	الصلاح	انا التاج المرصع في جبين الـ
١٦٧	خفيف	المفجع	الجناح	سيدي انت ان عبدك امسى
٢٢٣	وافر	ابن نباتة	الصباح	وتأخذ من جوانبنا الليالي
٢٨٣	خفيف	الناجم	ملاح	اح قلبي من الصبابة آح
١٩٦	م. الرمل	-	وقاح	ليس للحاجات إلا
٢٢٠	كامل	الحلاج	صياح	ليس التصوف حيلة وتكلفاً

قافية الخاء

١٧٠	م. الرمل	ابن سكرة	طباخ	ما تركناه وفيه
-----	----------	----------	------	----------------

قافية الدال

٣٢٠	طويل	بعض الأعراب	راقد	لقد طال في بغداد ليلي ومن بيت
١٣٨	طويل	المحسن التنوخي	المجد	لئن أثمرت الأعداء صرني ورحلتي
٢٤٩	بسيط	الجنابي (القرمطي)	عود	اني امرؤ من شأني ولا أربي
١٢٦	م. الكامل	الوزير المهلبي	عوده	ظبي يرف المساء في
١٣٤	بسيط	الصابي	ابدا	يا ماجداً يده بالجوذ مفضرة
١١٨	متقارب	ابن مقلّة	الجديدا	وقائلة قد اضعت الصواب
٨٩	متقارب	الراضي	الجديدا	فقدت الهوى وعدمت الودودا
٨٠	طويل	عبدالعزیز بن يوسف	ودا	وقيت أبا اسحق من حافظ عهدا
٦٤	طويل	الشريف الرضي	فقدنا	آل بويه ما نرى الناس غيركم
٥٤	م. الخفيف	ابن الحجاج	العدى	يا وزيراً بنوره
٥٤	طويل	الشريف الرضي	شهدا	نرى منعكم جوداً ومطلقم جدا
١٦٨	طويل	ابن نباته السعدي	خده	وبدر تمام بت الثم رجله
٢٥٢	مديد	جحظة	عائده	انا في قوم أعاشرهم
١٨٤	خفيف	ابن سكرة	عاده	يا جو امرد يا حليف البلاده
٧٩	كامل	الشريف الرضي	النادي	ارأيت من حملوا على الأهواد
٢٨٩	م. الكامل	الوزير المهلبي	الفؤاد	يا من له رتب ممكنة
١٦٩	سريع	احدهم	بالمسجد	قد حرت في وصف صديق لنا
١٧٦	طويل	الخبز ارزي	عابد	أرى لي في شهر الصيام إذا أتى

١٧٨	وافر	ابن الحجاج	الحديد	فاقسم لا يباين وطه
١٦٥	طويل	الخيزارزي	عبد	خليلي هل ابصرتما او رأيتما
١١٤	مخلع البسيط	-	بلاد	اعجب من كل ما تراه
٥٦	سريع	ابن تباته	الواحد	يا عضد الدولة لا واحد
٩٣	كامل	الراضي	الحسد	بادر بلهوك ليلة بدرية
٢١٩	بسيط	-	أحد	قوم همومهم بالله قد علقت
٢٢٧	مجزوء الخفيف	الشبلي	كبدي	انبتت صبايتكم
٢٠٦	هزج	العكبري	المجد	على أني بحمد الله
٢٣٣	بسيط	الشبلي	وحددي	لي سكرتان ولندمان واحدة
٢٢٣	الكامل	البيدي	مرصد	لا تحسدن على تظاهر نعمة
١٩٦	منسرح	ابن الحجاج	الغدد	نحن سنانير اهل دولتكم
١٥٣	طويل	صريع الدلا	الخذد	وليس دواء الهم الا رقاعة
٢٦٣	م. الكامل	ابن يسام	ابن مجاهد	قل لابن عيسى قوله
٢٢٧	وافر	-	الشهود	وجودي أن أغيب عن الوجود
٢٢٦	مجتث	الشبلي	شهودي	الوجد عندي جحود
٢٨٠	خفيف	ابن المعز	عودي	يا ليالي بالمطيرة والكر
٢٦٦	وافر	-	القرود	إذا كان القضاء لابن آوى
١٠٩	رجز	تاج الدولة	القوق	صرنا مع الصباح بالفهود
٣٠٢	مخلع	-	والبنود	قد أقبلت دولة القلايا
٣٠٠	رجز	ابوالفرج الاصفهاني	باثرايد	أكل خلق الله للفضايد
٦٤	خفيف	ابن البريدي		يا سماء اسقطي ويا ارض ميدي
٢٦٢	مجتث	ابن بسام	شاهد	يا رب انك عدل
٦٤	رمل	الشريف الرضي	السد	من بني ساسان أفنى ضربت
٢٣٧	مقتارب	ابو بكر العنبري	التشيد	وذو كلف باستماع السماع

قافية السذال

١٥٦	ابن الحجاج خفيف	لاذ	خرجت في قميصها الدرباذي
-----	-----------------	-----	-------------------------

قافية الراء

١٤٢	ابو اسحاق الصابي بسيط	أحرار	حاجة المرء في الادبار إدبار
٥٦	ابن نباتة السعدي منسرح	جبار	يا عضد الدولة الذي قمعت
٢٩٢	ابو اسحاق الصابي مقتارب	قرار	ألائي همومي في جحفل

٦٥	كامل	أبو العلاء المعري	ظهار	يا ليت آدم كان طلق أهمهم
٢٣٨	خفيف	ابن أبي العباس اليتهمي	عار	قيل لي قد اساء اليك فلان
٣٠١	بسيط	جحظة	خشكار	قل للوزير آدام الله دولته
٦٢	كامل	المعري	وأبتر	ما أجهل الأمم الذين عرفتهم
١٦٧	مجتث	الأقسامى	سحر	يا بدر وجهك بدر
١١٥	طويل	عبد العزيز بن يوسف	الفخر	ألا يا أمير المشرقين ومن به
٢٣٣	طويل	صوفي آخر	أجدر	كفالك بأن الصحو أوجد أني
١٦٩	خفيف	ابن سكرة	بدر	من كثلي وعن يميني شمس
٢٥١	كامل	التوحيدي	خطر	دنيا دنت من عاجز وتباعدت
٢٥٥	كامل	ابن لنكك	تتفظر	الأردلون بنبطة وسعادة
٣١١	بسيط	الصابي	تستمر	غصن من الذهب الا بريز أثمر في
١٨٥	سريع	ابن سكره	الأخضر	قد قلت لما لاح لي ثنرها
٢٦١	منسرح	ابن لنكك	بقر	لا تحذعنك اللحى ولا الصور
٢٨٢	بسيط	البديهي	البكر	الدير دير سمالو للهوى وطر
١٧٠	بسيط	الخيزرزي	الشر	قالوا عشقت صغيراً قلت أرتع في
٢٨٨	طويل	عبد العزيز بن يوسف	والحمر	فيا مجلساً عن الخلافة محدد
٢٩٦	كامل	الصاحب بن عباد	ر	رق الزجاج وراقت الحمر
٢٨٦، ١٦٣	خفيف	؟	والثور	مجلس في فناء دجلة يرتاح
٢٩٦	بسيط	ابن الحجاج	شحور	إذا تثنت وغنت خلت قامتها
١٩٨	مخلع البسيط	ابو دلف الخزرجي	الغرور	ويحك هذا الزمان ذوز
٥٥	بسيط	السلامي	التباشير	اليوم طبق أفق الدولة النور
٩٦	رجز	الراضي	ازاره	يا رب ليل قد دنا مزاره
٣٠٩	طويل	ر	قصورها	هل الله من بغداد يا صاح مخرجي
١٥٧	خفيف	ابن المطرز	سكارى	فتحة مثل عجنة الحواري
٢٩٣	متقارب	مهيار	والحمارة	نديمي وما الناس الا السكارى
٢٤٩	بسيط	ابو سعيد القرمطي	ومزارا	قولوا لمؤنسكم بالراح كن أنسا
٨٩	طويل	الراضي	قبراً	ولو ان حياً كان قبراً لميت
٢٩٠	طويل	الصاحب بن عباد	عكبرا	تركت لساقى الريح بانه عرعرأ
١٨٠	سريع	ابن الحجاج	جرى	يا رب عيد النحر هو ذا ترى
٣١١	وافر	ابن سكرة	وحرا	اليك اذم حمام ابن موسى

١٩٣	م. المديد	الصولي	طرا	فاغني كيما عهدت عليه
٢٩٩	مجتث	صريع الدلاء	السفرا	ومهران زائر
١٠٥	هزج	تاح الدولة	النثره	سقاني سحرا خميره
١٣٧	م. الكامل	ابن معروف	مره	احذر عدوك مرة
٣٠٦	مقارب	جحظة	زاهره	دخلت على باخل مرة
٧١	م. الخفيف	ابن سكره	المزوره	سلحة بعد قرقره
٢٩٧	خفيف	الخبزاززي	البحورا	ولو ان البحور خمر لدينا
٨٩	م. الرمل	الراضي	شهورا	يا عليلا جعل الساعة
٣٠٢	مجتث	بديع الزمان	ومضيره	عندي فديتك جدي
٢٩٣	طويل	السلامي	غيرها	اقنطرة النوبندجان وديرها
١٧٨	خفيف	السلامي	الأوتار	ونصلي على اذان الطنابير
٢٩٤	كامل	الصابي	والإثار	ما زلت في سكري الميع كفيها
١٧٠	خفيف	ابو الفضل التميمي	احمرار	هام قلبي بحسن ذاك العذار
٢٩٥	سريع	ابن الحجاج	عار	يا سيدي قد جاء زواري
٢٣١	كامل	-	عاري	انا حامد انا شاكر انا ذاكر
١٣٧	منسرح	ابن قريعه	والصغار	يا خالق الليل والنهار
١٣٩	خفيف	القاضي التنوخي	العقار	اسقني الراح في ثياب النهار
١٤١	وافر	الصابي	والوقار	كتني لذتي رتب المعالي
٢٩٩	خفيف	صريع الدلاء	والمزامر	أنا بوق السرور طبل الحمامات
٣٠٥	-	مخلع البسيط	جلناري	يفضل عنها قميص لاذ
٢٦٤	كامل	شاعر	النار	الآن إن كفر المقتر رزقه
١٣٩	مقارب	القاضي التنوخي	نهار	وراح من الشمس مخلوقة
١٦٩	خفيف	ابن سكره	الجواري	وغزال لولا تميمه شعر
٢٤٠	طويل	ابن عطاء	الكسبر	أسامي بنفسي ذلة واستكانه
١٠٤	كامل	بختيار	الزاجر	اشرب على قطر السماء القاطر
١٢٨	هزج	عبد العزيز بن يوسف	تجري	شربنا ذهباً يجري
٢٠٧	مجزوء الوافر	ابو دلف	والهجر	جفون دمعها يجري
٨٦	سريع	القاهر	مصدر	صرت وابراهيم شيخي عمي
١٥٢	مخلع البسيط	ابن الحجاج	تسدي	لو جد شعري رأيت فيه
٢٤١	سريع	الحلاج	خاطري	يا موضع الناظر من ناظري
١٨٠	منسرح	ابن الحجاج	بالبظر	وقد علمنا بأن سيدنا

١٥٣	منسرح	ابن الحجاج	شعري	لو لم أشبب بشعر عانتها
٣٠٥	بسيط	السلامي	ذكر	حسنا صافية بيضاء صافية
١١٠	بسيط	تاج الدولة	والفكر	حتى متى نكبات الدهر تقصدي
٩٢	طويل	الراضي	فكري	طربت إلى عمى وعاودني ذكري
٨٩	طويل	الراضي	والأمر	بقيت أمير المؤمنين على الدهر
٢٨١	مجزوء الرمل	ابن سكره	علمري	ليلتي بالفمسر دهري
٣١٦	طويل	الصابي	الدهر	أسيدنا نعماك هنيث بالفطر
١٦١	رجز	ر	جوهر	ذو طرة قاطرة بالعنبر
٣١٧	خفيف	صريع الدلاء	المأثور	قد أتاك الغدير فاسعد هنيثاً
١٠٧	سريع	عضد الدولة	بالزور	بهطة تعجز عن وصفها
٢٠٠	هزج	الاحنف العكبري	تنور	فصرنا في حمى البيت
٣١٦	سريع	ابن الحجاج	مأمور	قد صخب البسم مع الزير
١٧٧	سريع	ابن الحجاج	بالطناير	واستحضر العود ووجه به
١٠٧	بسيط	عضد الدولة	الدياجير	يا طيب رائحة من نفحة الخيري
٢٣٣	مخلع البسيط	ر	المدير	فأسكر القوم دور سكر
٢٩٦	وافر	ابو نواس	وزير	وليس الشرب الا باللماهي
١٩٨	بسيط	الاحنف العكبري	المقاصير	ورأيت في النوم دنيانا مزخرقة
٢٩٩	خفيف	صريع الدلاء	الشعير	اصبحاني بها ثلاثاً رحيقا
٣٠١	سريع	ابن الحجاج	الدنانير	يا سيدي هذي القوافي التي
٣٠٧	كامل	الصابي	بشيرها	وعتيدة للطيب إن تستدعها
٩٤	مجزوء الكامل	الراضي	بفجره	داو الخمار بخمرة
٥٧	رجز	الحامسي	وأثر	أوفى على كل البشر
١٠٤	الرمل	عضد الدولة	السحر	ليس شرب الراح إلا في المطر
٩١	مجزوء الخفيف	الراضي	حذر	كل صفو إلى كدر
٦٠	مقارب	ابن نباة السعدي	بالمفتقر	أسر إليك مقال النصيح
٢٥٠	مجزوء الزجر	-	النسر	والدهر من جفائه

قافية الزاي

١٣٢	خفيف	الصولي	النيروز	بارك الله للأمير أبي العباس
٢٠٤	مجث	-	وبرر	

قافية السين

٣٠٩	بسيط	ابن زريق الكوفي	الياس	سافرت ابني لبغداد وساكنها
-----	------	-----------------	-------	---------------------------

١٨١	مخلع البسيط	ابن الحجاج	سمس	سعدك للحاسدين نحس
٢٤٢	هزج	الحلاج	تهويس	جنوني فيك تقديس
١٨٤	وافر	ابن سكرة	النفاسه	عليل لا يعاد من الحساسة
١٣٦	كامل	الشريف الرضي	ابو العباس	شرف الخلافة يا بني العباس
٢٨٤	منصرح	-	الناس	يا اهل بغداد فرقتي لكم
٢٩٤	كامل	ابن الحجاج	يمسس	قوما اسقياني قهوة رومية
٣٠٩	متقارب	-	الأنفسي	سقى الله بغداد من جنة
٧٧	رجز	المفجع البصري	قمبيس	قد قدم العجب على الرويس
٣١٨	سريع	-	تفليس	اشرب على قرع النواويس

قافية الشين

١٢٧	م. الكامل	الوزير المهلبى	الابرش	يوم كأن سماءه
-----	-----------	----------------	--------	---------------

قافية الصاد

٢٦٦	طويل	-	لصوص	فلا تجملني للقضاة فريسة
٢٥٢	وافر	جحظة	مصا	لقد اصبحت في بلد خسيس

قافية الضاد

٦١	بسيط	ابن زربق الكوفي	الغرضا	إنا لقرينا حجاباً منك ارمضنا
١٣٢	خفيف	الصولي	وامتعاض	علم الله ما الذي كنت القى
٢٣٢	طويل	الشبلي	بعض	وتحسبني حياً وإني لمت
٣٠٧	م. الرجز	الصابى	غرض	كافورة جعلتها

قافية الطاء

٢٦١	طويل	ابن لنكك	فأفرطا	لعتم جميعاً من وجوه لبلدة
٢٥٢	بسيط	ابن لنكك	وضراط	دنياً تأبت على الاحرار عاصية
٢٩٤	وافر	سيدروك	بمسعط	فديتك لو علمت ببعض شربي
٢٢١	م. الكامل	-	غلط	ليس التصوف بالقوط

قافية الظاء

١٢٨	طويل	القاشاني	حافظ	واني وان قصرت عن غير بغضة
-----	------	----------	------	---------------------------

قافية العين

٢٧٣	مخلع البسيط	الاببيوردي	الصاع	لما رأيت الزمان نكسا
٢٢٨	بسيط	الحصري	هجعوا	قالت : لقد سؤتنا في غير منفعة
٢٢٠	الكامل	طاهر بن الحسين	مرقع	ليس التصوف ان يلاقيك القى
١٨١	مخلع البسيط	ابن الحجاج	نقيع	يا ايها الحاكم الرقيع

٥٠	زافر	المطهر البصري	أرتفاعا	رأيت الشعر للسادات عزراً
١١٦	طويل	ابن الفرات	فودعا	خليلي قد امسيت حيران موجعا
٥٧	طويل	الحبزي ارزي	انصعا	فأعطيتها تحكي أياديك في الورى
٢٨٥	رمل	—	رضعا	كل دجاجةً وفراخاً وجدا
٥١	م.الكامل	الصابي	ريعا	يا سيداً اضحى الزما
٢٨٥	مخلع البسيط	ابن الحجاج	السماع	اعدل إلى الكأس والتندامى
١١٩	كامل	ابن مقلة	المترفع	وإذا رأيت فتى بأعل رتبة

قافية النين

١٨٢	وافر	ابن لنكك	الدباغ	لام الشاعر الرملي صدغ
-----	------	----------	--------	-----------------------

قافية الفاء

١٣٣	طويل	ابن ابي البغل	اشرف	ولي همة تعلقو السماكين رفعة
١٤٣	طويل	ابن معروف	متصرف	وما سر قلبي منذ شطت بك النوى
٢٠٢	مجتث	ابو دلف	سخيف	ساخف زمانك جدا
١٤٩	كامل	—	عقيفا	ليس الظريف بكامل في ظرفه
١٨٦	مخلع البسيط	ابن سكره	خليفة	تمت علينا ولست فينا
٩٧	كامل	الراضي	الاسراف	لا تكثر لومي على الاسراف
١٧١	سريع	ابن سكرة	الوافي	سألته الوصل فلم يحتشم
٢٦٦	مجتث	—	فخفي	يا محنة الله كفي
١٢٩	منسرح	الشيرازي	صلف	خرجت من عندكم فأدركني
٢١٨	بسيط	البيسي	الصوف	تنازع الناس في الصوفي واختلفوا
١٢٠	سريع	ابن مقلة	التصاريف	جربني الدهر على صرفه
١٩٤	مجتث	ابن سكرة	وشريف	رسالة من مكد
٣٠٨	م. الرمل	ابن لنكك	ظريف	نحي بالبصرة في لسو
١٤٠	وافر	القاضي التنوخي	الظريف	أعشق لا عشقت اخا نحول
١٧٣	منسرح	السلامي	مخطف	يا مرهفاً في لحاظه مرهف
٣٢٢	مقارب	مهيار	الأسوف	وليس صديقي غير الحزين

قافية القاف

١٩٤	بسيط	السلامي	أغثيق	ارسلت اشكو اليك غدوة ظمئي
٢٥٨	بسيط	ابن نباته	تحررق	كم نفعه لي على الأيام من صجر
٢٥٢	بسيط	ابن نباته	شرق	حظي من العيش اكل كله غصص
٢٩٦	طويل	السري الرفاه	تغرق	وموسومة كاساتها بضوارس

٣٢٣	كامل	الشريف الرضي	نتفرق	عطفاً امير المؤمنين فإننا
٥٣	طويل	ابن سكرة	شفيق	مضى ملك عم البرية جوده
٢٢٢	م.الكامل	-	مخرقه	اهل التصوف قد مضوا
١٦٨	منسرح	السلامي	طرقه	ظلمي إذا لاح في عشيرته
١٠٨	طويل	عضد الدولة	خلقا	قتلت صنديد الرجال فلم ادع
٧٥	كامل	الخبزاري	صديقا	لم لا ترى لصداتي تصديقا
١٤٣	م.الكامل	الشريف الرضي	باقي	يا ليلة كرم الزما
١٧١	رجز	ابن سكرة	البزاق	وضامن الأقوات والأرزاق
٣٢٠	وافر	مهيار	الصفاق	وعاد المهرجان بخفض عيش
١٩٦	كامل	صريع الدلاء	الاخلاق	جد للصريع بجمبة وعمامة
١٢٣	م.الكامل	الوزير المهلبي	تحرق	رق الزمان لفاقي
٢٦٠	كامل	ابن لنكك	مخرنق	يا طالباً بالعلم حظاً مسعداً
١٣٥	طويل	الصابي	لمفرقي	وحسبك لي جاه عريض ورفعة
١٣٨	منسرح	صريع الدلاء	الغسق	اهلا وسهلا بليلة السدق
١٦٨	طويل	ابو بكر الخامدي	عاشق	سقاني وحياتي وبات معانقي
١٢٤	خفيف	الوزير المهلبي	عشقي	يا هللا يبدو فيزداد شوقي
٢٣٥	طويل	-	مروق	شبيهك قد وافى وحان افتراقنا
٢٥٩	وافر	-	الصديق	وكل ولاية لا بد يوماً
١٣٧	طويل	الصابي	بصديق	أيا رب كل الناس اولاد علة
١٩٨	بسيط	الاحنف العكبري	بالتفاريق	قد قسم الله رزقي في البلاد فما
٦٥	مجثث	ابو نصر المالكي	طريق	كل الأنام كلاب
٢٥٤	وافر	ابن جرير الطبري	الطريق	ولو أني سمحت ببذل وجهي
١٥٤	خفيف	ابن سكرة	الطريق	خذ من الدهر ما صفا لك منه
٦٧	وافر	السلامي	كريقي	لبست العدم حتى صار ذيلي
٢٥٩	م.الكامل	محمد التميمي	ونهيق	كم حمار هو أولى
٣١٨	مخلع البسيط	ابن الحجاج	تحقق	ليتها حسنها عجيب
٩٩	؟	المعتمد	احمق	من قال اني اعشق
٩٩	م.الكامل	الراضي	أحمق	لم يقل ذا الشعر إلا
٢٤٢	رمل	الحلاج	الفتق	جبلت روحك في روحي كما

قافية الكاف

١٤٠	بسيط	القاضي التنوخي	الفلك	قالوا عشقت ظميمة الجسم قلت لهم
٢٣٦	م. الرمل	-	تراكما	كبرت همة عبد
٢٣٤	م. الوافر	قوال	احتنكا	صغير هواك عذبي
٣١٣	سريع	عائدة الجهنية	ضاحكه	شاورني الكرخي لما بدا الـ
٧٥	م. الرمل	السري الرفاه	حبورك	يا أبا اسحق زاد اللـ
٢٩٧	منسرح	-	ظلمك	بالورد من وجنتيك من لطمك
٦٠	متقارب	ابن غسان	المحتنك	يسوس الممالك رأي الملك
٩٦	رجز	الراضي	الضلالا	ضلت في حبكم فحسبي
٢٨٢	رجز	-	مبيله	بساطة الخيرة دير حنظله
	م. الرجز	-	مرفله	في رأسه عمامة
٢٢١	منسرح	-	سفله	فلم أزل خادماً لهم زمناً
٢٢١	منسرح	-	متكله	صحبت قوماً يقول قائلهم
٢٢٢	م. الرجز	الهرندي	مأكله	تباً لقوم جعلوا
١٥٠	م. الكامل	ابن الحجاج	تهللا	قرم إذا انشدته
٢٢٣	م. الكامل	الحلاج	حالهـا	دنياً تغالطني كأنـ
١٤٣	كامل	ابن معروف	البالي	لو كنت تدري ما الذي صنع الهوى
١٦٢	وافر	ابن الحجاج	حال	ولكني رأيت الحر فينا

قافية اللام

١٩٧	منسرح	-	افضال	الحمد لله ليس لي مال
٨٠	طويل	الصابي	قاتل	صديق لكم يشكو اليكم جفاكم
١٢٦	بسيط	الوزير المهلبى	ارتحل	برد مصيفك وافرشه بميثرة
٢٣٥	طويل	-	تنزل	اسائل عن سلمى فهل من مخبر
٦٦	طويل	ابن دريد	عاقل	ارى الناس قد أغرؤوا ببني وريبة
٦٥	بسيط	الشريف الرضي	همل	فما طلابك انساناً تصاحبه
٢٣٥	وافر	-	تقول	وقال لي العذول تسلى عنها
٨١	وافر	ابن الحجاج	الدخيل	ايا من مجده المجد الاثيل
٢٧٤	خفيف	ابن نباته السعدي	الجميل	يا خليلي ليس للهيم شاف
٢٢٥	سريع	-	زالا	لو لم تحل ما سميت حالا
١٧٦	كامل	المالكي	الامبالا	واصوم شهراً ثم أخرج غادياً

١٢٢	م. الرمل	ابن مقله	خالي	انت ياذا الخصال في الوجـ
١٩٨	خفيف	الاحنف العكبري	انذال	عشت في ذلة وقلة مال
٢٨٢	الكامل	-	وغزال	دير الثعالب مألّف الضلال
٢٦٣	وافر	جحظة	الدائياتي	إذا كان الوزير أبا الجمال
٢٠٣	م. الكامل	-	الليالي	الذنب للايام لا لي
١١٧	طويل	ابن الجراح	سائل	ومن يك عني سائلا لشماته
١٧٥	طويل	السري الرفاء	الفضائل	تصوم شهر الصوم شهر انزلزل
١٢١	متقارب	ابن مقله	مستحل	ادل فيا حبذا من مدل
١٥١	رجز	الصاحب بن عباد	البزق	من عملي من عملي
١٧٢	كامل	ابن سكرة	الكفعل	ابي بليت يشادن غنـج
١٨٥	طويل	ابن سكرة	والمقل	هرمت حتى تناسيت اللحون معاً
٥٠	كامل	السلامي	تجملي	أفلا أجاز ولي ثلاثة أشهر
٢٢٣	مخلع البسيط	الخلاج	التخلي	عليك يا نفس بالتسلي
٢٢٨	طويل	ابن عطاء	قبلي	غرست لاهل الحب غصناً من الهوى قبلي
٢٥٥	وافر	ابن لنكك	جهول	زمان قد تفرغ للفضول
٣٠٠	خفيف	صريع الدلاء	التطليل	خالطوا لهم ان تعرض بالرا
٢٢٢	وافر	ابو العلاء المعري	مستحيل	ارى جيل التصوف شر جيل
١٧٢	م. الرمل	ابن سكره	النحيل	ايها التركي ما عد
٢٠٠	م. الرمل	الأحنف العكبري	طويل	من اراد الملك والرا
٣٠٧	كامل	السلامي	اقفاله	مذ نقيوه وزرنفوا اصداغه
٢٥٦	م. الكامل	ابن دريد	مثاله	الناس مثل زمانهم
١٣٥	م. الكامل	الصابي	رسولها	لما وضعت صحيفتي
٢٦٥	وافر	-	للمقننل	إذا ما صب في القنديل زيت
٢٠٠	الكامل	الاحنف العكبري	عذل	أقصى علي من الأجل
٣٠٧	متقارب	السلامي	الحجيل	يغض الغزال جفون الغزل
٢٧٠	وافر	ابن لنكك	باطل	اقول لعصبة بالفقه جالت
١٨٢	كامل	ابن لنكك	العمل	قل للوضيع ابا رياش لا تبـل

قافية الميم

٣٢١	مخلع البسيط	المنوتي	الامام	قد صح قول النبي عندي
٢٨٤	وافر	ابن بسام	التمام	الأبادر فلا تأن سوى ما
٢٩٥	وافر	ابن الحجاج	جام	وخلفك عن يمين الدن عس

٣٢٠	منسرح	المتنبي	عجم	وإنما الناس بالملوك وما
١٤٤	طويل	الشريف الرضي	أعجم	حبيبي ما أزرى ببحك في الحشا
١٣٦	كامل	الشريف الرضي	الأقدم	لله ثم لك المحلل الأعظم
١٣٤	كامل	ابن أبي البغل	يترنم	الصعو يصفر آناً ومن اجله
١٧١	سريع	-	الدرهم	فقلت يا قوم على تكي
٢٧٣	سريع	التستري	والفهم	مالك قد هيمك الهم
٢٠٣	م.الكامل	-	يحموم	والمال طيف ولكن
٢٠٢	مجث	-	وشوم	الحق فيه مليح
٩٦	بسيط	الراضي	معصوم	بين الصراة وكرخا يا تمرده
١٩٣	خفيف	الصولي	والحریم	حرم الله ان يكون جنابى
٢٢٩	مخلع البسيط	الشبلي	مقيم	يا ايها السيد الكريم
٢٣٠	طويل	الشبلي	ريمم	يحبك قلبي واحييت وإن أمت
١٨٠	خفيف	ابن الحجاج	ويعمه	قيل ان الوزير قد قال شعراً
٣٢٢	مخلع البسيط	كشاجم	الأئمة	حب علي علوهه
٢٩٩	رمل	ابن الحجاج	الهندقة	قينه طنورهها مستعمل
١٠٨	كامل	عضد الدوله	صارما	أفأق حين وطئت ضيق خناقه
٧١	م.الرمل	ابن القطان	وسما	غضب الصولي لما
٧٧	منسرح	المفجع البصري	قسما	لو اعرض الناس كلهم فأبوا
١٤٢	طويل	ابن معروف	مسلمنا	فلما تصرمنا وشطت بنا النوى
١٥٧	خفيف	الكسكري	يوقه	يا لعبارة تقصر للما
٢٧١-٦٨	م.الكامل	-	بالطعام	أصبحت من سفلى الأنام
١٩٤	وافر	السلامي	السلامي	ومن عبد ابن يوسف صار اسمي
٢٢٩	وافر	-	الخيام	وأبرح ما يكون الشوق يوماً
١٧٦	وافر	-	الصيام	ونسكر سكرة شنعاه جهراً
١٦٩	وافر	ابن سكرة	قيام	لنا شيخ يصلي من قعود
١٤٢	طويل	الصابى	التم	أقول وقد جردتها من ثيابها
١٢٧	طويل	الوزير المهلبى	لمحرم	أو في كلا وقتي قسط تأله
٣٠٩	منسرح	السري الرفاه	والعدم	يا حبذا صحبة العلوم بها
٢٨٩	كامل	-	الصارم	هلا أقمت ولو على جمر الغضا
٢٩١	منسرح	السري الرفاه	البرم	مجالس ترقص القصة بها
١٢٧	متقارب	الوزير المهلبى	تضرم	هب البعث لم تأتينا نذره

للتناس حج ولي حج إلى سكي ودمي والحلاج بسيط ٢٤٠

قافية النون

٧٢	سريع	العصفري	شان	رأيت في الجامع حواقه
١٩٧	بسيط	الاحنف العكبري	وطن	العنكبوت بنت بيتاً على وهن
٢٠٢	مجتث	-	اكون	انا أبو قلمون
٢٢٧	طويل	ابن عطاء	قرين	إذا ما وجود الناس فات علومهم
٢٣٠	كامل	الراسبي	اعلانه	ولقد أفارقه باظهار الهوى
٣١٧	كامل	-	نيرانه	فتلاعبت بعقولنا نسوانه
٥٧	سريع	الخبزاري	باننا	اهدت ما لو ان اضعافه
٢٣٨	بسيط	-	برهاننا	لا يسألون أخاهم حين يندبهم
٢٨١	م. الرمل	-	أواننا	حفظ الله اواننا
٢٥٧	وافر	ابن لنكك	سوانا	يعيب الناس كلهم الزمانا
٢٥٧	وافر	الامام الشافعي	سوانا	نعيب زماننا والعيب فينا
٢٩٨	خفيف	-	تثنى	لست أنسى تلك الزيارة لما
٢٥٣	خفيف	ابن لنكك	فزعنا	نحن والله في زمان غشوم
٢٦٩	مجتث	العصفري	يتغنى	عندي حديث طريف
١٥٩	بسيط	ابن الحجاج	سمننا	يفتر عن صدغ مهزول به عجب
١٧٠	سريع	جحظة	الثلاثينا	يقول لي يوماً وقد جئته
٢٥٥	م. الرمل	ابن لنكك	مهانه	يا زمان البس الأحـ
٢٧٤	م. الكامل	ابن نباته	محنة	ونبت بنا ارض العراء ...
٣٠٢	هزج	كشاجم	الجونه	مى تنشط للأكل
٢٨٠	خفيف	ابن الحجاج	البردان	وسلام على مواخير بصرى
١١٩	خفيف	ابن مقلة	واتاني	لست ذا ذلة إذا عضني الدهر
٥١	كامل	الشريف الرضي	التيجان	قدم السرور بقدمة لك بشرت
٢٨٩	وافر	-	التداني	سلام أيها الملك اليماني
١٧٣	كامل	السلامي	الميدان	علقت مفترس الضراغم فارساً
٢٢٩	خفيف	الحصري	الإحسان	ان دهرأ يلف شملي بسلى
١٧٥	خفيف	ابن الحجاج	العطشان	يا خليلي قد عطشت وفي الحمر
٧٨	طويل	الشريف الرضي	قضائي	ظمائي إلى من لو اراد سقائي
٢٥٩	كامل	-	الشيطان	قد كنت الزم صاحب وأبره
٢٧٢	كامل	المنبري	كفائي	اني نظرت إلى الزما

٢٣٣	كامل	-	سكران	سكران سكر هوى وسكر مدامة
١٣٣	م. الرمل	ابن ابي البغل	المكان	امل كان كضوء الشمس
٧٨	طويل	الصاابي	رجلان	إذا ما تعدت بي وسارت محفة
٢٣٥	وافر	محظه	الزمان	ورق الجوح حتى قيل هذا
٢٥٥	وافر	ابن الحجاج	الزمان	عجبت من الزمان واي شيء
٩٠	مجتث	الراضي	الزمان	يا عمدة السلطان
٣٠١	خفيف	صرع الولاة	المهرطمان	قد نسيم خبز الذراري والدخن
١٧٢	متقارب	السلامي	الجنان	تعلقته بدوي اللسان
١٧٥	خفيف	ابن الحجاج	الدنان	فاسقياني من الدنان إلى أن
١٢٣	بسيط	الوزير المهلبى	رنان	إذا تكامل لي ما قد ظفرت به
٧٢	كامل	ابن سكرة	قرنان	كل العجائب قد سمعت وما أرى
٣١٥	كامل	-	الصبيان	شيثان يعجز ذو الرياسة عنهما
٢٨٥	خفيف	ابن الحجاج	الفتيان	ويحك يا كهول او يا شيوخ الـ
٨١	متقارب	الشريف الرضي	الناعيان	نعوه على من قلبي به
١٠٥	متقارب	بختيار	بريحانها	فيا حيدرا روضتا نرجس
١٥٥	بسيط	-	بالحسن	يا مجمع الحسن يا بغداد يا بلدي
١٨٣	سريع	ابن الحجاج	الحسن	ولحية بيضاء كالقطن
٢٥١	م. الوافر	-	يرهقني	شممت العيش حين رأيت
٢٥٧	بسيط	ابن حماد البصري	الزمن	لأشتكي زمني هذا فأظلمه
٢٤٣	مجتث	-	عني	يا منية المتمني
٢٩٨	مجتث	-	عني	من استخف بقدري
١٢٤	خفيف	الوزير المهلبى	عني	رب ليل لبست فيه التصابي
٢١٤	بسيط	ابن حماد البصري	يا مني	ان كان لا بد من أهل ومن وطن
١٩٥	م. الكامل	ابن سكرة	منى	ان كنت تنشط للمديـ
٣٠٢	بسيط	-	معتون	ان الهريسة اهوها وتعجبي
٢٦٨	متقارب	الأمدى	خذوني	رأيت قلنسية تستغيـ
٢٩٥	مخلع البسيط	جحظة	عني	قد زارني اليوم نور عني
١٣٦	بسيط	الشريف الرضي	ويغريني	لواعج الشوق تخطيمهم وتصميني
١١٨	خفيف	ابن مقله	يميني	ما شممت الحياة لكن توثقـ
٣١١	سريع	ابن نباته	معنيان	مرهفة تعجز وصف اللسان

قافية الهاء

١٦٣	هزج	المفجع	الله	الا يا جامع البصر
١١٦	طويل	ابن الفرات	وجه	معدتي هل لي إلى الوصل حيلة

قافية الواو

٢٤١	سريع	-	يلهو	من رامه بالعقل مسترشداً
١٦٧	وافر	ابن سكرة	يعشقوه	بليت ولا أقول بمن لأنني

قافية الباء

٣٠٨	طويل	ابو سعد الهمداني	ديارنا	فدى لك يا بغداد كل قبيلة
٨٠	طويل	الشريف الرضي	والمعاليا	أيعلم قبر بالجنينة اننا
١٢٠	طويل	ابن مقلة	غاليا	ترى حرمت كتب الأخلاء بيننا
١٢٣	طويل	الوزير المهلبى	الدنيا	ويا فوز نفسي لو بلغت زمانه
٢٠١	م. الكامل	ابو دلف	مطيه	رب عجوز مستعينية
١٨٥	سريع	ابن سكرة	سلوقيه	يا ابن الفرات تعز
١١٣	مجثث	ابن بسام	آيه	رب ليل كطلعة الناصبي
٣٢٢	خفيف	الحوارزمي	الشيبي	اما للدهر من حكم رضى
٣١٨	وافر	المحسن التنوخي	الذني	يا سادتي قول ميت
١٩٥	م. الخفيف	ابن الحجاج	حي	سيدي سخفي قد
١٥٢	م. الرمل	ابن الحجاج	بالدواهي	الا موت يباع فأشتره
١٢٢	وافر	الوزير المهلبى	فيه	مرت فلم تثن طرفها تيتها
١٢٤	منسرح	الوزير المهلبى	تشنيها	

فهرس الطوائف والأقوام والفئات

آل الفرات : ٢٦٢	أ
آل المصطفى : ٣٢٣	آل الأمة : ٣١٢
الإمام : ٣١٤	الأتراك : ١٣ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ،
الأولياء : ٢٤٥ / ٢٣٧	٢٢ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
الإيجابيون : ٢٧٥	١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٤ ،
أهل الحجى : ٢٥٥	١٢٩ ، ١٣١ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ٣٢٤ ،
أهل السنة : ٢١٧	الأحرار : ٢٥٥ ، ٢٥٨ ،
أهل النسك : ٢٨٠	الأحناف : ٢١٧
ب	الأجانب : ٣١٧
بنو بويه (البويهيون) : ١٠ ، ١١ ،	اخوان الصفا : ٤٦
١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٩ ،	الأدباء : تردد كثيراً
٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٥ ،	الأردزيون : ٢٥٥
٦٤ ، ٦٧ ، ٧٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،	الأزواج : ٣١٤
١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،	اسرائيل : ٢١٠
١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ،	الاسماعيلية : ٣٣ ، ٢٧٧ ،
١٢٨ ، ١٥٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٠ ،	اصحاب السلطان : ٢٥٣
٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ،	الأضياف : ٢٨٣
٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ،	الأطباء : ٢٧٣
٣٢٦ ، ٣٢٨	الاعراب : ٢٠٩ ، ٣١٠ ،
بنو ساسان : ٦٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ،	الأغنياء : ٢٥٤ ، ٣٠٦ ،
بنو هاشم : ٢٦ ، ١٩٥ ، ٣٢٦ ،	الأفضلون : ٢٥٥
البائعون : ٢٨٠	الاقطاع (الاقطاعي) : ٣٠ ، ٢٤٠ ،
اليابلون : ٣١٨	الأكاسرة : ٣١٩
البخلاء : ٣٠١ ، ٣٠٦ ،	الأكراد : ٢٠٩
البدو : ٢٣٦	الأكرة : ١٥
البنغايا : ٢٨١	آل أحمد : ٣٢٣

الروم : ٧٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٩٤ ،

٣١٦

الرهبان : ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٣٣ ، ٢٨٣

ز

الزراع : ٣١

الزنج : ٢٥ ، ٦٢

الزهاد : ترد كثيراً في فصل المتصوفة :

٢١٥ ، ٢٤٦

س

الساخطون : ٢٤٧ ، ٢٧٥

الساسانية : ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٣١٩

السليبيون : ٢٧٥

السلطان : ٢٤٧ ، ٢٤٨

السكرارى : ٢٩٢ ، ٢٩٣

السنّة : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢١٠ ، ٣٢٠ ،

٣٢١ ،

السوقيون : ٣١

السوقيون : ٣١

ش

الشالوسة : ٢١٠

الشحاذون : ٢١١ ، ٢١٣

الشرقيون : ٢٠١

الشطار : ٣٢ ، ٣٢٦

الشعوبية : ٢٧٦

الشيعة : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢١٠ ، ٣١٧ ، ٣٢١

ص

الصبايا : ٢٨٥

الصبيان المزنونون : ٢٩٠

الصبيان البدور : ٢٧٩

الصحابة : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨

صنعان : ٢٥٥

ت

التابعون : ٢١٧ ، ٢١٨

التجار : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١

التقدمية : ٢٧٧

ج

الجنن : ٢٠٩

الجوارى : ١٤ ، ١٥ ، ٥٩ ، ١١٦ ،

١٦٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،

٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥

ح

الحرائر : ٣١٤

الحظايا : ٢٨٣

الحكام : ٣٢١

الحمدانيون : ١٨ ، ٢٠

حمقى : ١٤٩

الحنابلة : ١٦ ، ٣٢٠

خ

الخاصة : ترد كثيراً في التمهيد

الخلعاء : ٢٨٠

الخلفاء : ترد كثيراً

الخمارون : ٢٩٠

الخواص : ٣٠٤

د

الدجالون : ٢٥٣ ، ٢٥٤

الدرائش : ٢٩ ، ٢٣٢

الدروز : ٢٨٣

الدعار : ٢٢

الديلم : ١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٨ ،

٣٢٤

ر

الراؤون : ٣١١

الرقيق : ٣١٢

١٧١ ، ١٧٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ،
٣١٢ ، ٣٠٣
الفلمان المراد : ٢٤٥

ف

الفاطميون : ٢٠
الفتيان : ٢٨٥
الفرس : ١٤٨ ، ٢١٦ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ،
٣٢٠ ، ٣١٩
الفتها : ٢٢
الفكهون : ١٤٩
الفلاحون : ٣١
فوارس : ٢٩٦

ق

القحاب : ١٥٥ ، ١٥٧ ، ٢٨١
القديسون : ٢٤٥
القرامطة ١٤ ، ١٥ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٤ ،
٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٧٦ ،
٢٧٧ ، ٣٢٦
القرويون : ٢٣٦
القسه : ٢٨٣
القضاة : ٣٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠
القوالون : ٢٣٤
القيان : ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٩٢

ك

الكادحون : ٣١
الكافرون : ٢٤١
كهول : ٢٨٥
الكهنة : ٢١٧
الكيسانية : ٢١٠
الصوص : ٣١١

الصناع : ٣١

الصليبيون : ٣٠١

ط

الطبقة المستغلة : ٢٨ واماكن عديدة من
التمهيد : ٢٤٧
الطبقة المستغلة : ٢٨ واماكن عديدة من
التمهيد : ٢٤٧

ظ

الظرفاء : ١٤٩ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٣٠٢ ،
الظريفات : ٣٠٤

ع

عابرو السيل : ٢٨٣ ، ٣٢٠ ،
العالمون : ٢٦٦
العامة : ترد كثير في التمهيد ٢٨٦ ، ٣٠٤ ،
العباسيون : ١٩٥ ، ٢١١
عجم : ٣٢٠
العراقيون : ٣٢٨ ، ٣١٦
العرب : ٢١٧ ، ٢٦٠ ، ٣٢٠
العرافون : ٢١٧
عشاق : ٢٩٦ ، ٣١٠
العلا : ٢٥٥
عاوج : ٢٥٨
العلماء : ٣١٤
العلويون : ١٩٥ ، ٢١١
العيارون : ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ،
١٧٣ ، ١٧٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٣٢٦

غ

الفجر : ٢١٤
غزلان النصارى : ٢٨١
الفلمان : ١٤ ، ١٥ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ١٠١ ،
١٠٦ ، ١٠٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،
١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩

الملاحون : ٢٨٤ ، ٣٥

الملوك البويهيون : بنو بويه

الممخرقون : ٢٥٣

المنافقون : ٢١٦

الموالي : ١٤٨

الموظفون : ٢٨٩

الميزقانيون : ٢٠٨

ل

اللاثم : ٢٦١

ن

ناسك صوفي : ٢٩٤

ناصربي : ٣٢٢

النبط : ٢٠٤

النحويون : ٤٥

النخاسون : ٣١٤

الندامي : ٢٩٢

الندماء : ٢٨٨

النصرانية (النصاري) : ٢٧٤ ، ٢٨١ ،

٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠

النصيرية : ٢٨٣

و

الوزراء (الوزير) : ترد كثيراً

الوعاة : ٢٥٦ ، ٢٥٧

هـ

الهندية : ٢١٦

الهندوس : ٢٣٣

ملاحظة :

هناك فئات لم نشأ ادخالها في هذا الفهرست لأنها ترد كثيراً وبامكان القارئ ان يجدها في اي فصل من الفصول من ذلك الخلفاء الوزراء ، الأمراء ، القواد ، والجند الكتاب ، الأدباء ... الخ .

م

المؤرخون : ٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥

الماجنون : ١٤٩

المترفون : ٢٩٢

المتصوفة : ٢٩ ، ترد كثيراً في ٢١٥-٢٤٦

رجال الصوفية : ٣٢٦

المتظفرون : ٢٨٣

المتمردون : ١٢ وترد كثيراً ٢٤٧. فما بعدها

المتزهون : ٢٨٣

المثقفون : ٤٩

المحبون : ٢٤٤ ، ٣١٠

المحجبون : ٢٢٩

المحمدون : ٢٥٧٨

مخث : ٢٩٨

المريدون : ٢٤٦

المسؤولون : ٢٧٥

المسلمون : ترد كثيراً ٢١٥ ، ٢٤٦ ،

٢٨٣ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠

المسيحية : ٢١٦

مشايع الصوفية : ٢٤٥

المشعوذون : ٢٩

المصطبانيون : ٢١٠

المعتزلة : ٤٣ ، ٤٤

المغنون : ٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٧ ،

٢٩٨ ، ٢٩٩

المغنيات : ٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٧ ،

٢٩٨ ، ٢٩٩

المفلوكون : ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٣٠٩

المكدون : ٢٩ ، ١٥١ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،

١٩١ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،

١٩٨ وترد كثيراً في الصفحات

التالية حتى صفحة ٢١٤

الملائكة : ٢٤١

فهرس الاماكن

١٦١ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢١٤ ،
 ٢٢٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ،
 ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٧ ، ٢٧٩ ،
 ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ،
 ٢٨٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،
 ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٥

ت

تكريت : ٩

تفليس : ٣١٨

ث

الثريا : ٢٥٦

ج

جامع المدينة : ٢٣٥

الجزيرة : ٩

جلندا : ٢٩٠

جلولا : ٩

الجنينة : ٨٠

الجواسق : ٢٨٤

ح

الحارثية : ٢٨٢

الحانات : ٢٨١

حانة عكبيرا : ٢٩٠

حلقات الذكر : ٢٣٤

حلوان : ٩

الحيرة : ٢٨٢

أ

الاحساء : ٦٢ ، ٤٨

ارمينيا : ٣١٧

اصفهان : ٢٥ ، ١٦١

الأنبار : ٩ ، ١٥٥ ، ٤٩

الأندلس : ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٩٢

الأهواز : ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٧ ، ١٠٩

١١٠ ، ١٣٨ ،

ب

بانة عرعا : ٢٩٠

بحر الخزر : ٢١

البحر : ٢٥٩

البحرين : ٢٤٨ ، ٢٤٩

براتا : ٩٦ ، ٢٨٠

البردان : ٢٨٠

بصرى : ٢٨٠ ، ٢٩٦

البصرة : ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ١١٠ ،

١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ٢٤٨ ،

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ،

البيطحة : ٩ ، ٢٥٠ ،

بغداد : ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ،

١٩ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ،

٤٢ ، ٤٣ ، ٧٠ ، ٩٦ ، ١١٠ ،

١١٤ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ،

خ

خانقين : ٩

خوارزم : ٩

خوزستان : ٢٥

د

دار القحاب : ١٥٥

الدار الآخرة : ٢١٥ ، ٢١٦

دار الخلافة : ٣٠٣

دار الروم : ٢٨٠

دار السلام : ١٩٧

دار القطن (محلة) : ٢٣٥

دجلة : ٢٨٤ ، ٢٨٦

دجيل : ٢٨٠

درب الزعفراني : ٢٩٧

درب السلق : ٢٩٧

درب السوسي : ٢٨٠

الدنيا : ٢١٦

ديالي : ٩

الديارات (الأديرة) : ٢٨٢ ، ٢٨٣

الدير : ٢٨١

دير اشموني : ٢٨٢

دير الثعالب : ٢٨٢ ، ٣١٧

دير حنظلة : ٢٨٢

دير حنه : ٢٨٢

دير الخوات : ٢٨٢ ، ٢٨٣

دير سمالو : ٢٨٢ ، ٣١٧

دير الفنون : ٢٨٥

ر

الربيط : ٢٤٥

الرصافة : ٢٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨

رقة الشماسية : ٢٨٢

س

سامراء : ٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣

سوق يحيى : ١٥٧

ش

الشام : ٩ ، ١٨ ، ١٤٨ ، ١٤٩

شمال افريقيا : ١٤٨

الشماسية : ٢٨٢

شهرزور : ٩

شيراز : ١٢٨

ص

الصراة : ٩٦

ع

عبادان : ٩

العتبات : ١٧٧

العراق : ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ،

٢٥ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ،

٣٧ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٦٩ ، ١١٢ ، ١٣٦ ،

١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ،

١٦١ ، ١٨٨ ، ٢١٤ ، ٢٤٧ ،

٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٢ ،

٢٩٦ ، ٣١٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،

عرعرا : ٢٩٠

عكبرا : ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٩٠

العلياء : ٢٤٠

عمان : ٢١

العمر : ٢٨١

عمر كسكر : ٢٨١

غ

غمي (عمى) : ٩٢

الغمر (العمر) : ٢٨١

٢٥

- المارستان : ٢٢٩
مسجد الرصافة : ٢٦
مصر : ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ٩
المطيرة : ٢٨٠
مكة : ٧٦
المواخير : ٢٨١
مواخير بصرى : ٢٨٠
الموصل : ٧٠ ، ٣٧ ، ١٩ ، ١٨ ، ٩
و
واسط : ١١٠ ، ٩٠ ، ١٧ ، ٩
١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٩٥ ، ٢٤٩
٢٨٢ ، ٢٨١
الوهاد : ٢٥٦
هـ
هجر : ٢٤٨
هيت : ٥٣ ، ٩

ف

- فارس : ١٥٠ ، ٥١ ، ١٧ ، ١٥ ، ٩ ، ١٦١
الفرات : ١٢٨

ق

- ابو قبيس (جبل) : ٧٦
قصر الرصافة : ٢٦
قصر شيرين : ٩
القفص : ٢٨٠ ، ٩٤
قنطرة النويندجان : ٢٩٣

ك

- الكرخ : ٢٧٩ ، ٢٥٣ ، ٢٣٦ ، ٢٢ ، ٢٨٠
كرخايا : ٩٦ ، ٨٠
كرمان : ٢١
كسكر : ٢٨١
الكمبة : ٢٣٩
الكوفة : ٣٥ ، ١٤

فهرس الموضوعات

- ٩ - ٥ مقدمة للدكتور فيصل السامر
١٣ - ٩ مقدمة المؤلف
٤٩ - ١٣ التمهيد
٢٣ - ١٣ ١ - الحالة السياسية
٢ - عصر ما قبل البويهيين
٣ - العصر البويهي
٢٨ - ٢٣ ٢ - الحالة الاقتصادية
أ - طبيعة النظام الاقتصادي للدولة العباسية
ب - شراسة الطبقة المستغلة
ج - موارد الدولة
د - أثر المال في الطبقة الحاكمة
هـ - أثره في الطبقة المحكومة
و - الحركات الشعبية وتأثرها بالحالة الاقتصادية .
٣٧ - ٢٨ ٣ - المجتمع
أ - انقسام المجتمع إلى طبقات (مستغلة ، مستغلة ، طارئة .. الخ)
ب - مكونات الطبقة المستغلة
ج - مكونات الطبقة المستغلة .

د - الفئات الطارئة .

هـ - القرامطة ودورهم

و - احوال المجتمع

٤ - الحالة الثقافية

٣٧ - ٤٩

أ - رأي في ثقافة العصر (تجمد المذاهب ، جهل الناس دور الأتراك في ذلك)

ب - البويهيون والثقافة ، اسباب انتعاش الثقافة ، استغلال البويهيين لرجال الأدب والشعر لبناء دولتهم .

ج - الأدب وليد ماذا ؟

د - بماذا تلوثت ثقافة العصر ؟

هـ - استعراض للحركة الفكرية في العصر

الفصل الأول

٤٩ - ٨٥

الشاعر في المجتمع

٤٩ - ٦٤

١ - الشاعر والحاكم

أ - طبيعة ارتباط الشاعر بالحاكم

ب - استغلال الحاكم للشاعر

ج - أهمية المديح للممدوح والملاح

د - بعض المشاعر الصادقة بين الشاعر والحاكم

هـ - تصاغر بعض الشعراء

و - مواقف وسطية للشعراء من الحكام

ز - مواقف ايجابية معارضة وقفها بعض الشعراء .

٦٤ - ٦٩

٢ - الشاعر والناس

أ - طبيعة العلاقة

ب - اسباب ازدياد بعض الشعراء للناس

ج - مواقف ناقدة لطبيعة المجتمع

٨٢ - ٦٩

٣ - الشاعر وأقرانه الشعراء

أ - الشاعر والحرفة

ب - أثر الحرفة في علاقة الشعراء

ج - أساليب الوقعة التي يتخذها بعض الشعراء للنيل من غيرهم

د - مواقف طيبة بين الشعراء (العتاب ، المديح ، الرثاء)

٨٣ - ٨٢

٥ - القيمة الفنية

- ٨٣ -

٥ - الخلاصة

الفصل الثاني

١١٣ - ٨٥

الخلفاء والأمراء

١٠١ - ٨٥

أ - الخلفاء

أ - متى كثرت الخلفاء الشعراء ؟

ب - قتلهم في هذا القرن

ج - لماذا انفرد الراضي شاعراً ؟

د - عناية الصولي وأثرها

هـ - مجتمع الخليفة في شعر الراضي (اللهو والمجون ، الجبن

والخية السياسية ... الخ)

١٠٠ - ٩٨

٥ - القيمة الفنية لشعر الراضي

١٠١ - ١٠٠

٥ - الخلاصة

١١٣ - ١٠١

٢ - الأمراء

أ - كيف وجدوا ؟

ب - حظ الخلافة في الزمن البويهي

- ج - هل اهتم الأمراء الأتراك بالأدب ؟
 د - اهتمام البويهيين بالشعر
 هـ - شعرهم وشعراؤهم (بختيار ، عضد الدولة تاج الدولة)
 • - القيمة الفنية لشعرهم (وهل هم شعراء حقاً)
 • - خاتمة

الفصل الثالث

١١٣ - ١٤٧

الوزراء ورجال الدولة

١١٣ - ١٣١

١ - الوزراء

- أ - كيف كان الوزير في الدولة العباسية ؟
 ب - الوزارة ايام المقتدر
 ج - ماذا يسجل شعرهم من حياتهم ؟
 د - امثلة لشعراء وزراء (علي بن عيسى - ابن مقلة ، المهلب الخ)
 • - القيمة الفنية
 • - خاتمة

١٣١ - ١٤٧

٢ - رجال الدولة

- أ - من هو رجل الدولة ؟
 ب - كيف كانوا في عهد الأتراك ثم كيف اصبحوا في العهد البويهي ؟
 ج - من هم رجال الدولة الذين لهم شعر (الصولي ، الصباني الشريف الرضي ... الخ)
 د - شعرهم وماذا يمثل من حياتهم
 • - القيمة الفنية
 • - الخلاصة

الفصل الرابع

- المبتدلون والمجان ١٤٧ - ١٨٩
 المجون والمجتمعات البشرية ، المجون في الاسلام ، المؤثرات
 العامة في ايجاد المجون ، المجون في القرن الرابع وموقف المجتمع منه .
 أهم الشعراء ١٥١ - ١٥٤
 ابن الحجاج وابن سكرة ، السخف وسبب ظهوره في هذا القرن
 موضوعاته ١٥٤ -
 أ - الدعوة للأخذ باللذة ووصف أماكنها ١٥٤ - ١٥٥
 ب - البغضاء ١٥٥ - ١٥٩
 ج - الغلمانية ١٥٩ - ١٧٥
 اثر التدهور الاقتصادي والسياسي في ظهور الغلمانية .
 الغلمانية في القرن الرابع ، اثر بعض التقاليد الاجتماعية في وجود
 الغلمانية ، مظاهر الغلمانية في الشعر
 د - الكفر والتجديف ١٧٥ - ١٧٩
 مفهوم الكفر والتجديف ، موضوعاته ومظاهره ، المباحرة بالافطار ،
 أتيان المحرمات في رمضان ، الدعوة إلى الأخذ بالملذات الجسدية استهانة بالدين
 هـ - الهجاء ١٧٩ - ١٨٦
 و - القيمة الفنية ١٨٦ - ١٨٨
 ز - الخلاصة ١٨٨ -

الفصل الخامس

- المكذون ١٨٩ - ٢١٥
 المعنى اللغوي للكذبة ، ظهور الكذبة في المجتمع العربي الاسلامي ،
 تحول المكذبين إلى طبقة اجتماعية متميزة لها أصولها ورسومها ،
 الهمداني واساليب المكذبين
 الكذبة والشعر ١٩٢ - ١٩٦

المديح والتكسب بالشعر وعلاقتها بالكديّة

٢١٢ - ١٩٦

الكديّة والاحتراف

طوائف المكدين الشعراء ، الأحنف العكبري ، أبو دلف الخزرجي
شخصية أبي الفتح الاسكندرري والكديّة ، قصيدتا العكبري وأبي دلف

٢١٣ - ٢١٢

• - القيمة الفنية

٢١٤ - ٢١٣

• - الخلاصة

الفصل السادس

٢٤٧ - ٢١٥

الزهاد والمتصوفون

٢١٦ - ٢١٥

أ - الزهد نشأته ، أسبابه

٢١٧ - ٢١٦

ب - التصوف نشأته وآراء في ذلك

٢١٨ - ٢١٧

ج - أصل كلامي صوفي وتصوف ونسبتهما وآراء في ذلك

٢٢٥ - ٢١٨

د - ما هو التصوف ومن هو الصوفي

٣٣٣ - ٢٢٥

هـ - حوال الصوفية ومقاماتهم

ما هو المقام ؟ وما هو الحال ؟ بعض الأحوال والمقامات الوجد

والتواجد والوجود ، المحبة والشوق ، التوكل ، السكر

٣٣٩ - ٢٣٣

و - آداب المتصوفة

منها : السماع ، الصحبة

٢٤٠ - ٢٣٩

ز - التفاعل الحياتي عند بعض الصوفية

٢٤٣ - ٢٤٠

ح - العمق الفكري عندهم

٢٤٥ - ٢٤٣

• - القيمة الفنية

٢٤٦ - ٢٤٥

• - الخلاصة

الفصل السابع

- الساخطون والمتمردون ٢٤٧ - ٢٧٩
- الاضطرابات السياسية والاقتصادية وأثرها في السخط ،
شعراء البصرة والسخط ، اسباب ظهور السخط والتمرد لدى
شعراء البصرة
- موضوعات شعر السخط والتمرد ٢٥٠ -
- أ - المشاعر الذاتية ٢٥٠ - ٢٥٣
- ب - ذم الزمان ٢٥٣ - ٢٥٨
- ٠ - السخط والسلطة ٢٥٨ - ٢٦١
- مظالم السلطة ، الشعراء والمظالم ، رؤساء الزمان وجهالتهم ، ثورة
الشعراء ، فقدان الثقة بأصحاب السلطان
- ٠ - الوزراء والسخط ٢٦١ - ٢٧٠
- احتكار بعض الأمراء للوزارة وسخط الشعراء ، جحظه وآل الفرات
ذم الوزراء البلهاء والأميين ، نقد القضاة
- ٠ - السخط السلبي ٢٧٠ - ٢٧٥
- مفهوم السخط السلبي ، تسجيل مآسي المجتمع فقط ، الانهزامية
لدى بعض الشعراء ، الاتجاه إلى الخمر والشراب من آثار الانهزامية
- ٠ - القيمة الفنية ٢٧٥ - ٢٧٦
- ٠ - الخلاصة ٢٧٦ - ٢٧٨

الفصل الثامن

- مظاهر حضارية واجتماعية ٢٧٩ -
- ٠ اللهو أماكنه ومجالسه ٢٧٩ - ٢٩٤
- اماكن اللهو وترددها في الشعر ، الفحش واللهو في هذه
الأماكن وموقف الشعراء ، الأدبيرة والشعراء .

٢٨٦ — ٢٨٤	• الدعوة للهو
٢٩٤ — ٢٨٦	• مجالس اللهو
٢٩٦ — ٢٩٤	• الخمرة وآلاتها
٣٠٠ — ٢٩٦	• الغناء وآلاته
٣٠٤ — ٣٠٠	• المآكل وأنواعها
٣٠٦ — ٣٠٤	• الملابس والحلى
٣٠٧ — ٣٠٦	• العطور وأدوات الزينة
	• الطبخة والمدن والاستعمالات
٣١١ — ٣٠٧	• البيتمية واليومية
٣١٦ — ٣١١	• المرأة
٣٢٠ — ٣١٦	• الأعياد
٣٢٥ — ٣٢٠	• التعصب
	• خلاصة
	• خاتمة الكتاب
	الفهارس

جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	ص	س
وترك	وتعمق	٦	١٦
تر	مثمر	٧	١٥
وحدة متميزة	وحده متميزاً	١٣	٤
الوزير العباس بن الحسن	الوزير العباسي بن الحسن	—	١١
مروج الذهب ٤ - ٣٠٢	مروج الذهب ٣٠٢	—	١٥
التمنية	اليتيمة	—	—
العصور العباسية المتأخرة ١٨ ١٨٧		—	—
ام موسى تعبت في شؤون	ام موسى في شؤون	١٤	٩
بالراضي (٥) ثم تتغير الأرقام التي تليها تبعاً لذلك	بالراضي	١٦	٥
والمنتظم ٦ - ٢٤٩ يابق	والمنتظم ٦ - ٢٤٩ بليق	—	١٥
ينقل إلى ص ١٦ ويصبح ٩٥	نفسه ٨ - ٣١٢	١٧	١٥
١	٢	—	٢٥
تجارب الأمم ١ - ٥١٥ ، الكامل ٨ - ٣١٥	سقط هامش رقم ٢ ويكون : تجارب الأمم ١ - ٥١٥ ، الكامل ٨ - ٣١٥	—	هامش
فتقلدها	كتقلدها	١٨	٥
بأيام	أيام	١٩	١٤

٢٣٤ - ٢	٣٤ - ٢	٢٥	٢١
الاقتصادية ويقول	الاقتصادية يقول	٩	٢٥
بحكم الدراهم	بحلم ... الدراهم	٥٥	٣٠
الاسهاب	الاهاب	١٥	٣٢
نافذ	نافذ	١٢	٤٠
ابن جني	ابي جني	٣	٤٥
ونلاحظ فلسفته	ونلاحظ فلسفه	٥٥	٤٦
أحسن	احسن	١	٥٠
فسانجس	فسانجس	١٥	٥٤
وزلبهاء	وزر بهاء	٢٥	٥٥
صریح الدلاء	صریح المرلاء	-	-
الجرجرائي	الجرجاني	٤٢	٥٨
الامناع والمؤانسه ٣ - ٢١٧	الامناع والمؤانسه ٣ - ٣١٧	١٥	٥٨
لانه نعم	لانه نعم	٥	-
الجرجرائي	الجرجاني	١٢	٥٩
يا ملوك	يا سلوك	٥	٦٢
ومن أبى	من أبى	٧	٦٣
وزيره	وزيره	١	٦٤
أسكر	اشكر	٣	-
يقصد وزيره ابن بقيه	يقصد وزيره	١٥	-
مختارات	مختارات	٣٥	-
« الضبي »	الضبي	٢٥	٦٩
قضاني	قضائي	١٧	٧٨
الوجود	الوجود	٨	٨٢

الفصل الثاني	ساقط	عنوان	٨٥
سقطت كلمة « أو » وعليها الرقم ٣ والهامش (١) في الصفحة ٩٥ يعود لهذه الكلمة وللبيتين اللذين بعدها (وزادني .. الخ ، ويصبح هامش رقم ٣) ويوضع فوق (أو)		قبل	٩٤ ١٩
١ وتغيير ارقام الهامشين اللذين يتبعان إلى ٢ ، ٣	٢	٢٥	٩٥
قال يحكم	قام يحكم	٢٥	٩٥
لزاره	لزاروه	٧	٩٦
الخيري	الخبرى	٢٥ ٨،٧	١٠٧
عضد	عصد	١١	١٠٨
هذا سواد بلا وزير	هذا بلاوير	٢	١١٤
إذا بدعة	إذا بدعة	٦	١١٦
بن الفرات	ابن الفرات		١١٧ الأخير
لا يكن للكأس	لا يكن الكأس	١٣	١٢١
وليسا شطرين	لا يكن للكأس هما بيتان	١٣	١٢١
ظبي يرق	ظبي الماء	١	١٢٦
بشاطي	بشاطيء	١٤	١٢٨
من ذلك ما قاله في القادر	من ذلك ما قاله القادر	٦	١٣٦
كنايات	كتابات	٤٥	١٤١
كنايات	كتابات	٢٥	١٤٢
واعتنقنا	جردتها اعتنقنا	١١	—
كالخصي	كالخصي	٢	١٥١
سخفي الذي قد صار	سخفي الذي صار	٣	١٥٢

ومثل البيت	وقبل البيت	٣٥	—
التبذل	التبذلي	٨	١٥٤
حدأ قاتلاً	حد قاتلاً	١٢	١٥٥
المنتخب من كتابات	المنتخب من كتابات	٢٥	—
أكل الفراخ	كل الفراخ	١٤	١٧٠
يا مرهما	يامرهما	١٠	١٧٣
فاسقياي من	فاسقياي بين	١٣	١٧٥
ليعي	ليعي	٧	١٧٧
الدعوة إلى	الدعوة الـ	١١	—
قول ابي سعيد العفيري	قول ابي سعيد القبري وهو	٣٥	١٧٧
وهو من اهل القدس :	من اهل القدس		
هي الدنيا وليس لها تناء			
ونوم القبر وليس له انتباه			
وليس يخرب الدنيا الحكيم الا			
قديم القادر الأحد الإله			
تنظر التتمه ١ - ٢٦			
في المساجد نجرا	في المساجد نجرا	٤٥	١٧٧
إمام فسا	إمام فسا	١٩	١٨٠
نكت الهميات ١٩٦ ، البيتان	نكت الهميات ١٩٦ والأبيات	٣٥	١٨٠
الثالث والرابع فقط ،			
والأبيات ..			
السامرائي بتحقيقها .	السامرائي بتحقيقها البيتان	—	—
	الثالث والرابع فقط		
يعود إلى الصفحة السابقة بعد	في المخطوطة .. الخ	١٥	١٨١

ان يوضع له رقم ٤ ويضاف رقم ٤ إلى (خربشته) في البيت قبل الأخير من ص ١٨٠ يصبحان (١ ، ٢)	الهامشان (٢ ، ٣)	١٨١
رتبت على شكل اشطر وهي ايات شعرية من مجزوء الرجز	١٥ وما بعدها يا اهل بغداد .. وبقية الأيات الأخرى التي رتبت متقابلة	١٨٣
او ضربوا الدبادب ومن أبي يا جوامرد	او اضربوا الدبادب ومن اين ٢ فوق الهامش يا جواً مرد	٣٥ ١٨٣ ٥ ١٨٤ —
قد قلت لما لاح لي ثغرها .. وانتشر السوسن من صدغها	قد قلت لما لاح لي ثغرها .. وانتشر السوسن من صدغها ..	١٢ ١٨٥
فاغني مجدباً	فأغني مجدياً	٩ ١٩٣ ٢٥ —
فابعث الرفد	ما بعث الرغد	٧ ١٩٥ ١٣ —
بدأ جحظه البرمكي	بدأ جعفر البرمكي	٩ ١٩٦ ١٥ ١٩٧
يكااد لما طلبت فلم أظفر	يكااد لما طلبت لم أظفر	١١ ١٩٨ ١٩ ١٩٩
لأهليه دهينا	٣ قبل الهامش لا هليه دعينا	٢٠٠ ١٠ ٢٠١
وغثا والصاحب .. بطبايعهم	وغثا والصاحب .. بطبايعهم	٢ ٢٠٣ ٤٥ ٢٠٥

وقال : إن هذا	وقال : إذا هذا	١٤ ٢٠٧
صَمِّي	صَمِّي	٨ ٢٠٨
دكتك أو فككت	دلك أو فلك	٨ ٢٠٩
لغة الادباء	لغة ادباء	٢١٢ الاخير
ويساعدنا في دراستنا لها ..	ويساعدنا رؤيتنا في	١ ٢١٤
فيأخذونها ... وينالوا	فيأخذونها .. وينالون	٨ ٢١٥
« الفرار من الدنيا »	الفرار من الدنيا	٢٥ —
عبد الرزاق	عبد الرزاق	٢٥ ٢١٧
عبد الله الهرندي فيهم	عبد الله الهرتد عفيهم	٢٢١ الاخير
صوفية	صوفية	٢ ٢٢٢
البلديهي	البويهي	٣٥ ٢٢٣
يحبك عظم	بحبك	٥ ٢٣٠
رآكا	٦ قبل الهامش سراكا	٢٣٦
تحذف ويحل محلها ما جاء	عوارف المعارف	٤٥ ٢٣٨
في هـ		
تنقل إلى هامش ٤ ويحل	اداب الصحبة .. الخ	٥٥ —
محلها (ينظر الرسالة		
القشيرية ٢ - ٥٧٤ فما		
ببدها وعوارف المعارف ٤٣٧		
غلمانا مردأ	٣ قبل الأخير غلمان مرد	٢٤٥
وبؤسها وبمقدار	ويؤسسها بمقدار	٥ ٢٤٧
من « هجر »	من « عجز »	١٢ ٢٤٨
١ ، ٢ ، ٣ .. الخ	٢ ، ٣ ... الخ	٢٥١ الهوامش
امصُّ به ثماد	امصُّ به ثمار	٨ ٢٥٢

إلا الممخرقون	غير الممخرقون	١٥ ٢٥٣
مثلما وصفه ابن لنكك ٤ :	مثلما وصفه ابن لنكك ٤ :	٢٥٤ الاخير
زمان قد تفرع للفضول		
يسود كل ذي حمق جهول		
عيانا	عميانا	٧ ٢٥٧
الخَزَّ	الحَرَّ	٢ ٢٥٩
والسر من رأي	والسر من ورأي	١٣ ٢٦٤
ثور	نور	٢٦٦ الاخير
ثور	نور	٢٦٦ الاخير
صُرَّة	ضرة	٨ ٢٦٧
المثالب	واخو المثالب	٣ ٢٦٨
شجواً من لبيب	شجواً في لبيب	٤ ٢٧٢
الايوردي	الايوري	٦ ٢٧٣
لما	أما	٧ —
ليس هنا محلها وإنما بعمد	٣،٢ قبل الهامش مالك قد هيملك	—
هذه الجملة في ص ٢٧٤	لو رمت ان يبقى	
(على قول ابي سعيد		
التسري (١))		
وارانا ... في زمان	وارانا من الشقاء .. في زمن	٢٧٤
فاسقياني مفيدة .. من السفاه	فاسقياني مفيد ... ما السفاه	— —
بروح علمية	بروح عامية	٢ ٢٧٧
في الكرخ	٣ قبل الهامش في الكوخ	٢٧٩
المطيرة	المطيرة ٣هـ ، ٦	٢٨٠

٣ قبل الهامش ليت شعري مذ غيت عنها ليت شعري غدغيت عنها -

على كم

الشعراء الخلفاء ٧٥ -

قبه بأوانا فيها بأوانا ٥ ٢٨١

قحاناً قحاناً ٦ -

شيوخ البغاء شيوخ البناء ٧

لم يلح ٣ قبل الهامش لم يلح -

آح لقلبي .. من جوارى آح لقلبي .. من جوارى ٣ ٢٨٣

فأعوزت فأعزت ١٦ -

والأكل والشرب والسماع والأكل والشرب والسماع ٧ ٢٨٥

كأنه زهر المنذ كأنه زهر المنذ ١٤ ٢٨٦

سلام سلا ٨ ٢٨٩

بغنائها بغنائنا ٩ -

من غنائها من غنائنا ١٢ -

رتب رتب ١٤

تركت لساقى تركت لساقى ٧ ٢٩٠

يعبد يعبد الخمر ٨ -

نايا نابا ١٠

فيا لك فأقط فيا لك فأقط ١٠ ٢٩٢

فيه به فاستجارا فيه بلى فاستجارا ١٢ ٢٩٣

سكري شكري ٧ ٢٩٤

(٢) برد الاكباد برد الاكباد هامش -

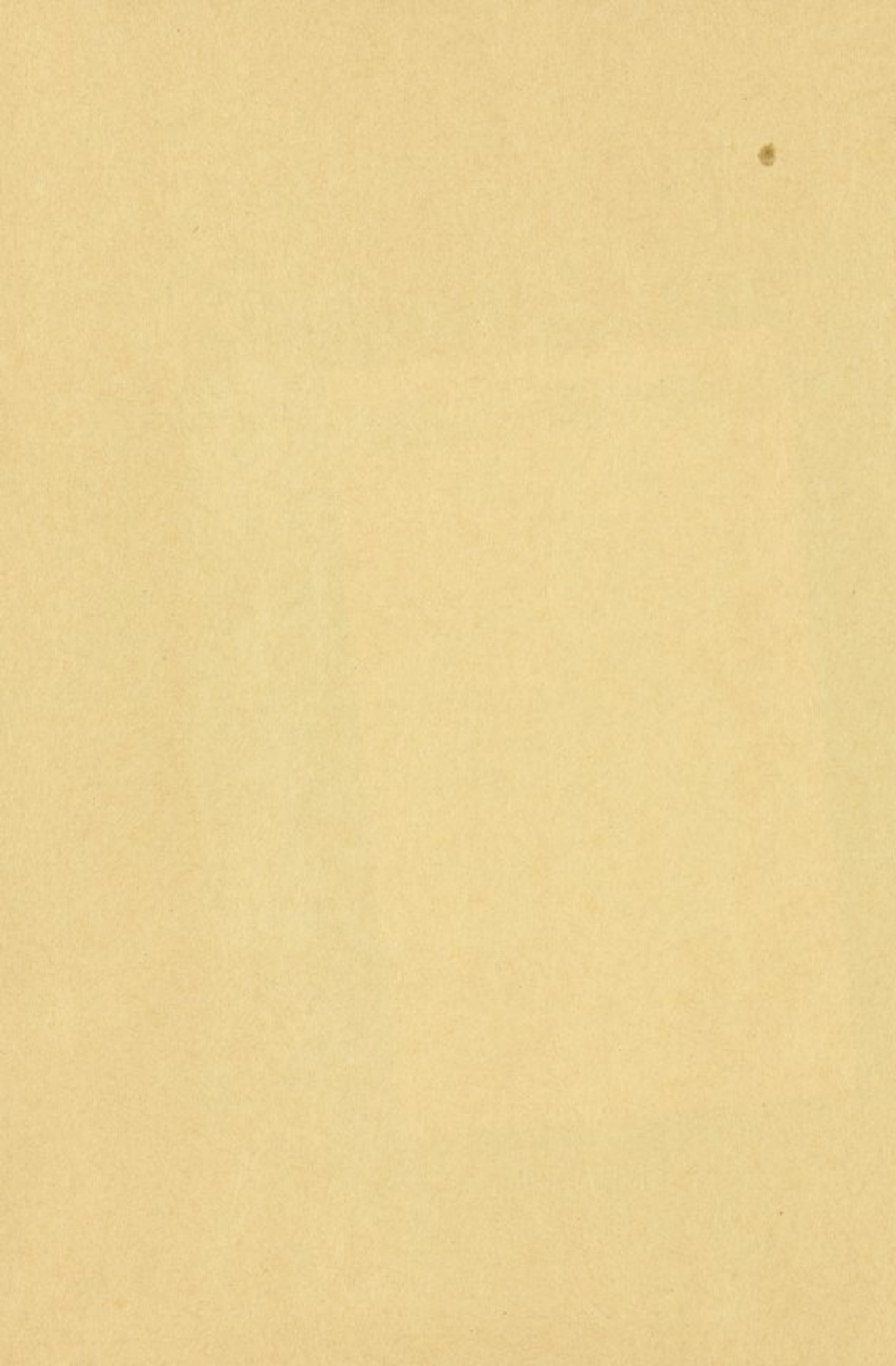
(٣) الاعجاز والايجاز ٢٣٤

الزير المزير ٤ ٢٩٥

يقول فيها الصاحب :	سقط شطر هو	٢٩٦ بعد ٤
« رق الزجاج وراقت الحمر الغناء والمغنون	الغناء والمغنين	٢ ٢٩٩
الطيب والبوق : قال صريع الدلاء .	الطيب والبوق :	٧ —
إذا باست	إذا بابست	— الأخير
قد نسيتم خبز الذراي والدخن وخبز الشعير والهرطمان	قد نسيتم خبز ...	٥٥ ٣٠١
ومنه وصف ابن سكرة لحمّام دخل اليه فسرقت نمله (١)	سقط كلام هو	٦ بعد ٣١١
وكتب ابو اسحق الصابي يهنىء الوزير المهلبى بقوله :	وكتب ابو اسحق	١٦ ٣١٦
(١) ينظر مثلاً ديوان مهيار ١ - ٦٤	—	٣٢٤ هـ
هذا الكتاب من أخبار الحمقى والمغفلين	هذا الكتابين الحمقى والمغفلون	٧ ٣٣٧ ١٢ —

ملاحظة هامة : حيث ان الطبع قد تم في بيروت ولبعد المسافة بين بغداد المؤلف وبيروت الطباع فقد وقعت اخطاء أخرى أرجو أن لا تفوت القاريء اللبيب كما اود أن أنبه إلى ان المرتب سامحه الله قد خلط بين كثير من الأبيات المدورة وأحياناً غير المدورة وما انتبه إلى ذلك المصحح ايضاً وما اطلعت على هذه الهفوة الا بعد الطبع وفوات الأوان ، أرجو المعذرة وعسى ان نتلافى اخطائنا في الطبعة القادمة

المؤلف



DATE DUE

JAN 28 2002

DEC 21 2001

JUN 06 2004

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0038051532

AUG 29 1977

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU69596450

DS76.4 .R38 1971 al-Mujtama al-Iraqi